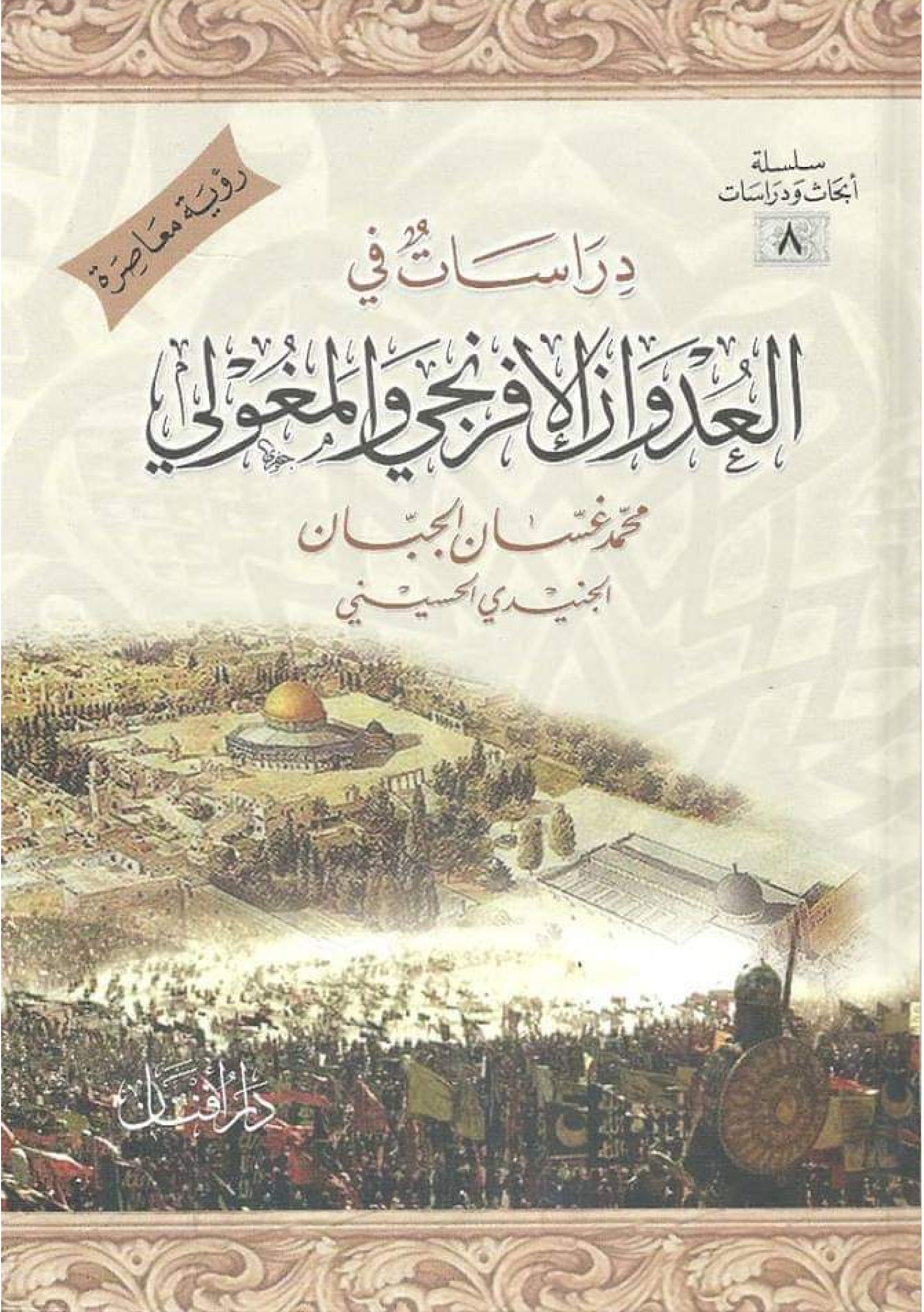

سلسلة
أبحاث ودراسات
٨
رؤية معاصرة
دراسات في
العدوان الإفرنجي والمغولي
محمد غسان الجبان
الجنيدي الحسيني
دار أفنان

سلسلة دراسات وأبحاث

(٨)



دراسات في العدوان الإفرنجي والمغولي

رؤية معاصرة

محمد غسَّــان الجبَّــان

الجنيدي الحسيني

الطبعة الأولى

١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧م

سورية - دمشق

الإهداء

- إلى المسجد الأقصى، سيحررك المقاومون مهما طال الزمن .
- إلى جميع الشهداء المقاومين الذين ضحوا بدمائهم لتحرير بلاد الشام وفلسطين وكل أرض إسلامية ..
- إلى أطفال الحجارة الذين يقاومون في فلسطين، في حين تخلى عنها المتخاذلون، وسلموها للصهاينة المدعومين من الاستعماريين ، إفرنج هذا العصر ...
- إلى كل مقاوم يدافع عن فلسطين ويسعى لتحريرها..
- إلى علماء الأمة الداعمين والمشاركين في جبهة المقاومة ..

المؤلف

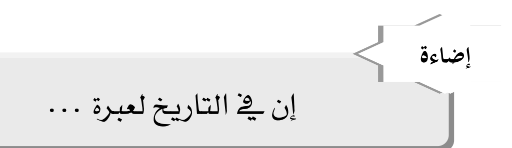
مُقَدِّمَة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اللَّهـم لـك الحمـد على مـا تكرمـت وتفضَّـلت.. لـك الحمـد مـلء السماوات والأرض وملء ما شئت من شيء بعد.. يارب أنت أهل الثناء والمجد.. أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد.. اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا رادَّ لما قضيت ولا ينفع ذا الجد منك الجد،، ولا حول ولا قوة إلا بك يا رب العالمين..

اللهم إنا نسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك...

اللهم صل عل سيدنا محمد صلاة تلمُّ بها شعثنا، وتوحد بها صفنا، وتنصر بها أُمتنا، وتُصلح بها حالنا، وتقوي بها عزائمنا، وترفع بها ذكرنا.. وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعدُ:



• **التاريخ**: جملة الأحوال والأحداث التي يمر بها كائن ما، ويصدق هذا على الفرد والمجتمع..

والتأريخ: تسجيل هذه الأحوال[1]..

• وفي التاريخ دروس وعبر لمن يُجيد قراءة الأحداث، ويتعمَّق في فهمها، ثم يستنبط منها الدروس والعبر، ويقوم بإسقاطها على الواقع، ويوظفها في ترقية الحاضر وحمايته من الأخطاء، ويرسم من خلالها الخطط لمستقبل ناجح مشرق.

• ومن الغريب أن يُضفي بعض المسلمين القداسة على ما يسمونه "تاريخ المسلمين" فإذا تحدث باحث عن بعض الأحداث المفجعة في تاريخنا، انبرى البعض لمهاجمته والإساءة إليه كونه يسيء إلى تاريخنا المقدس..

• إن تاريخ المسلمين ليس مقدساً، وهو غير معصوم، وليست كل أحداثه موافقة للصواب، بل إن بعضها كانت أحداثاً مُفجعة مؤلمة ، وبالمقابل كانت هناك صفحات مشرقة رائعة..

واجب

يجب دراسة جميع أحداث "تاريخ المسلمين" بسوادها وبياضها، المفجعة والصائبة الرائعة منها، لتكون لنا عبرة وعظة ودرساً، نستفيد منه في حاضرنا ومستقبلنا.. فالسعيد من اتّعظ بغيره.. والشقيُّ من لم يتّعظ إلا بنفسه.

---

(١) انظر : المعجم الوسيط، (١٣/١) .

● ومن الخطأ البيِّن أن نتداول مصطلحات خاطئة انتشرت في دوائر الثقافة وبين بعض الكُتَّاب، ومنها مصطلح "تاريخ الإسلام" أو "التاريخ الإسلامي" **والحقيقة إنه لا يوجد "تاريخ للإسلام"، بل يوجد "تاريخ للمسلمين"** وهي الأحداث التي عاينها وعاشها المسلمون أو صنعوها أو وقعت بهم..، والإسلام عقيدة وشريعة وفكر وأخلاق وعلم وحكمة وتزكية.. وليس أحداث ووقائع التي هي مضمون التاريخ، وليس هناك تاريخ جميع أحداثه موافقة لمبادئ الإسلام وقيمه وأحكامه ومُثُله..، ومن ثمَّ ليس هناك تاريخ معصوم يُقتدى به..

● ويستطيع الباحث المدقق أن يلاحظ أن كبار علماء التاريخ من المؤرخين المسلمين لم يستخدموا مصطلح "تاريخ الإسلام" أو "التاريخ الإسلامي"، بل اتخذوا مصطلحات دقيقة تتحدث عن تاريخ المسلمين العام، أو جزئية من هذا التاريخ..

وإليك بعض هذه **الأمثلة** على ذلك:

١- **البلاذري**، أبو العباس أحمد بن جابر (ت:٢٩٧هـ)، ألف كتاباً في التاريخ سمَّاهُ "فتوح البلدان".

٢- **الطبري**، شيخ مؤرخي المسلمين، أبو جعفر محمد بن جرير (ت:٣١٠هـ)، ألَّف كتاباً في التاريخ سماه "تاريخ الرسل والملوك".

٣- **الشنتريني**، أبو الحسن علي بن بسام (ت: ٥٤٢هـ)، ألَّف كتاباً في التاريخ سماه "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ".

٤- **ابن الجوزي**، أبو الفرج عبد الرحمن (ت:٥٩٧هـ)، ألَّف كتاباً في التاريخ سماه "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم".

٥- **الأصفهاني**، عماد الدين الكاتب (ت: ٥٩٧هـ)، ألَّف كتاباً في التاريخ سماه "الفتح القسي في الفتح القدسي".

٦- **ابن الأثير**، عز الدين أبو الحسن علي (ت:٦٣٠هـ)، ألَّف كتاباً من أهم الكتب في تاريخ المسلمين سماه "الكامل في التاريخ".

٧- **ابن العديم**، كمال الدين عمر بن أحمد (٦٦٠هـ)، ألَّف كتاباً في التاريخ سماه "زبدة الحلب في تاريخ حلب".

٨- **أبو شامة المقدسي الدمشقي**، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل ابن إبراهيم (ت:٦٦٥هـ)، ألَّف كتاباً في التاريخ سماه "الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية".

٩- **القزويني**، زكريا بن محمد بن محمود (ت:٦٨٢هـ)، ألَّف كتاباً في التاريخ سماه "آثار البلاد وأخبار العباد".

١٠- **الهمذاني**، رشيد الدين فضل الله بن عماد الدولة أبو الخير بن موفق الدولة (ت:٧١٨هـ)، ألَّف كتاباً في التاريخ سماه"جامع التواريخ".

١١- **ابن الفوطي**، كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد الشيباني البغدادي (ت:٧٢٣هـ)، ألف كتاباً في التاريخ سماه "الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة".

١٢- **أبو الفدا**، الملك المؤيد إسماعيل بن الأفضل (ت:٧٣٢هـ)، ألَّف كتاباً في التاريخ سماه "المختصر في أخبار البشر".

١٣- **ابن كثير الدمشقي**، أبو الفداء إسماعيل (ت:٧٧٤هـ)، ألَّف كتاباً في التاريخ سماه"البداية والنهاية".

١٤- **ابــن خلــدون**، الإشــبيلي التونســي، عبــد الــرحمن بــن محمــد، (ت:٨٠٨هـ)، ألَّف كتاباً في التاريخ سماه "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر".

١٥- **المقريـزي**، تقـي الـدين أبـو العبـاس أحمـد بـن علـي بـن عبـد القـادر العبيدي، (ت:٨٤٥هـ)، ألَّف كتاباً في التاريخ سماه "السلوك لمعرفة دول الملوك".

١٦- **العيني**، بدر الدين محمود (ت:٨٥٥هـ)، ألَّف كتاباً في التاريخ سماه "عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان".

١٧- **السيوطي**،جلال الدين عبد الرحمن (٩١١هـ)، ألف كتاباً في التاريخ سماه "حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة."

ولم يشـذ عـن هـذه القاعـدة فيمـا أعلـم إلا الحـافظ الـذهبي، شمس الـدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت:٧٤٨هـ)، حيث سمى كتابه "تاريخ الإسلام". والحقيقـة أنـه تـاريخ المنتسبين إلى الإسـلام خـلال حقبـة زمنيـة محـددة، ولـيس تاريخ الإسلام ذاته.

إذ كيف يصير تاريخ الطغاة المتجبرين الظالمين تاريخَ الإسلام ؟!!..

وكيف يصير تاريخ المتخاذلين الخائنين تاريخَ الإسلام؟!!..

وكيـف يصـير تـاريخ الزنـاة والـداعرين والمخمـورين في قصـور الحـريم تـاريخ الإسلام؟!!..

إنه تاريخ بعض المنتسبين إلى الإسلام، محسنين كانوا أم مسيئين، يقول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [سورة فاطر].

إضاءة

لقد ركز كثير من المستشرقين الحاقدين على إلصاق تاريخ المسلمين بالإسلام، لينسبوا كل ما ظهر من إساءات ومظالم وقهر وقتل وعدوان... في تاريخ المسلمين بالإسلام!!.. وعلى أن هذه الوقائع التاريخية الظالمة جزء لا يتجزأ من ثقافة الإسلام.

. وكان في مقدمة هؤلاء المستشرقين "إيناس جولد تسهير" اليهودي المجري، و "هاملتون جب" المسيحي الإنكليزي، و "هنري لامانس" المسيحي الفرنسي من أصل بلجيكي، و"آرنست رينان" المسيحي الفرنسي، و "كارل بروكلمان" اليهودي الألماني، وكثيرون غيرهم...

● **هذا الكتاب**: يعتمد مصطلح المؤرخين المسلمين الذين أطلقوا على الحروب الصليبية الحروب الإفرنجية، في حين أن المؤرخين الغربيين أطلقوا عليها الحروب الصليبية ..

لذلك كان عنوان الكتاب " العدوان الإفرنجي والمغولي" ، لكنني اضطررت في بعض المواضع للأخذ بمصطلح المؤرخين الغربيين لسهولة الفهم، بسبب شيوع هذا المصطلح بين المثقفين وغيرهم ...

● **وهذا الكتاب**: يتناول أهم أحداث العدوان على الأمة الإسلامية من مشرق العالم الإسلامي إلى مغربه، خلال مدة زمنية تقارب /٧٨٠/ عاماً هجرياً، تبدأ عام /١٥٠هـ-٧٦٧م/ وتنتهي عام /٩٣٠هـ-١٥٢٤م/ حيث يغطي أحداث الحروب الإفرنجية الصليبية في بلاد الشام وآسيا الوسطى وشمالي أفريقيا والأندلس وجزائر البحر المتوسط.. كما يغطي أحداث الحروب المغولية من حدود الصين وبلاد ما وراء النهر إلى آسيا الوسطى وبلاد الشام..

حقيقة

أقام أعداء الإسلام تحالفاً دولياً لمحاربة المسلمين، حيث تحالف الشرق المغولي مع الغرب الصليبي لتحقيق أهدافهم المتباينة ، ونفذوا طوقاً على شكل كماشة من الشرق والغرب..

• **ويتحدث هذا الكتاب عن**: الأحداث التاريخية بنظرة شمولية تتجاوز الحدث الجزئي إلى الحدث الكلي.. فهو ينظر إلى العالم الإسلامي على أنه ساحة صراع واحدة، ويتناول الأحداث في زمن محدد من مشرق العالم الإسلامي إلى مغربه..، ويُطلع القارئ على جميع الأحداث الجارية في كل أنحاء العالم الإسلامي في زمن محدد، فيربط بينها، ويبين أسباب انتصار جبهة المقاومة الإسلامية أو هزيمتها في موقع ما استناداً لما يجري في هذا الموقع والمواقع الأخرى على امتداد العالم الإسلامي..

• **وهذا الكتاب**: يصحح المفاهيم الخاطئة التي حصرت الحروب والحملات الإفرنجية زمانياً ومكانياً في ما جرى في بلاد الشام ومصر منذ عام /٤٨٩هـ-١٠٩٦م/ وحتى عام /٦٩٠هـ-١٢٩١م/ ويبين أن هذه الحروب والحملات الصليبية بدأت قبل هذا التاريخ بنحو /٣٢٨/ عاماً هجرياً، عندما قاد شارلمان حملة صليبية على شمالي الأندلس بدعم من البابا عام /١٦١هـ/ وامتدت بعده نحو /٢٠٧هـ/ عاماً هجرياً إلى سقوط الأندلس عام /٨٩٧هـ/.

• **بل إن هذا الكتاب** يبين أن الحركة الصليبية مازالت موجودة تنمو وتتطور وتنتهج من الأساليب الجديدة ما تراه مناسباً لتحقيق أهدافها،

وخاصة بعد أن اندمجت مع الحروب الإفرنجية الاستعمارية إلى يومنا هذا..

● **ويبين هذا الكتاب**: أن الصراع بين المسلمين والغرب الصليبي سينتهي لمصلحة المسلمين على الأغلب لأسباب موضوعية محددة، ويتوقع بسقوط النظام الغربي الصليبي وعولمته، ونظرية صراع الحضارات التي يتبناها، وظهور نظام غربي جديد يتخلى عن أطماعه في عولمة ثقافته وهيمنته العسكرية والاقتصادية، ويتعايش مع الحضارات والثقافات الأخرى في العالم، ويحترم مصالحه ومصالح الشعوب الأخرى، كما يتوقع قيام ثورة معرفية وتشريعية في الغرب تطيح بالقيم الغربية السائدة حالياً، وتأتي بتشريعات تُعيد للأسرة والقيم الأخلاقية الحضارية مكانتها، لتحمي الغرب من الموت الديموغرافي.. وستطيح هذه الثورة المعرفية والتشريعية بالأيديولوجية الرأسمالية الاستعمارية المتوحشة، وثقافتها العولمية، ليحل مكانها ثقافة المصالح المتبادلة والتعاون لبناء عالم يسوده التفاهم عبر الحوار والبُعد عن العدوان -**والله أعلم**-.

● **ويبين هذا الكتاب**: أن للنصر عوامله وأسبابه، وهي لا تُحابي أحداً سواء أكان مسلماً أم غير مسلم.. فمن سنن الله تعالى في النصر والهزيمة ..

*** سنن النصر**

سينتصر المسلمون على أعداء الأمة :

- إذا عمل المؤمنون بشروط الإيمان والإسلام كاملة من غير نقص أو ضعف أو تدليس..

- وإذا أعد المؤمنون مايستطيعون من مقومات القوة والنصر، سلاحاً وإعداداً واستعداداً وحذراً واستطلاعاً وتخطيطاً ودراسةً وتحليلاً وتقويماً وتطويراً.

- وإذا بوأ المؤمنون قيادتهم، لقائد مؤمن عادل مؤهل حكيم ذي كفاءة عالية.

*** سنن الهزيمة**

وسينهزم المسلمون أمام أعداء الأمة :

- إذا أخلوا بشروط الإيمان والإسلام وضيعوها..، وكانت استعداداتهم أضعف من استعدادات أعداء الأمة، فالنصر عندئذ حليف الأكثر تخطيطاً واستعداداً.

- وسينهزمون إذا كانت دولتهم دولة الظلم والاستبداد والاستعباد والتعدي على حقوق العباد..

● **إن أخطر ما تقرؤه في هذا الكتاب** من أسباب الهزائم التي مُنيت بها الأمة على مدى قرون من الزمان، تتجلى فيما يأتي:

١- الصراعات الداخلية: التي تدمر الاستقرار وتعصف بالبلاد، حيث تسبب نشر الفوضى والقتل والعدوان على الأموال والأنفس والأعراض، وتدمر اقتصاد الأمة، وتوهن قوتها، وتدفعها نحو التخلف الاقتصادي والاجتماعي والعلمي والفكري والقيمي، وتجعل الشعوب لقمة سائغة لأعدائها..

تعجّب

العجيب أن الأمراء والسلاطين والحكام المتصارعين والمتنازعين لم يفكروا ألبتة بمصالح الأمة الكبرى، لقد غرقوا في نزاعاتهم وأهوائهم حتى سقطوا أذلاء صاغرين..

وعلى سبيل المثال، كان هناك صراع علني وخفي بين خليفة بغداد العباسي والحكام الخوارزميين، الذين يمثلون خط المواجهة الأولى مع المغول.. والعجيب أن الخليفة بسبب غبائه السياسي والعسكري لم يكن يُدرك أن

الدولـة الخوارزميـة كانـت تمثـل سـدّاً منيعـاً بـين المغـول والبلـدان الإسـلامية الأخرى، وخاصة العراق ودار الخلافة في بغداد، فإذا انهار السد بلغ الطوفان دار الخلافة وهذا ما حصل.. وكان الأجدر بالخليفة وباقي حكّام المسلمين أن يـدعموا الدولـة الخوارزميـة بكـل أسـباب القـوة والصـمود حـتى لا تنهـار فيجتـاحهم الطوفـان، ولكنهـا علّـة الأنانيـة وشـهوة الحكـم الـتي أعمـتهم وأصـمتهم، وكـذلك ركضـهم وراء تحقيـق المكاسـب الشخصية ولـو كـان ذلـك يهـدد مصـالح الأمـة، وكـل ذلـك صرفهـم عـن واجبـات توحيـد الأمـة في وجـه أعدائها، **وكانت النتيجة أنهم سقطوا جميعاً**..

إضاءة

إذا كانت الصراعات الداخلية تدمر الاستقرار، فإن الاستقرار يُنتج التنمية، والتنمية الناجحة تنتج نهضة الأمم والشعوب، وتؤدي إلى تنامي قوة الأمة على الصعد كافة..

ولـذلك يسـعى أعـداء الأمـة الإسـلامية بـلا كلـل ولا ملـل، لضـرب استقرار الدول الإسلامية، من خلال تفجير الصراعات والنزاعات بين أبنائها، وذلك لتوهين قدرتها على الصمود أمام مخططاتهم التي تسعى للسيطرة على مقـدرات الشـعوب الإسـلامية واستنزافها، ومـن ثم إضـعافها وبسـط السـيطرة عليها والتحكم بشؤونها ..

حقيقة

إن الخطر الأعظم الذي يهدد الأمة الإسلامية ، هو أن يتبنى أبناؤها نهج الصراع والاقتتال لحل المشاكل فيما بينهم، فضلاً عن اتخاذ الصراع والاقتتال وسيلة لتحقيق المطامع والمصالح الشخصية، وعدم الالتفات إلى المصالح العليا للأمة ،وهذه طامة الطامات التي ابتليت بها شعوب الأمة الإسلامية، والتي كانت سبباً كما رأينا وكما سنرى في البلايا العظام التي ابتليت به هذه الأمة من الهزائم والقتل والتدمير المفجع..

ألم تؤدِ الفتن الداخلية في الأندلس، والصراع بين الأمراء على السلطة إلى سقوطها بيد الممالك الصليبية؟!!..

إضاءة

عندما تتغلب الأهواء على الأمراء الفاسدين والحكام الظالمين، تعمى بصائرهم عن الأخطار الداهمة على الأمة، وتصبح مصالحهم الخسيسة فوق مصالح الأمة، فيتوغلون ويتوحشون في صراعاتهم، ويضحون بشعوبهم لتحقيق مآربهم، وعندئذ لا تسأل عن النتائج الكارثية على الأمة..

٢- الصراعات المذهبية: لقد أُضيف البلاء إلى البلاء، بلاء الصراعات بين الحكام، وبلاء التناحر المذهبي بين أصحاب المذاهب، حتى غرق المسلمون بالضعف العسكري والتخلف الفكري والسياسي والانهيار الاقتصادي..، واستنفدت طاقات الأمة بالصراعات، وأهملت قضايا الاجتهاد في بناء نهضة الأمة وقوتها ووحدتها وقدرتها على مواجهة أعدائها.

إضاءة

تحولت المذاهب في زمن التخلف والصراعات من مدارس فقهية يفترض بها أن تُغني الحالة الفكرية والإبداعية في الأمة استناداً إلى مرونة الشريعة وعمقها، إلى جماعات حزبية متصارعة جعلت الولاء للمذهب مقدماً على الولاء للدين، والانتصار للمذهب مقدماً على الانتصار للمصالح الكبرى للأمة، واستُنفدت طاقات الأمة في قضايا هامشيّة وأحياناً قضايا تافهة، وأُهملت قضايا الاجتهاد في بناء نهضة الأمة وقوتها وقدرتها على مواجهة أعدائها، فضلاً عن قدرتها على نشر الدعوة في العالم، وقيادته نحو الإيمان والسلام والرخاء.

وإذا كان الصراع المذهبي بين المذاهب الفقهية صراعاً يعبِّر عن التدني الفكري والأخلاقي في بعض مراحله، فإنه أصبح صراعاً مذهبياً سياسياً دموياً في مراحل أخرى..، جُندت له الجيوش، واستبيحت فيه الحرمات، وأصبحت الشعوب الإسلامية وقوداً لهذا الصراع...

إضاءة

لم يشبع سلاطين الصراع وأمراؤه من دماء وأموال وأعراض المسلمين، فكانوا يقيمون سلطانهم فوق الدمار والدماء، ويركبون المذاهب والفكر والدين والقيم لتحقيق مآربهم وأهوائهم وهم مرتاحون في قصورهم غارقون في ملذاتهم وبين حريمهم!!.

وكان من نتائج الصراع المذهبي والتعصب، ظهور الجمود الفكري، وموت الإبداع، وقيام بعض أصحاب المذاهب المتأخرين برفع فهمهم للكتاب

والسنة إلى مستوى الكتاب والسنة، ومسخ مفهوم الفقه في الدين على فقه المذاهب وعَدِّ ما سواه ليس بعلم، وأُهملت التربية وتزكية النفوس، وعلوم الآخرة، وصناعة العلماء الربانيين، وأُهملت الجوانب الفكرية والعقلية والاستنباطية، وأُبعدت الدراسات الطبيعية والدراسات المتعلقة بالأمور الحياتية في جميع جوانبها الاجتماعية والتربوية والاقتصادية والسياسية والعسكرية... ، فكان هذا من الطامَّات التي مُني بها الفكر الإسلامي، الذي قَصَّر عن تلبية حاجات الأمة للتطور والتقدم، فتخلفت وضعفت، بل استبيحت من أعدائها من كل الجهات..

إضاءة

مع أن الكوارث تحيط بالمسلمين من كل جانب، تجد أقواماً من المسلمين أعمى التعصب والجهل بحقائق الإسلام عيونهم وقلوبهم وعقولهم، فما زالوا متفرقين متناحرين بعدما جاءهم العلم بغياً بينهم، لذلك حلَّ بهم عذاب الله تعالى في الدنيا قبل الآخرة .

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة السجدة]

٣- الخونة والعملاء: نستطيع أن نتحقق من خلال الأحداث التي وثَّقها هذا الكتاب، أن وجود الخونة والعملاء بين الصفوف من أهم أسباب الهزائم التي مُنيت بها الأمة..

فكم من خائن وعميل تحالف مع الصليبيين في بلاد الشام ومصر والأندلس ضد الدولة الإسلامية ليحافظ على إمارة تافهة ومصلحة شخصية خسيسة؟!!..

وما حصل مع الصليبيين حصل مثله مع المغول على نطاق واسع!!..

حقيقة

الخيانة والعمالة لادين لها ولامذهب...ففي ثنايا هذا الكتاب ستجد خونة وعملاء من المسلمين ومن المسيحيين...ومن السنة ومن الشيعة... ومن الشافعية ومن الأحناف و...!!..

والعجيب أن هؤلاء العملاء والخونة لا يتعظون بما حصل لأسلافهم، فكيف يثق عدو بمن يخون أهله وأمته؟!!.. وعندما ينتهي دور عمالتهم يأتي الدور عليهم، فما يُغني عنهم خضوعهم وذلتهم شيئاً، فيُهانون ويُسحقون!!.. **وما أشبه اليوم بالأمس!!..**

بلاء

لقد ابتليت الأمة الإسلامية بأمراء ظلمة وحكام فاسدين مستبدين غير مؤهلين، يفتقرون إلى الحنكة السياسية والفهم الاستراتيجي، وتدبر العواقب وفقه المآلات، ولا يهتمون إلا بمصالحهم وأهوائهم، وهم بالإفساد أذكياء محنكون، وفي مواجهة أعداء الأمة أغبياء جاهلون.. لا يستعدون لمواجهة أعداء الأمة ولا يأخذون بأسباب القوة، ويضيعون الفرص، ويهدرون الأموال، ولا يكترثون بمعاناة الشعوب، ولا يستثمرون الطاقات العظيمة في الأمة، بل يكبتونها ويحاربونها لأنهم يرون أن في كل موهبة خلاقة تهديداً لمكانتهم ومصالحهم .. هم ضعفاء أذلاء أمام أعدائهم، وأقوياء جبارون على شعوبهم أو خصومهم، يهادنون الأعداء ويحاربون الأشقاء..

يقول ابن الأثير واصفاً حال الملوك والحكام الفاسدين، وتخاذلهم عن

الجهاد، وابتعادهم عن الدين، وظلمهم للرعية ، والصراعات فيما بينهم على الدنيا ولهوها وزينتها: ((**فما نرى في ملوك الإسلام من له رغبة في الجهاد ولا في الدين بل كان كل منهم مقبل على لهوه ولعبه وظلم رعيته وهذا أخوف عندي من العدو**)) [(١)] ..

٤- عدم الاستعداد والأخذ بالأسباب: وهذا من أهم أسباب الهزائم التي مُنيت بها الأمة الإسلامية..

فهذا الخليفة العباسي في بغداد يرى جحافل المغول تجتاح مشرق العالم الإسلامي حتى وصلت حدود العراق، ولم يحرك ساكناً، ولم يستعد، بل لم يفكر بالاستعداد، بل قام بتسريح ٩٠٪ من جيشه بناءً على رأي مستشاريه الخونة بذريعة عدم استفزاز هولاكو!!.. وإقامة صلح معه، مقابل دفع الجزية!!..

فتأمل!!..

لم يستعد ولم يوحد طاقات الأمة، ولم يتحرك لنصرة المسلمين عندما اجتاح المغول الدولة الخوارزمية، ولم يتحرك من أجل المساجد التي أُحرقت والبلاد التي دُمرت، والأطفال التي يُتمت، والنساء التي رُملت وانتهكت أعراضهن..

لقد ظن أن هولاكو سيبقيه خليفة صورياً في بغداد مقابل دفع الجزية..، وأن الطوفان لن يطاله فتخاذل واستكان ورضي بالذل والهوان، وتسبب بالهزيمة واجتياح بغداد ومقتل أكثر من مليون مسلم فيها!!..

---

(١) انظر : الكامل في التاريخ ، لابن الأثير (10/491) .

حقيقة

إن الأمم الممزقة والمتصارعة التي لا تستفيد من تجاربها، ولا تأخذ بالحذر والاستعداد وامتلاك ناصية القوة، والتي ترزح تحت حكم أمراء متخاذلين غير مؤهلين، تخسر معاركها..

- **إن أعظم ما تقرؤه في هذا الكتاب** من أسباب الانتصارات التي تحققت لهذه الأمة على مدى قرون من الزمان، هي:

١- توافر القادة المجاهدين المخلصين:

إن النصر العظيم الذي حققته الأمة الإسلامية بدحر العدوان الصليبي والمغولي، لم يكن وليد صدفةٍ، أو حدثٍ عابرٍ، أو إنجازٍ خارقٍ لم يكن للإنسان دور فيه. بل تحقق هذا النصر بسبب توافر متطلباته وعوامله..

كيف لا ينتصر القائد المجاهد المخلص المحقق لأسباب القوة والتمكين؟!!..

إضاءة

كم تبتهج الأرواح، وكم تنتشي العقول، وكم تتقوى العزائم، وكم تتقد الإرادات، وكم تتجدد الآمال، بالعزة والنصر والتمكين..عندما ترى القادة العظماء المخلصين المجاهدين..

إن النصر ليس ببعيد عن القادة المؤهلين الذين توافرت فيهم شروط القيادة.. الناجحة والمخلصة..

لقد تصدى للعدوان مجموعة من القادة المجاهدين المخلصين الذين

توافرت فيهم صفات القيادة الناجحة، وعملوا على:

* توحيد الجبهة الداخلية.

* دعم جبهة المقاومة وتوسيع نطاقها.

* بناء القوة العسكرية والاقتصادية، وتوفير الأمن للرعية.

* إقامة العدل في البلاد، والأخذ بمبدأ الشورى، والبعد عن الاستبداد.

* التعفف من قبل الحكام عن أموال الدولة والرعية.

* محاربة الفساد والمفسدين، ونشر ثقافة التورع في المجتمع عن أموال الدولة والناس.

* الجمع بين سيف السياسة وسيف القوة العسكرية، واستخدامها على نحو ناجح في تحقيق الأهداف.

* التحالف مع العلماء الناصحين المجاهدين، واتخاذهم مستشارين في شؤون الأمة.

* قيادة الجهاد ضد الأعداء، وإحياء روح الجهاد في الأمة...

فهذا صلاح الدين الأيوبي جعل الجهاد أكبر همه وجُلَّ اهتمامه وقضيته، فلم يتخذ لنفسه قصراً كباقي الملوك، بل جعل خيمته في جميع حروبه قصره ومسجده. فقد ذكر ابن كثير أن صلاح الدين لما رجع إلى دمشق من غزوة حصن كوكب، وحصاره للصليبيين فيه، وجد الصفي بن الفارض وكيل الخزانة قد بنى له داراً في القلعة (قلعة دمشق) هائلة مطلة على الشرف القبلي، **فغضب منه وعزله**، وقال: ((إنا لم نخلق للمقام بدمشق ولا

بغيرها من البلاد وإنما خلقنا لعبادة الله عز وجل والجهاد في سبيله وهذا الذي عملته مما يثبط النفوس ويقعدها عما خلقت له))[1] بل كان يطمع بعد أن يحرر بلاد الشام من الصليبيين أن يتخلى عن الحكم، ثم يخوض البحر ليصل إلى بلاد الصليبيين فيما وراءه لينشر الإيمان في ربوعهم..

فكيف لا ينتصر صلاح الدين الذي استجمع أسباب النصر؟!!..

لقد كان قائداً عسكرياً شجاعاً مقداماً خبيراً ملهماً..

وكان سياسياً محنكاً فذّاً..

وكان راغباً في الآخرة، محباً للشهادة، زاهداً في الدنيا، عالماً عابداً مستقيماً ورعاً متواضعاً.. ونشر العدل والمساواة في ربوع البلاد..

إضاءة

لقد كان انتصار هؤلاء القادة ثمرة جهود جماعية مخلصة، أنتجت تغييراً في الأمة، وأهّلتها لمواجهة هذا العدوان والانتصار عليه.

لقد شارك في هذا النضال حتى التحرير المجاهدون المخلصون من جميع أجيال زمانهم.. والله وحده يعلم أدق تفاصيل جهادهم، وما بذلوه من دماء وأرواح وأموال وآلام حتى تحقق النصر المبين..

هؤلاء هم القادة الذين يستحقون النصر ..

(١) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، (٣٢٩/١٢).

الذين يأخذون بالأسباب بأعلى المستويات ويتقون الله في أنفسهم وأمتهم.

إن الله لا ينصر المتفرعنين، والطغاة المستبدين الظالمين، والمتخاذلين اللاهين الغارقين بالشهوات والأهواء..

هؤلاء هم القادة الذين يستحقون النصر.. لأنهم كانوا مؤهلين قيادياً وعسكرياً وسياسياً وإيمانياً، وكانوا يمثلون قدوة صالحة زاهدين في الدنيا راغبين في الآخرة، وكانوا غير مستبدين في حكمهم، يشاورون العلماء وأهل الخبرة، وكانوا عادلين منصفين، وكانوا محبوبين من شعوبهم؛ لأنهم كانوا خادمين للشعب مضحين من أجله..

حقيقة

فرق كبير بين القائد الذي يضحي بنفسه من أجل شعبه... وبين القائد الذي يضحي بشعبه من أجل نفسه..

٢- توافر قادة الصحوة من العلماء المجددين المجاهدين:

* قادوا عملية التجديد والإصلاح في مجال التربية والتعليم والفكر الإسلامي، وإخراج جيل من العلماء المجددين لقيادة التغيير والإصلاح، وإحياء روح الجهاد في الأمة..

إضاءة

لقد كانت جهود العلماء في إحياء روح الجهاد والعلم والعمل في الأمة، تساوي إعادة إحيائها بعد موتها وبعثها من جديد..

* دعموا قادة الجهاد والمقاومة، عقائدياً وفكرياً، وساعدوهم بالتعبئة

الدينية؛ لإحياء روح الجهاد في الأمة، وتقديم النصيحة والمشورة لهم، وتحمُّل مسؤوليات محددة إلى جانبهم..

* شاركوا في الحملات الجهادية، والقتال في صفوف الجيوش إلى جانب قادة المقاومة.

* نصحوا الحكام فاستجلبوا المصالح ودفعوا المفاسد، وحثوا الحكام على الأخذ بالشورى، وإقامة العدل والإشفاق على الرعية، والتعفف عن أموالهم، والعمل على إقامة جيش قوي، وتنفيذ برامج إصلاحية.

* وكان من أعظم إنجازاتهم، أن نشروا الإسلام بين المغول، فأسلم على أيديهم عدد من ملوك المغول مع رعاياهم ولم تنته الحروب المغولية إلا ودخل أغلب المغول في الإسلام!!..

تعجب

هذا أمر لم تشهده الصراعات بين الأمم على مدى التاريخ، إنه لمن المدهش حقاً أن تستطيع الأمم المغلوبة إدخال الأمم الغالبة في عقائدها، بل وتجعلها تحمل راية الجهاد معها!!.. وفي حين انهزمت جيوش السلاطين، انتصرت جيوش العلماء والدعاة المخلصين!!..، ولما هرب الملوك، أقبل علماء الصحوة يقتحمون القلوب!!.

* لقد حققوا إنجازاً استراتيجياً عظيماً، تعجز عنه دول بكامل طاقتها، فاستطاعوا انتشال الأمة من حالة الانهيار والإحباط واليأس والاستسلام، ثم الدفع بها نحو الصحوة واليقظة والمقاومة، مما أدى بالمحصلة إلى تحقيق النصر وانحسار العدوان..

* وقاموا ببذل جهود كبيرة لتوحيد كلمة المسلمين، والإصلاح بينهم، ليقفوا صفاً واحداً أمام الأعداء.

- **في الختام**: هل يستيقظ المسلمون من سُباتهم؟!!.. ويقرؤوا التاريخ وأحداثه قراءة صحيحة واعية؟!! فيعملوا على بناء صحوة إسلامية تنهض بالأمة من جديد عن طريق برامج تجديدية وإصلاحية (علمية وتربوية واجتماعية وعسكرية واقتصادية وسياسية...) حتى تحقق الأمة أهدافها؟!!.

حقيقة

إن الذين لا تنفعهم العبر الصارخة في وجوههم، وهم يشهدونها كل يوم، لن تنفعهم الكلمات... لأن قلوبهم وأحاسيسهم قد ماتت ..

- وهذا الكتاب من أكثر المؤلفات التي أتعبتني وأرهقتني، وآلمتني وأحزنتني، وأفرحتني وسرتني..

* **أتعبتني وأرهقتني**: لكثرة الأحداث وتنوعها في اختصاصاتها التاريخية والعسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية..، وكثرة المراجع والمصادر العربية والأجنبية المترجمة اللازمة لذلك، ومعالجة إشكاليات الروايات المتعددة في الحدث الواحد، ومشكلة الصياغة بين القديم والحديث واختيار أحسن الأساليب لتسهيل الفهم مع التزام الدقة والأمانة العلمية..، ثم التعمق في استنباط الدروس والعبر وإسقاطها على حياتنا المعاصرة..

* **وآلمتني وأحزنتني**: لكثرة ما رأيت في تاريخ المسلمين من استبداد الملوك والسلاطين والأمراء والحكام، وظلمهم للرعية، وجورهم على الضعفاء، وتمسكهم وأسرهم بالملك والسلطان، والتضحية بشعوبهم في سبيل ذلك، واستغراقهم في البحث عن ملذاتهم وأهوائهم، ونهبهم أموال الناس والتعدي على حقوقهم، وتقصيرهم بل عدم اهتمامهم بالنهوض بالأمة، وتوحيدها،

والأخذ بالحذر، وامتلاك أسباب القوة، والاستعداد لمواجهة أعدائها المتربصين بها من الإفرنج والمغول وغيرهم..، الذين استباحوها مرات ومرات وارتكبوا بحق الشعوب الإسلامية المذابح المروعة، وانتهاك الأعراض، ونهب الأموال، وتخريب الديار..

* **وأفرحتني وسرتني:** لما وجدت في تاريخنا من صفحات مشرقة رائعة لامثيل لها في تاريخ الأمم والشعوب، أنتجتها معجزة التربية الإسلامية للإنسان والمجتمعات، فقدمت حضارة ربانية رائدة مبدعة متسامحة أخلاقية..، انتشر وكثر في ربوعها الخير والازدهار والأمن والسلام لكل أبناء البشرية..

* **والخلاصة التي ينبهنا إليها هذا الكتاب وما فيه من وقائع ونتائج:** أنه لاكرامة ولا نصر ولانهضة ولاحفظ لحقوق هذه الأمة، إلا بامتلاك أسباب القوة والتقدم عقائدياً وأخلاقياً وعلمياً وثقافياً واقتصادياً وصناعياً وعسكرياً وتوحداً..،والتخلي عن الأنانيات والمصالح الشخصية والتسلط والاسئثار بالعروش والمناصب والصراع عليها...

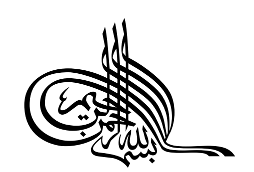
* **كيف السبيل لتحقيق ذلك؟**.. هذا مايجب أن يجتمع لبحثه العلماء والخبراء والمتخصصون المخلصون، ويضعوا لتحقيقه الخطط الاستراتيجية والبرامج اللازمة، انطلاقاً من واقعنا نحو الهدف المنشود..

أرجو الله تعالى أن ينفعنا بعبر التاريخ ودروسه، وأن يجعلنا من بناة أجيال الصحوة والنصر، وأن يكون لنا نصيب وافر في إيقاظ الأمة وتوعيتها وتحقيق نهضتها وعزتها.. إنه خير مسؤول..

والحمد لله رب العالمين

محمَّد غسَّان الجبَّان
الجُنيدي الحُسيني

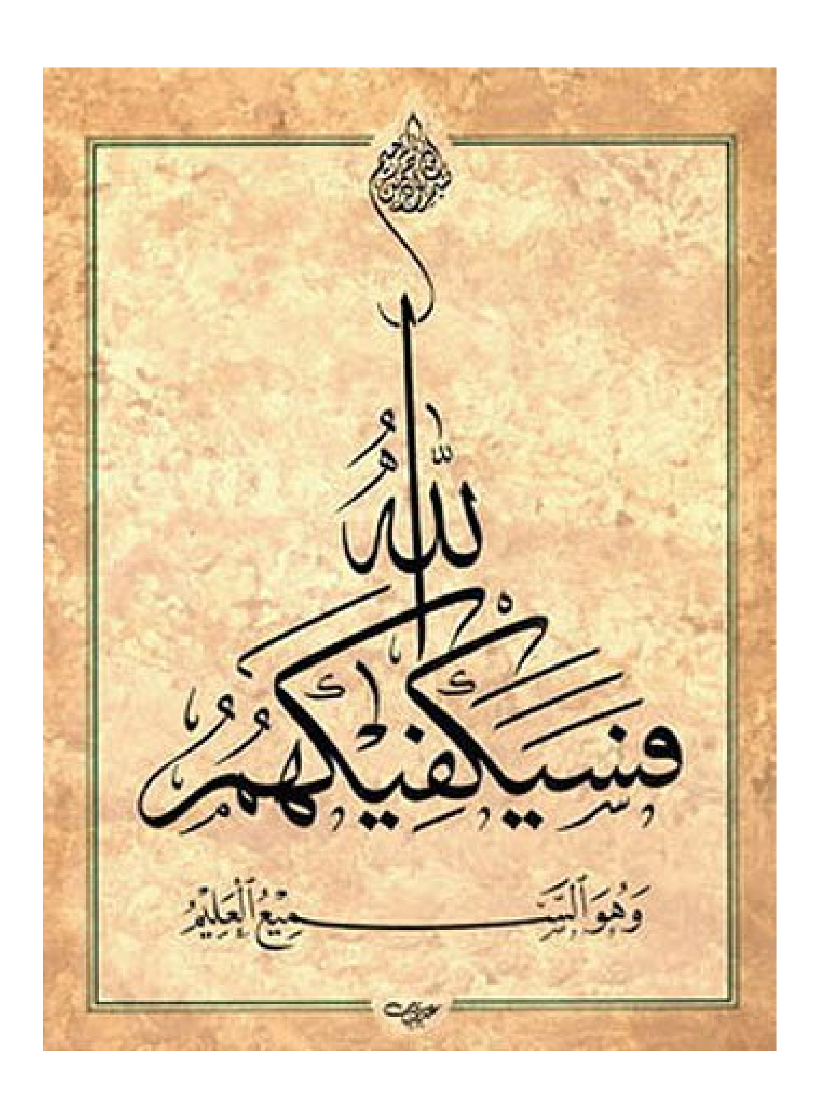
الفصل الأول



 **تحليل** ...

 **وتصحيح** ...

 **وضعف** ...


فسيكفيكهم الله
وهو السميع العليم

المبحث الأول

تحليل وتصحيح

المطلب الأول: الحملات الإفرنجية أنتجتها إيديولوجيا حركة صليبية.

- **لم تأتِ الحروب الصليبية من فراغ...**

ولم تكن حروباً تقليدية تفرضها صراعات المصالح بين الدول... إنها حروب عقائدية تستند إلى إيديولوجيا دينية متطرفة محددة الأهداف، أفرزتها حركة صليبية، لم تكن غايتها احتلال مدينة القدس بقدر ما كانت لتدمير الإسلام..

يقول "غاردنر": " لقد خاب الصليبيون في انتزاع القدس من أيدي المسلمين ليقيموا دولة مسيحية في قلب العالم الإسلامي... والحروب الصليبية لم تكن لانقاذ هذه المدينة بقدر ما كانت لتدمير الإسلام" (١) .

- **الحروب الصليبية لم تخبُ ولم تنته...**

---

(١) انظر: التبشير والاستعمار، خالدي وفروخ، (ص/١١٥).

حقيقة

كلما تقدّم الزمن تكشّفت الوقائع لتُظهر لنا أن هناك حركة صليبية عالمية لم تخبُ ولم تنته، بل إنها تتبلور وتتطور وتتعاظم وتزداد وتترسخ.

أعضاؤها الحكومات الصليبية الغربية من أيام الملوك والأباطرة، إلى أيامنا هذه، مروراً بالحكومات الغربية الاستعمارية في القرون القريبة الماضية، المتحالفة مع الكنيسة الأوربية في الماضي، والمتحالفة مع قادة الكنيسة المسيحية الأمريكية والأوروبية المتصهينة المتطرفة حاضراً، والذين تتبعهم مراكز بحوث استشراقية تنصيرية معادية، وتدعمهم موازنات مالية ضخمة جداً، وآلة إعلامية جبارة..

- **إنها حركة صليبية تتناقض مع الدين المسيحي بالوسائل والأهداف**.. فوسائلها قذرة تخالف جوهر تعاليم المسيح ﷺ، وكذلك أهدافها.. فقد ارتكبت من الفظائع ضد المسلمين وضد المسيحيين المخالفين لها في المذهب، ما يصحُّ أن ينطبق عليه مايعرف في حياتنا المعاصرة "بجرائم حرب" و"جرائم ضد الإنسانية" بل "جرائم إبادة جماعية" كما حصل في أمريكا الشمالية والجنوبية.

- **وهي حركة صليبية أساءت وتسيء للشعوب المسيحية المحبة للسلام**. وإذا أردت التعرف على مدى إساءتها للشعوب المسيحية، فما عليك إلا أن تقرأ تاريخ أوروبا القديم الموثّق بكتابات المؤرخين الأوروبيين القدامى والمعاصرين..

- **المسيح براء من عدوان الغرب الصليبي على الرسالة والرسول ﷺ.**

يجب أن نشير إلى أن الغرب المسيحي بمستشرقيه ومنصريه وسياسييه الصليبيين، الذين حاربوا الإسلام ونبيه محمداً ﷺ وارتكبوا أفظع الاضطهادات بحق المسلمين، وحاربوهم تحت راية الصليب، هو الغرب المسيحي ذاته، الذي حارب المسيح، وحرَّف إنجيله، وغيَّر عقيدته، وشوَّه سُمعته ومكانته، وأساء إليه إساءات لا حدود لها، هذا الغرب المسيحي الذي ارتكب أفظع الجرائم والمظالم في تاريخ البشرية، ثم ألصقها ظلماً وعدواناً بسيدنا عيسى عليه السلام ، وهو براء منها ومنهم على حد سواء.

بل إنه براء من كل ما حدث من المظالم المروعة باسمه، بل إنه أعظم المظلومين من هذه الجرائم والمظالم الشنيعة، ويوم القيامة سيعلن براءته منهم ومن آثامهم، فيقول: (إني لم أعرفكم قط. اذهبوا عني يا فاعلي الإثم) [1].

المطلب الثاني: مقارنة.

إن العالم يعاني من ثلاث حركات منحرفة متطرفة استئصالية، لا تقبل الآخر، وترفض التعايش معه، وتسعى لإلغائه..

وهذه الحركات حسب الأقدمية:

---

(١) إنجيل متى: (٧/٢٣).

أولاً: حركة الخوارج:

وهي حركة تنتسب إلى الإسلام، **والإسلام منها براء**.. ومثالها المعاصر داعش وأخواتها، وهي محدودة العدد والعدة.

ثانياً: الحركة الصليبية:

وهي حركة تنتسب إلى المسيحية، **والمسيحية منها براء**.. ومثالها: الحكومات الغربية الاستعمارية القديمة والحديثة، والمؤسسات الاستشراقية والتنصيرية المعادية، وهي عظيمة العدد والعدَّة.

ثالثاً: الحركة الصهيونية:

وهي حركة تنتسب إلى اليهودية، **واليهودية منها براء**.. ومثالها: الحكومات الإسرائيلية، وما يتبعها من مافيات وتنظيمات على المستوى العالم، وهي عظيمة العدد والعدَّة.

إضاءة

إن جميع الحركات المتطرفة لا تتورع عن استخدام الوسائل القذرة كافة، سواء أكانت ناعمة أم عنيفة، لتحقيق أهدافها في استئصال خصومها، بما فيهم المنتسبون إلى الديانة نفسها التي تنتسب إليها.[1]

(١) هذه الحقائق تزخر بها كتب التاريخ القديم والمعاصر، ولسنا بصدد ذكر واستقصاء التفاصيل مما يخرجنا عن نطاق البحث.

وهناك حركات متطرفة تنتسب إلى ديانات وتيارات سياسية أخرى، ولكنها حركات محلية وليس لها نشاط عالمي..

● ولعل بعض الباحثين يتوقف أمام إطلاق اصطلاح "حركة" على حركة الخوارج أو الحركة الصليبية. ويعزون وقفتهم هذه إلى عدم انطباق المعايير التعريفية للفظ "حركة" على هذه الحركات.. وإذا كان هذا من حيث الشكل يمكن ملاحظته، فإنه من حيث المضمون يمثل مفهوماً واضحاً يقترب جداً من مضمون الحركات الدينية والسياسية، وإذا كان أكثر الباحثين، باستثناء حالات قليلة، قدموا دراسات تقليدية عن الحروب الصليبية بالعنوان نفسه، فإن بعضهم قد تنبَّه للحقائق التي ذكرناها، وقدَّم دراسات بمفهوم شمولي تشير إلى أن الحملات الصليبية وما سبقها وما تلاها لا يمكن تفسيرها إلا في إطار حركة صليبية عالمية، ولذلك قدموا دراساتهم ونتائج أبحاثهم تحت عنوان "الحركة الصليبية"[1] وليس "الحروب الصليبية".

● **إن على شعوب العالم بأديانها كافة الوقوف في وجه هذه الحركات الخطيرة، والتي تهدد الأمن والسلم العالمي.**

إضاءة

على المخلصين من جميع قادة الأديان والمفكرين والسياسيين أن يمنعوا الانزلاق نحو النزاع بين الشعوب، والصراع بين الحضارات، ويدفعوا باتجاه التفاهم والحوار والإخاء الإنساني والسلام..

---

(١) ومن هؤلاء: الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، أستاذ تاريخ العصور الوسطى، كلية الآداب، جامعة القاهرة. انظر كتابه:الحركة الصليبية، المكتبة الأنجلو مصرية – القاهرة، الطبعة الأولى [١٩٦٣م] في مجلدين.



المطلب الثالث: تصحيح المدى الزماني للحروب الصليبية.

● يحدد أكثر المؤرخين المدى الزمني الذي استغرقته الحروب الصليبية من تاريخ الدعوة إليها عام /٤٨٨هـ-١٠٩٥م/ إلى سقوط آخر الممالك الصليبية "عكا" في بلاد الشام عام /٦٩٠هـ-١٢٩١م/ أي ما يقارب قرنين من الزمان.

● والحقيقة إن هذا يصح على الحروب الصليبية المشهورة التي جرت في بلاد الشام ومصر، ولكنه لا يصح بالمعنى الدقيق والواسع لجميع الحروب الصليبية التي كان لها جذور ومقدمات تمهيدية واسعة من مشرق العالم الإسلامي في بلاد الشام ومصر، إلى مغربه في الأندلس وشمال أفريقيا بدأت قبل عام /١٠٩٥م/ واستمر تيارها المتدفق إلى ما بعد عام /١٢٩١م/(1).

● بل إنني أرى أن الدوافع الصليبية الواضحة التي اختلطت مع دوافع أخرى سياسية واقتصادية وثقافية في الحروب الاستعمارية ضد العالم الإسلامي والتي امتدت حتى منتصف القرن العشرين تقريباً، مازالت هذه

---

(١) بعد أن تبينت لي هذه الحقيقة من خلال الدراسة المعمقة لعلاقة العالم الغربي بالعالم الإسلامي قديماً وحديثاً منذ الصدام الأول بين الدولة الإسلامية في عصر النبوة والدولة البيزنطية (غزوة مؤته/٨هـ-٦٢٩م/) ، إلى الحروب المشتعلة التي يقودها العالم الغربي أو يوقدها في العالم الإسلامي في أيامنا هذه،اطلعت على أفكار سابقة تتلاقى مع ماتوصلت إليه وتؤكد صحة هذا الرأي ذكرها الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور في كتابه القيم "الحركة الصليبية"، ومحمد العروسي المطوي، في كتابه الحروب الصليبية في المشرق والمغرب..

الدوافع الصليبية تظهر بامتداداتها في الحروب المعاصرة على العالم الإسلامي .

إضاءة

تحاول الحكومات الغربية الصليبية إخفاء دوافعها الصليبية ما استطاعت، لكن الحقائق وخبايا قلوبهم تنزلق على ألسنتهم بين الفينة والأخرى،كما أعلنها "جورج بوش الابن"حرباً صليبية على أفغانستان والعراق بإلهام من الله تعالى!!..

- بل إنني أعتقد أن هذه الحروب الصليبية ستستمر مادامت الحكومات الغربية مصرة على موقفها من العالم الإسلامي، ولن تتوقف الحروب الصليبية إلا إذا حصل أحد الأمور التالية:

١- اندثار الإسلام من العالم نهائياً، وهذا لن يكون أبداً.

٢- القضاء على العالم الغربي نهائياً وهذا لن يكون، بسبب قانون التدافع بين الناس الذي أشار إليه القرآن الكريم، وقوانين أخرى فيه.

٣- سقوط النظام الغربي الصليبي وعولمته، ونظرية صراع الحضارات التي يتبناها، وظهور نظام غربي جديد يحب السلام، ويتخلى عن أطماعه في عولمة ثقافته وهيمنته العسكرية والاقتصادية، ويتعايش مع الحضارات والثقافات الأخرى في العالم ويحترمها ويتعامل معها، ويحترم مصالحه ومصالح الشعوب.

وهذا ما أتوقعه..والله أعلم..

إضاءة

تشير الأبحاث والدراسات الإحصائية إلى أنه لن يمضِي أكثر من خمسين عاماً حتى يحدث تغيرات ديموغرافية واسعة في العالم الغربي، ويصبح للمسلمين صوتاً قوياً مؤثراً.

وهذا نتيجة طبيعية لسببين اثنين:

السبب الأول: هو أن الحكومات الغربية الصليبية ستحصد نتائج الويلات التي جلبتها على العالم الإسلامي وعلى غير العالم الإسلامي، وستحصد نتائج مخططاتها وأعمالها التي زرعت الفتن، وقوَّضت الاستقرار، وأثارت الصراعات والحروب في العالم، وكذلك سياسة الإفقار الاقتصادي والتكنولوجي والعلمي التي يمارسها الغرب على العالم الإسلامي.

كل هذا دفع وسيدفع سكان العالم الإسلامي للهجرة إلى العالم الغربي، ولن تمضي أحقاب عدة حتى يدفع الغرب الصليبي ثمن ظلمه، وأتوقع ظهور قيادات غربية جديدة تُصلح ما أفسده الغربيون الصليبيون.

السبب الثاني: أسلوب الحياة في العالم الغربي الذي يعاني من فصام روحي، وتوحش مادي، وسقوط قيمي، أدى إلى تدمير نظام الأسرة، فانخفضت نسب الزواج إلى أرقام متدنية قياسية، وارتفعت نسب الطلاق إلى أرقام قياسية عالية، واتسعت ظاهرة الزواج المثلي الذي أُقِرَّت في البرلمانات الغربية، وازدادت نسب الولادات غير الشرعية.

كل هذا أدى إلى انخفاض نسبة زيادة عدد السكان، بل إلى انعدامها، بل إلى نقص عدد السكان في أغلب البلدان الغربية.

وهذا كله سيؤدي إلى سقوط النظام الغربي الصليبي الليبرالي الحالي، وسيظهر نظام جديد هو "**نظام مابعد الليبرالية الصليبية**"..

رؤية

أتوقع أن تقوم ثورة معرفية وتشريعية في الغرب تطيح بالقيم الليبرالية - الحرية المطلقة- ، والتي ستؤدي إلى "موت الغرب" حسب المفكر الأمريكي "بوكانن"، وستكون أهم المفاهيم الثورية التشريعية الجديدة المتوقعة إنتاج مفهوم "الحرية المنظمة" على قاعدة "لاضرر ولاضرار"، وإصلاح نظام الأسرة وحمايتها، والحد من طوفان التفلت الجنسي، وإلغاء تشريعات الزواج المثلي أو أي زواج خارج نطاق الأسرة الشرعية، وتشجيع إنجاب الأطفال لإيقاف "الموت السكاني" حسب تحذيرات "بوكانن"، ومعالجة مرض نقص عدد السكان،

وكما أشار "بوكانن"أن الغرب المريض لايمكن أن يكون حراً، ولا وجود للحرية دون فضيلة، ولا وجود للفضيلة بغياب الإيمان [1]..

رؤية

أتوقع أن تطيح هذه الثورة المعرفية والتشريعية بالإيديولوجية الرأسمالية الاستعمارية المتوحشة وثقافتها العولمية، ليحل مكانها ثقافة المصالح المتبادلة والتعاون لبناء عالم يسوده التفاهم والبعد عن العدوان..والله أعلم..

---

(١) للتوسع انظر: كتاب "موت الغرب"، للسياسي والمفكر الأمريكي "باتريك. ج. بوكانن"، المرشح للرئاسة الأمريكية مرتين عامي (١٩٩٢-١٩٩٦) ترجمة: محمد محمود التوبة، مكتبة العبيكان- الرياض، الطبعة الأولى [١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م]، صدر بالإنكليزية عام [٢٠٠٢].

المطلب الرابع: تصحيح المدى المكاني للحروب الصليبية.

١- إهمال الجبهة الأندلسية..

ركَّز أكثر المؤرخين على الحروب الصليبية المشهورة التي دارت رحاها في مصر وبلاد الشام، ولم يُدرجوا الحروب التي جرت في الأندلس في قائمة الحروب الصليبية، علماً بأن الحروب الصليبية في الأندلس، جرت بدوافع صليبية معلنة دعا إليها بابوات روما المتعاقبون كما جرى في الحروب الصليبية في بلاد الشام، بل وامتازت حروب الأندلس في الغرب على حروب بلاد الشام في الشرق بأمرين:

الأول: من حيث الزمن، فقد بدأت قبل حروب بلاد الشام الصليبية بقرون عدة /أكثر من ثلاثمائة سنة/، ورافقتها بحوالي /مئتي سنة/ واستمرت بعدها بحوالي /مئتي سنة/.

أي أن الحروب الصليبية في الأندلس دامت حوالي /٧٠٠/ سنة، في حين أن الحروب الصليبية في مصر وبلاد الشام دامت حوالي /٢٠٠/ سنة فقط.

الثاني: من حيث النتائج، لم تستطع الحروب الصليبية في المشرق على مصر وبلاد الشام أن تحقق أهدافها، بل اندحرت مهزومة تجرُّ أذيال الخيبة. بينما استطاعت الحروب الصليبية في المغرب على بلاد الأندلس أن تحقق أهدافها، وانتصرت انتصاراً ساحقاً، وغيَّرت التركيب الديموغرافي في الأندلس، وطردت المسلمين منها نهائياً، وحولتها إلى مملكة غربية مسيحية حتى اليوم.

● لقد ركز أكثر المؤرخين على حروب الأندلس خارج إطار الحروب الصليبية، وكان الأولى إدراجها فيها؛ فهي جزء لا يتجزأ منها، وكان الصليبيون من البابوات والملوك يعلنون هذا صراحة.

- ظهرت الروح الصليبية في الحروب على المسلمين في الأندلس من عهد **"شارلمان"** في أواخر القرن الثامن للميلاد (حوالي ١٨٠هـ)، وهي الحرب التي حرصت أغنية "رولان" الشهيرة على إكسابها طابعاً صليبياً واضحاً. (١).

- وفي عهد البابا "قريقوار السابع" عام /٤٦٨هـ-١٠٧٥م/ اعترفت جميع أسبانيا النصرانية بسلطة البابوية وإشرافها.

- وفي عام /٤٧٨هـ/ منح البابا "أوربان الثاني" -الذي أعلن الحروب الصليبية على بلاد الشام -المطران "برنارد" منصب الرئيس الأعلى للكنيسة الأسبانية، مكافئة له على جهوده بتجنيد الكثير من المحاربين الفرنسيين للقتال ضد المسلمين في أسبانيا. (٢)

- وأعلن البابا نفسه عام /٤٧٩هـ-١٠٨٦م/الحرب الصليبية المقدسة على مسلمي الأندلس، أي قبل عشر سنوات تقريبا من إعلانه الحرب المقدسة على بلاد الشام.

- ودعا البابا نفسه إلى حرب صليبية عام /٤٨٢هـ-١٠٨٩م/ لمساندة

---

(١) للتوسع انظر: الحركة الصليبية، د.سعيد عاشور، (٧٣/١).

(٢) للتوسع انظر: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، د.محمد العروسي المطوي، (ص/١٩٠ وما بعدها).

مسيحيي أسبانيا في حربهم ضد مسلمي الأندلس، بصفتها أعمالاً صليبية جليلة[(١)].

– وتكررت دعواتهم ومسانداتهم للحروب الصليبية في الأندلس في الأعوام /٥٠٣هـ/ و /٥٠٨هـ/ و /٥١٢هـ/ و /٥٤٢هـ/.

– وفي عام /٥٩١هـ/ دعا البابا إلى حملة صليبية في الأندلس، وأعلن أن الغفران ودخول الجنة سيكون لكل من يشارك فيها.

– وفي عام /٦٠٧هـ/ دعا البابا "أنوصان الثالث" إلى حملة صليبية في الأندلس، وهدد ملك "نبارة" بالحرمان إذا لم يلتحق بها.

– وكانت الأساطيل المتجهة إلى فلسطين أثناء مرورها قرب الأندلس تقاتل مع صليبيي الأندلس في حربهم ضد المسلمين هناك، كما حصل – على سبيل المثال– في الأعوام /٥٤٢هـ/ و /٦١٤هـ/.

– وفي عام /٦٣١هـ/ أعلن البابا حرباً مقدسة للهجوم على "بلنسية".

– وفي عام /٦٤٢هـ-١٢٤٤م/ أصدر البابا "قريقوار التاسع" قراراً وعد فيه النصارى الذين يحاربون مع ملك البرتغال "شانصو الثاني" ضد المسلمين، بغفران ذنوبهم كما لو كانوا في الحروب الصليبية على الأراضي المقدسة.

– وأيَّد البابا "قريقوار التاسع" ملك أرغونة في حربه ضد مسلمي الأندلس، ودعا النصارى إلى مساندته، فاستجاب لذلك فرسان من فرنسا وإنكلترة[(٢)].

– وكان باباوات روما يحرضون ويقدمون الدعم بعد بدء حروب الشرق

---

(١) المصدر السابق، (ص/١٩٠).

(٢)المصدر السابق، (ص/١٩١ وما بعدها)..

الصليبية على بلاد الشام لكلا الجبهتين الشرقية والغربية.

- ولم تتردد البابوية في تشجيع المنظمات الدينية ذات الصبغة العسكرية، ((تلك المنظمات التي نهضت في أسبانيا بالدور نفسه الذي قامت به الاستبارية والداوية والتيتون في بلاد الشام. بل إن الفضل يرجع إلى البابا "إسكندر الثالث" والبابا "أنوسنت الثالث" في قيام أشهر منظمة دينية حربية عرفتها أسبانيا، وهي منظمة "سنتياجو". وبفضل نشاط هذه الهيئات وجهودها اشتدت حماسة المسيحيين في حرب المسلمين في الأندلس، كما أخذ الطابع الديني يغلب على هذه الحرب ليجعل منها حرباً صليبية مقدسة لا تقل أهمية في نظر الأوروبيين المعاصرين عن الحرب الصليبية الدائرة عندئذٍ في المشرق)) [(١)].

- ولما أراد عدد من القساوسة الأسبان المشاركة في الحروب الصليبية على بلاد الشام، أصدر "البابا أوربان" مرسوماً حرَّم فيه على رجال الدين والفرسان الأسبان المشاركة في صليبيات المشرق لأن محاربة المسلمين في الأندلس لا تقلُّ أهمية عن الحرب الصليبية في المشرق، وقد نتج عن هذا ذهاب أعداد كبيرة من الفرسان من مختلف أنحاء أوروبا ليساهموا في حرب صليبية هي أقرب سبيلاً لهم من صليبيات بلاد الشام.

- ولما نجحت الحرب الصليبية الأولى على بلاد الشام، دعا البابا

(١) انظر: الحركة الصليبية، د.سعيد عاشور، (٧٦/١)..

"باسكال الثاني" إلى حرب صليبية جديدة ضد مسلمي الأندلس[1] .

٢- إهمال الجبهة البيزنطية..

ويُلاحظ أيضاً أن أكثر المؤرخين لم يُدرجوا الحروب البيزنطية التي جرت قبل بدء الحروب الصليبية المشهورة مع الحروب الصليبية، وإنما درسوها وقدَّموها بصفتها حروب بين دول تتنازع على الأراضي والمصالح.

والحقيقة أن الحروب البيزنطية الأرثوذوكسية لم تشذ عن أهداف الحروب الصليبية الأخرى التي جرت في مشرق العالم الإسلامي ومغربه، وإن لم تظهر فيها الرايات والشعارات الصليبية، وإن لم يتدخل في بداياتها البابوات، ومثلها كمثل بدايات الحروب في الأندلس التي لم تصبر حتى كشفت عن وجهها الصليبي القبيح بكل وضوح.

- **وهكذا فإن الوقائع تثبت بما لا ينتابه الشك أن الحروب الصليبية كانت أوسع زماناً ومكاناً من الحروب الصليبية المشهورة.**

ويُلاحظ (أن المؤرخ "ابن الأثير" حرص على أن يفتتح كلامه عن الحروب الصليبية واستيلاء الصليبيين على أنطاكية سنة /٤٩١هـ/ بالإشارة أولاً إلى الحروب بين المسلمين والمسيحيين في الأندلس وصقلية، مما يوضح أن هذا المؤرخ الواسع الأفق ربط ربطاً قوياً بين أطراف الحركة الصليبية في أسبانيا

(١) للتوسع انظر: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، د.محمد العروسي المطوي، (ص/١٩٠ وما بعدها).

وصقلية وشمال أفريقيا والشام، واتَّخذ الحروب الصليبية في الأندلس مدخلاً للحروب الصليبية في الشام)[١].

● استناداً إلى ماسبق، سوف أُطلق على الحروب الصليبية التي سبقت الحروب الصليبية المشهورة، مصطلح "**الحروب الصليبية التمهيدية**"؛ تمييزاً لها عن الحروب الصليبية المشهورة، وسوف أطلق عل الحروب الصليبية التي أتت بعد الحروب الصليبية المشهورة مصطلح "**الحروب الصليبية اللاحقة**" وهذا ما سنتحدث عنه، وفقاً للتقسيم التالي:

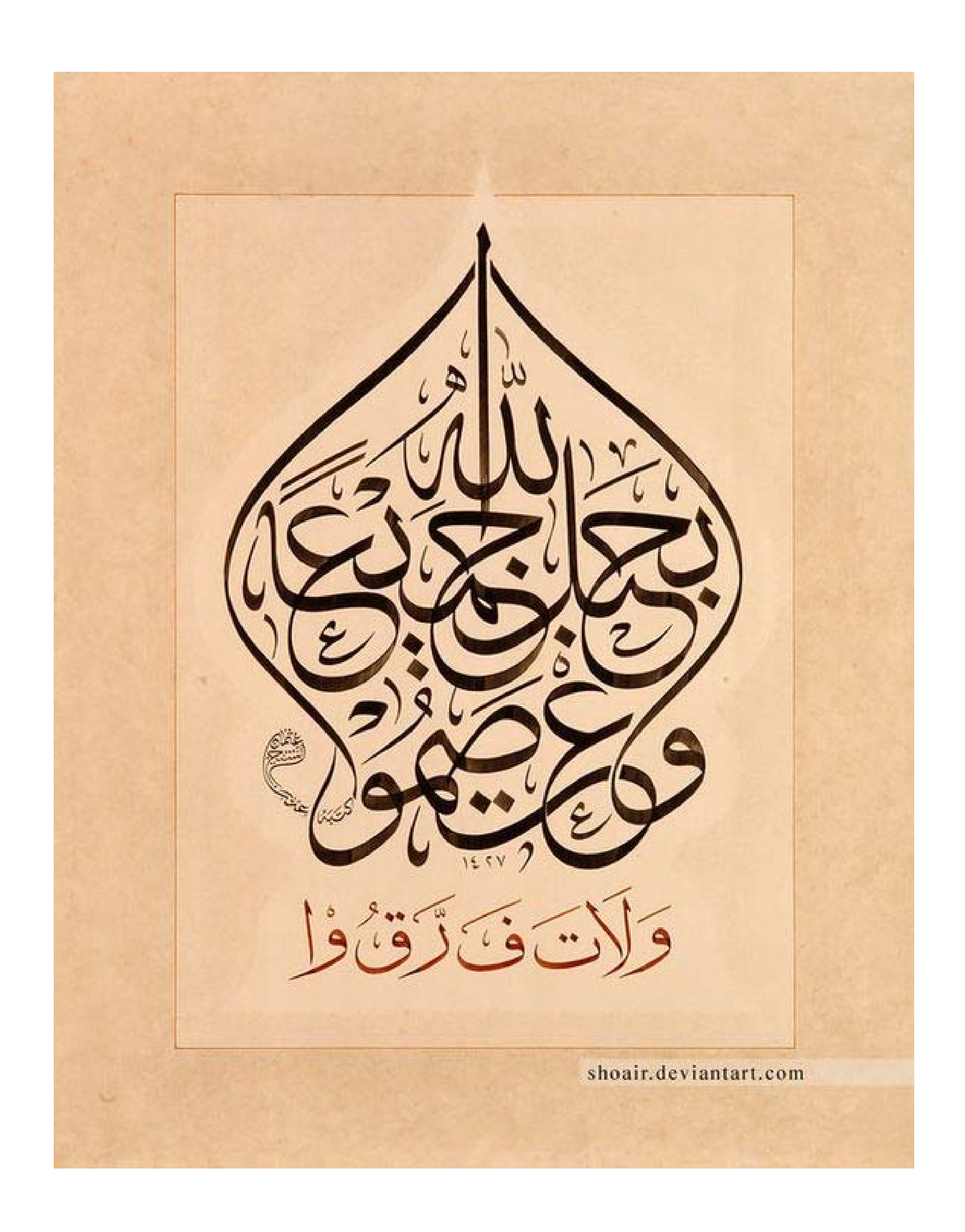
١- الحروب الصليبية التمهيدية، على الجبهتين الشرقية والغربية في العالم الإسلامي.

٢- الحروب الصليبية المشهورة عل جبهة بلاد الشام ومصر،والحروب الصليبية المرافقة على جبهتي الأندلس وشمالي أفريقيا .

٣- الحروب الصليبية اللاحقة على جبهتي الأندلس وشمالي أفريقيا.

* * * * *

(١) انظر: الحركة الصليبية، د.سعيد عاشور، (٧٢/١).


واعتصموا بحبل الله جميعا
ولا تفرقوا
١٤٢٧
shoair.deviantart.com

المبحث الثاني
الصراعات الداخلية تُضعف الأمة وتغري الأعداء

المطلب الأول: مظاهر الصراعات والانقسامات..

انتهت الخلافة الأموية بعد أن اجتاحتها الانقسامات والثورات، وبدأت الدولة العباسية بالانحلال على نحو كبير في عهد الخليفة العباسي المتوكل، وكانت البداية في عام /٢٣٢هـ- ٨٤٦م/، واستمرت بالانحلال والضعف إلى أن سقطت بغداد يوم قُتل المستعصم آخر الخلفاء العباسيين عام /٦٥٦هـ- ١٢٥٨م/ على يد هولاكو قائد جيوش المغول.

والحقيقة إن الدولة الإسلامية بدأت تنقسم إلى دويلات بعد مرور ست سنوات فقط على قيام الخلافة العباسية.

وكانت بعض هذه الدول خارجة عن الخلافة العباسية، ومعادية لها، وكان بعضها الآخر ينشأ تحت الأمر الواقع ويُحكم من قبل السلاطين، ويتبع ظاهراً للخلافة العباسية، ثم لا يلبث أن ينفصل انفصالاً تاماً عنها، فلا يبقى للخليفة إلا الدعاء المُتكلَّف على المنابر، وبعض الهدايا..

* فقد انفصلت **الأندلس** عن الخلافة العباسية في عهد الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور، حيث **أسس عبد الرحمن الداخل**(١) وأسرته دولة أموية فيها من عام /١٣٨هـ-٧٥٦م/ إلى /٤٢٢هـ-١٠٣٠م/. ثم انقسمت بدورها إلى دويلات يستعين حكامها بالصليبيين لمقاتلة الحكام المسلمين الآخرين وبسط نفوذهم، حتى انهارت نهائياً على يد الصليبيين عام /٨٩٧هـ-١٤٩٢م/ الذين قتلوا الكثير من المسلمين (٢) وأجبروا الباقي على القبول بالتنصير أو التهجير والطرد، وقد دامت الدولة الإسلامية في الأندلس مايقارب (٧٥٩) عاماً هجرياً.

* ثم قامت **دولة ثانية** في المغرب الأقصى بعد ذلك بأربع وثلاثين سنة وهي **دولة الأدارسة** في عهد الخليفة الرشيد، وقد **أسسها إدريس بن عبد الله** الذي حكمها مع أسرته من عام /١٧٢هـ-٧٨٨م/ إلى /٣٧٥هـ-٩٨٥م/ إلى أن زالت على يد الفاطميين، وقد دامت مايقارب (٢٠٣) عاماً هجرياً (٣) .

(١) هو الوحيد من أمراء بني أمية الذي نجا من الموت على يد الخليفة العباسي الأول.

(٢) تذكر الكثير من المصادر أن العدد يقارب ثلاثة ملايين مسلم.

(٣) للتوسع في أحوال دولتي الأندلس والأدارسة انظر:

- العبر وديوان المبتدأ والخبر، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون.
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عِذَارِى المراكشي.
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، أحمد بن خالد الناصري السلاوي.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني.
- الكامل في التاريخ، لابن الأثير.

=

* ثم قامت **دولة ثالثة** بعد ذلك باثني عشر عاماً، وهي **دولة الأغالبة** في تونس، في عهد الخليفة الرشيد، وقد **أسسها إبراهيم بن الأغلب** بن سالم بعد أن ولَّاه الرشيد على تونس، ثم استقلت استقلالاً تاماً، ولم يبق للخليفة العباسي سوى ذكر اسمه في الخطبة.. ودامت هذه الدولة من عام /١٨٤هـ-٨٠٠م/ إلى /٢٩٦هـ-٩٠٩م/، حينما استولى عليها الفاطميون، وقد دامت مايقارب (١١٢) عاماً هجرياً[(١)].

* ثم قامت **دولة رابعة** بعد ذلك بإحدى وعشرين سنة، وهي **الدولة الطاهرية** في خراسان، في عهد الخليفة المأمون، وقد **أسسها طاهر بن الحسين**، بعد أن ولاه الخليفة العباسي على خراسان، فاستقل بها وحكمها وأسرته، من عام /٢٠٥هـ-٨٢٠م/ إلى /٢٥٩هـ-٨٧٣م/حيث قضى عليها الصفاريون، وقد دامت مايقارب (٥٤) عاماً هجرياً[(٢)].

- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن علي الشنتريني بن بسام.
- الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسيني الإدريسي (ت:١٢٧٢هـ)، مطبعة الشباب- مصر [١٣٤٩هـ].
- تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، د. عبد المجيد نعنعي، دار النهضة العربية - بيروت.

(١) للتوسع انظر:
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عِذارى المراكشي.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، للمقريزي.
- العبر وديوان المبتدأ والخبر، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون.
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصا، للسلاوي.
- الدولة الأغلبية، محمد الطالبي، دار الغرب الإسلامي-بيروت، الطبعة الثانية [١٤١٥هـ-١٩٩٥م].

(٢) للتوسع انظر:

=

* ثم قامت **دولة خامسة** بعد ذلك بتسع وأربعين سنة، وهي **الدولة الصفارية** في خراسان وفارس، في عهد الخليفة المعتز، وقد **أسسها يعقوب بن الليث الصفاري**، وحكمها وأسرته، من عام /٢٥٤هـ-٨٦٨م/ إلى /٢٩٨هـ-٩١١م/ حيث استولى عليها السامانيون، وقد دامت مايقارب (٤٤) عاماً هجرياً. [١]

* وقامت **دولة سادسة** بالسنة نفسها، وهي **الدولة الطولونية**، في مصر والشام، في عهد الخليفة المعتز، وقد **أسسها أحمد بن طولون**، وحكمها وأسرته، من عام /٢٥٤هـ-٨٦٨م/ إلى /٢٩٢هـ-٩٠٥م/حيث أرسل الخليفة العباسي المكتفي أحد قادة جنده فقضى عليها، وقد دامت مايقارب (٣٨) عاماً هجرياً[٢].

- الكامل في التاريخ، لابن الأثير.
- تاريخ الخلفاء، للسيوطي.

(١) للتوسع انظر:
- وفيات الأعيان، لابن خلكان.
- تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر بن جرير الطبري.
- الكامل في التاريخ، لابن الأثير.

(٢) للتوسع انظر:
- تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر بن جرير الطبري.
- وفيات الأعيان، لابن خلكان.
- سيرة ابن طولون، لابن الداية.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تَغْري بَرْدي .
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، للمقريزي.

* ثم قامت **دولة سابعة**، بعد ذلك بسبع سنوات، وهي **الدولة السامانية** في خراسان وما وراء النهر، في عهد الخليفة المعتمد، وقد **أسستها** أسرة فارسية بقيادة **نصر بن أحمد بن أسد**، فحكمها وأسرته، من عام/٢٦١هـ-٨٧٤م/ إلى/٣٨٩هـ-٩٩٩م/ حيث استولى عليها الغزنويون، وقد دامت مايقارب (١٢٨) عاماً هجرياً[(١)] .

* ثم قامت **دولة ثامنة** بعد ذلك بست وثلاثين سنة، وهي **الدولة الفاطمية** في المغرب، في عهد الخليفة المقتدر، وقد **أسسها عبيد الله المهدي**، وحكمها وأسرته من عام /٢٩٧هـ-٩٠٩م/ ثم استولى الزيريون على تونس عام /٣٦٢هـ-٩٧٣م/، وحذا حذوهم الحماديون في الجزائر عام /٣٩٨هـ-١٠٠٨م/ إلى أن قضي على الحكم الفاطمي في كل بلاد المغرب في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر عام /٤٧٥هـ-١٠٨٢م/ أي قبل بدء الحروب الصليبية بعشر سنوات، وقد دامت الدولة الفاطمية في المغرب مايقارب (١٧٨) عاماً هجرياً[(٢)].

---

(١) للتوسع انظر:
- الكامل في التاريخ، لابن الأثير.
- تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر بن جرير الطبري.

(٢) للتوسع انظر:
- عبيد الله المهدي، إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية، د.حسن إبراهيم حسن، ود.طه أحمد شرف بالاشتراك، القاهرة [١٩٤٧م].
- الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى الشيخ أحمد بن خالد الناصري السلاوي.

* ثم قامت **دولة تاسعة** بعد ذلك بعشرين سنة، وهي **الدولة الحمدانية** في الموصل وحلب، في عهد الخليفة المقتدر، وقد **أسسها في الموصل ناصر الدولة** وحكمها مع أسرته، من عام /٣١٧هـ-٩٢٩م/ إلى عام / ٣٩٤هـ-١٠٠٣م/، **وأسسها في حلب سيف الدولة**، وحكمها مع أسرته من عام /٣٣٣هـ-٩٤٤م/إلى عام /٣٥٨هـ-٩٦٩م/، حيث قضى الفاطميون على حكم الحمدانيين في حلب، وقد دامت الدولة الحمدانية في الموصل مايقارب (٧٧) عاماً هجرياً[(١)].

* ثم قامت **دولة عاشرة** بعد ذلك بثلاث سنوات، وهي **دولة بني بويه** الشيعية الزيدية الفارسية، وقد **أسسها عماد الدولة علي بن بويه** في فارس في عهد الخليفة الراضي عام /٣٢٠هـ-٩٣٢م/، **وركن الدولة حسن بن بويه** في أصبهان والري وهمذان في العام نفسه، **ومعز الدولة** في العراق والأهواز وكرمان في العام نفسه،وسيطر بنو بويه على الخلافة في بغداد فكانوا يخلعون من يشاؤون من الخلفاء ويُجلسون من يشاؤون، ولم يَعد للخليفة العباسي من الخلافة نصيب سوى اسمها ومراسمها..

وفي عام /٣٦٩هـ-٩٨٠م/ بسط عضد الدولة بن ركن الدين بن بويه

---

(١) للتوسع انظر:
- تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي.
- مروج الذهب، للمسعودي.
- الكامل في التاريخ، لابن الأثير.
- ذيل تاريخ دمشق، لابن القلانسي.

سلطته على فارس وأصبهان والري وهمذان والأهواز وكرمان وعُمان والعراق. ثم بدأت دولة البويهيين تتفتت، إلى أن قضى السلاجقة على حكم البويهيين عام /٤٤٧هـ-١٠٥٥م/، وقد دامت دولة بني بويه مايقارب (١٢٧) عاماً هجرياً[(١)].

* ثم قامت **الدولة الحادية عشرة** بعد ذلك بثلاث سنوات ، وهي **الدولة الإخشيدية** في مصر والشام، في عهد الخليفة العباسي الراضي، وقد **أسسها محمد الإخشيد بن طغج**، وحكمها وأسرته، من عام /٣٢٣هـ-٩٣٥م/ إلى /٣٥٨هـ-٩٦٩م/، حيث استولى عليها الفاطميون، وقد دامت مايقارب (٣٥) عاماً هجرياً[(٢)].

* ثم قامت **الدولة الثانية عشرة** بعد ذلك بثمان وعشرين سنة، وهي **الدولة الغزنوية** في الأفغان والبنجاب، في عهد الخليفة المطيع، وقد **أسسها البتكين التركي**، وحكمها وأسرته، من عام /٣٥١هـ-٩٦٢م/ إلى /٥٨٢هـ-١١٨٦م/ حيث استولى عليها الغوريون، وقد دامت ما يقارب

---

(١) للتوسع انظر:

- الكامل في التاريخ، لابن الأثير.
- العلاقات العربية السياسية في عهد البويهيين ، حامد غنيم أبو سعيد، القاهرة [١٩٧١م].
- الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين، د. وفاء محمد علي، المكتب الجامعي الحديث – الإسكندرية.
- تاريخ الدولة البويهية، د.حسن منيمنة، الدار الجامعية – بيروت [١٤٠٧هـ-١٩٨٧م].

(٢) للتوسع انظر:

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي.

(٢٣١) عاماً هجرياً[١].

* ثم قامت **الدولة الثالثة عشرة** بعد ذلك بسبع سنوات، وهي **الدولة الفاطمية** في مصر في عهد الخليفة العباسي المطيع، وقد **أسسها** الخليفة الفاطمي في المغرب **المُعز**، وحكمها وأسرته، من عام /٣٥٨هـ-٩٦٩م/ وامتد سلطان الدولة الفاطمية في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر إلى الموصل وحلب وحماه وحمص ودمشق وفلسطين والحجاز واليمن وصقلية، ثم مالبثت دولتهم تتقلص ، فقامت الدولة الزيرية في تونس عام /٣٦٢هـ-٦٧٣م/، والدولة الحمادية في الجزائر عام /٣٩٨هـ-١٠٠٨م/ وبقيت تتقلص إلى أن قضى عليها الأيوبيون عام /٥٦٧هـ-١١٧١م/، وقد دامت الدولة الفاطمية في مصر مايقارب (٢٠٩) عاماً هجرياً[٢].

(١) للتوسع انظر:
- الكامل في التاريخ، لابن الأثير.
- وفيات الأعيان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن خلكان.

(٢) للتوسع انظر:
- مصر في عصر الدولة الفاطمية، محمد جمال الدين سرور-القاهرة [١٩٦٠م].
- النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق، محمد جمال الدين سرور، القاهرة [١٩٥٩م].
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي.
- الدرة المضيئة في تاريخ الدولة الفاطمية، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك جامعة الدول العربية القاهرة [١٩٦١م].
- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، أحمد بن علي المقريزي.
- المعز لدين الله الفاطمي، مؤسس الدولة الفاطمية بمصر، د. حسن إبراهيم حسن ود.طه أحمد شرف بالاشتراك، الطبعة الثانية — القاهرة [١٩٦٤م].

=

* ثم قامت **الدولة الرابعة عشرة** بعد ذلك بإحدى وسبعين سنة، وهي **الدولة السلجوقية** في العراق وتركيا وآسيا الوسطى وبلاد الشام واليمن، في عهد الخليفة العباسي القائم، وقد **أسسها طغرلبك** بن ميكائيل بن سلجوق، وحكمها وأسرته، من عام /٤٢٩هـ-١٠٣٧م/ إلى /٥٥٢هـ- ١١٥٧م/ حيث استولى عليها الخوارزميون والغوريون والغز الأتراك والمماليك، وقد دامت الدولة السلجوقية مايقارب (١٢٣) عاماً هجرياً(١) .

* ثم قامت **الدولة الخامسة عشرة** بعد ذلك بتسع عشرة سنة، وهي **دولة المرابطين** في المغرب وجزء من الجزائر والأندلس في عهد الخليفة العباسي القائم، وقد **أسسها أبو بكر بن إبراهيم اللمتوني ومن بعده يوسف بن تاشفين من البربر**، وحكمها وأسرته، من عام /٤٤٨هـ-١٠٥٦م/ إلى عام /٥٤١هـ-١١٤٧م/، حيث استولى عليها الموحدون، وقد دامت مايقارب (٩٣) عاماً هجرياً(٢).

- الدولة الفاطمية، د.عبد الله محمد جمال الدين، دار الثقافة- القاهرة [١٤١١هـ-١٩٩١م].

(١) للتوسع انظر:
- وفيات الأعيان، لابن خلكان.
- الكامل في التاريخ، لابن الأثير.
- تاريخ دولة آل سلجوق، عماد الدين محمد الأصفهاني.
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.
- تاريخ الخلفاء، للسيوطي.
- السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري،د.محمد عبد العظيم أبو النصر.

(٢) للتوسع انظر:

=

* ثم قامت **الدولة السادسة عشرة** بعد ذلك بسبع سنوات، ، وهي **الدولة الصليحية** في اليمن، في عهد الخليفة العباسي القائم، **أسسها علي بن محمد الصليحي**، وحكمها مع أسرته، من عام /٤٥٥هـ-١٠٦٣م/ وكانت هذه الدولة تابعة للخلافة الفاطمية في مصر، وبقيت الدولة الصليحية تسيطر على اليمن حتى استولى عليها الأيوبيون عام /٥٦٩هـ-١١٧٣م/عند قضائهم على الخلافة الفاطمية، وقد دامت مايقارب (١١٤) عاماً هجرياً(١).

* ثم قامت **الدولة السابعة عشرة** بعد ذلك بخمس عشرة سنة، وهي **الدولة الخوارزمية،** في عهد الخليفة العباسي المقتدي، وتقع من حدود العراق غرباً إلى الهند والصين شرقاً، ومن شمال بحر قزوين إلى الخليج الإسلامي والمحيط الهندي جنوباً ، **أسسها خوارزم شاه بن أنوشْتِكين** وحكمها وأسرته، من عام /٤٧٠هـ-١٠٧٧م/ إلى /٦٢٨هـ-١٢٣١م/، وكانوا يعملون عند السلاجقة ثم تمردوا عليهم وانفردوا بحكمها إلى أن قضى عليها المغول، وقد دامت مايقارب (١٥٨) عاماً هجرياً(٢).

- العبر وديوان المبتدأ والخبر، لابن خلدون.
- الكامل في التاريخ، لابن الأثير.
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الشيخ أحمد بن خالد الناصري السلاوي.
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذارى.

(١) للتوسع انظر:
- الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، الهمداني وحسن سليمان.
- تاريخ اليمن، تاج الدين اليماني.

(٢) للتوسع انظر:

=

* ثم قامت **الدولة الثامنة عشرة** بعد ذلك بأربع وخمسين سنة، وهي **دولة الموحدين** في المغرب والجزائر وتونس والأندلس في عهد الخليفة العباسي المسترشد، وقد **أسسها عبد المؤمن بن علي**، وحكمها وأسرته، من عام /٥٢٤هـ-١١٣٠م/ إلى /٥٥٨هـ-١١٦٣م/ حيث استولت عليها الدولة المرينية، وقد دامت مايقارب (٣٤) عاماً هجرياً[1] .

- صبح الأعشى، للقلقشندي.
- الكامل في التاريخ، لابن الأثير.
- التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، د.عفاف سيد صبره، دار الكتاب الجامعي، الطبعة الأولى، [١٤٠٧هـ-١٩٨٧م].
- الدولة الخوارزمية والمغول، حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي القاهرة، [١٩٤٩م] رسالة ماجستير.

(١) للتوسع انظر:
- الكامل في التاريخ لابن الأثير.
- البيان المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب، لابن عذارى.
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، للسلاوي.
- العبر وديوان المبتدأ والخبر، لابن خلدون.
- علاقة الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، د.هشام أبو رميلة، دار الفرقان-عمان، الأردن، الطبعة الأولى [١٤٠٤هـ-١٩٨٤م].
- المن بالإمامة، تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، عبد الملك بن صاحب الصلاة (٥٩٤هـ-١١٩٨م)، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى، [١٩٦٤م].
- الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني، د.عصمت عبد اللطيف دندش، دار الغرب الإسلامي –بيروت، الطبعة الأولى، [١٤٠٨هـ-١٩٨٨م].

* وقامت **دويلات الأتابك**[1]، أثناء الخلافة العباسية:

أولاً: أتابكيات بيت زنكي.

١- **أتابكية دمشق: حكمها ظهير الدين طغتكين زنكي** المملوكي وأسرته، من عام /٤٩٧هـ-١١٠٣م/ إلى عام /٥٤٩هـ-١١٥٤م/ حيث استولى عليها نور الدين محمود زنكي المملوكي وبقي يحكمها حتى عام /٥٧٠هـ-١١٧٥م/، حيث ضمها صلاح الدين الأيوبي إلى دولته الأيوبية.

٢- **أتابكية الموصل: حكمها عماد الدين زنكي** المملوكي وأسرته، من عام /٥١٦هـ-١١٢٢م/ ثم حكم الجزيرة، ثم استولى على حلب عام /٥٢٢هـ/، ثم استولى على الرها من الصليبيين عام /٥٣٩هـ-١١٤٤م/، وعندما قُتل عماد الدين زنكي عام /٥٤١هـ-١١٤٦م/انقسمت أتابكيته إلى أتابكيتين: أتابكية حلب تحت حكم ابنه نور الدين محمود، وأتابكية الجزيرة والموصل تحت حكم ابنه سيف الدين غازي.

٣- **أتابكية حلب: حكمها نور الدين محمود** بن عماد الدين زنكي وأسرته، من عام /٥٤١هـ-١١٤٦م/ إلى عام /٥٧٧هـ-١١٨١م/، وضمَّ إليها دمشق عام /٥٤٩هـ-١١٥٤م/، ومدَّ نفوذه إلى مصر بمساعدة

---

(١) الأتابك: هم مماليك السلاطين السلاجقة وهم أتراك من شمال البحر الأسود، وقد عملوا في الجيش والقصور ثم أصبحوا ولاة، ثم استقلوا بحكم ولاياتهم.

ومعنى الأتابك: الأب الأمير، وهو الذي كان يرعى السلاطين الصغار من السلاجقة ويحميهم ويربيهم..

الأيوبيين، ثم ضمَّها صلاح الدين إلى دولته الأيوبية.

٤- **أتابكية الجزيرة والموصل: حكمها سيف الدين غازي** بن عماد الدين زنكي وأسرته، من عام /٥٤١هـ-١١٤٦م/، ولما حضرته الوفاة قسمها إلى أتابكيتين: أتابكية الموصل تحت حكم أخيه عز الدين مسعود، وأتابكية الجزيرة تحت حكم ابنه معز الدين سنجر شاه، الذي قتله ابنه محمود عام /٦٠٥هـ-١٢٠٨م/ثم ضمَّ صلاح الدين الأيوبي إمارات الجزيرة والموصل وسنجار وأربيل ووحَّدها في وجه الصليبيين.

٥- **أتابكية سنجار: حكمها عماد الدين زنكي الثالث** وأسرته، من عام /٥٦٦هـ-١١٧٠م/ إلى عام /٦١٧هـ-١٢٢٠م/حيث استولى عليها الأيوبيون.

ثانياً: أتابكيات بيت أرتق.

١- **أتابكية كيفا**: في ديار بكر **حكمها مُعين الدولة سُكمان الأول** وأسرته، من عام /٤٩٥هـ-١١٠١م/ إلى عام /٦٢٩هـ-١٢٣١م/حيث غزاها المغول.

٢- **أتابكية ماردين**: في ديار بكر، **حكمها نجم الدين إيلغازي** بن أرتق وأسرته من عام /٥٠٢هـ-١١٠٨م/ إلى عام /٨١١هـ-١٤٠٨م/ حيث احتلها تيمورلنك.

ثالثاً: أتابكية بيت بكتكين.

أتابكية أربيل: حكمها زين الدين بن علي بكتكين وأسرته مع الموصل

وتكريت، من عام /٥٣٩هـ-١١٤٤م/ إلى عام /٦٣٠هـ-١٢٣٢م/حيث استولى عليها الأيوبيون.

وهناك عدد آخر من الأتابكيات ، مثل:

أتابكية أذربيجان: التي قامت من عام /٥٣١هـ-١١٣٦م/ إلى /٦٢٢هـ-١٢٢٥م/.

أتابكية فارس: والتي قامت من عام /٥٤٣هـ-١١٤٨م/ إلى عام /٦٨٦هـ-١٢٨٧م/.

أتابكية كرمان: التي قامت من عام /٦١٩هـ-١٢٢٢م/ إلى عام /٧٠٣هـ-١٣٠٣م/.[1]

---

(١) للتوسع انظر:
- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، علي بن أبي الكرم محمد المعروف بابن الأثير الجزري، القاهرة، [١٩٦٣م]
- ذيل تاريخ دمشق، لابن القلانسي.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبو المحاسن ابن تغري بردي.
- صبح الأعشى، للقلقشندي.
- الكامل في التاريخ، لابن الأثير.
- وفيات الأعيان، لابن خلكان.
- زبد الحلب في تاريخ حلب، لابن العديم.
- البداية والنهاية، لابن كثير.
- تاريخ دولة آل سلجوق، للأصفهاني.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي..

* وقامت **الدولة الثلاثون،** في عهد الخليفة المقتفي، وهي **الدولة الغورية** في الأفغان والهند، وقد أسسها علاء الدين حسين الغوري، وحكمها مع إخوته وأسرته، من عام /٥٤٣هـ-١١٤٨م/ إلى عام /٦١٢هـ-١٢١٥م/، حيث انتهت على يد الخوارزميين، وقد دامت مايقارب (٦٩) عاماً هجرياً[١].

وهناك عدد من الدويلات التي لم نذكرها بقصد عدم الإطالة، مثل:

* **الدولة الرستمية:** في المغرب والأندلس.
* **الدولة الحفصية:** في تونس.
* **الدولة المرينية:** في المغرب.
* **الدولة الزيرية:** في تونس.
* **الدولة الحمادية:** في الجزائر.
* **الدولة الزيانية:** في الجزائر.
* **الدولة الشريفية:** في المغرب.
* **الدولة الرسولية:** في اليمن.[٢]

---

(١) للتوسع انظر:
- الكامل في التاريخ، لابن الأثير.
- وفيات الأعيان، لابن خلكان.

(٢) للتوسع انظر:
- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، علي بن حسن الخزرجي.

=

وهناك دويلات أخرى عديدة ظهرت بعد بدء الحروب الصليبية لم نأت على ذكرها لأنها خارج نطاق البحث.

المطلب الثاني: الصراعات تدمر الاستقرار وتضعف البلاد.

- لا يدرك قيمة نعمة الأمن والاستقرار إلا الذين اكتووا بنار الصراعات والمنازعات ، فهي تسبب نشر الفوضى والقتل والعدوان على الأموال والأنفس والأعراض وتدمر اقتصاد الأمة ، وتوهن قوتها ، وتدفعها باتجاه التخلف الاقتصادي والاجتماعي والعلمي والفكري والقيمي والنهضوي ....

إضاءة

من البديهات أن استمرار الصراعات في المجتمعات ينشر الآفات الاجتماعية ، ويوسع دائرة الفقر والمرض والجهل ، ويجعل هذاه المجتمعات تموج بالفتن والقلاقل ، فيستعر القتل والعدوان ، ولا يبقى أحد يأمن على نفسه وأهله وماله وتجارته وسكنه ، وينتشر الإحباط واليأس والقلق بين الناس ، فلا يلتفتون إلى عدو ولا إلى تهديد ، فهم مشغولون بأنفسهم ومشاكلهم وخوفهم ورعبهم على حياتهم ، ولا يفكرون بأكثر من لقمة عيشهم .

- السلطنة الحفصية، محمد العروسي المطوي.
- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية.
- دولة بني حماد، د.عبد الحليم عويس.
- الدولة الرستمية في المغرب الإسلامي، د. محمد عيسى الحريري.

وكل هذا يضعف من قوة الأمة ويوهن قدرتها على الصمود في وجه أعدائها ، فضلاً عن قهر الأعداء و الانتصار عليهم .

إضاءة

إن البلاد لا يمكن إصلاح أوضاعها إذا لم يتوافر الأمن والاستقرار. فالاستقرار هو الطريق إلى التنمية الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والثقافية والسياسية .... وبدون الاستقرار لا يوجد تنمية أبداً ....

حقيقة

إذا كان الاستقرار ينتج التنمية ، فإن التنمية الناجحة تنتج نهضة الأمم والشعوب على المستويات كافة ، وتؤدي إلى تنامي قوة الأمة على كافة الصعد ...

إن معادلة :

الاستقرار ← التنمية

والتنمية ← النهضة

والنهضة ← القوة

هي معادلة صحيحة قديماً وحديثاً ..

- ولذلك يسعى أعداء الأمة الإسلامية بلا كلل ولا ملل ، لضرب استقرار الدول الإسلامية، من خلال تفجير الصراعات والنزاعات بين أبنائها ، وذلك لتوهين قدرتها على الصمود أمام مخططاتهم التي تسعى للسيطرة على مقدرات الشعوب الإسلامية واستنزافها ومن ثم إضعافها واستسلامها وبسط السيطرة عليها والتحكم بشؤونها ..

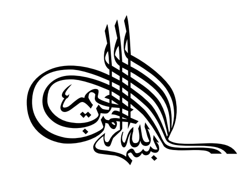
إضاءة

أعظم الخطر الذي يهدد الأمة الإسلامية ، هو أن يتبنى أبناؤها نهج الصراع والاقتتال لحل المشاكل فيما بينهم، فضلاً عن اتخاذ الصراع والاقتتال وسيلة لتحقيق المطامع والمصالح الشخصية ، وعدم الالتفات إلى المصالح العليا للأمة .

وهذه طامة الطامات التي ابتليت بها شعوب الأمة الإسلامية ، والتي كانت سبباً كما رأينا وكما سنرى في البلايا العظام التي ابتليت به هذه الأمة من الهزائم والقتل والتدمير المفجع..

* * *





دور الحروب الصليبية في العدوان على الرسالة والرسول ﷺ والمسلمين



المبحث الأول
الحروب الصليبية التمهيدية على الجبهتين الشرقية والغربية في العالم الإسلامي
بين عامي /١٥٠هـ - ٤٨٨هـ / إلى /٧٦٧م- ١٠٩٥م/

استهدفت الحروب الصليبية شرق العالم الإسلامي ومغربه..

ففي الشرق استهدف الصليبييون البزنطييون الأرثوذوكس بلاد الشام..

وفي الغرب استهدف الصليبييون الغربييون الكاثوليك (الفرنج) الأندلس وجزائر البحر الأبيض المتوسط وشمال أفريقيا..

المطلب الأول: الحروب الصليبية التمهيدية على جبهة الأندلس[1].

سبقت الحروب الصليبية التمهيدية في الأندلس الحروب الصليبية المشهورة في بلاد الشام، بأكثر من ثلاثمائة سنة..

لقد دخل الإسلام إلى الأندلس عام /٩٢هـ- ٧١١م/على يد طارق بن زياد، بأمر من قائده موسى بن نصير والي المغرب، ولم يمضِ عقدين من الزمن حتى بدأ الصراع على المصالح بين أمراء وزعماء المسلمين.

(١) انظر: الخريطة رقم /٤/ في فهرس الخرائط .

- **الصراع يُغري الأعداء:**

يَعجب الباحث أثناء التعمُّق في دراسة تاريخ الأندلس أن يجد كثرة من أمراء دنيا يُقاتلون على فتات تافه من السلطنة والحكم، حيث كانوا يساهمون في إضعاف الدولة الإسلامية وتمزيقها[1]..في حين ظهر أمراء جهاد باعوا الدنيا واشتروا الآخرة، واستطاعوا أن يحققوا فتوحات عظيمة في الأندلس، بل إن بعضهم استطاع التوغل جنوب فرنسا (بلاد غالة) من أمثال **المجاهد السمح بن مالك الخولاني**، الذي ولاه عمر بن عبد العزيز على الأندلس عام (١٠٠هـ-٧١٩م) فقاد الفتوحات حتى وصل إلى "تولوز".. كما ظهر أيضاً **المجاهد عنبسة بن سحيم الكلبي**، الذي تولى الأندلس عام (١٠٣هـ-٧٢١م) وقاد الفتوح حتى وصل إلى "صائف" على بُعد /٧٠كم/ جنوبي باريس، كما ظهر أيضاً **المجاهد عبد الرحمن الغافقي**، الذي تولى قيادة الفتوح عام (١١٢هـ-٧٣٠م) وقاد الفتوح حتى وصل إلى بلدة "سانس" جنوبي باريس، وإلى موقع بلاط الشهداء على بُعد /٢٠كم/ شمالي "بواتيه"، ودارت بينه وبين "شارل مارتل" ملك الفرنجة معركة بتاريخ (تشرين الأول ٧٣٢م-رمضان/١١٤هـ) انتهت باستشهاد القائد المجاهد عبد الرحمن الغافقي[2].

---

(١) للتوسع انظر: المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة، د.منى حسن محمود، دار الفكر العربي- القاهرة، [١٩٨٦م]، (ص/٢٥ وما بعدها).

(٢) انظر: موسوعة تاريخ الأندلس، د.حسين مؤنس، (١/٣٩وما بعدها)، والمسلمون في الأندلس، د.منى حسين محمود، (ص/١٤٤ وما بعدها).

وإذا كان أمثال هؤلاء يقودون الجهاد ويحملون رايته، فإن أمراء آخرين كانوا يقودون الفتن والثورات والصراعات من أجل مصالح شخصية خسيسة.

إضاءة

شجعت الفتن الداخلية والصراع بين الحكام على السُلطة الصليبيين على شنِّ حروب متوالية على الأندلس بقصد السيطرة عليها وإعادتها إلى حضن أوروبا الصليبية..

وتجلى الصراع في الأندلس بين:

المسلمين من العرب والبربر؛ وبين العرب أنفسهم، من شاميين ويمنيين وعَصَبَات كِلاب وهوازن وغطفان ومُحارب والأزد وربيعة ومضر والفهرية والقيسية، وأيضاً بين الأمراء الطامعين في الحكم[1].

وقد أدى الصراع العنيف بين العرب والبربر إلى حرب طاحنة بينهم قرب الجزيرة الخضراء عام (١٢٤هـ-٧٤١م) انهزم فيها البربر، وطوردوا، فأخذوا يهجرون أراضيهم في الوسط والشمال الغربي ويعودون إلى أفريقيا، فكان لهذه الهجرة الجماعية أسوأ الأثر على مستقبل الإسلام في الأندلس حتى صارت الأراضي الواقعة شمالي نهر "تاجه" خالية تقريباً من المسلمين، فغدت هذه الأراضي أرضاً خلاء مفتوحة لصليبيي الشمال ليمتدوا فيها كيف يشاؤون..

---

(١) انظر: المسلمون في الأندلس، د.منى حسين محمود، (٢٨/١)، ودولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان، (١١٨/١).

إضاءة

خسر المسلمون نتيجة الصراع فيما بينهم ربع الأندلس، خسروه دون أن يخرجهم منه عدو، وإنما أخرجهم منه كراهة بعضهم بعضاً وقلة نظرهم إلى العواقب[1]

- **الحروب الصليبية التمهيدية القادمة من خارج الأندلس:**

توالت الصراعات والثورات في عهد "عبد الرحمن الداخل" مؤسس الدولة الأموية في الأندلس[2]، فظهرت الخيانات من "سليمان بن يقظان الكلبي" والي "برشلونة"، و "الحسين بن يحيى الأنصاري" والي "سرقسطة" اللذين قاما بدعوة شارلمان إمبراطور فرنسا وألمانيا إلى غزو الأندلس، ووعدوه بالمساعدة، فقد بلغت بهم الخيانة أن ذهبا للقاء "شارلمان" في شمال غرب ألمانيا[3]، واتفقا معه على تسليم المدن التي في حوزتهم مقابل محاربة "عبد الرحمن الداخل" وإزاحته عن الحكم.

وفي شوال عام (١٦١هـ-٧٧٨م)، قاد شارلمان حملته الصليبية التي باركها البابا "بارك" عندما أطلعه عليها "شارلمان" قبل البدء بها[4].

---

(١) انظر: دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان، (١/١٣٤وما بعدها).

(٢) انظر: البيان المغرب في أخبار الأندلس والغرب، لابن عِذاري المراكشي، (٢/٤٨وما بعدها)، والمسلمون في الأندلس، د. منى حسن محمود، (ص/٥٧ وما بعدها).

(٣) انظر: دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان، (١/١٦٧)، وتاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، الأمير شكيب أرسلان، (ص/١٢٠).

(٤) انظر: دولة الإسلام في الأندلس،محمد عنان، (١/١٧١).

فعبر جبال البرانس [1]واستولى على "بنبلونة" ثم توجه إلى "سرقسطة"وحاصرها.. [2]. فهبَّ العلماء يحرضون المسلمين على الجهاد والصبر والمصابرة، فقادوا المقاومة الضارية ضد "شارلمان" فرجع أميرها إلى رشده، وشاءت الأقدار الإلهية أن تسعف المسلمين، حيث ثارت قبائل السكسون على "شارلمان" فاضطر أن يفك الحصار ويرجع خائباً.. [3] وغضب "شارلمان" على الخائن "سليمان بن يقظان" الأعرابي لأنه خدعه، فأخذه أسيراً، ورجع في العام نفسه بعد معاناة لأشهر عدة.. وأثناء عودة "شارلمان" نصب المسلمون المقيمون على الثغر الأعلى على حدود فرنسا مع حلفائهم "البشكنس" كميناً محكماً عند خوانق ممر "رتشغالة" الضيقة، فانقضوا على مؤخرة جيشه التي كان يقودها "رولان" ومزقوا جنوده إرباً وقتلوا قائدهم "رولان"[4] بتاريخ (ذي القعدة/١٦١هـ-١٨/٨/٧٧٨م) [5].

وفي عام (١٨١هـ-٧٩٧م) اشتد الصراع بين والي الأندلس "الحكم بن هشام" وبين عميه سليمان وعبد الله، فأقبلوا يدبرون له ويتربصون الفرصة للإيقاع

---

(١) هي جبال البرنيه حالياً وتفصل بين أسبانيا وفرنسا، وكان يطلق عليها قديماً: البرانس أو ألبرت

(٢) انظر: موسوعة تاريخ الأندلس، د.حسين مؤنس، (٥٥/١ وما بعدها)، والمسلمون في الأندلس، د. منى حسن محمود، (ص/١٧٩ وما بعدها).

(٣) انظر: الأندلس في التاريخ المصور، د.طارق السويدان، (ص/١٠٦).

(٤) ملحمة "رولان" الشهيرة في الأدب الفرنسي اشتقت من اسم هذا القائد ومن هذه المعركة، وهي ملحمة شعرية تفيض بالروح الصليبية البغيضة..

انظر: المسلمون في الأندلس، د.منى حسن محمود، (ص/١٨١).

(٥) انظر: موسوعة تاريخ الأندلس، د.حسين مؤنس، (٥٦/١).

به، فسعى عمه عبد الله إلى تأليب "شارلمان" عليه، فذهب لمقابلته ليحثه على إرسال جيشه لدخول الأندلس، وبالفعل أرسل "شارلمان" جيشه بقيادة ابنه لويس، ولكنَّ أبا صفوان حاكم الثغر الأعلى ردَّه على أعقابه خائباً[(1)].

وفي عام /١٨٥هـ-٨٠١م/ قام "لويس" ابن الإمبراطور "شارلمان" بالتعاون مع أمراء الإقطاعات الصليبية بالهجوم على شمال غربي الأندلس، فاحتلَّ "برشلونة" بعد أن بقيت بيد المسلمين نحو /٩٠ عاماً/، وقد حوَّل الصليبيون جميع مساجدها إلى كنائس[(2)].

وفي عام /١٩٢هـ/ حاصر "لويس" مدينة "طرسونة".[(3)]

وفي عام (٢٢٩هـ-٨٤٤م) هاجم النورمان الأندلس عن طريق البحر بـ /٥٤/ سفينة كبيرة، فدخلت السفن النهر حتى دخلت إشبيلية، فأعملوا فيها الفساد، نهبوها وأحرقوا الكثير من ديارها وأحرقوا المسجد الجامع، فأرسل الأمير "عبد الرحمن الأوسط بن الحكم" الجيش لمواجهة النورمان، فأوقع المسلمون بهم هزيمة كبيرة عند طليطلة شمالي إشبيلية عام (٢٣٠هـ). وقد أغارت سفن النورمان على الأندلس مرات عدة، ولكنها رُدت على أعقابها

---

(١) انظر: دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان، (٢٢٨/١)، وتاريخ غزوات العرب، الأمير شكيب أرسلان، (١٣٢).

(٢) انظر: الصراع بين العرب وأوروبة، من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية، د. عبد العظيم رمضان، دار المعارف –القاهرة، [١٩٨٣م](ص/١٦٠ وما بعدها).

(٣) المصدر السابق، (ص/١٦٢).

بخسائر فادحة[1].

وفي عام (٤٥٦هـ-١٠٦٤م)، قامت حملة صليبية غربية قِوامها الفرنسيون والنورمان، وكان عددهم يربو على أربعين ألف جندي، عبروا جبال "البيرينيه" وتوجهوا نحو مدينة "بربشتر" الواقعة على الجبهة الغربية الفرنسية، فاستغاث أهلها بحكام الطوائف، فلم يستجب أحد، وتحرك العلماء على كل صعيد فلم يستجب أحد.

لقد أسمعت لو ناديت حيًّاً ولكن لا حياة لمن تنادي.

لقد ماتت النخوة والقيم الإسلامية!!..

حوصرت المدينة أربعين يوماً ، وصمد أهلها، ولكن الخيانة أطلَّت برأسها حينما قام أحد العملاء الخونة بإرشاد الفرنسيين على مجرى الماء الذي يروي المدينة، فمنعوه عنها، فانهارت المدينة، واقتحمها المهاجمون، وقتلوا أربعين ألفاً من أهلها، وهتكوا أعراض النساء أمام أهليهن، وسبوا خمسة آلاف من أجمل فتيات المدينة وقدموهن هدية لملك القسطنطينية!! [2].

حقيقة

عندما تتغلب الأهواء على الحكام، وتعمى بصائرهم عن الأخطار الداهمة على الأمة، وتصبح مصالحهم الخسيسة فوق مصالح الأمة، ويتوغلون ويتوحشون في صراعاتهم، ويضحون بشعوبهم لتحقيق مآربهم، فلا تسأل عن النتائج الكارثية على الأمة..

---

(١) انظر: موسوعة تاريخ الأندلس، د.حسين مؤنس، (٧٧/١ وما بعدها).

(٢) انظر: الأندلس التاريخ المصور، د.طارق السويدان، (ص/٢٦٣).

- **تشكيل نواة الإمارة الصليبية في شمالي الأندلس**[1].

تولـت هـذه الإمـارة الحـروب الـصليبية القادمـة ضـد المـسلمين، حـتى أخرجتهم عن آخرهم من الأندلس. وتشكلت هذه الإمارة بعد أن التجأت فلول الصليبيين المهزومين في الأندلس إلى أقصى الشمال في قمم أوروبا في جبال "الكنتبريه" قريباً من منطقة "اشتريس" المطلة على خليج "بسكاي".

وقـادهم فـارس صـليبي يُـدعى "بلايـو" وتحـصنوا مـع قائـدهم في صـخرة معروفة بصخرة بلاي (بلايو)، **ثم تركوهم واستصغروهم وأهملوهم، فأتاهم منهم مالم يحتسبوا..**

ثم اتحدت هذه النواة الصليبية بنواة أخرى مجاورة لها من جهة الشرق، حينما تزوج أميرها "ألفونسو" بابنة "بلايو" وظهرت بذلك إمارة "اشتريس" الصليبية. ثم نشأت في غربها إمارة صليبية أخرى، هي إمارة "نبرة" [2].

واستمرت هـذه الإمـارات الـصليبية بـالنمو والاتـساع حتى قـضت عـلى دولـة الأندلس الإسلامية، بسبب الفتن والصراعات بين المسلمين، وهي الطامة العظيمة التي مزقـت الأنـدلس إلى دويـلات تافهـة ممزقـة متهالكـة لا تـستطيع الـصمود أمـام أعدائها،ولاشك أنه السبب الرئيس الذي أدى إلى ضياع الأندلس!!.

---

(١) انظر: الخريطة رقم /٥/ في فهرس الخرائط.

(٢) انظر: موسوعة تاريخ الأندلس، د.حسين مؤنس، (١/٦٣وما بعدها)، والمسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة، د.منى حسن محمود، (ص/١٤٤وما بعدها).

* ففي عام /١٥٠هـ-٧٦٧م/ استغل الصليبيون هذه الاضطرابات ضد عبد الرحمن الداخل، فقام "فرويلة" بن "ألفونسو الأول" بالاستيلاء على عدد من المناطق المجاورة لمدينة "ليون" شمال غرب الأندلس[١].

* وفي عام /١٧٠هـ-٧٨٧م/ استغل القوط الصليبيون ثورة " أبو الأسود محمد بن يوسف الفهري" على عبد الرحمن الداخل، فاستولوا على مدينة "جيليقية" شمالي غرب الأندلس.

وهكذا فإن الصراعات والثورات الداخلية على عبد الرحمن الداخل أدت إلى ضياع المناطق الشرقية المحاذية لجنوبي فرنسا وسيطرة الفرنج عليها، وكذلك ضياع أقصى الشمال الغربي من الأندلس، وكذلك سيطرة القوط الصليبيين على "ليون".[٢]

* وفي عام /١٩٣هـ/ استولى "ألفونسو الثاني" على "لشبونة" و "قليبرة" وطرد المسلمين منها[٣].

* وفي عام /٢١٨هـ-٨٣٣م/ ثار "سليمان بن مرتين" على عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) ، ولما هُزم فرَّ الخائن إلى الصليبيين القوط، واحتمى بهم، وطلب منهم النجدة، وحرَّضهم على مهاجمة المناطق الإسلامية المجاورة لهم[٤].

---

(١) انظر: الأندلس-التاريخ المصور، د.طارق السويدان، (ص/١٠٦).

(٢) المصدر السابق، (ص/١١٥ وما بعدها).

(٣)المصدر السابق، (ص/١٢٩ وما بعدها).

(٤) المصدر السابق، (ص/١٣٤ وما بعدها).

* وفي عام /٢٣٨هـ-٨٥٢م/ وفي عهد محمد بن عبد الرحمن الأوسط، بدأت تظهر دول الطوائف، لتصبح كل مدينة وريفها مملكة قائمة بذاتها، وقد بلغت هذه الظاهرة ذروتها قبيل نهاية الأندلس وسقوطها، فكان بعضها يتناحر مع بعض، بل ويتحالف بعضها مع الصليبيين ضد الممالك المسلمة الأخرى!!.

* وفي عام /٢٨٩هـ-٩٠٢م/ تشكَّل تحالف ثلاثي من المتمردين في "غرناطة" جنوبي الأندلس بقيادة ابن حفصون،(١) وإبراهيم بن الحجاج في "إشبيلية" جنوبي الأندلس، مع القوط الصليبيين شمالي غرب الأندلس. (٢)

* وفي عام /٢٩٥هـ-٩٠٨م/ تحالف الإفرنج (٣)الفرنسيون والقوط البرتغاليون والأسبان، فهاجموا تخوم الأندلس الشمالية، فصدَّهم المسلمون وأوقفوا زحفهم(٤).

* وفي عام /٣٠٢هـ- ٩١٥م/ قاد "أردينو الثاني" ملك ليون القوطي

(١) ابن حفصون: أصله قاطع طريق تمرد واستولى على مدن عدة، وأقام فيها إمارة له، واستعان بالصليبيين غير مرة ليحافظ على إمارته، بل إنه تنصَّر آخر عمره ليكسب ود الصليبيين ومناصرتهم له، ولكن الموت عاجله فقضى عليه، انظر:البيان المغرب، لابن عذاري، (١٣٩/٢)..

(٢) انظر: الخريطة رقم /٦/ في فهرس الخرائط.

(٣)الإفرنج: جزء من الشعوب الجرمانية التي استقرت في "غاليا" التي اشتق منها اسم فرنسا. انظر: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب،محمد العروسي المطوي،(ص/١٨٦).

(٤) الأندلس التاريخ المصور، السويدان، (ص/١٤٨) .

هجوماً كبيراً توغل فيه من شمالي الأندلس حتى بلغ وسطها، واستولى على مدينة "ماردة" ثم استولى على مدينة "بطليوس" فغنم منهما مغانم كثيرة وعاد إلى "ليون" مملكته.

* وفي عام /٣٠٥هـ-٩١٨م/ تحالف الصليبيان القوطيان "أردينو" ملك "ليون"، و"شانجا" ملك "نافار" شمالي الأندلس، وتوغلوا في الأندلس حتى وصلوا وادي طرسونة ثم مدينة "طليطلة" (وسط الأندلس)، فدخلوها وأعملوا فيها فساداً وهدماً لبيوتها وإحراقاً لمسجدها وإذلالاً لأهلها وسبياً لنسائها[١]..

* وفي العام نفسه هاجم "أردينو" ملك ليون القوطي إقليم "طلبيرة" وسط الأندلس واستولى عليه، وخرَّب مدنه وقُراه ونهبها وأحرقها.

* وفي عام /٣١١هـ-٩٢٣م/ هاجم "شانجة" ملك "نافار" مدينة "بقيرة" في الشمال، فاستولى عليها، وقتل حاميتها. [٢]

* وفي عام /٣١٨هـ-٩٣٠م/ قام تمرُّد في "طليطلة" واستعان قائد التمرد بملك ليون القوطي الجديد "راميرو" فأرسل له جيشاً لمساندته، ولكن هذا الجيش هزم من قِبل جيش عبد الرحمن بن محمد الناصر قبل أن يصل إلى "طليطلة".

* وفي عام /٣٢٣هـ-٩٣٥م/ وبينما كان جيش عبد الرحمن يتوجه إلى مملكة "ليون" لتأديبها وكسر شوكتها، ظهرت خيانة في مدينة "سرقسطة" بقيادة

---

(١) انظر: البيان المغرب، لابن عذاري، (١٧٢/٢). .

(٢) انظر: الأندلس-التاريخ المصور، د.طارق السويدان،، (ص/١٧٢وما بعدها).

محمد بن هشام التجيبي، وقدَّم الخائن الخضوع والولاء لملك ليون "راميرو الثاني" ودعا الحكام المسلمين في المناطق الغربية للانضمام إليه!!.. لكنه في عام /٣٢٦هـ/ وبعد هزيمته تاب وأصلح وجاهد مع عبد الرحمن الناصر.

* وفي عام /٣٢٦هـ-٩٣٨م/ ظهرت خيانة في مدينة "شنترين" غربي الأندلس، حينما تمرَّد أميرها أمية بن إسحاق، ولما هُزم فرَّ إلى مملكة "ليون" الصليبية وحارب المسلمين مع ملكها. !!..

* وفي عام /٣٢٧هـ-٩٣٩م/ هاجم ملك "ليون" "راميرو الثاني" جيش عبد الرحمن الناصر عند قلعة "سمورة" شمالي الأندلس، فهزمه وفرَّ عبد الرحمن وجنده. [١]

* وفي الفترة ما بين عامي /٤٠٠هـ-١٠١٠م/ و /٤٢٢هـ-١٠٣١م/ تمزقت الأندلس إلى تسع عشرة دويلة (عصر ملوك الطوائف)، في كل مدينة وما حولها مملكة، يحكمها ملك وأسرته، وكانت تلك الفترة الزمنية من أحلك الفترات التي مرت على الأندلس، وفي نهاية عام /٤٢٢هـ/ انتهت الخلافة الأموية في الأندلس[٢].

---

(١) المصدر السابق، (ص/١٨٨ومابعدها).

(٢) انظر: الخريطة رقم /٧/ في فهرس الخرائط.

دويلات الطوائف [1]			
الرقم	الدويلة	الحاكم	سنة الانفصال
١	بلنسية	المبارك والمظفر	٤٠٠هـ
٢	دانية والبليار	مجاهد العامري	٤٠٠هـ
٣	البونت	عبد الله بن القاسم	٤٠٠هـ
٤	أركش	بنو خزرون	٤٠٠هـ
٥	قرطبة	تناوب على حكمها بالانقلاب الأمويون وبنو حمدون وبنو جهور.	٤٠٣هـ
٦	ولبة	بنو البكري	٤٠٣هـ
٧	غرناطة	زادي بن زيري	٤٠٣هـ
٨	شنتمرية (سانتاماريا)	هذيل بن عبد الملك	٤٠٣هـ
٩	مورور	بنو تزيري	٤٠٣هـ
١٠	مرسية	خيرون العامري ثم بنو طاهر	٤٠٣هـ

(١) المصدر السابق، (ص/٢٥٧).

١١	قرمونة	أبو محمد بن برزال	٤٠٥هـ
١٢	المرية	خيرون العامري	٤٠٥هـ
١٣	رندة	بنو يفرون	٤٠٦هـ
١٤	سرقسطة	المنذر بن يحيى التجيبي ثم بنو هود	٤٠٨هـ
١٥	بطليوس	عبد الله بن محمد	٤١٣هـ
١٦	إشبيلية	محمد بن إسماعيل بن عباد	٤١٤هـ
١٧	لبلة	أحمد بن يحيى	٤١٤هـ
١٨	باجة	الحاجب بن محمد	٤٢٢هـ
١٩	طليطلة	بنو ذي النون	٤٢٢هـ
٢٠	بربشتر	يوسف بن سليمان	٤٣٨هـ
٢١	شنتمرية الغرب	بنو هارون	٤٠٧هـ

واستغل الصليبيون هذا الضعف والتمزق والصراعات الداخلية، فنجحوا باحتلال ثلث الأندلس الشمالي.

* وفي عام /٤٢٠هـ-١٠٢٩م/ قام "شانجة الكبير" القوطي ملك "نافار" أقصى شمالي وسط الأندلس بضمِّ مملكة "ليون" الواقعة أقص شمالي

غربي الأندلس وأعلن نفسه ملكاً على أسبانيا، وتولى الملك من بعده ابنه "فرديناند".

* وفي عام /٤٣٨هـ-١٠٤٧م/ استعان حاكم إشبيلية الخائن المعتضد بالله أبو عمرو –وكان سيِّئ الخُلق والدين- بملك الصليبيين في الشمال "فرديناند" فذهب إليه بنفسه ورضي أن يدفع له الجزية مقابل أن يحميه من حاكم قرطبة [١] .

* وفي عام /٤٤٩هـ-١٠٥٧م/ استغل "فرديناند" صراعات ملوك الطوائف، وزحف باتجاه مدينة "بازو" جنوبي نهر "دويرة" فاستولى عليها وانتهك الأعراض وسبى النساء والأطفال وأخذ الأسرى، وكان أهلها قد استنجدوا بحكام الطوائف ولكنهم لم يستجيبوا لاستغاثتهم!!..

* وفي عام /٤٥٦هـ-١٠٦٤م/ تقدَّم "فرديناند" نحو مدينة "قُلُمرية" واستولى عليها واستباحها [٢].

* وفي عام /٤٦٥هـ-١٠٧٣م/ جهز ملك أسبانيا والبرتغال الجديد "ألفونسو السادس" بعد موت أبيه "فرديناند" حملة صليبية ضخمة تجمعت من جميع الإمارات الصليبية وتوغلت في عمق الأندلس حتى بلغت مدينة "إشبيلية" في جنوبها، ولكنه لما علم أن المرابطين في المغرب سيرسلون نجدة لإنقاذ "إشبيلية" انسحب راجعاً.

---

(١) المصدر السابق، (ص/٢٥٤ ومابعدها).

(٢) المصدر السابق، (ص/٢٦٠ ومابعدها) .

* وفي عام /٤٧٢هـ-١٠٨٠م/ خلع أهل طليطلة حاكمهم الخائن لتخاذله، ولكنه استعان بألفونسو الملك الصليبي الذي أعاده إلى حكم "طليطلة" بعد عشرة أشهر.

* وفي عام /٤٧٤هـ-١٠٨٢م/ مات حاكم دويلة "سرقسطة" فانقسمت إلى دويلتين بين ابنيه المؤتمن والمنذر، ثم ما لَبِثا أن اقتتلا، كلٌّ منهما يريد ملك أخيه، فاستعان المؤتمن على أخيه بالصليبيين وانتزع ملكه!! [(١)].

* وفي عام /٤٧٨هـ-١٠٨٥م/ حاصر "ألفونسو" ملك صليبيي أسبانيا مدينة "طليطلة" حتى سقطت بيده، وقد أعطى العهود لأهلها ألا يمسَّهم بسوء وأن يحترم شعائرهم، ولكنه نكث بعهوده ووعوده، واضطهد أهلها، وحوَّل مساجدها إلى كنائس بعد استيلائه عليها، وقد مضى عليها أكثر من أربعمائة سنة تحت السيادة الإسلامية. وكان قد استولى قبل ذلك على "مدريد" [(٢)] وفي العام نفسه سقطت بيده "طلبيرة" و "شنتميرة" وسط الأندلس.

تعجب

من العجيب أن بعض الحكام الأذلاء لم يجدوا غضاضة في تسليم مدنهم لـ"ألفونسو"، بل إنهم لم يجدوا حرجاً أن يعملوا في خدمته، ويحاربوا المسلمين لمصلحته مقابل أن يجعلهم أمراء على المدن التي يُخضعونها لسلطانه!!..

---

(١) المصدر السابق، (ص/٢٦٩ومابعدها).

(٢) انظر: الكامل، لابن الأثير، (٨/٤٣٩ ومابعدها)، والحركة الصليبية. د.سعيد عاشور، (١/٧٣).

وهذا ما فعله القادر بالله حاكم "طليطلة" الذي أخضع "بلنسية" وجبى منها الأموال والضرائب ليدفعها إلى "ألفونسو" حتى يرضى عنه**!!** [(١)]..

* وفي عام /٤٧٩هـ-١٠٨٦م/ بدأت الأندلس تنهار أمام هجمات "ألفونسو" فاجتمع العلماء في "إشبيلية" التي يحكمها المعتمد بن عباد، وقرروا دعوة أمير دولة المرابطين في المغرب المجاهد **"يوسف بن تاشفين"** لمواجهة "ألفونسو" وحماية الأندلس من السقوط. وافق ابن عباد حاكم "إشبيلية"، والمتوكل حاكم "بطليوس"، وعبد الله بن حبوس حاكم "غرناطة" على دعوة العلماء.. بينما رفض حكام جنوب الأندلس قدوم "ابن تاشفين" بل إنهم أمروا بمنع سُفن جيش المرابطين من الرسُوِّ على شواطئهم، مع أن يوسف بن تاشفين قد أعطاهم العهود على ألا يهدد ممالكهم. كما رفض حاكم "سبتة" الواقعة شمالي المغرب السماح لجيش "ابن تاشفين" بالعبور في أرضه خلال توجهه إلى البحر ليعبر إلى جبل طارق**!!**..

ولكن "ابن تاشفين" أطاح بالمتخاذلين ، وعبر البحر، وزحف بجيشه نحو منطقة "الزلاقة"[(٢)].

* بدأ "ألفونسو السادس" ملك أسبانيا الصليبي بالتوجه نحو "الزلاقة" وكتب إلى البابا وإلى ملوك "فرنسا" و "أرغونة" وأمراء "جيليقية" و "نافار"..

(١) جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين والموحدين،د. محمد بن إبراهيم أبا الخيل، (ص/١٨٣ ومابعدها)..

(٢) انظر: الخريطة رقم /١٠/ في فهرس الخرائط.

فـأعلن البابـا "أوربـان الثـاني"[(١)] عـام /٤٧٩هـ-١٠٨٦م/ الحـرب الـصليبية المقدسة، فجاء الدعم من دول أوروبية عدة، وفي مقدمتها "فرنسا" وإيطاليا"، وأرسل البابا القساوسة والرهبان ليشدُّوا من أزر المقاتلين دفاعاً عن الصليب، فتجمَّع تحت قيادة "ألفونسو" خمسون ألف مقاتل رفعوا الصلبان والأناجيل، وبـايعوا علـى المـوت. بينمـا لم يتجـاوز جـيش "يوسـف بـن تاشـفين" خمـساً وعشرين ألفاً، والتحم الجيشان، ومن كثرة الـدماء بـدأت الخيـول تنزلـق، ومـن هنا سميت المعركة بـ"معركة الزلاقة"وقد ثبت المسلمون، وأظهر "ابن تاشفين" **ابن الثمانين عاماً** شجاعة وبراعة في خططه الحربية أدت إلى النصر العظيم. فانهزم "ألفونسو" ولم يتوقف حتى وصل إلى عاصمته "طليطلة" ولم يصل معه إلا مائة فارس من أصل خمسين ألف فارس.

اضطر "ابن تاشفين" إلى العودة إلى المغرب بعد شهر من معركة "الزلاقة" ، وعـاد ملوك الطوائـف إلى صراعاتهم مـن جديـد، لقـد أعمـت أبـصارهم شـهوة الحكـم، وبـدل أن يلاحقـوا "ألفونـسو" ويغتنمـوا فرصـة تـدمير جيـشه لتحريـر "طليطلـة" وبـاقي المـدن مـن قبـضته، بـدؤوا موجـة جديـدة مـن الـصراعات والمؤامرات!!.. [(٢)]

---

(١) هو البابا نفسه الذي أعلن الحروب الصليبية على بلاد الشام، بعد هذا التاريخ بعشر سنوات تقريبـاً، وهـو مـا يؤكـد أن الـدافع للحـروب الإفرنجيـة في بـلاد الـشام والأنـدلس تنطلـق مـن منطلقات صليبية واحدة.

(٢)انظر:الكامل، لابن الأثير، (٨/٤٤٥ ومابعدها)، والصراع بين العرب وأوروبا، د.عبد العظيم رمضان، (ص/٢٨٦ومابعدها).

* وفي عام /٤٨٠هـ-١٠٨٧م/ بدأ "ألفونسو" يجمع جيشاً ويبني حصناً متقدماً حشر فيه /١٣/ ألف مقاتل، لينقضَّ على دويلات الطوائف[١].

* وفي عام /٤٨٢هـ-١٠٨٩م/ دعا البابا "أوربان الثاني"، إلى حرب صليبية لمساندة مسيحيي "أسبانيا" في حربهم ضد المسلمين في الأندلس، فاستجاب لندائه كثير من المقاتلين في فرنسا، إذ لم تكن تلك الحروب إلا أعمالاً صليبية جليلة برأيهم[٢].

* وفي عام /٤٨٧هـ-١٠٩٤م/هاجمت عصابات "القنبيطور" الصليبية "بلنسية" وحاصروها أكثر من عشرين شهراً، حتى أكل أهلها الفئران والقطط، فاستنجدوا بحكام دويلات الطوائف ولكن ما من مجيب!!.. فانتشرت الأوبئة، وطلب أهلها الاستسلام بشرط الأمان في الأنفس والأموال، وفتحوا الأبواب للمهاجمين، ولكن العدو كعادته غدر بهم، فقتل الشباب ونكَّل بأهلها بشدة[٣].

*** وفي عام /٤٨٩هـ-١٠٩٦م/ بدأت جيوش الحملة الصليبية الأولى المشهورة تتحرك نحو شمال بلاد الشام.**

(١) الأندلس-التاريخ المصور، د.طارق السويدان، (ص/٢٩٢).

(٢) الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، محمد العروسي المطوي، (ص/١٩٠).

(٣) البيان المغرب، لابن عذاري، (٤/٣٢ وما بعدها).

المطلب الثاني: الحروب الصليبية التمهيدية على جبهة صقلية وبعض جزر البحر الأبيض المتوسط [1]

دام الحكم الإسلامي والحضارة الإسلامية في صقلية مايقارب/٢٧٢/ عاماً هجرياً، وتزامنت الحروب الصليبية عليها مع الحروب الصليبية التمهيدية على الأندلس، ولكنها سقطت بيد الصليبيين نهائياً قبل الإعلان عن الحروب الصليبية المشهورة بأربع سنوات، بينما استمرت الحروب الصليبية في الأندلس لمدة أطول بكثير..

وقد تعرضت صقلية وباقي جزائر البحر الأبيض المتوسط في القرن الخامس الهجري إلى هجمات صليبية متعددة ولكنها لم تكن ترقى لمستوى حملات كبيرة ذات شأن، وكانت تنتهي بالقتل والنهب والأسر والتخريب ثم العودة من حيث أتت..

- **دخول الإسلام إلى صقلية:**

* أول من غزا صقلية معاوية بن خديج الكندي عام (٣٢هـ-٦٥٢م) أرسله إليها معاوية ابن أبي سفيان والي الشام في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه [2]

* ثم تتالت عليها غزوات متفرقة في العصر الأموي، في الأعوام (٤٦-٤٩-٨٥-٨٦-١٠٢-١٠٥-١٠٩-١١٠-١١٢-١١٣-١١٤-١١٥-

(١) انظر: الخرائط رقم /١-٢-٣/ في فهرس الخرائط.

(٢) فتوح البلدان، للبلاذري، (ص/٣٩٢).

١١٦-١١٧-١١٨-١٢٢-١٣٠هـ) ثم غـزوة في العـصر العباسـي عـام (١٣٥هـ)[(١)] .

* ولم تُغز صقلية بعد ذلك بسبب الصراعات الداخلية شمالي أفريقيا حتى عام (٢٠٤هـ-٨١٩م)حينما غزاها محمد بن عبد الله الأغلب، مرسلاً من قِبل الأمير الأغلبي الثالث زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب[(٢)] .

* وأما غزوة فتح صقلية، فقد كانت في عام (٢١٢هـ-٨٢٧م) زمن الخليفة العباسي المأمون، بقيادة القاضي الفقيه المجاهد أسد بن الفرات، مرسلاً من الأمير زيادة الله بن الأغلب، فوصل ابن الفرات إلى مدينة "مارز" في صقلية، ومعه سبعون سفينة وعشرة آلاف مقاتل. وما إن بلغ حاكم صقلية نبأ نزولهم فيها، حتى زحف بجيش كبير، فتقدم أسد بن الفرات نحوه وحث جيشه على الجهاد، واشتبك الجيشان في مرج "بلاطة"، وانتصر المسلمون واستولوا على عدة حصون في صقلية.. وتابع ابن الفرات الزحف على المدن والحصون فحاصر "سرقوسة" ولكنه مرض أثناء ذلك، ثم وافته المنية عام (٢١٣هـ-٨٢٨م)[(٣)] .

* واستمر زحف المسلمين على المدن والحصون، واستمرت مقاومة البيزنطيين لهم، وتتالت الإمدادات لكِلا الطرفين، فلم يتحقق الفتح النهائي

---

(١) للتوسع انظر: الحياة العلمية في صقلية الإسلامية، د.علي بن محمد الزهراني، رسالة دكتوراة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، [١٤١٧هـ-١٩٩٦م]. (ص/٣٧ وما بعدها).

(٢) العبر، لابن خلدون، (٢٥٣/١).

(٣) الكامل، لابن الأثير، (٤٣٦/٥ وما بعدها)، والعبر، لابن خلدون، (١٩٩/٤).

لجزيرة صقلية إلا بعد سنين طويلة وحروب كثيرة، استمرت من سنة (٢١٢هـ-٨٢٦م) إلى (٢٨٩هـ-٩٠٢م) أي لمدة سبعة وسبعين عاماً هجرياً، قاد الجهاد خلالها دولة الأغالبة في تونس حتى أصبحت صقلية إسلامية، ودام حكمهم فيها حتى عام (٢٩٦هـ-٩٠٨م).

* ثم سقطت دولة الأغالبة على يد الفاطميين القادمين من المغرب، واستمرت الثورات والفتن في العهد الفاطمي من عام (٢٩٧هـ-٩٠٩م) إلى (٣٣٥هـ-٩٤٦م)، والتي يعود أغلبها إلى النزاع المذهبي بين أهل صقلية السُّنيين وحكامها الفاطميين، إلى أن استطاع الفاطميون القضاء على التمرد بالقوة العسكرية، وعملوا على نشر مذهبهم الشيعي الإسماعيلي بالقوة، وفي عام (٣٣٦هـ-٩٤٧م) أسند الخليفة الفاطمي المنصور ولاية صقلية للحسن بن علي الكلبي، وهو من كبار قادة الدولة الفاطمية، فقضى على الثورات وحكم الجزيرة بقوة، وبدأ بمواصلة القتال مع بقايا البيزنطيين عام (٣٤١هـ-٩٥٢م). [(١)] وبقيت الأسرة الكلبية الفاطمية تحكم صقلية /٩١/ عاماً حتى عام (٤٢٧هـ-١٠٣٥م) حيث اضطربت أحوال الجزيرة، وفشل آخر حكامهم وأساؤوا "واستولى الأراذل وانفرد كل إنسان ببلد"[(٢)].

- **بدء الحملة الصليبية على صقلية:**

* هكذا أصبحت صقلية تحت حكم ولاة متفرقين على طريقة ملوك

(١) العبر، لابن خلدون، (٤/٢٠٨ وما بعدها).

(٢) انظر: الكامل، لابن الأثير، (٨/٤٧٣)، العبر، لابن خلدون، (٤/٢١٠).

الطوائف في الأندلس.. وفي عام (٤٤٤هـ-١٠٥٢م) احتدم الصراع بين أمير "سرقوسة" و"قطانية" المعروف بابن الثمنة، من جهة وبين أمير "قصريانة" المعروف بابن الحواس، ودارت الحرب بينهما، ولما رأى ابن الثمنة تقدُّم ابن الحواس وغلبته استنجد بالصليبيين النورمان المقيمين جنوبي إيطاليا، وهان عليه أمر المسلمين وبلادهم، قائلاً للفرنج الصليبيين: "أنا أُملككم الجزيرة" [١]

* هكذا التجأ الأمير الخائن ابن الثمنة إلى "روجر النورماندي" قائد الصليبيين في جنوبي إيطاليا، ليستقوِي به على خصمه، فاستجاب له وقاد "روجر"[٢] حملة صليبية على صقلية ((بعد أن قام البابا بمباركة الحملة، وزودها براية مقدسة لتساعدها على تحقيق النصر على المسلمين على حد تعبيره، كما أصر على أن تكون الفتوحات في صقلية باسم المسيح، وأنها يجب أن تكون دائمة... مما ينفي أي مجال للشك في صليبية الحملة على صقلية[٣] فلم يلقوا من يدفعهم، فاستولوا على ما مروا به في طريقهم، وقصد بهم نحو قصريانة فحاصروها، فخرج إليهم ابن الحواس فقاتلهم فهزمه الصليبيون، فرجع إلى الحصن ورحلوا عنه، وساروا في الجزيرة واستولوا على مواضع كثيرة، وفارقها كثير من أهلها من العلماء والصالحين.. وحاول المعز بن باديس الزيري أمير الدولة الزيرية في تونس أن يُنجد المسلمين في صقلية، فهاج

---

(١) انظر: الكامل، لابن الأثير، (٨/٤٧٣)، العبر، لابن خلدون، (٤/٢١١).

(٢) بالمصادر التاريخية القديمة "رجار" .

(٣) انظر: الحروب الصليبية في شمال أفريقية، د.ممدوح حسين، (ص/١٣٦).

البحر على أسطوله وغرق أكثر الجند ولم ينجُ إلا القليل... فملك (الصليبيون) الفرنج حينئذٍ أكثر البلاد على مهل وتؤدة لا يمنعهم أحد)).

* ومات المعز وخلفه ابن تميم، فبعث أسطولاً إلى صقلية، وقدم عليه ولداه، ولكن ابن الحواس خاف على ملكه فقاتلهم حتى قُتل، ثم ازدادت الفتن بين الناس، واشتعلت الثورات، فرجع ولدا تميم إلى تونس عام (٤٦١هـ-١٠٦٨م) ولم يبق للصليبيين ممانع ، فاستكملوا الاستيلاء على صقلية عام (٤٨٤هـ-١٠٩١م) [١] .

* وهكذا نجحت الحملة الصليبية في الاستيلاء على صقلية بعد أن حكمها المسلمون أكثر من قرنين ونصف، وكان سقوطها قبل إعلان البابا "أوربان الثاني" بدءَ الحملة الصليبية على بلاد الشام بأربع سنوات [٢] .

---

(١) الكامل، لابن الأثير، (٤٧٣/٨ وما بعدها).

(٢) للتوسع انظر:

- الكامل في التاريخ، لابن الأثير.
- فتوح البلدان، للبلاذري.
- البيان المغرب، لابن عذاري.
- نهاية الأرب، للنويري.
- كتاب العبر، لابن خلدون.
- صقلية وعلاقتها بدول البحر المتوسط، تقي عارف الدوري.
- العرب في صقلية، د.إحسان عباس.
- المسلمون في صقلية وجنوب إيطاليا، د.أحمد توفيق المدني.
- تاريخ صقلية الإسلامية، د.عزيز أحمد.

=

* وعندما احتل الصليبيون النورمانديون صقلية أدهشتهم الحضارة الإسلامية فيها، ورقيها في جوانب الحياة كافة. حتى بدا الفرق بينها وبين الدول الأوروبية شاسعاً جداً، في جميع المجالات العمرانية والتجارية والزراعية والعلمية والفنون والآداب.. لقد سقطت صقلية وفيها، كما قال ابن حوقل، أكثر من ثلاثمائة مسجد، ومدرسون بالمئات، وقد استلزمت كثرة المساجد كثرة الدراسة وسعة التعليم، مما جعل بعض الباحثين يؤكدون أن صقلية الإسلامية لم يكن فيها شخص أمي... ويكفيها أن العالم الجغرافي الشهير "الإدريسي" كان مقيما فيها ورسم العديد من الخرائط، كما ألف فيها كتابه الشهير "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، كذلك ترجم المجسطي فيها كتاب البصريات، ودُرست فيها مؤلفات الفيلسوف ابن رشد [1] .

- **حملات أخرى على جزر البحر الأبيض المتوسط.**

*** الاستيلاء على جزيرة مالطة:**

سماها اليونانيون "مليته" وسماها المسلمون "مالطة"، دخلتها المسيحية عام

- تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، الأمير شكيب أرسلان، دار الكتب العلمية بيروت، [١٣٥٢هـ-١٩٣٣م].
- اتعاظ الحنفا، للمقريزي.
- تاريخ الدولة الفاطمية، د.حسن إبراهيم حسن.
- الدولة الفاطمية في مصر، محمد جمال الدين سرور.
- سياسة الفاطميين الخارجية، محمد جمال الدين سرور.

(١) للتوسع انظر: الحياة العلمية في صقلية الإسلامية، د.علي بن محمد الزهراني، (ص/١٦١ وما بعدها).

(٥٨) للميلاد، على يد بولس، ودخلها الإسلام عام (٢٥٥هـ-٨٦٩م) في عهد سلطان تونس محمد بن أحمد بن محمد بن الأغلب، وأما لغتها فهي مشتقة من العربية على أرجح أقوال المؤرخين.

ثم قام الأمير الصليبي "روجر الثاني" بالاستيلاء عليها بعد عام (٤٨٤هـ-١٠٩١م)، أي بعد استيلائه على صقلية ، وشكَّل منهما مملكته. [١]

* الاستيلاء على جزر أخرى:

وكان المسلمون قد ملكوا جزائر البحر الأبيض المتوسط، وسيطروا عليه سيطرة كاملة، حتى أن ابن خلدون ذكر إن الإفرنج الصليبيين سحبوا أساطيلهم نحو سواحلهم لا يعتدونها، بينما المسلمون يسرحون ويصولون بأساطيلهم البحر لا يستطيع أحد أن يقف في مواجهتهم.

((والمسلمون خلال ذلك كله قد تغلبوا على كثير من لجة هذا البحر وصارت أساطيلهم فيهم جائية وذاهية والعساكر الاسلامية تجيز (تجتاز) البحر في الأساطيل من صقلية إلى البر الكبير المقابل لها من العدوة الشمالية فتوقع بملوك الإفرنج وتثخن في ممالكهم كما وقع في أيام بني الحسين ملوك صقلية القائمين فيها بدعوة العبيديين وانحازت أمم النصرانية بأساطيلهم إلى الجانب الشمالي الشرقي منه من سواحل الإفرنجة والصقالبة وجزائر الرومانية

---

(١) انظر: الواسطة في معرفة أحوال مالطة، أحمد فارس الشدياق، (ص/٨ وما بعدها، و ٥٦ وما بعدها)، والكامل، لابن الأثير، (١٤٥/٦) و (٤٧٤/٨).

لايعدونها وأساطيل المسلمين قد ضربت عليهم ضراء الأسد على فريسته وقد ملأت الأكثر من بسيط هذا البحر عدةً وعدداً، واختلفت في طرقه سلماً وحرباً، فلم تظهر للنصرانية فيه ألواح حتى إذا أدرك الدولة العبيدية والأموية الفشل والوهن وطرقها الاعتلال مدَّ النصارى أيديهم إلى جزائر البحر الشرقية مثل صقلية وإقريطش ومالطة فملكوها)) [١].

ففي عام /٣٣هـ- ٦٥٣م/فتحت جزيرة قبرص في عهد معاوية ﷺ [٢] .

وفي عام / ١٩١هـ-٨٠٦م/ فتحت جزيرة كورسيكا [٣].

وفي عام /٢١٢هـ-٨٢٧م/ فتح أهل الربض بقيادة أبي عمر حفص بن عيسى الأندلسي جزيرة كريت (اقريطش)، وهم الذين خرجوا من الأندلس في عهد الحكم بن هشام، وبقيت أكثر من قرن تحت حكم المسلمين، إلى أن استولى عليها الإمراطور رومانوس الثاني عام /٣٥٠هـ-٩٦١م/ [٤] .

---

(١) انظر: العبر، لابن خلدون، (١/٢٥٤).
(٢) انظر: الصراع بين العرب وأوروبا، (ص/٧٠)..
(٣) انظر: المصدر السابق، (ص/١٨٢).
(٤) انظر: المصدر السابق، (ص/١٨٤)

المطلب الثالث: الحروب الصليبية التمهيدية على جبهة شمالي أفريقيا.

- **الحملة الصليبية على المهدية في تونس:** [1]

* نفذت الحملة بدعوة من البابا "فيكتور الثامن" الذي شاركت كتائبه بقوات تحمل رايات البابوية، وقام بتعيين قائد الحملة بنفسه، وقد شارك في هذه الحملة أُسقف "مودينا" ويؤكد "روبرت لوبيز" أن المهاجمين كانوا مشحونين بالتعصب الديني ضد المسلمين الكفرة، وأن حملتهم كانت صورة مصغرة عن الحملة الصليبية على المشرق.

* ففي عام (٤٨٠هـ-١٠٨٧م) قامت قوات المدن البحرية الإيطالية بتأييد ومشاركة من البابوية، بالهجوم على المهدية بثلاثمائة سفينة تحمل ثلاثين ألف جندي[2] فقد نزلت قوات الحملة في "الزويلة" المجاورة لمدينة المهدية، فاستولت عليها، ثم هاجمت المهدية واستولت عليها، باستثناء قلعتها، وقد استباح الصليبيون المدينة فقتلوا ودمروا ونهبوا وأسروا حتى غصَّت سفنهم بالأسرى والأسلاب.. [3] ثم عرض أمير المهدية "تميم" الذي تحصَّن بالقلعة على الصليبيين التفاوض لعقد الصلح، فاستجابوا له، لعجزهم عن إبقاء المدينة

---

(١) انظر: الخريطة رقم /٢/ في فهرس الخرائط.

(٢) العبر، لابن خلدون، (٦/١٦٠)، والحروب الصليبية في شمال أفريقيا، د.محمد حسين، (ص/١٣٩ وما بعدها).

(٣) الكامل، لابن الأثير، (٨/٤٥٥)، والبيان المغرب، لابن عذاري، (١/٣٠١).

تحت سيطرتهم، ولعلمهم بوصول النجدات لاحقاً لإخراجهم من المدينة.

فانعقد الصلح على شروط أهمها:

١- حصل الصليبيون على فدية مالية ضخمة.

٢- فتح أبواب الإمارة لتجارهم.

٣- إطلاق جميع أسراهم، في حين عادت سفنهم محملة بأسرى المسلمين.

٤- تعهد "تميم" بعدم تعرض قواته البحرية لسفنهم في المياه الأفريقية.

وبذلك فشلت الحملة الصليبية عسكرياً، فلم تستطع الاحتفاظ بأي موقع على الأرض، ولكنها حققت بعض المكاسب الاقتصادية لصالح الغزاة [1].

المطلب الرابع: الحروب الصليبية التمهيدية - البيزنطية الأرثوذوكسية الشرقية- على جبهة بلاد الشام.

١- واقع جبهة بلاد الشام قبل العدوان الصليبي:

خلال الحروب الصليبية البيزنطية التمهيدية في جبهة بلاد الشام، كان العالم الإسلامي ممزقاً على النحو التالي:

* **بغداد وما حولها**، يتنازع عليها البريديون والحمدانيون والأتراك وبنو بويه، وبينهم الخليفة العباسي يتناهبونه وليس له من منصبه إلا الاسم.

---

(١) الحروب الصليبية في شمال أفريقيا، د.محمد حسين، (ص/١٤٤ وما بعدها).

* **الأندلس**، بيد الأمويين الذين فروا من العباسيين.
* **المغرب الأقصى والجزائر وتونس وليبيا**، بيد الفاطميين.
* **مصر وبلاد الشام وبلاد الحجاز**، بيد الإخشيديين.
* **الموصل وحلب**، بيد الحمدانيين.
* **البحرين**، بيد القرامطة.
* **خراسان وما وراء النهر**، بيد السامانيين.
* **طبرستان وجرجان**، بيد الديلم.
* **فارس وأصبهان والري وهمذان والعراق والأهواز وكرمان**، بيد البويهيين.
* **خوزستان**، بيد البريديين.

تعجب

العجيب أن حكام المسلمين في بلاد الشام والعراق ومصر لم يلتفتوا إلى هذه الهجمة الصليبية الكبيرة ، لأنهم كانوا مشغولين بالصراع فيما بينهم .. لقد تنازعوا ففشلوا وذهبت ريحهم وانهار سلطانهم ، وأساؤوا لأنفسهم ولدينهم وللمسلمين..

فالحمدانيون شمال بلاد الشام يتقاتلون مع الإخشيديين المسيطرين على مصر ووسط وجنوب بلاد الشام ، وكذلك مع بني بويه المسيطرين على العراق وفارس وأصبهان وهمذان وكرمان.. ثم سيطر الفاطميون على مصر وبلاد الشام وأزاحوا الإخشيديين والحمدانيين ، وتفرغوا لهذه الصراعات بهدف السيطرة على الحكم ، ولم يلتفتوا إلى الأعداء البيزنطيين..

وقائع العدوان البيزنطي الصليبي:

* في بداية العقد الثالث من القرن العاشر الميلادي والرابع الهجري، أدركت الإمبراطورية البيزنطية في شمال بلاد الشام، أن التمزق والتفتت والصراعات قد أنهكت الخلافة العباسية، ولم يَعد البيزنطيون يواجهون دولة واحدة قوية بقيادة واحدة، بل يواجهون دولاً ضعيفةً متنافرةً متصارعةً سياسياً ومذهبياً.

* ولذلك بدأت الإمبراطورية البيزنطية في عام /٣٢١هـ-٩٣٣م/حربها الصليبية بمهاجمة أطراف الدولة الإسلامية، انتقاماً من المسلمين لما ألحقوا ببيزنطة من خسائر خلال ثلاثة قرون، ولم يأت عام /٣٥٥هـ-٩٦٥م/ حتى استولى البيزنطيون على مناطق مهمة، مثل غربي تركيا وملطية وميافارقين ومرعش وطرسوس وديار بكر وسميساط وجزيرة كريت وقيليقية وعين زربة وسيس وعين تاب ومنبج وجزيرة قبرص..

* ووجه "نقفور" الإمبراطور البيزنطي إلى الخليفة العباسي المطيع إنذاراً يفيض بالروح الصليبية ويهدده بهدم الكعبة ونشر المسيحية في الشرق والغرب.

* ثم بدأ "نقفور" بالإغارة على بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام عام /٩٦٦م/ وما بعده، فهاجم أنطاكية وخرَّب بلادها ونهبها، وكذلك معرة النعمان وكفرطاب وشيزر، ثم استولى على حماة وحمص وأحرقهما، ثم توجه إلى الساحل فاستولى على جبلة وعرقة وانطرطوس (طرطوس) وأخذ آلاف الأسرى وعاد بهم إلى القسطنطينية، ثم استولت قوة بيزنطية على أنطاكية عام /٩٦٩م/وطردت أهلها المسلمين، وأحلت مكانهم المسيحيين، وفي عام /٩٧٠م/ استولى البيزنطيون على ملاذكرد، وطردوا المسلمين منها.

* وما إن جاء عام /٣٦٥هـ-٩٧٥م/حتى دخلت أنطاكية وحلب وحماة وحمص ودمشق تحت التبعية للإمبراطورية البيزنطية، ومن دمشق توجهت الحملة الصليبية البيزنطية نحو بيت المقدس تحت قيادة الإمبراطور البيزنطي "حنا الشمشيق" بالتحالف مع ملك أرمينية "آشوت الثالث" ، وزحفت الجيوش قاصدة بيت المقدس، فوصلت إلى طبرية، ومنها إلى عكا، وسقطت قيسارية، وكان الإمبراطور البيزنطي قد أخضع بيروت وصيدا، وبلغ أقصى نقطة وصل إليها مرج ابن عامر ثم لم يكمل الزحف باتجاه بيت المقدس بل عاد إلى القسطنطينية(١) .

* وهذا أوسع إنجاز حققته الحملة الصليبية الشرقية لتبدأ بعدها الحملات الصليبية الغربية المشهورة.

المطلب الخامس: صناع النصروالمدافعون عن الرسالة والرسول ﷺ والمسلمين، ضد الحروب الصليبية التمهيدية.

أولاً: صناع الصحوة والمدافعون من العلماء.

١- على جبهة بلاد الشام:

لم يظهر خلال الحرب الصليبية البيزنطية التمهيدية على بلاد الشام علماء أفذاذ يمتلكون الوعي السياسي اللازم، والوعي الشرعي الواجب، لتحصين الأمة من أمراض التخلف والتمزق وترك الجهاد لنصرة الإسلام

---

(١) للتوسع انظر: الحركة الصليبية، د.سعيد عاشور، (٥٨/١ وما بعدها).

والدفاع عن الأرض الإسلامية بل كان الشغل الشاغل للعلماء خلال هذه المحنة وما سبقها التنافسات المذهبية والمناكفات الفقهية والتعصب المقيت والتخلف الفكري.

وظهرت فرق التأويل الباطني مثل "إخوان الصفا "، وانتشرت علوم الفلسفة والمنطق والكلام والتنجيم، وقد أولى أمراء بني بويه عناية فائقة بالمختصين بهذه العلوم ..

وقد حفلت مجالس البويهيين على الدوام بحضور العديد من المعتزلة والفلاسفة والمنطقيين وغيرهم لخدمة أمراء بني بويه، الذين فرطوا بحماية حدود الدولة الإسلامية ..

واجتمع التناحر المذهبي بين الفقهاء، والصراع الفلسفي بين المتكلمين، مع التمزق والتناحر بين الحكام والسلاطين ..

إضاءة

أضيف البلاء إلى البلاء، بلاء الصراعات بين الحكام، وبلاء التناحر المذهبي بين أصحاب المذاهب، حتى غرق المسلمون بالضعف العسكري والتخلف الفكري والاقتصادي والسياسي..، واستنفدت طاقات الأمة بالصراعات، وأهملت قضايا الاجتهاد في بناء نهضة الأمة وقوتها ووحدتها وقدرتها على مواجهة أعدائها.

٢- على جبهة بلاد الأندلس :

كان الحال مختلفاً وظهر فئة من علماء الصحوة الذين أدوا دوراً عظيماً في الدفاع عن الأمة ..

فقد اشتد العدوان الصليبي على جبهة الأندلس ، وبدأ انهيار وسقوط بعض ملوك الطوائف أمام زحف الجيوش الصليبية، لأن هؤلاء الحكام كانوا مشغولين بالصراع على الملك والحكم والمصالح ، وخانوا دينهم وشعوبهم، وأعمتهم شهوات الدنيا وبهارجها وزينتها، حتى أن بعضهم تحالف مع الصليبيين ضد إخوانهم المسلمين ليحافظوا على ملكهم!!..

حقيقة

لما جاء دور الخونة ما أغنى عنهم خضوعهم وذلتهم وعمالتهم لأعداء المسلمين من الصليبيين، فاكتسحوهم وأذلوهم بين قتيل وطريد. **وماأشبه اليوم بالأمس!!..**

أهم إنجازات علماء الصحوة في الأندلس:

في تلك الأحوال البائسة هب صناع الصحوة من العلماء الربانيين ، المدافعين عن الرسالة والرسول ﷺ:

١- يوقظون الأمة، ويحرضون المسلمين، ويشدون من عزائمهم ومعنوياتهم، ويحثونهم على الجهاد ضد الصليبيين..

٢- يعملون على توفير احتياجات الجهاد من الرجال والسلاح والأموال، وينفقون من أموالهم، ويحثون الآخرين على ذلك...

٣- يجمعون الصفوف، ويوحدون كلمة المسلمين، ويحاربون التفرق والتشرذم، ويجاهدون لتوحيد الأندلس..

٤- يتصلون بحكام المغرب ويحثونهم على مساعدة الأندلس في دفع الصليبيين الطامعين، وإسقاط حكام الممالك المتشرذمة، وتوحيد الأندلس مع

المغرب أمة واحدة تحت راية الجهاد الحق...

٥- يقفون في وجه الحكام المؤثرين لمصالحهم الشخصية، ويطردون المتخاذلين منهم، ويؤيدون المجاهدين والمخلصين..

٦- يشاركون مع الحكام المجاهدين بالمعارك الحربية، ويساهمون في توعية الجنود وتحريضهم على الجهاد، والقتال معهم في الصفوف الأولى حتى نيل الشهادة في سبيل الله تعالى.

٧- يقدمون النصيحة والرأي الراجح للحكام المجاهدين، ويشاركون في الشورى وتقديم الفتاوى الشرعية في المسائل المتجددة.

٨- يطالبون الحكام بتطبيق الشريعة، وإقامة العدل، والاهتمام بمصالح المسلمين.

٩- يحافظون على الهوية الإسلامية أمام الغزو الصليبي، ويحمونها من كل ما يتسلل إليها من العادات والتقاليد والمؤثرات الداخلية والخارجية.

١٠- يتصدون للعدوان الفكري الصليبي، ويصدرون المؤلفات والرسائل للرد على الشُّبه والافتراءات، لتثبيت عقيدة المسلمين وحمايتهم من الزيغ، وكذلك من خلال خطب الجمعة والدروس العامة.

١١- يصدرون المؤلفات والفتاوى والرسائل والأشعار المتضمنة لأحكام الجهاد، وضرورة التوحد في مواجهة أعداء الأمة، والإصلاح الداخلي، وشحذ العزائم، وتحريض المسلمين نحو نهوضهم.

١٢- يقودون المعارك بأنفسهم عند تخاذل الحكام..

١٣- يقودون انتفاضة الشعوب، لطرد الحكام المتخاذلين.

١٤- يشاركون في قيادة الدفاع عن المدن، أثناء حصارها من الصليبيين، واستخدام مكانتهم لطلب النجدات من المدن المجاورة، والقتال مع المدافعين حتى الشهادة..

١٥- يستنفرون للتصدي للفتن الداخلية..

١٦- يُصلحون ذات البين، ويؤلفون القلوب..

ومن أشهر هؤلاء العلماء الربانيين المجاهدين ..

- **العالم الجليل " المنذر بن سعيد" ناصح الحكام:**

بنى الأمير "عبد الرحمن الناصر" أشهر خلفاء الأندلس، أعظم القصور في عصره على مستوى العالم، فقد أقام قصر الزهراء المرصع بالذهب والفضة والجواهر والرخام النادر.. فكان القصر يُدهش كل من رآه.. بدأ به عام /٣٢٥هـ/ وانتهى بناؤه عام /٣٦٥هـ/ أي بعد أربعين عاماً..

وفي أحد الأيام جمع الأمير حاشيته والمقربين من وجوه الناس وسألهم: ((هل رأيتم أو سمعتم ملكاً كان قبلي فعل مثل ما بنيت أو قدر عليه؟ قالوا: – **وهذا شأن البطانة التي توافق الحكام على كل حال–** : لا والله وإنك لأوحدُ في شؤونك كلها، ما سبقك إلى هذا ملك رأيناه، ولا انتهى إلينا خبره. إلى أن دخل (**الشيخ) المنذر بن سعيد،** فوجه إليه الناصر السؤال ذاته، فسال الدمع على لحية الشيخ القاضي، وقال: لا والله يا أمير المؤمنين ما ظننت أن الشيطان –لعنه الله– يبلغ منك هذا المبلغ ولا أن تمكن من قيادتك هذا التمكين، مع ما آتاك الله من فضله ونعمه وفضَّلك به على العالمين. حتى

يُنزلك منازل الكافرين، فغضب الخليفة غضباً شديداً، وردَّ بجفاء: انظر ماذا تقول، كيف تجعلني مع الكافرين وكيف أنزلني الله منزلتهم؟ قال المنذر: نعم، أمَا يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سورة الزخرف]. فوجم الخليفة، وأطرق رأسه ملياً، وغلبه البكاء خاشعاً، فأقبل على القاضي يقول: جزاك الله عنا وعن نفسك وعن المسلمين خيراً، وعن الدين والمسلمين أجل جزائه، وكثَّر من أمثالك، ما قلتَه هو الحق، وأمر بنقض الذهب والفضة عن السقف وأعاده تراباً على مثيل سقف غيره، وهو يستغفر الله تعالى، وندم ندماً شديداً على ما أنفق في السقف))[1].

إضاءة

العلماء الربانيون ينصحون الحكام، فيدفعون المفاسد ويستجلبون المصالح للأمة، لا يبتغون في ذلك إلا وجه الله تعالى، لا يُمارون، ولا يُداهنون، ولكنهم يُدارون، وأكبر همهم تحقيق مصالح الأمة ووحدتها وقوتها والنصر على أعدائها.

- **العالم الجليل " أبو الوليد الباجي " :**

فقيه مشهور، له مصنفات عديدة ، كان يُفند مزاعم النصارى ويقف في وجه حربهم الصليبية الفكرية ضد المسلمين..

ولد في الأندلس عام (٤٠٣هـ) ودفن فيها عام (٤٧٤هـ) . وبقي

(١) انظر: الأندلس التاريخ المصور، د.طارق السويدان، (ص/١٦٥).

ثلاثين عاماً يطوف الأندلس من مشرقها إلى مغربها وهو يدعو إلى توحيد الصفوف ونبذ الخلافات، وترك الشهوات والمطامع، وتشكيل جبهة واحدة قوية، للوقوف في وجه العدوان الصليبي المتصاعد، والذي قضم أجزاء كبيرة من الأندلس ..

ظل يتجول في الأندلس ويدعو الحكام والمحكومين الى الوحدة والجهاد في سبيل الله، والدفاع عن الأرض الإسلامية وحماية الأعراض والأموال والأرواح التي كان يحصدها الصليبيون حصداً في كل مكان يجتاحونه ..

أظهر الحكام ترحيبهم بدعوته نظرياً، ولكنهم تمسكوا بمصالحهم وأهوائهم وشهواتهم وملكهم عملياً ولم يلتفتوا إلى دعوته ولم يستجيبوا لندائه !! .

فسقطت مدينة " قلمرية " عام (٤٥٦هـ -١٠٦٤م) بيد "فرديناند"، ثم سقطت مدينة "بربشتر" في العام نفسه بيد النورمان والفرنسيين في شمالي شرق الأندلس بعد تخاذل ملوك الطوائف عن الدفاع عنها ، فقتل فيها من ٤٠ الى ١٠٠ ألف مسلم ومسلمة أمام أعين أهلهم وسبوا أكثر من خمسة آلاف فتاة قدموهن هدية لإمبراطور القسطنطينية ..

انتفض العالم الجليل في وجه الحكام المتخاذلين وبدأ يحرض الشعب على الجهاد في سبيل الله بقيادة علمائه بعد أن تخاذل الحكام . فاستجاب العلماء لدعوته ، وآزروه في جهاده ، وتحركوا بحركته ..

وكان منهم العالم الشهير " **ابن حزم الظاهري** " الفقيه الحافظ ..

وكان منهم شيخ الإسلام "**ابن عبد البر**" أحفظ أهل المغرب ومحدثهم صاحب التصانيف التي عمت المشرق والمغرب .

ونجح العلماء المجاهدون بقيادة العالم الجليل "أبو الوليد الباجي " فجمعوا ستة آلاف مقاتل ، وارتفعت صيحات الجهاد في سبيل الله ، وساروا عام (٤٥٧هـ-١٠٦٥م) إلى مدينة "بربشتر" التي احتلها وانتهكها النورمان والفرنسيون والتقى جيش المتطوعين الصغير بقيادة العلماء على أبواب المدينة ودار قتال ضار وقتل في المعركة أعداد كبيرة من الصليبيين وأسر الباقون وعادت "بربشتر "إلى حكم المسلمين !! [1].

هكذا جيش قليل مع التوحد وعقيدة إسلامية استشهادية صحيحة ينتصر .. وقبل ذلك أربعون ألفاً أو يزيدون يقتلون في نفس المدينة عندما تخلوا عن الجهاد في سبيل الله، فانظر وقارن بين دور العلماء المجاهدين ودور الحكام المتخاذلين ..

حقيقة

إذا اجتمع العالم المخلص والحاكم المجاهد فستكون نهضة الأمة حقيقة رائعة وملموسة ..

وبعد هذا النصر، عادت الهزائم بعودة الحكام إلى صراعاتهم، ففي عام (٤٧٤هـ-١٠٨٢م) جرى صراع بين حكام "سرقسطة"-وهي في شمال

(١) المصدر السابق، (ص/٢٥٨ ومابعدها)..

الأندلس– فتقاتل المؤتمن مع أخيه المنذر،واستعان المؤتمن بالصليبيين على أخيه مقابل دفع المال والتنازل عن بعض الحصون لهم[1] .

شعر العالم الجليل بالحزن والأسى على ما آلت إليه أحوال ملوك الطوائف ، فدعا علماء المسلمين إلى اجتماع، وبين لهم أنه لا فائدة من الاعتماد على هؤلاء المتخاذلين ودعاهم إلى إرسال وفد إلى دولة المرابطين في الغرب لإغاثة إخوانهم في الأندلس ، فأصابت نظرته وأثمرت دعوته، ولكنه أسلم الروح إلى بارئها قبل أن يقطف ثمار جهاده ..

■ جهود العلماء بعد وفاة "الباجي" :

انطلق وفد العلماء عام (٤٧٤هـ) في العام نفسه الذي توفي فيه العالم الجليل "أبو الوليد الباجي"، إلى المغرب الأقصى لمقابلة أمير المرابطين" يوسف بن تاشفين" ودعوته لإغاثة أهل الأندلس قبل أن يقضي عليهم الصليبيون .

فاستجاب لهم وبدأ بالاستعداد للمهمة العظيمة ، وكيف لا وهو الحاكم الورع المجاهد، الذي لا تقل إنجازاته في مغرب العالم الإسلامي عن إنجازات الملك الناصر المجاهد صلاح الدين الأيوبي في مشرقه..

هكذا إذا اجتمعت جهود العلماء المخلصين مع جهود الأمراء المجاهدين ، فإن النصر لا بد آت ..

---

(١) المصدر السابق، (ص/٢٦٩ومابعدها) .

ولكنَّ الحكام المتخاذلين عارضوا فكرة مجيئ الأمير المجاهد ابن تاشفين إلى الأندلس خوفاً على سلطانهم ، مع أن ابن تاشفين أعطاهم الأمان على ممالكهم !! ..

فاجتمع العلماء عام (٤٧٩هـ) في إشبيلية وقرروا إرسال وفد آخر إلى "ابن تاشفين" يحثه على إغاثة أهل الأندلس ولو اقتضى الأمر إزاحة هؤلاء الحكام المتخاذلين عن ممالكهم ..

ووافق على الجهاد مع ابن تاشفين الشرفاء من الحكام أمثال ابن عباد حاكم اشبيلية والمتوكل حاكم "بطليوس " وحاكم غرناطة ..

وعبر المجاهد "يوسف ابن تاشفين" وأزاح المتخاذلين، وتحقق النصر على يديه ضد الصليبين بفضل جهاده ودعم العلماء وجهادهم معه ..

فقد رافق العلماء جيش المجاهدين وحثوهم على الثبات والصبر ، وشجعوهم ورفعوا معنوياتهم وقاتلوا إلى جانبهم ، **فاستشهد قاضي مراكش "المصمودي" ، واستشهد العالم الفقيه "أبو رافع الفضل بن حزم"** ..

وكان العالم الجليل فقيه المسلمين "**ابن رميلة**" قد رأى قبل المعركة في نومه النبي صلى الله عليه وسلم وبشره بالنصر والفتح كما بشره بالشهادة ، فلما انتشرت الرؤيا بين الجند اشتدت عزائمهم وقويت معنوياتهم ، وعلت هممهم في طلب الشهادة .. واستشهد العالم الجليل "ابن رميلة" وتحقق النصر كما

بشر به رسول الله ﷺ[1] .

وجاء الدعم إلى المجاهد "**يوسف ابن تاشفين**" من علماء المشرق ، الذين لا يغفلون عن أحوال الأمة ولو بعدت المسافات ، والذين يهتمون بشؤون المسلمين ولا يتلهون عنها ويتفرجون ..

فقد اجتمع عالمان جليلان من أعظم علماء المسلمين .. الإمام "**أبو حامد الغزالي**" والعالم الجليل "**أبو بكر الطرطوشي**" وأرسلا إلى "ابن تاشفين" بفتوى يدعوانه بها إلى خلع الحكام المتخاذلين اللاهثين وراء مصالحهم ، وتوحيد الأندلس ومواجهة الصليبيين ودحرهم.. ونصحوه أن يحكم بالحق وفقاً لكتاب الله وأن يشفق على الرعية شفقته على أهله .[2].

فاستجاب "ابن تاشفين" وعبر إلى الأندلس للمرة الثالثة عام (٤٨٣هـ-١٠٩٠م)، أي قبل إعلان الحروب الصليبية على بلاد الشام بخمس سنين ..

- **محاسبة وعزل الخونة من الحكام :**

* في عام (١٦٤هـ-٧٨١م) تمرد سليمان بن يقظان الأعرابي في سرقسطة عاصمة الشمال ، على الخليفة عبد الرحمن الداخل ، وتحالف مع "شارلمان" إمبراطور ألمانيا وفرنسا ، ضد "الداخل" مقابل أن يسلمه منطقة شمال الأندلس وعاصمتها سرقسطة فقام العلماء يحرضون الشعب ضد

---

(١) المصدر السابق، (ص/٢٨٠ وما بعدها).

(٢) انظر: جهود علماء الأندلس،د. محمد بن إبراهيم أباالخيل، (ص/ ١٩٤ ومابعدها)..

الخائن، واستطاعوا أن يخلعوه وينصبوا مكانه الحسين بن يحيى الذي قاد المقاومة الضارية ضد شارلمان حتى ارتد عن سرقسطة (١)..

* وفي عام (٤٨٧هـ-١٠٩٤م) قام القادر بالله حاكم طليطلة بتسليمها لزعيم الصليبيين "ألفونسو السادس" وعمل تحت قيادته ، ثم توجه بأمر منه إلى "بلنسية" فبسط سيطرته عليها وأرهق أهلها بالضرائب التي كان يرسلها إلى "ألفونسو" ليرضى عنه !! ..

وضاق أهل "بلنسية" بهذا الحاكم الظالم الخائن ، فقام قاضي المدينة وعالمها المعروف **"بابن جحاف"** بالاتصال بالمرابطين للتخلص من أسوأ حكام دويلات الطوائف ، فأمدوه بالرجال والعتاد ، فقاد الشعب إلى خلع هذا الحاكم وإلقاء القبض عليه قبل أن يتمكن من الهرب مع صناديق أمواله ومجوهراته (٢) .

وبعد نهاية هذا الحدث انتهت الحرب الصليبية التمهيدية في المشرق والمغرب، وبدأت الحملات الصليبية المشهورة عام (٤٨٩هـ-١٠٩٦م)..

(١) انظر: الأندلس التاريخ المصور، د.طارق السويدان، (ص/١٠٦)..

(٢) انظر: جهود علماء الأندلس،د. محمد بن إبراهيم أبا الخيل، (ص/ ١٨٣ ومابعدها)، والبيان المغرب، لابن عذاري، (٤/٣١ ومابعدها)..

إضاءة

كان علماء الصحوة يأخذون زمام المبادرة، في الوقت الذي ينبغي، على الشكل الذي ينبغي، بعد امتلاك القدرة والأسباب، كل ذلك لحماية الأمة وصيانة وحدتها وقوتها ونهضتها، وهذا جزء لا يتجزأ من مهامهم الكبرى، فلا يتخلون عنها ولا يكتفون بتعليم الشعائر والهيئات، ولا يقبلون أن يكونوا تقليديين جامدين، بل يتحملون واجبهم ويستجيبون لله ورسوله ﷺ..

وكل ما سبق كان أمثلة محدودة على جهاد العلماء في إيقاظ الأمة وقيادتها نحو النصر ، ولم يكن المقصود استقصاء أسماء وأعمال كل صناع الصحوة ، فهذا أمر يحتاج لإفراد كتاب خاص به ..

ثانياً: صناع النصر والمدافعون من الحكام والقادة العسكريين المجاهدين:

١- ضد الصليبية الشرقية البيزنطية على جبهة بلاد الشام وشمالها.

السلطان السلجوقي ألب أرسلان:

بعد مائة سنة تقريباً من بدء الحملات الصليبية البيزنطية ظهر السلطان السلجوقي ألب أرسلان الذي حرَّر شمالي بلاد الشام وأجزاء كبيرة من آسيا الوسطى من البيزنطيين، وهزم الإمبراطور "رومانوس" في معركة "ملاذ كرد" وأسره في عام (٤٦٣هـ-١٠٧١م)، ثم جاء ابنه ملكشاه ، واستكمل التحرير بجهود القائد سليمان بن قتلمش، وثبَّت أركان دولة سلاجقة الروم في

الجزء الغربي من الإمبراطورية البيزنطية[1] ..

٢- ضد الصليبية الغربية على جبهة الأندلس :

برز مجموعة من أعلام الحكام الشرفاء على جبهة الأندلس، الذين صَنعوا النصر ودافعوا عن الرسالة والرسول ﷺ والمسلمين.

ومن أشهر هؤلاء القادة المجاهدين ..

- **الخليفة عبد الرحمن الناصر :**

تولى إمارة الأندلس عام (٣٠٠هـ- ٩١٣م) وعمره /٢٢/ سنة ، ودامت إمارته /٥٠/ سنة ، وهو من السلالة الأموية التي حكمت الأندلس .. كانت الأندلس عند توليه إمارتها متفرقة تمزقها الثورات هنا وهناك، كل يطلب لنفسه الإمارة والسلطان [2]...

وكان هؤلاء الحكام يورثون حكمهم لأبنائهم ثم يتنازع الأبناء على ماورثه الآباء، وأما الخلافة في بغداد فليس لها إلا الاسم ويتحكم بها السلاطين الحاكمون، يخلعون من يشاؤون وينصبون من يشاؤون ..

- اتسم عهده بتوحيد الأندلس فكان قوة واحدة في وجه الصليبيين في الشمال ..

---

(١) انظر: الكامل، لابن الأثير، (٨/٣٨٨ وما بعدها).

(٢) انظر: البيان المغرب، لابن عذاري، (٢/١٥٦ ومابعدها) .

- وقام بنهضة عمرانية عظيمة مازالت آثارها قائمة حتى الآن ..
- وقام بنهضة علمية كبيرة مازال العالم الإسلامي يفتخر بها حتى الآن ، ويشهد لها علماء المسلمين وغيرهم من غير المسلمين ..
- قضى أكثر خلافته بقيادة الجيوش مجاهداً في سبيل الله ،في مواجهة العدوان الصليبي المستمر منذ أكثر من ١٥٠ سنة ..
- جعل من قرطبة عاصمة الحضارة في عصره ، تفد إليها الوفود طالبة ود الأندلس من مختلف أنحاء العالم ، وأصبحت قرطبة من أكبر مدن العالم سكاناً وعمراناً ..
- وصارت قرطبة في عصره عاصمة الثقافة والعلوم، فقد بلغ عدد المكتبات فيها /٧٠/ مكتبة وفي مكتبة الحكم وحدها /٤٠٠/ ألف كتاب ..
- ابتدأ عهده عام /٣٠٠هـ – ٩١٣م/ بمواجهة عنيفة مع جيش الخائن ابن حفصون وجيش حلفائه من الصليبيين ، وكان عمر بن حفصون قد تنصَّر زيادة في الخضوع لأعداء المسلمين من الصليبيين طمعاً في دعمهم ومساعدتهم له ليتمكن من بسط حكمه وسلطانه !!.. وقد مات على نصرانيته عام (٣٠٥هـ) ولم تنفعه خيانته شيئاً .[١]..
- وفي عام /٣٠١هـ/ ضم عبد الرحمن الناصر اشبيلية وسرقسطة وببشتر إلى الدولة الإسلامية الموحدة[٢]..

---

(١) المصدر السابق، (١٣٩/٢).

(٢) المصدر السابق، (١٢٩/٢)..

- وفي عام / ٣٠٨هـ- ٩٢٠م/ قاد حملة جهادية ضد مملكة ليون ومملكة نافار الصليبيتين في شمالي الأندلس ، دامت ثلاثة أشهر وخاض في " موبش " معركة عظيمة ضد المملكتين واستطاع سحق جيشيهما مماترك أثراً كبيراً في تاريخ المنطقة (١).
- وفي عام / ٣١٣هـ- ٩٢٥م/ هاجم مملكة " نافار " الصليبية ودخل عاصمتها " بنبلونة " وفر " شانجة " ملكها يبحث عن مأوى في الجبال (٢).
- بنى الناصر في أقصى الشمال مركزاً ونقطة استناد جاهزة للدفاع عن الحدود الشمالية للأندلس .. كما بنى في الجنوب مدينة " المرية " على البحر المتوسط وجعلها مركزاً للأسطول وداراً لصناعة السفن الحربية ..

- **الحاكم الحاجب المنصور** :

تولى الحكم عام /٣٦٨هـ- ٩٧٩م/ ، وحكم الأندلس /٢٤/ عاماً ، وتوفي عام /٣٩٢هـ-١٠٠٢م/ .

لم يكن من السلالة الأموية، بل كان أحد أجداده من جنود طارق بن زياد، وكان الحاجب أول عمره يعمل بالأجرة !!..

- في عام / ٣٧١هـ- ٩٨١م/ هاجم القوات الصليبية في قلعة " سمورة " وانتقم لعبد الرحمن الناصر الذي هزم في معركة الخندق الشهيرة وحقق في المعركة نصراً مشهوداً ..

---

(١) المصدر السابق، (١٧٥/٢ ومابعدها) .

(٢) المصدر السابق، (١٨٥/٢ومابعدها) .

- في عام / ٣٧٣هـ- ٩٨٣م/ قاد بنفسه معركة تحرير " ليون " عاصمة مملكة " ليون " ، وكانت معركة ليون الكبرى من أكبر المعارك التي جرت بين المسلمين والصليبيين في تاريخ الأندلس، فقد تجمع لها الصليبيون من أنحاء أوروبا إضافة لصليبيي الأندلس، وانتصر الحاجب وأسر /٣٠٠/ أسير وحررت ليون لأول مرة بعد الفتح الإسلامي للأندلس ب /٢٠٠/ سنة ..
- وفي عام /٣٧٤هـ/ توجه إلى عاصمة شرق الأندلس " برشلونة " فحررها [1].
- وفي عام / ٣٧٥هـ- ٩٨٥م/ أرسل ابنه عبد الملك إلى المغرب الأقصى وقضى على حكم الفاطميين العبيديين .. وبذلك أصبح الحاجب حاكماً لدولة تضم المغرب إضافة للأندلس وهو أكبر اتساع بلغته دولة الأندلس في تاريخها ..

إضاءة

هذا ما تصنعه التربية الإسلامية في همم الرجال ، لقد انتقل من رجل يحمل أمتعة الناس بالأجرة على دابة إلى حاكم لأعظم دولة إسلامية في غرب العالم الإسلامي.. بعد أن حقق النصر على جبهات الأندلس من شمالها إلى جنوبها وصولاً إلى المغرب !!..

(١) انظر: الأندلس التاريخ المصور، د.طارق السويدان، (ص/٢٢٤ ومابعدها).

● في عام / ٣٨٧هـ– ٩٩٧م/ قاد جيشاً ليتوغل في عمق مملكة ليون وليصل إلى قلعة " سانت يعقوب ""شنت ياقب" العاصمة الروحية للقوط الصليبيين ، واستخدم تكتيكاً عسكرياً عبقرياً لعبور الأنهار الكثيرة التي كانت تعترضه وذلك بإرسال السفن تمخر عباب المحيط ثم تدخل في مجرى الأنهار وعندما تلتقي بالقوات البرية تصطف إلى جانب بعضها لتشكل جسراً للعبور، وكذلك لإمداد القوات بما تحتاجه من طعام وعتاد، وتنزل منها قوات الهندسة لتمهد للجيش البري طريق حركته. وانتصر الحاجب نصراً ساحقاً على الصليبيين ولما وصل إلى القبر المقدس الذي يحج إليه النصارى القوط تسامح معهم وأبقاه لهم بعد أن دمر المصانع الحربية وأحرق السفن [1]..

● ومن عجب أنه خاض خمسين معركة مظفرة وكان غلمانه بعد كل معركة يجمعون غبار المعركة عن ثيابه ويضعونها في قارورة بعد أن أوصى أن تجعل في قبره لتشهد له بين يدي الله تعالى، متأثراً **بقول النبي** ﷺ: «مَنْ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»[2] [3].

● مات رحمه الله عام / ٣٩٢هـ–١٠٠٢م/ وهو يجاهد في أقصى شمال الأندلس على ثغر من ثغور المسلمين ..

● لقد رفع شأن الأندلس فبلغت عزاً ومجداً كبيراً.. هكذا حال القادة

---

(١) انظر: البيان المغرب، لابن عذاري، (٢/٢٩٤ ومابعدها).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٩٠٧] (ص/١٨١).

(٣) انظر: الأندلس التاريخ المصور، د.طارق السويدان، (ص/٢٢٧ومابعدها)..

الناجحين ، قوة في الدولة ، ووحدة في الأمة ، وعدل بين الناس، وتأمين لمصالحهم ..

- **القائد المجاهد يوسف بن تاشفين البربري :**

- تولى إمارة دولة المرابطين عام /٤٦٥هـ- ١٠٧٣م/ ..
- لا تقل عظمة إنجازاته في جبهة المغرب عن إنجازات الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي الكردي في جبهة المشرق ..
- هو أمير دولة المرابطين في المغرب الأقصى التي توسعت في عهده حتى شملت السودان وغانا ومالي والنيجر ..
- كان متواضعاً يشارك شعبه في عمليات البناء فيحمل الطوب ولم يعرف ترف القصور ، كان تقياً ورعاً شجاعاً ذكياً متعبداً مجاهداً ..
- كان العلماء مستشاريه وناصحيه ويرجع إليهم في أهم القضايا، وكان عادلاً خادماً لشعبه ..
- ولم يمنعه كبر سنه من الجهاد ، لقد عبر البحر لنصرة أهل الأندلس استجابةً لطلب علمائها المخلصين عام (٤٧٩هـ) **وعمره ثمانون سنة**، بعد سقوط مدن طليطلة وطلبيرة وبلنسية بيد " ألفونسو السادس " عام (٤٧٨هـ– ١٠٨٥م) ..
- وقف بعض حكام دويلات الطوائف المتخاذلين في وجه عبوره ليمنعوه من النزول على أرض الأندلس خوفاً على ممالكهم ومصالحهم الشخصية الضيقة، فقضى على ممانعتهم وسار بجيشه إلى منطقة الزلاقة لمواجهة جيوش الصليبيين وإيقاف زحفهم على الأندلس

● فزع الصليبيون فأعلن البابا الحرب المقدسة، وجاء المتطوعون من بلدان أوربية عدة، وأرسل ألفونسو إلى ملك فرنسا وملك أرغون وملك نفارة وملك جيليقية يطلب العون والمساعدة فتجمع لـ " ألفونسو " /٥٠/ ألف مقاتل بينما لم يتجاوز جيش ابن تاشفين /٢٥/ ألف مقاتل ..

● بدأت المعركة الزلاقة –أشهر معارك التاريخ في الأندلس– بنفس العام / ٤٧٩هـ – ١٠٨٦م/ الذي وصل فيه إلى الأندلس، وكان قتالاً عنيفاً غير مشهود انزلقت الخيول لكثرة الدماء وسميت زلاقة نسبة إلى ذلك، ومع قلة جنده، وعظم مدده من الله تعالى، وحسن خططه وتكتيكاته الحربية، استطاع ابن تاشفين أن يلحق الهزيمة بالحملة الصليبية الضخمة على نحو مذهل ، وأصيب "ألفونسو" بجراح في ركبته ظل يعرج منها طيلة عمره، وفر بروحه شمالاً ولم يتوقف إلا في طليطلة عاصمته، وليس معه إلا مائة جندي فقط ..

لقد كانت معركة الزلاقة من المعارك الفاصلة في تاريخ المسلمين لا تقل عن معركة حطين ومعركة عين جالوت[1] ..

● رجع ابن تاشفين إلى المغرب وعاد الصراع بين حكام دويلات ملوك الطوائف وعاد "ألفونسو " لقضم مناطق من بلاد الأندلس ..

● استشعر علماء المسلمين في المشرق والمغرب بهول الخطر الداهم فخاطبوا ابن تاشفين بضرورة توحيد الأندلس داخلياً ثم توحيده مع المغرب في

(١) انظر: الكامل، لابن الأثير، (٨/٤٤٥ وما بعدها)، والصراع بين العرب وأوروبا، د. عبد العظيم رمضان، (ص/ ٢٨٨ ومابعدها).

دولة واحدة لمواجهة الغرب الصليبي، وأفتوا بالقضاء على ملوك الطوائف الرافضين للوحدة .

- في عام / ٤٨٤هـ- ١٠٩١م/ قام ابن تاشفين بتوحيد الأندلس والقضاء على التشرذم ضمن دويلات ضعيفة واهنة متخاذلة ، ولولا هذا الإنجاز لضاعت الأندلس من وقتها [١]..
- وفي عام / ٤٩٠هـ- ١٠٩٧م/ عبر ابن تاشفين إلى الأندلس للمرة الرابعة والأخيرة ، وسير جيشاً إلى طليطلة عاصمة " ألفونسو " فحاصرها وهزم جيشها عام / ٤٩١هـ- ١٠٩٨م/ [٢].
- **ويوافق هذا العام اجتياح الصليبيين شمالي بلاد الشام، وتأسيس أول إمارة صليبية في "الرها" التابعة لإمارة الجزيرة.**
- عاد ابن تاشفين إلى المغرب **وقد بلغ من العمر ٩٥ سنة** ..

إضاءة

هل رأيت مجاهداً بهذا العمر على مدى التاريخ ؟!!..إنه الإيمان والإخلاص وعشق الشهادة..

- وفي عام / ٥٠٠هـ- ١١٠٧م/ توفي الشيخ المجاهد عن أكثر من مائة سنة ، رحمه الله وجزاه عن المسلمين خير الجزاء [٣]..

(١) انظر: الكامل، لابن الأثير، (٤٦٧/٨ وما بعدها) .

(٢) انظر: الأندلس التاريخ المصور، د. طارق السويدان، (ص/٢٩٥ ومابعدها) .

(٣) انظر: الكامل، لابن الأثير، (٩٩/٩ وما بعدها).

المبحث الثاني

الحروب الصليبية المشهورة على جبهة بلاد الشام ومصر، والحروب المرافقة على جبهة شمال أفريقيا والأندلس

بين عامي /٤٨٩هـ - ٧٠٢هـ / إلى / ١٠٩٦م- ١٣٠٣م/.

المطلب الأول: واقع الخلفاء والحكام والسلاطين وأصنافهم، ما قبل وأثناء الحروب الصليبية والحروب المغولية.

كان العالم الإسلامي منقسماً إلى دويلات كثيرة، أصابها الضعف والوهن، وأصبحت عاجزة عن التصدي لأعداء الأمة المتربصين على أبوابها من الصليبيين والمغول وغيرهم.

وانقسم واقع الخلفاء والحكام والسلاطين في العالم الإسلامي في مطلع القرن الخامس الهجري القرن الحادي عشر الميلادي وما بعد، إلى ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: هم الخلفاء العباسيون، وكانوا محكومين غير حاكمين، بل لم يكن للخليفة القابع في بغداد من الخلافة إلا ذكر اسمه في خطبة الجمعة ونقشه

على النقود وكان يقضي أوقاته في بناء القصور وترميمها[1]، وكان الحكام والسلاطين الذين يستولون على بغداد هم الذين يحكمونها ويحكمون الخليفة، بل يخلعوه أو يقتلوه أو يسملوا عينيه[2]، ثم يولون خليفة آخر حسب مزاجهم.

وتفرَّغ الخلفاء لقصورهم، ومراسم خلافتهم من أعلام وخرق وملابس وكراسي واحتفالات، كما تفرغوا لمنح البركة للسلطان المتغلب، فإذا تصرَّف الخليفة تصرفاً لا يعجب السلطان خلعه أو قتله وولَّى غيره.

وكان بعض الخلفاء ينتقلون من حماية سلطان إلى حماية سلطان آخر، ويدفعون بعضهم لقتال بعض، ويتحالفون مع سلطان ضد سلطان آخر، وكانوا يدفعون حياتهم ثمناً لاختياراتهم الخاطئة.

الصنف الثاني: الحكام والسلاطين المتسلطون، الذين انشغلوا بتثبيت حكمهم وسلطانهم، وتوسيع دائرة نفوذهم، وتوريث ملكهم إلى أولادهم وأسرهم، والتمتع بملذات الحياة، وجمع الأموال والثروات، وقاموا بقهر شعوبهم، بعد أن جعلوا الأرض والناس من أملاكهم الخاصة يتصرفون فيهم كيف يشاؤون، فيقايضون على المدن والبلدات بمن فيها من الناس والدواب في صراعاتهم وصفقاتهم!!.

(١) انظر: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، د. حسن إبراهيم حسن، (١٧/٤).
(٢) سَمل عينَه: فقأ عينه بحديدةً محماة.

وكانوا لا يتورعون عن القيام بالمجازر، والفتك بالناس، بل كانوا يضحون بحياة شعوبهم ويتسببون بتدمير المدن والبلدات ومصادر الرزق من أجل الحفاظ على ملكهم، وكانوا ينشغلون في التآمر بعضهم ضد بعض، والاقتتال فيما بينهم، ليسطو بعضهم على ملك وثروات بعضهم الآخر.

مأساة

كانت الأخطار المتربصة بالعالم الإسلامي لا تقلق هؤلاء الحكام والأمراء إلا إن كان ذلك يهدد مصالحهم وأملاكهم، بل كانوا يفرحون إذا قام أعداء المسلمين من الصليبيين والمغول وغيرهم بمهاجمة منافسيهم ولو أدى ذلك إلى الفتك بالمسلمين، والأدهى من ذلك أنهم كانوا أحياناً يُحرضون الأعداء ويتآمرون معهم ويتحالفون فيما بينهم من أجل القضاء على خصومهم وإن أدى ذلك إلى الإضرار بالمسلمين واحتلال أراضيهم!!.

فاجعة

ما إن يموت هذا السلطان أو يُقتل حتى تبرز الصراعات العنيفة بين ورثته، للاستيلاء على الحكم، فتُجيّشُ الجيوش، وتُقام الحروب، ويُقتل المسلمون بالآلاف بل بعشرات الآلاف من أجل أن يتربع أحدهم على كرسي الحكم، وكان الأمير يقتل أخاه أو أباه أو عمه، أو يسمل عينيه، أو يبني عليه جداراً حتى يموت، أو ينفيه في قلعة فيحبسه فيها حتى يموت!!.. كل ذلك في سبيل الحصول على كرسي الحكم!!.

وكانت الأمة هي التي تدفع ثمن بحث الحكام عن مصالحهم وأهوائهم.

الصنف الثالث: الحكام والسلاطين الصالحون، الذين كانوا يَظهرون بين الفينة والأخرى، فتصلح بهم أحوال البلاد والعباد، وينتشر الأمن والاستقرار، وتزدهر الحالة الاقتصادية، وتتنشط الحركة العلمية، وتتماسك الأمة وتتحد وتقف سدًّاً منيعاً في وجه الأعداء، بل كانت تأخذ زمام المبادرة فتهاجم جيوش الأعداء وحصونهم وتأسر قادتهم، فيخضعون ويستسلمون ويدفعون الجزية للمسلمين.

المطلب الثاني: واقع الصراعات المذهبية في العالم الإسلامي ما قبل وأثناء الحروب الصليبية والمغولية.

أولاً: انتشار الصراعات المذهبية الشديدة.

انتشرت في العالم الإسلامي قبل الحروب الصليبية والمغولية موجة عارمة من الصراعات المذهبية العنيفة، والتي ساهمت في التمزق الداخلي في العالم الإسلامي وإضعافه في مواجهة أعدائه المتربصين، واجتمع هذا التمزق والتناحر المذهبي بين أصحاب المذاهب مع التمزق والتناحر بين الحكام والسياسيين وتحوّلت دولة الخلافة الإسلامية إلى دويلات، وهكذا أضيف البلاء إلى البلاء، حتى غرق المسلمون بالضعف العسكري والتخلف الفكري والاقتصادي والاجتماعي.

بلاء

لقد تحولت المذاهب من مدارس فقهية يفترض بها أن تُغني الحالة الفكرية والإبداعية في الأمة استناداً إلى مرونة الشريعة وعمقها، إلى جماعات حزبية متصارعة جعلت الولاء للمذهب مقدماً على الولاء للدين، والانتصار للمذهب مقدماً على الانتصار للمصالح الكبرى للأمة، واستُنفدت طاقات الأمة في قضايا هامشيّة وأحياناً قضايا تافهة، وأُهملت قضايا الاجتهاد في بناء نهضة الأمة وقوتها وقدرتها على مواجهة أعدائها، فضلاً عن قدرتها على نشر الدعوة في العالم، وقيادته نحو الإيمان والسلام والرخاء.

ثانياً: الأئمة المؤسسون للمذاهب لم يكونوا متعصبين..

علماً بأن أئمة المذاهب المؤسسين كانوا بعيدين عن التعصب والانتصار للرأي.

((ونسي العلماء ما قاله أبو حنيفة فيمن سبقه من الفقهاء: "هم رجال، ونحن رجال"، وما قاله مالك بن أنس: "ما من أحد إلا ويؤخذ من قوله ويُترك إلا المعصوم ﷺ" وقول الشافعي: "إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي")) (١).

وكان أحدهم يستفيد ممن سبقه، ويستفيد ممن عاصره، ويستفيد ولو من تلامذته.

فقد أخذ أبو حنيفة والإمام مالك وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة عن

(١) انظر: خلاصة التشريع الإسلامي، عبد الوهاب خلاف، (ص/١٠٢).

الإمام جعفر الصادق [1].

وأخذ الإمام الأوزاعي عن الإمام مالك وعن غيره، وقد بلغ مرتبة الاجتهاد المطلق [2].

وأخذ الشافعي عن مالك فقه أهل المدينة لمدة تسع سنوات، وأخذ عن محمد ابن الحسن الشيباني – تلميذ أبي حنيفة – فقه العراق لمدة ثلاث سنوات، فجمع بين مذهب أهل الحديث ومذهب أهل الرأي، وخالط علماء مصر وسمع ما عندهم من حديث وفقه، فكان لهذا أثر كبير في رأيه الجديد[3].

وهذا الإمام أحمد بن حنبل يأخذ عن الإمام الشافعي، وكان للشافعي أثر كبير في توجيه الإمام أحمد للفقه والضوابط والمقاييس في أصول الاستنباط[4].

وكان الإمام أبو حنيفة والإمام مالك يناصران الإمام زيد بن علي بن زين العابدين بن الحسين مؤسِّس المذهب الزيدي ضد الخليفة هشام بن عبد الملك الذي قتل زيداً، ويروى أن الإمام أبا حنيفة تتلمذ على يد الإمام زيد لمدة سنتين[5].

وهذا محمد بن الحسن الشيباني أخذ عن أبي حنيفة ثم أخذ عن أبي

(١) انظر: محاضرات في تاريخ المذاهب الفقهية، الشيخ محمد أبو زهرة، (ص/٥٦٠ ومابعدها).
(٢) انظر: تاريخ التشريع، د.محمد فاروق العكام، (ص/١٨٧).
(٣) المصدر السابق، (ص/١٦٠).
(٤) انظر: محاضرات في تاريخ المذاهب الفقهية، الشيخ محمد أبو زهرة، (ص/٣٠٩وما بعدها).
(٥) انظر: تاريخ التشريع، د.محمد فاروق العكام، (ص/١٧٩).

يوسف تلميذ أبي حنيفة، وأخذ عن مالك والأوزاعي، وجالس الشافعي فاستفاد منه واستفاد الشافعي منه[1].

ثالثاً: الأئمة يتعاونون ويتحابون ويثنون على بعضهم أجمل الثناء.

فكان الشافعي يقول عن الإمام مالك: (إذا ذُكر العلماء فمالك النجم، وما أحد أمنّ عليَّ من مالك).

وكان أحمد بن حنبل يقول عن الإمام مالك: (مالك سيد من سادات أهل العلم، وهو إمام في الحديث والفقه.. ومن مثل مالك؟!!..متَّبعٌ لآثار من مضى مع عقل وأدب)[2].

وكان أحمد بن حنبل يقول عن الإمام الشافعي: (يروى عن النبي ﷺ أنه **قال**: « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يقرر لها دينها»[3]، فكان عمر بن عبد العزيز على رأس المائة، وأرجو أن يكون الشافعي على رأس المائة الأخرى)[4].

وكان الإمام أبو حنيفة يثني على الإمام زيد بن علي، فيقول: (شاهدت زيد ابن علي، فما رأيت في زمانه أفقه منه، ولا أعلم، ولا أسرع جواباً، ولا

(١) المصدر السابق، (ص/١٥٧).

(٢) المصدر السابق، (ص/١٦٥).

(٣) أخرجه أبو داود في "سننه" برقم [٤٢٩١]، (ص/٤٦٩)، وهو صحيح.

(٤) انظر: محاضرات في تاريخ المذاهب الفقهية، الشيخ محمد أبو زهرة، (ص/٢٦٢).

أبين قولاً، لقد كان منقطع القرين)[1].

وكان الإمام أبو حنيفة يُثني على الإمام جعفر الصادق، فيقول عنه: (إن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس –وكان يقصده–) وكان الإمام أبو حنيفة يروي عن الإمام جعفر الصادق مع أنه في مثل سنه[2].

رابعاً: انتهاء عصر الإبداع وابتداء عصر الجمود والتقليد والتعصب المقيت.

ولكن ما إن انتهى عصر الإبداع الفقهي في منتصف القرن الرابع الهجري /٣٥٠هـ/ تقريباً، حتى بدأ عصر الجمود والتقليد والتعصب المذهبي المتشدد، فحورب الاجتهاد والإبداع، وحُجر على العقل والتفكير، وانكبَّ كل فريق من الفقهاء على كتب مذهبه اختصاراً ثم شرحاً ثم وضع حاشية على الشرح وهكذا[3].

وبدأ كل فريق مذهبي يرمي غيره بالابتداع، ويشنع عليه، وانقسم الفقهاء في هذا العصر ((إلى أحزاب، وصار لكل حزب مدرسة تشريعية، لها نزعتها وخطتها، عُني تلاميذ كل مدرسة أو أعضاء كل حزب بالانتصار لمذهبهم وتأييد أصوله وفروعه بكل الوسائل، فتارة كان التأييد بإقامة البراهين على صحة ما ذهبوا إليه وبطلان ما خالفه، وتارة كان التأييد بالإشادة بزعمائهم ورؤوسهم، وعدِّ آيات نبوغهم ومقدرتهم. وهذا وذاك شغل علماء المذاهب،

---

(١) انظر: تاريخ التشريع، د.محمد فاروق العكام، (ص/١٨٠).

(٢) انظر: محاضرات في تاريخ المذاهب الفقهية، الشيخ محمد أبو زهرة، (ص/٥٥١).

(٣) انظر: تاريخ الفقه الإسلامي، د.عمر سليمان الأشقر، (ص/١٥٠ وما بعدها).

وصرفهم عن الأساس التشريعي الأول وهو القرآن والسنة، وصار الواحد منهم لا يرجع إلى نص قرآني أو حديث، إلا ليلتمس فيه ما يؤيد مذهب إمامه ولو بضرب من التعسف في الفهم والتأويل. وهكذا فنيت شخصية العالم في حزبيته، وماتت روح استقلالهم العقلي، وصار الخاصة كالعامة أتباعاً مقلدين) [(١)].

(ووقفت حركة الاجتهاد والتقنين، وأماتت في العلماء روح الاستقلال الفكري فلم يرِدُوا المعين الذي لا ينضب ماؤه وهو القرآن والسنة، بل راضوا أنفسهم على التقليد، ورضوا أن يكونوا عالة على فقه الأئمة السابقين أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وأقرانهم، وحصروا عقولهم في دوائر محدودة من فروع مذاهب هؤلاء الأئمة وأصولها، وحرَّموا على أنفسهم أن يخرجوا عن حدودها وبذلوا جهودهم في ألفاظ أئمتهم وعباراتهم لا في نصوص الشارع ومبادئه العامة، وبلغ من ركونهم إلى أقوال أئمتهم أن قال أبو الحسن الكرخي من علماء الحنفية: "كل آية أو حديث يخالف ما عليه أصحابنا فهو مؤوَّل أو منسوخ" وبهذا وقف التشريع عند ماوصل إليه أئمة العهد السابق، وقَصَر عن مسايرة ما يجدُّ من التطورات والمعاملات والأقضية والوقائع) [(٢)].

وانتشر بين بعض العلماء (أمراض خُلقية حالت بينهم وبين السمو إلى مرتبة الاجتهاد، فقد فشا بينهم التحاسد والأنانية، فكانوا إذا طرق باب الاجتهاد، فتح من نفسه أبواباً من التشهير وحط أقرانه من قدره، وإذا أفتى في

(١) انظر: خلاصة التشريع الإسلامي، عبد الوهاب خلاف، (ص/٩٧ وما بعدها).

(٢) المصدر السابق، (ص/٩٥ وما بعدها).

واقعة برأيه، قصدوا إلى تسفيه رأيه وتفنيد ما أفتى به بالحق وبالباطل، فلهذا كان العالم يتَّقِ كيد زملائه وتجريحهم، بأنه مقلِّد وناقل، لا مجتهد ومبتكر، وبهذا ماتت روح النبوغ ولم تُرفع في الفقه رؤوس، وضعفت ثقة العلماء بأنفسهم، وثقة الناس بهم، فولوا وجوههم مذاهب الأئمة السابقين) [1].

ويتحدث **الإمام الغزالي** الذي عاصر هؤلاء الفقهاء المجادلين الجامدين، عن أمراضهم، فقال: (اعلم وتحقق أن المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والإفحام، وإظهار الفضل والشرف، والتشدُّق عند الناس، وقصد المباهاة والمماراة، واستمالة وجوه الناس، هي منبع جميع الأخلاق المذمومة عند الله المحمودة عند عدو الله إبليس، ونسبتها إلى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر إلى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف والقتل والسرقة، وكما أن الذي خُيِّر بين الشرب والفواحش وسائر الفواحش استصغر الشرب فأقدم عليه، فدعاه ذلك إلى ارتكاب بقية الفواحش في سكره، فكذلك من غلب عليه حب الإفحام والغلبة في المناظرة وطلب الجاه والمباهاة، دعاه ذلك إلى إضمار الخبائث كلها في النفس، وهيَّج فيه جميع الأخلاق المذمومة) [2].

---

(١) المصدر السابق، (ص/٩٨ وما بعدها).

(٢) إحياء علوم الدين، للغزالي، (١/٤٥).

خامساً: انتشار بلاء وأمراض التعصب المقيت.

ولم تقف الأمور بين أصحاب المذاهب المجادلين المتعصبين الجامدين عند هذا الحد، بل تطورت الأمور بينهم إلى نشر أمراض عصبيتهم وتفرقهم بين عوام الناس!!،فتركوا الصلاة خلف من يخالفهم في المذهب، ودعوا أتباعهم للاقتداء بهم.

وقد شهدت هذا بنفسي: فكنت إذا دخلت مسجد بني أمية الكبير في دمشق، أجد فيه أربعة محاريب خُصص كل محراب منها لإمام أحد المذاهب الأربعة، فإذا كان إمام الأحناف يصلي، بقي أتباع المذاهب الأخرى بلا صلاة ينتظرون مجيء إمامهم ليصلوا معه، وهكذا.. بل ساءت الأمور إلى حد أكبر من ذلك، حينما منعوا أتباعهم من الزواج بامرأة من غير مذهبهم!!

(**وقد ذكر الشيخ محمد رشيد رضا** بعض الأمثلة على التعصب المذهبي، فقال: "بلغ من إيذاء بعض المتعصبين لبعض في طرابلس الشام في آخر القرن الثالث عشر الهجري أن ذهب بعض شيوخ الشافعية إلى المفتي، وهو رئيس العلماء، وقال له: اقسم المساجد بيننا وبين الحنفية، لأن فلاناً من فقهائهم **يعتبرنا كأهل الذمة**، بما أذاع في هذه الأيام من اختلاف الأحناف: **هل يجوز للحنفي أن يتزوج شافعية**، فقال بعض الأحناف: لا يصح لأنها تشك في إيمانها، لأن الشافعية يجيزون أن يقول المسلم: أنا مؤمن إن شاء الله، أي وهذا يدل على عدم تيقنها في إيمانها، والإيمان لا بدَّ فيه من اليقين"**وقال ملا علي قاري رحمه الله تعالى**: "اشتهر بين الحنفية أن الحنفي إذا انتقل إلى المذهب الشافعي يُعزر وإذا كان بالعكس يخلع عليه (أي يقدم له المكافآت)"،

(وورد في ترجمة قاضي دمشق الحنفي محمد بن موسى البلاساغوني الذي توفي سنة /٥٠٦هـ/ قوله: "**لو كان لي الأمر لأخذت الجزية من الشافعية**" وأفتى كثير من الفقهاء الأحناف ببطلان صلاة الحنفي وراء إمام شافعي، قال ابن الهمام: "قال أبو اليسر: **اقتداء الحنفي بشافعي غير جائز**، لما روى مكحول النسفي في كتاب له، أن رفع اليدين في الصلاة عند الركوع والرفع منه مفسد، بناء على أنه عمل كثير، ومنهم من قيَّد جواز الاقتداء بهم كقاضي خان، بأن لا يكون متعصباً ولا شاكّاً في إيمانه، ويحتاط في موضع الخلاف" وقال مثل ذلك البابرتي في كتابه شرح العناية على الهداية) [1].

سادساً: الغفلة عن هموم الأمة والاشتغال بالسخافات.

وتطورت الأمور وبلغت مبلغاً عظيماً من السوء عندما عمل هؤلاء الفقهاء المتخلفون على الاشتغال بفرضيات سخيفة مستحيلة الوقوع، تعبر عن مدى انحطاط وسخافة أفكار أصحابها، (ومن أمثلة هذه المسائل التي يألم المسلم لمجرد ذكرها ما بحثه المتأخرون من الفقهاء عن حكم صلاة من حمل قربة من الفساء في الصلاة، وعن حكم التضحية بإنسان، وُلد من أب آدمي وأم شاة، وعن كيفية الاتجاه في الصلاة إذا رُفعت الكعبة عن مكانها لزيارة أصحاب الكرامة، هل يُصلَّى إلى مكانها أم إلى أرضها، وعن حكم الاغتسال على رجل دخل فرج امرأة، وغير ذلك من الأمور الفرضية التي

(١) انظر: تاريخ الفقه الإسلامي، د.عمر الأشقر، (ص/١٧٢ وما بعدها).

أضاعوا فيها أوقاتهم، وأضحكوا العقلاء منهم بسبب ضحالة تفكيرهم)[1].

سابعاً: انتشار الجدال والمشاجرات بقصد التطاول وتحصيل المصالح.

وكثر الجدل بين بعض فقهاء المذاهب، لا بقصد إظهار الحق ثم اتباعه، بل للتطاول على بعضهم، والتغالب والتفاخر، والحظوة عند الحكام، وكان ينشأ بينهم المشاجرات، وربما تتطور إلى مقاتلات، ويفزع العوام كلٌّ إلى نصرة مذهبه، ويحدث من الأمور ما يُحزن القلب بسبب ما آلت إليه أحوال الأمة بحكامها وفقهائها وعوامها.

وكما قال الإمام الأوزاعي: (إذا أراد الله بقوم سوءاً أعطاهم الجدل ومنعهم العمل)، ولله در ابن خفاجة إذ يقول عن أهل زمانه:

درسوا العلوم ليملكوا بجدالهم فيها صدور مراتب ومجالس[2]

ثامناً: خضوع الصراع المذهبي للصراع السياسي..

وبلغ الصراع المذهبي ذروته عندما خضع للصراع السياسي، مع بروز الخلافة الفاطمية في مصر عام /٣٥٨هـ/.

(١) المصدر السابق، (ص/١٨٣).

(٢) انظر: كتاب الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، محمد الحجوي الثعالبي المدرس بالقرويين، أصدره عام [١٣٣٦هـ -١٩١٨م]، (١٥١/٣ وما بعدها).

فاجعة

إذا كان الصراع المذهبي بين المذاهب الفقهية صراعاً يعبّر عن التدني الفكري والأخلاقي في بعض مراحله، فإنه أصبح صراعاً مذهبياً سياسياً دموياً في مراحل أخرى، جُندت له الجيوش، واستبيحت فيه الحرمات، وأصبحت الشعوب الإسلامية وقوداً لهذا الصراع الذي لم يشبع سلاطينه وأمراؤه من دماء وأموال وأعراض المسلمين، فكانوا يقيمون سلطانهم فوق الدمار والدماء، ويركبون المذاهب والفكر والدين والقيم لتحقيق مآربهم وأهوائهم وهم مرتاحون في قصورهم غارقون في ملذاتهم وبين حريمهم!!.

تاسعاً: الصراعات المذهبية أضرمت نار الأحقاد والاقتتال بين المسلمين.

فاجعة

مع أن أعداء الأمة الإسلامية يتربصون بها الدوائر، والدولة العباسية تتجه نحو التفتت والسقوط، والخلافات على السلطة تمزق الدول الإسلامية من كل جانب، مع هذا كله كانت الخلافات الشديدة بين فقهاء عصر التخلف والتعصب تدمر ما بقي من روابط بين المسلمين، وتنشر بينهم الصراع، وما ينتج عنه من خراب ودمار.

يقول ياقوت الحموي في معرض كلامه عن مدينة أصفهان: (وقد فشا الخراب في هذا الوقت وقبله في نواحيها؛ لكثرة الفتن والتعصب بين الشافعية والحنفية، والحروب المتصلة بين الحزبين، فكلما ظهرت طائفة نهبت محلة الأخرى وأحرقتها وخربتها، لا يأخذهم في ذلك إلٌّ ولا ذمة، ومع ذلك فقلَّ أن تدوم بها دولة سلطان أو يقيم بها فيصلح فاسدها، وكذلك الأمر في

رساتيقها[1]، وقراها التي كل واحدة منها كالمدينة) [2].

وتحدث عن خراب مدينة الري عام /٦٧١هـ/بسبب الصراع المذهبي، فقال: (كان أهل المدينة ثلاث طوائف: **شافعية** وهم الأقل، **وحنفية** وهم الأكثر، **وشيعة** وهم السواد الأعظم؛ لأن أهل البلد كان نصفهم شيعة، وأما أهل الرستاق فليس فيهم إلا شيعة وقليل من الحنفيين، ولم يكن فيهم من الشافعية أحد، فوقعت العصبية بين السنة والشيعة، فتضافر عليهم الحنفية والشافعية، وتطاولت بينهم الحروب حتى لم يتركوا من الشيعة من يعرف، فلما أفنوهم، وقعت العصبية بين الحنفية والشافعية، ووقعت بينهم حروب كان الظفر في جميعها للشافعية، هذا مع قلة عدد الشافعية إلا أن الله نصرهم عليهم. وكان أهل الرستاق وهم حنفية يجيئون إلى البلد بالسلاح الشاك، ويساعدون أهل نحلتهم فلم يغنهم ذلك شيء حتى أفنوهم فهذه المحال الخراب التي ترى هي محال الشيعة والحنفية، وبقيت هذه المحلة المعروفة بالشافعية وهي أصغر محال الري، ولم يبق من الشيعة والحنفية إلا من يخفي مذهبه، ووجدت دورهم كلها مبنية تحت الأرض ودروبهم التي يسلك بها إلى دورهم على غاية الظلمة وصعوبة المسلك، فعلوا ذلك لكثرة ما يطرقهم من العساكر بالغارات ولولا ذلك لما بقي فيها أحد) [3]، وأما الصراعات بين

---

(١) مفردها رستاق، كلمة فارسية معربة تعني الناحية وطرف الإقليم.

(٢) معجم البلدان، ياقوت الحموي، (١/٢٠٩).

(٣) المصدر السابق، (٣/١١٧).

السنة والشيعة، والقتل وسفك الدماء الذي جرى بينهم، والحقد والكراهية التي شاعت بينهم، فإنها تملأ كتب التاريخ.

يتحدث ابن الأثير في كتابه "الكامل في التاريخ" في حوادث سنة /٤٤٣هـ/ عن تجدد الفتنة بين السنة والشيعة وتعاظمها أضعاف ما كانت عليه قديماً، وسببها الاختلاف بينهم على شعارات كتبها الشيعة، فثارت الفتنة وقطعت مياه دجلة عن الكرخ، واقتتل الناس واستنفروا، واستشرى النهب وحرق الدور والمشاهد والقبور، وقصد أهل الكرخ إلى خان الفقهاء الحنفيين فنهبوا وقتلوا مدرس الحنفية أبا سعد السرخسي، وأحرقوا الخان ودور الفقهاء، وتعدَّت الفتنة إلى الجانب الشرقي.[1] كما يتحدث ابن الأثير عن أحداث عام /٤٨٢هـ/عن فتنة بين السنة والشيعة ، فيقول: (وكتب أهل الكرخ على أبواب مساجدهم "خير الناس بعد رسول الله أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي" ومن عند هذا اليوم ثار أهل الكرخ، وقصدوا شارع ابن أبي عوف، ونهبوه، وفي جملة ما نهبوا دار أبي الفضل بن خيرون المعدل، فقصد الديوان مستنفراً ومعه الناس، ورفع العامة الصلبان، وهجموا على الوزير في أجرته، وأكثروا من الكلام الشنيع، وقتل ذلك اليوم رجل هاشمي من أهل باب الأزج بسهم أصابه، فثار العامة هناك بعلوي كان مقيماً بينهم، فقتلوه وحرقوه، وجرى من النهب والقتل والفساد أمور عظيمة)[2].

---

(١) للتوسع انظر: الكامل، لابن الأثير، (٣٠١/٨ وما بعدها).

(٢) المصدر السابق، (٤٦١/٨).

عاشراً: مساهمة الحكام والأغنياء في انتشار التعصب المذهبي.

وساهم الحكام والأغنياء في نشر التعصب للمذاهب، بسبب الإنفاق على مذهب بعينه دون مذهب، وسعي الفقهاء لتوفير مصدر رزقهم.

يقول الشعراني في كتابه الميزان، واصفاً ما وصل إليه بعض العلماء في هذا العصر: (محمد الدهان النحوي كان حنبلياً انتقل إلى مذهب الشافعي، ثم تحوَّل حنفياً حين طلب الخليفة نحوياً يعلِّم ولده النحو، ثم إنه تحوَّل شافعياً حين شغرت وظيفة النحو بالنظامية لما شرط أصحابها ألا ينزل فيها إلا شافعي المذهب ولم يكن هناك أحد أعلم بالفقه والنحو منه) [1].

ويقول السيد سابق: (وكان مما ساعد على انتشار هذه الروح الرجعية ما قام به الحكام والأغنياء من إنشاء المدارس، وقُصر التدريس فيها على مذهب أو مذاهب معينة، فكان ذلك من أسباب الإقبال على تلك المذاهب، والانصراف عن الاجتهاد، محافظةً على الأرزاق التي رُتبت لهم. سأل أبو زرعة شيخه البلقيني قائلاً: ما تقصير الشيخ تقي الدين السبكي عن الاجتهاد وقد استكمل آلته؟ فسكت البلقيني، فقال أبو زرعة: فما عندي أن الامتناع عن ذلك للوظائف التي قدرت للفقهاء على المذاهب الأربعة، وأن من خرج عن ذلك لم ينله شيء من ذلك، وحرم ولاية القضاء، وامتنع الناس عن إفتائه،

(١) انظر: تاريخ الفقه الإسلامي، د.عمر الأشقر، (ص/١٦٠).

ونسبت إليه البدعة، فابتسم البلقيني، ووافقه على ذلك)[1].

حادي عشر: من نتائج الصراعات المذهبية.

نتائج

كان من نتائج الصراع المذهبي في هذا العصر، والجمود الفكري والتقليد والتعصب للمذهب، اضمحلال التفكير والإبداع، وإعلان إغلاق باب الاجتهاد، وانتشار الإرهاب الفكري ضد العلماء الحكماء المرنين والمنفتحين من أتباع المذهب نفسه، ورفع رجال المذاهب فهمهم للكتاب والسنة إلى مستوى الكتاب والسنة، ومسخ مفهوم الفقه في الدين على فقه المذاهب وعُدَّ ما سواه ليس بعلم، وأُهملت التربية وتزكية النفوس، وعلوم الآخرة، وصناعة العلماء الربانيين، وأُهملت الجوانب الفكرية والعقلية والاستنباطية، وأُبعدت الدراسات الطبيعية والدراسات المتعلقة بالأمور الحياتية في جميع جوانبها الاجتماعية والتربوية والاقتصادية والسياسية والعسكرية... ، فكان هذا من الطامَّات التي مُني بها الفكر الإسلامي، الذي قصَّر عن تلبية حاجات الأمة للتطور والتقدم، فتخلفت وضعفت، بل استبيحت من أعدائها من كل الجهات.

(١) المصدر السابق، (ص/١٦٠).

المطلب الثالث: واقع الجبهة الإسلامية قبل العدوان الصليبي.

أولاً: استعداد الصليبيين وانشغال حكام المسلمين بصراعاتهم.

امتدت جبهة الصراع مع الصليبيين من آسيا الصغرى إلى الجزيرة السورية إلى الشريط الساحلي الممتد من تركيا إلى سورية إلى لبنان إلى العمق الفلسطيني إلى مصر.

واقع

كان الصليبيون قد استجمعوا قدراتهم العسكرية والمعنوية، في حين كان الصراع في الدويلات الإسلامية المتاخمة لهذه الجبهة قد أنهك المسلمين وأوهن قواهم وأضعف قدرتهم على المواجهة العسكرية.

فآسيا الصغرى موطن سلاجقة بلاد الروم المسلمين، قُدِّر لها أن تكون خط المواجهة الأول مع الصليبيين البيزنطيين الأرثوذوكس، والذي يمتد من البحر الأبيض المتوسط إلى البحر الأسود، وقد عاشت هذه الدويلة حالة الضعف بسبب الصراع الذي دار بين قائدها سليمان بن قتلمش وبين تتش بن ألب أرسلان السلجوقيين (وهما أبناء عمومة) للسيطرة على مناطق النفوذ ، وكذلك بين الأمراء المحليين بعد مقتل سليمان عام /٤٧٩هـ-١٠٨٦م/، مما سهَّل مهمة الزحف الصليبي البري عبر آسيا الصغرى إلى بلاد الشام(١).

(١) انظر: الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية، د.حامد غنيم أبو سعيد، (٢٢/١).
وللتوسع انظر:

=

وكانت **بلاد الشام** تعيش سلسلة متصلة من التمزق والتشرذم السياسي بسبب الصراع الدامي بين الإمارات المحلية، بل الصراع داخل الإمارة الواحدة، والهادف إلى تحقيق المصالح الشخصية للأمراء دون النظر إلى مصلحة الأمة!.

فكانت بلاد الشام منقسمة إلى إمارات عدة: فهناك إمارة دمشق، وإمارة حمص، وإمارة حلب، وإمارة فلسطين، وإمارة لبنان، وإمارة الأردن!!.

كانت إمارة دمشق تعاني قبل الحروب الصليبية من صراع داخلي وخارجي.

ففي عام /٤٦٣هـ-١٠٧١م/ غزاها السلاجقة لينتزعوها من حكم الخلافة الفاطمية، ولكنهم فشلوا.

وفي عام /٤٦٧هـ- ١٠٧٤م/ اندلعت فيها ثورة داخلية ضد الوالي الفاطمي الذي هرب لينجو بنفسه.

وفي عام /٤٦٨هـ-١٠٧٥م/ انفجر صراع داخلي بين سكان المدينة.

وفي العام نفسه، عانت دمشق من أزمة اقتصادية ومجاعة أضعفتها بشدة.

وفي العام نفسه، غزاها السلاجقة مرة أخرى، واحتلوها، وأسقطوا الحكم الفاطمي في دمشق والذي دام مائة سنة تقريباً.

وعمل الفاطميون على استردادها، فوجَّهوا نحوها ثلاث حملات ضخمة أعوام /٤٧٠هـ/ و /٤٧١هـ/ و /٤٧٨هـ/ فشلت جميعها في إعادتها للحكم الفاطمي.

-الكامل في التاريخ، لابن الأثير.

-دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، حسنين محمد ربيع، دار النهضة العربية-القاهرة [١٩٨٣م].

-الحركة الصليبية، سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة [١٩٦٣م].

-زبدة الحلب في تاريخ حلب، لابن العديم.

كما تعرضت دمشق لغزوة من أمير الموصل عام /٤٧٥هـ-١٠٨٢م/، ولكنه فشل في السيطرة عليها.

وبعد مقتل أميرها السلجوقي "تتش" عام /٤٨٨هـ/ تنازع على إمارتها أبناؤه دقاق ورضوان عام /٤٨٩هـ/ فتقاتلا وخسر المعركة رضوان، فعمل على التحالف مع الفاطميين عام /٤٩٠هـ/لإسقاط أخيه والاستيلاء على دمشق.

وفي عام /٤٩١هـ/هاجم الفاطميون دمشق واستولوا عليها.

والعجيب أن هذا الصراع الثلاثي الأطراف كان يجري في الوقت الذي انطلقت فيه الحرب الصليبية الأولى، والتي نجحت في تأسيس إمارة الرّها وإمارة أنطاكية الصليبيتين عام /٤٩١هـ-١٠٩٨م/! [1].

وأما أوضاع إمارة حلب قبل بدء الحروب الصليبية، فلم تكن أحسن حالاً من إمارة دمشق، علماً بأن حلب ذات أهمية استراتيجية خاصة كونها تمثل الثغر الشمالي لبلاد الشام، ومع ذلك عانت من صراعات عديدة داخلية وخارجية.

ففي عام /٤٤٩هـ-١٠٥٧م/ كانت حلب منطقة نفوذ للفاطميين.

---

(١) للتوسع انظر:
-الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية،د.حامد غنيم أبو سعيد، (٦٦/١ وما بعدها وص/١٢٢).
-ذيل تاريخ دمشق، لابن القلانسي.
-الكامل في التاريخ، لابن الأثير.
-التاريخ الكبير، لابن عساكر.
-الدرة المضيئة في تاريخ الدولة الفاطمية، للدواداري.

وفي عـام /٤٥٢هـ-١٠٦٠م/ استولت الأسرة الكلابية عليها من الفـاطميين، وبعـد شـهر هاجمها الفـاطميون لاستعادة السيطرة عليها فلم يفلحوا، وفي نهاية عام /٤٥٢هـ/ عاود الفاطميون مهاجمتها ونجحوا في بسط السيطرة عليها.

أمام هذا الواقع، استنجد محمود بن نضر الكلابي المهزوم بالإمبراطور البيزنطي ليساعده في حربه مع الفاطميين، وقدَّم له تنازلات مقابل ذلك!!.

استقر الحكم للفـاطميين في حلب حتى عـام /٤٥٧هـ-١٠٦٥م/ إلى أن سيطر عليها مرة أخرى محمود الكلابي الذي كان يتلون في ولائه بين الخلافة العباسية والخلافة الفاطمية حسب الأجواء السياسية وما تمليه عليه المصالح والأهواء.

وفي عـام /٤٧٣هـ-١٠٨١م/ استولى مسلم بن قريش العقيلي أمير الموصل على إمارة حلب.

وفي عام /٤٧٨هـ-١٠٨٥م/دارت الحرب بين العقيلي وسليمان بن قتلمش كبير سلاجقة الروم للسيطرة على حلب، فقتل العقيلي واستولى عليها سليمان.

وفي عام /٤٧٩هـ/ دارت الحرب بين سليمان بن قتلمش السلجوقي وبين "تتش ابن ألب أرسلان" ابن عمه وأمير دمشق، وانتهت الحرب باستيلاء تتش على حلب وقتل سليمان.

وفي العام نفسه، استولى ملكشاه على حلب من أخيه "تتش" السلجوقي.

وفي عـام /٤٨٥هـ-١٠٩٢م/ استولى "تتش" على حلب مرة أخرى بعد وفاة ملكشاه.

ثم اشتدَّ الصراع بين "تتش" وبين ابن أخيه "بركياروق بن ملكشاه"،

وانتهى الصراع بينهما بمقتل "تتش".

وبعد مقتل "تتش" تنازع ولداه دقاق ورضوان السلطة، فاستولى دقاق على دمشق، واستولى رضوان على حلب.

وفي عام /٤٨٩هـ-١٠٩٥م/دارت الحرب بين الأخوين عندما هاجم رضوان دمشق لانتزاعها من أخيه دقاق، ولكنه فشل.

وفي عام /٤٩٠هـ/ تحالف رضوان السلجوقي مع الفاطميين، ثم عاد بعد مدة قصيرة إلى ولائه للخلافة العباسية.

وهكذا فإن مدة حكم السلاجقة لحلب اتسمت بالصراع العنيف بين أفراد البيت السلجوقي، فمن أجل السيطرة على حلب قَتل "تتش" السلجوقي ابن عمه "سليمان"، وقَتل "بركياروق" عمَّه "تتش"، ودخل ولدا تتش رضوان ودقاق في صراع دموي مرير[(١)].

وأما أوضاع الجزيرة السورية قبل بدء الحرب الصليبية، فهي كحال بلاد الشام، حيث كانت منقسمة إلى ثلاث إمارات:

١- إمارة ديار ربيعة، وتقع جنوب شرق الجزيرة، وعاصمتها الموصل.

---

(١) للتوسع انظر:

-زبد الحلب في تاريخ حلب، لابن العديم.

-الكامل في التاريخ، لابن الأثير.

-ذيل تاريخ دمشق، لابن القلانسي.

-العبر في خبر من غبر، للذهبي.

- السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري،د.محمد عبد العظيم أبو النصر.

٢- وإمارة ديار مضر، وتقع جنوب غرب الجزيرة، وأهم مدنها: الرقة والرحبة وحران والرها.

٣- وإمارة ديار بكر، وتقع شمال الجزيرة، وأهم مدنها: آمد وميافارقين.

أما **ديار ربيعة** فكانت خاضعة للأسرة العقيلية.

ففي عام /٤٥٣هـ-١٠٦١م/حكمها شرف الدولة مسلم بن قريش، وكان يتذبذب في ولائه بين العباسيين والفاطميين حسب أطماعه التوسعية.

وفي بداية حكمه دار صراع بينه وبين عمه على الحكم أفضى إلى هزيمة عمه.

وفي عام /٤٦٦هـ/ هاجم مدينة آمد في ديار بكر، لكنه هزم.

وفي عام /٤٧٨هـ-١٠٨٥م/هاجم السلطان السلجوقي سليمان بن قتلمش ديار ربيعة وديار مضر، واستولى على حكم الأسرة العقيلية، حيث قُتل مسلم بن قريش أثناء المعارك.

أما **ديار مضر** فكان لكل مدينة فيها أمير من بني نمير مما أفضى إلى تفتتها وطمع خصومها فيها.

ففي عام /٤٥٢هـ-١٠٦٠م/ استولى عطية المرداسي الكلابي على مدينة حران.

وفي عام /٤٥٣هـ/ استولى على مدينة الرقة، وأعلن ولاءه للخلافة الفاطمية.

وفي عام /٤٦٠هـ/ استولى مسلم بن قريش من الأسرة العقيلية على مدينة الرحبة.

وفي عام /٤٧٤هـ-١٠٨٢م/ استولى مسلم بن قريش على مدينة حران ووضع حداً لحكم الأسرة النميرية، وأعلن ولاءه للخلافة العباسية، وبقي حاكماً إلى أن قتل على يد السلطان السلجوقي سليمان بن قتلمش عام /٤٧٨هـ/.

أما **ديار بكر** فكانت تحت حكم أسرة بني مروان الكردية.

ففي عام /٤٥٣هـ-١٠٦١م/كان يحكمها نظام الدين أبو القاسم المرواني.

وفي عام /٤٥٨هـ-١٠٦٦م/ هاجمها السلاجقة هجوماً عنيفاً ولكنهم لم يستطيعوا الاستيلاء عليها.

وفي عام /٤٧٢هـ١٠٨٠م/ حكمها ناصر الدولة أبو مظفر المنصوري المرواني بعد وفاة والده نظام الدين.

وفي عام /٤٧٧هـ-١٠٨٤م/ استولى السلطان السلجوقي ملكشاه عليها.

وامتد الصراع على الجزيرة بعدها حتى عام /٤٩٧هـ-١١٠٤م/ بين أبناء السلطان السلجوقي ملكشاه وأعمامهم، علماً بأن الصليبيين استطاعوا أن يقيموا إمارة الرّها الصليبية في ديار مضر عام /٤٩١هـ-١٠٩٨م/!![(١)].

وأما أوضاع إمارة فلسطين قبل بدء الحرب الصليبية:

ففي منتصف القرن الخامس الهجري كانت تحت سيطرة الخلافة الفاطمية في مصر.

وفي عام /٤٦٣هـ-١٠٧٠م/استولى عليها القائد السلجوقي "أتسز بن أوق"، ثم استولى على دمشق بعد خمس سنوات، وأنهى فيهما التبعية للخلافة

---

(١) للتوسع انظر:

-الكامل في التاريخ، لابن الأثير.

-العبر في خبر من غبر، للذهبي.=

- ذيل تاريخ دمشق، لابن القلانسي.

-تاريخ الفارقي، لأحمد الفارقي.

-المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي.

الفاطمية واستبدلها بالتبعية للخلافة العباسية.

وفي عام /٤٦٩هـ-١٠٧٦م/ قام أهالي بيت المقدس بثورة على "أتسز" فأخمدها بعنف وقتل من أهلها ثلاثة آلاف!!.

استولى السلطان السلجوقي "تتش بن ألب أرسلان" على بيت المقدس وتخلَّص من "أتسز"، ثم توالى على حكم بيت المقدس أمراء السلاجقة حتى استولى عليها عام /٤٩١هـ/ الفاطميون، **الذين استغلوا فرصة الزحف الصليبي على شمال بلاد الشام، وانشغال السلاجقة بمحاربتهم، فانتزعوا بيت المقدس من سيطرة السلاجقة.**

لم يُعمِّر حكم الفاطميين بعدها طويلاً في بيت المقدس، فقد زحفت القوات الصليبية عام /٤٩٢هـ-١٠٩٨م/واستولت عليه[١].

وأما أوضاع مدن ساحل بلاد الشام (لبنان) قبل بدء الحرب الصليبية:

كانت أهم مدن الساحل طرابلس وبيروت وصيدا وصور وجبيل خاضعة للخلافة الفاطمية حتى منتصف القرن الخامس الهجري.

---

(١) للتوسع انظر:
-الكامل في التاريخ، لابن الأثير.
-العبر في خبر من غبر، للذهبي.
-النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي.
-البداية والنهاية، لابن كثير.
-ذيل تاريخ دمشق، لابن القلانسي.
-المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، للمقريزي.
-الحركة الصليبية، د.سعيد عبد الفتاح عاشور.

ثم سيطر القائد "أتسز" السلجوقي ومن بعده السلطان "تتش" على هذه المدن لمدة عشرة أعوام تقريباً.

وفي عام /٤٨٢هـ-١٠٨٩م/ استعاد الفاطميون سيطرتهم عليها.

وشهدت مدن ساحلية ثورات على الحكم الفاطمي، ما لبث أن أخمدها الفاطميون[١].

وأما أوضاع بلاد العراق قبل بدء الحرب الصليبية، فقد كانت تعاني من صراعات عدَّة:

الأول: الصراع بين الخلفاء العباسيين وبين السلاطين المسيطرين على الخلافة. فقد استعان الخلفاء بالفرس على العرب، ثم استعانوا بالأتراك على الفرس في عهد المعتصم، ثم استعانوا ببني بويه الزيديين الشيعة للتخلص من الأتراك، ثم استعانوا بالسلاجقة ليتخلصوا من بني بويه الذين تحولوا لتأييد الخليفة الفاطمي في مصر، ثم استعانوا بالخوارزميين ليتخلصوا من السلاجقة!![٢].

الثاني: الصراع بين الخلفاء العباسيين في بغداد والخلفاء الفاطميين في مصر للسيطرة على العالم الإسلامي، فقد مرَّ على بغداد عام كامل وهي خاضعة لحكم الخلافة الفاطمية في مصر.

---

(١) للتوسع انظر:

-الكامل في التاريخ، لابن الأثير.

-النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري.

-ذيل تاريخ دمشق، لابن القلانسي.

(٢) انظر: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، د.حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، الطبعة الأولى [١٩٦٧م]، (١٥/٤).

الثالث: الصراع بين السلاطين البويهيين والسلاجقة للسيطرة على بغداد والعراق وما حولها.

الرابع: الصراع بين السلاطين السلاجقة والخوارزميين للسيطرة على بغداد والعراق وما حولها.

الخامس: الصراع داخل بيت السلطان للسيطرة على الحكم، ففي البيت السلجوقي وحده، كمثال، وبعد معارك طاحنة قتل السلطان "**طغرلبك**" أخاه إبراهيم وسمل عينيه وقطع شفتيه، وبعد قتال دامٍ قتل السلطان "ملكشاه" عمَّه "قاروت بك" وسمل عيني ابني عمه أمير شاه وسلطان شاه!!.

وبعد موت السلطان "ملكشاه" دار صراع عنيف بين أبنائه للسيطرة على الحكم، وقد امتدَّ هذا الصراع لمدة اثني عشر عاماً، سبعة منها قبل الحروب الصليبية الأولى، وخمسة في أثنائها!!.

فقد قاتل "بركياروق" أخاه محمود وهزمه، وحلَّ سلطاناً مكانه، ثم قاتل عمَّه "تتش" وقتله، كما قتل عمَّه الآخر "أرسلان"، وقاتل أخاه محمد بعد بدء الحرب الصليبية الأولى وهزمه، وقاتل السلطان "سنجر" ابن عمه محمد بن سليمان وسمل عينيه.

وكان من نتائج الصراع في البيت السلجوقي أن انقسمت الدولة السلجوقية إلى أربع سلطنات:

الأولى: سلطنة خراسان.

والثانية: في الأناضول (آسيا الصغرى).

والثالثة: في بلاد الشام.

و**الرابعة**: في العراق التي تصارع أبناء ملكشاه على حكمها كما ذكرنا آنفاً.

ولم تتوقف الصراعات داخل البيت السلجوقي حتى سقطت دولتهم عام /٥٥٢هـ-١١٥٧م/ أي بعد بدء الحرب الصليبية ب /٥٨سنة/ واستمرارها واحتدامها!!.

وفي غمرة الصراعات الداخلية الحامية الوطيس داخل البيت السلجوقي استطاع الصليبيون أن يحتلوا أجزاء مهمة من الجزيرة السورية وبلاد الشام بما فيها القدس!![1].

وأما الأوضاع في مصر الفاطمية، قبل بدء الحروب الصليبية:

فقد دارت رحى حرب أهلية طاحنة لمدة إحدى عشرة سنة، من عام /٤٥٤هـ-١٠٦٢م/إلى عام /٤٦٥هـ-١٠٧٢م/ بين الحسن بن الحسين بن حمدان ومعه الجنود الأتراك، وبين الخليفة المستنصر بالله ومعه جماعة السودان.

وقد اجتاح مصر في غمرة الحرب الأهلية قحط شديد من عام /٤٥٧هـ/ إلى

---

(١) للتوسع انظر:

-العلاقات السياسية بين الدولة الفاطمية والدولة العباسية في العصر السلجوقي، محمد سالم بن شديد العوفي، الرياض [١٩٨٢م].

-قيام دولة بني بويه، حامد غنيم أبو سعيد، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة.

-العلاقات العربية السياسية في عهد البويهيين، حامد غنيم أبو سعيد، القاهرة [١٩٧١م].

-الكامل في التاريخ، لابن الأثير.

-المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي.

-تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي.

-تاريخ دولة آل سلجوق، عماد الدين محمد الأصفهاني.

عام /٤٦٤هـ/، فاستولى الخراب على البلاد، وعظم الغلاء، ومات الناس جوعاً، وهاجر كثير من المصريين خارج مصر، ووصلت الدولة إلى حافة الانهيار.

وقد تعرضت الخلافة الفاطمية في هذه السنوات إلى المؤامرات الداخلية التي كانت تسعى إلى إسقاط الفاطميين.

وفي عام /٤٦٦هـ-١٠٧٤م/ ولَّى الخليفة الفاطمي المستنصر **بدر الجمالي الأرمني** حاكماً لمصر!!، فلما تمكَّن من الحكم قلَّص من صلاحيات الخليفة، فلم يبقَ له من الخلافة سوى الاسم وبعض المراسم، وصار الحاكم يولي أولاده الحكم من بعده، كما تدخَّل الحاكم بتعيين الخلفاء الفاطميين كما حصل في الخلافة العباسية.

واندلعت حرب أهلية عام /٤٨٨هـ-١٠٩٤م/ بين أنصار ولدي الخليفة المستنصر، المستعلي بالله الذي عيَّنه الحاكم الأفضل، ونزار الذي أوصى له والده المستنصر، ومع أن نزار قُتل، إلا أن الحركة الفاطمية انقسمت إلى اتجاهين:

١- أنصار المستعلي.

٢- أنصار نزار، الذين أسسوا الحركة النزارية ، ثم أسسوا الدولة النزارية، وانبثقت عنهم الإسماعيلية في قزوين (وعاصمتهم: قلعة آلموت) وكذلك في مصياف السورية.

وفي عهد المستعلي الذي توفي عام /٤٩٥هـ-١١٠٢م/ زحفت الجيوش الصليبية على شمال بلاد الشام وبيت المقدس[1].

---

(١) للتوسع انظر:

-النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري.

=

ثانياً: الصراعات الداخلية تغري الأعداء وتضعف البلاد وتقضي على العباد.

حقيقة

إن الصراعات الداخلية توهن قدرات الشعوب على مواجهة أعدائها ، وتُضعفها حتى تصبح صيداً سهلاً يُغري الأعداء المتربّصين.

كما أن السلاطين المستبدِّين اللاهثين وراء مصالحهم وأهوائهم، والذين لا يبالون بمصالح شعوبهم، يتحمّلون المسؤولية الكاملة فيما أوصلوا البلاد إليه من التمزُّق والتفرُّق، مما جعلها لقمة سائغة بأيدي الصليبيين والمغول وغيرهم، فاجتاحوها وأخضعوها وسيطروا عليها.

وكان بعض السلاطين لا يتورَّع عن الخيانة والتحالف مع الصليبيين والمغول للحفاظ على سلطانه ومصالحه. وليس أدلَّ على ذلك مما فعله الملك الكامل الأيوبي من تسليم بيت المقدس إلى الفرنجة الصليبيين، تحقيقاً لمصالحه السياسية الضيِّقة في تصفية خلافاته الداخلية في الدولة الأيوبية!![1].

-الكامل في التاريخ، لابن الأثير.

-الدرة المضية في تاريخ الدولة الفاطمية، للدواداري.

-المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، للمقريزي.

-اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، للمقريزي.

-تاريخ الدولة الفاطمية، د. محمد جمال الدين سرور.

-ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر، د. عبد المنعم ماجد.

(١) انظر: الكامل، لابن الأثير، ذكر تسليم البيت المقدس إلى الفرنج، (١٠/٤٨١).

المطلب الرابع: أسباب الحروب الصليبية.

أولاً: الأسباب غير المعلنة:

١- ضعف الجبهة الإسلامية كما مرَّ معنا، بسبب تمزقها إلى دويلات متصارعة، يسيطر عليها حكام يبحثون عن أهوائهم ومصالحهم ومد نفوذهم، ويفتقدون لأهلية القيادة، مما أغرى الصليبيين باجتياح أجزاء من العالم الإسلامي وخاصة بلاد الشام ومصر.

٢- توحُّد الجبهة الصليبية تحت قيادة الكنيسة، وانتصار سلطان البابوية على سلطان الحكام والأباطرة، وسيطرة نفوذ الباباوات في أوروبا.

٣- بدء زوال الخطر الإسلامي في غرب القارة الأوروبية، حيث تفتت دولة الأندلس إلى دويلات، مما أدى إلى بدء انهيارها. تدريجياً أمام الجيوش الصليبية، مما أثار حماسة الصليبيين وفتح شهيَّتهم لفتح جبهة جديدة في المشرق.

٤- رغبة الكنيسة الغربية بتوسيع مجال نفوذها نحو المشرق لإخضاع المسيحيين الشرقيين، والسيطرة على بيت المقدس.

٥- الرغبة في محاربة الإسلام، والحيلولة دون تمدده نحو الغرب المسيحي.

٦- الرغبة في إضعاف الإسلام ومهاجمته في مواطنه، ومحاولة القضاء عليه.

٧- الرغبة في احتلال الشريط الساحلي لبلاد الشام ومصر، لفتح أبواب المنطقة للمصالح التجارية الغربية.

ثانياً:الأسباب المعلنة:

١- حماية الإمبراطورية البيزنطية من هجمات دولة السلاجقة المسلمين.

٢- حماية الحجاج المسيحيين المتجهين إلى أورشليم للتوبة والتطهير[١].

المطلب الخامس: تبنِّي الكنيسة الغربية للحروب الإفرنجية الصليبية.

عقد البابا "أوربان الثاني[٢]" مجمعاً في "كليرمونت" في فرنسا، عام ٤٨٨هـ-١٠٩٥م/ دعا فيه إلى حرب صليبية مقدسة لاحتلال بيت المقدس، وقال فيها عبارته التاريخية: **"الرب يريدها"** ، ووعد المشاركين فيها بغفران الذنوب والخطايا، وأسال لعابهم لما ينتظرهم من الغنائم والأموال وتملُّك الأراضي الواسعة، التي تفيض لبناً وعسلاً!!.

استجاب الآلاف لدعوته مندفعين بالعواطف الدينية الجياشة التي أثارها فيهم، وقام البابا بتعليق صليب من الخشب على الذراع الأيمن للمتطوعين، فأصبح الصليب شعار الحرب، وكان سبباً في تسمية الحملة بالحروب الصليبية[٣].

قاد "بطرس الناسك" مجموعةً كبيرة من الغوغاء، وسار بهم لاحتلال بيت

---

(١) للتوسع انظر: الحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، (١/ ٢٧ وما بعدها)، والجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية، د. حامد غنيم أبو سعيد، (١/١١٧ وما بعدها).

(٢) بابا من أصل يهودي، انظر: اليهود والحركات السرية في الحروب الصليبية، د. بهاء الأمير، (ص/٢٠٦ وما بعدها).

(٣) الحركة الصليبية، (١/١٣٢ ومابعدها).

المقدس، ولكنهم نهبوا البلاد التي مرُّوا بها، وارتكبوا مذابح شنيعة حتى بحق أبناء دينهم، ولما وصلوا نيقية عام /٤٨٩هـ-١٠٩٦م/ واجههم السلطان "قلج أرسلان" السلجوقي وأفنى أكثرهم ولم ينج منهم إلا القليل النادر[١].

يقول الباحث والمؤرخ غوستاف لوبون: (وكان بطرس الناسك والفارس الفقير غوتيه على رأس أهم العصابات الزاحفة إلى الشرق، وأُكرمت هذه العصابات في البلدان الأوربية التي كانت تمر منها في بدء الأمر، ولكنها لم تكد تصل إلى بلغاريا حتى التقت بأناس من ضعاف الإيمان أبوا أن يضيّفوهم مجاناً، وساء هذا الرفض الصليبيين، ولم يحجموا عن اغتصاب ما مُنعوه وعن نهب قرى تلك البلاد وذبح أهليها .... وأخذوا يقتلون وينهبون ويأتون ما يفوق الوصف من الأعمال الوحشية) [٢].

ويذكر المؤرخ والباحث ول ديورانت أحداثاً فظيعة ارتكبها الفرنجة بحق أبناء دينهم، والأديان الأخرى فيقول: (وكانت هذه الجموع غير النظامية هي التي قامت بأكثر الاعتداءات على يهود ألمانيا وبوهيميا، وأبت أن تطيع نداء رجال الدين والمواطنين من أهل تلك البلاد، وانحطت حتى استحالت في وقت ما؛ إلى وحوش كاسرة تستر تعطشها للدماء بستار من عبارات التقى والصلاح... وسرعان ما أضافوا الفسق إلى السلب والنهب. وقاومهم أهل البلاد مقاومة عنيفة، وأغلقت بعض المدن أبوابها في وجوههم، وأمرهم بعضها

---

(١) المصدر السابق، (١/١٣٥ ومابعدها). .

(٢) انظر: حضارة العرب، د.غوستاف لوبون، (ص/ 323) .

أن يرحلوا عنها بلا مهل، ولما بلغوا آخر الأمر مدينة القسطنطينية، بعد أن نفدت أموالهم، وهلك منهم من هلك بفعل الجوع والطاعون، والجذام، والحمى، والمعارك التي خاضوا غمارها في الطريق، رحب بهم "ألكسيوس" – إمبراطور القسطنطينية–؛ ولكنه لم يقدم لهم كفايتهم من الطعام، فانطلقوا في أرباض المدينة، ونهبوا الكنائس، والمنازل، والقصور. وأراد ألكسيوس أن ينقذ عاصمته من هذه الجموع الفتاكة التي أهلكت الحرث والنسل، وكانت فيها كالجراد المنتشر. فأمدها بالسفن التي عبرت بها البوسفور) [(١)].

المطلب السادس: وقائع الحروب الصليبية المشهورة.

أولاً: الحملة الصليبية الأولى. [(٢)]

١–الوقائع:

استعد الصليبيون للحملة الصليبية الأولى، وأشرف البابا بنفسه على تنظيمها، وأعلن انطلاقتها بتاريخ (٥/٨/١٠٩٦م–٤٨٩هـ).

قام الصليبيون بتشكيل تسعة جيوش بقيادة تسعة زعماء، زحفوا باتجاه القسطنطينية من طرق مختلفة، وبلغ مجموعهم ما يُقارب المليون من المقاتلين ونسائهم وأطفالهم وخدمهم، وتراوح عدد المقاتلين من /٢٠٠/ إلى /٣٠٠/ ألف مقاتل.

---

(١) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت ، الحرب الصليبية الأولى، (ص/5293 وما بعدها).

(٢) انظر: الخريطة رقم /١١/ في فهرس الخرائط.

ثم انتقلوا عبر مضيق البوسفور إلى البر الآسيوي، ولما وصلوا إلى مدينة "نيقية" القريبة من المضيق حاصروها، فاستسلمت حاميتها السلجوقية عام /٤٩٠هـ-١٠٩٧م/ وقاموا بتسليمها إلى إمبراطور بيزنطة، بينما سار الصليبيون إلى الجنوب الشرقي حتى وصلوا إلى مدينتي "هرقلة وقونية" ثم توجهوا شرقاً إلى مدينة "مرعش" الواقعة في تركيا شمالي الإسكندرون[1].

ولما وصلوا إلى مرعش ذهب قسم منهم إلى **مدينة الرها**[2]،شمالي الجزيرة، **وأقاموا فيها أول إمارة صليبية في الشرق،** في شهر شباط عام /١٠٩٨م/ الموافق لربيع الأول عام /٤٩١هـ/[3].

وذهب الباقون إلى **أنطاكية** شمالي بلاد الشام واستولوا عليها في حزيران عام /١٠٩٨م/الموافق رجب عام /٤٩١هـ/، بسبب الصراعات بين الأمراء والحكَّام، فالخليفة العباسي في بغداد لم يحرك ساكناً، والخليفة الفاطمي في القاهرة انتهز الفرصة ليصفي حساباته مع السلاجقة، فأرسل جيشه لينتزع بيت المقدس منهم،عوضاً عن توجهه إلى شمال بلاد الشام للوقوف في وجه الزحف الصليبي، وحكام دمشق وحلب تخاذلوا بل تصارعوا بل تآمروا مع

---

(١) انظر: الحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، (١/ ١٦٢ومابعدها)، وأطلس تارخ الإسلام،د.حسين مؤنس،الزهراء للإعلام العربي-القاهرة،الطبعة الأولى[١٤٠٧هـ-١٩٨٧م].(ص/٢٦٢ ومابعدها) .

(٢) هي مدينة أورفا حالياً شرق تركيا.

(٣) انظر: الحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، (١/ ١٧٢ ومابعدها)، والجبهة الإسلامية، د.حامد غنيم أبوسعيد، (١/ ١٢٦ ومابعدها).

الصليبيين وكذلك فعل الفاطميون، وقد ارتكب الصليبيون أفظع المذابح بحق أهلها، ومثَّلوا بهم أشنع تمثيل، وقتلوا منهم أكثر من عشرة آلاف مسلم، **وأقاموا فيها إمارة صليبية ثانية**[1].

ثم سار الصليبيون نحو الجنوب، فاستسلم لهم أمراء المدن، بل أقاموا معهم تحالفات، وقدموا لهم المؤن والمساعدات، بل أرسلوا معهم الأدلاء، باستثناء أمير "عرقة" التابعة لطرابلس الشام الذي قاوم حصارهم أربعة أشهر، ولما عجزوا ولَّوا وجوههم نحو **بيت المقدس**، فاحتلوها في تموز عام /١٠٩٩م/ الموافق شعبان عام /٤٩٢هـ/، وارتكبوا فيها مذابح مروِّعة حتى خاضت خيولهم في بُرك من الدماء[2].

ويتحدث المؤرخ والباحث الدكتور غوستاف لوبون عن الأعمال الوحشية التي ارتكبها الصليبيون في مدينة القدس بحق اليهود والمسلمين والنصارى الذين يخالفونهم بالمذهب، فيقول: ((وكان سلوك الصليبيين حين دخلوا القدس غير سلوك الخليفة الكريم عمر بن الخطاب نحو النصارى حين دخلها منذ بضعة قرون، **قال كاهن مدينة لوبوي، ريموند داجيل** : "حدث ما هو عجيب بين العرب عندما استولى قومنا على أسوار القدس وبروجها،

---

(١) للتوسع انظر: الكامل، لابن الأثير، (١٣/٩)، والحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، (١/ ١٨٨ ومابعدها)، والجبهة الإسلامية، د.حامد غنيم أبوسعيد، (١/ ١٣٤ ومابعدها).

(٢) للتوسع انظر: الكامل، لابن الأثير، (١٩/٩)،واتعاظ الحنفا، للمقريزي، (٢٣/٣)، والحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، (١/ ٢٢٧ ومابعدها) .

فقد قطعت رؤوس بعضهم، فكان هذا أقل ما يمكن أن يصيبهم، وبُقِرتْ بطون بعضهم، فكانوا يُضطرون إلى القذف بأنفسهم من أعلى الأسوار، وحُرق بعضهم في النار وكان ذلك بعد عذاب طويل، وكان لايُرى في شوارع القدس وميادينها سوى أكداس من رؤوس العرب وأيديهم وأرجلهم، فلا يمر المرء إلا على جثث قتلاهم، ولكن كل هذا لم يكن سوى بعض ما نالوا..."، **وروى ذلك الكاهن الحليم** خبرَ ذبح عشرة آلاف مسلم في مسجد عمر ، فعرض الوصف الآتي: "لقد أفرط قومنا في سفك الدماء في هيكل سليمان، وكانت جثث القتلى تعوم في الساحة هنا وهنالك، وكانت الأيدي والأذرع المبتورة تسبح كأنها تريد أن تتصل بجثث غريبة عنها، فإذا ما اتصلت ذراعٌ بجسم لم يعرف أصلها، وكان الجنود الذين أحدثوا تلك الملحمة لا يطيقون رائحة البخار المنبعثة من ذلك إلا بمشقة"، **ولم يكتف الفرسان الصليبيون الأتقياء بذلك، فعقدوا مؤتمراً أجمعوا فيه على إبادة جميع سكان القدس، من المسلمين واليهود وخوارج النصارى، الذي كان عددهم نحو ستين ألفاً فأفنوهم عن بكرة أبيهم في ثمانية أيام، ولم يستثنوا منهم امرأةً ولا ولداً ولا شيخاً))** [١].

ويتحدث المؤرخ والباحث وِل ديورانت على أحداث مماثلة نفذها الصليبيون في القدس فيقول: (يقولون إن النساء كن يُقتلن طعناً بالسيوف والحراب، والأطفال الرضع يُختطفون من أرجلهم من أثداء أمهاتهم، ويقذف

(١) انظر: حضارة العرب، للدكتور غوستاف لوبون، (ص/326 وما بعدها).

بهم من فوق الأسوار، أو تهشم رؤوسهم بدقها بالعمد، **وذبح السبعون ألفاً من المسلمين الذين بقوا في المدينة، أما اليهود الذين بقوا أحياء فقد سيقوا إلى كنيس لهم، وأشعلت فيهم النار وهم أحياء)** [(١)].

وهكذا **أُقيمت إمارة صليبية ثالثة** في بيت المقدس على أنهار من الدماء، ثم توسعت فاستولى الصليبيون على مدن عكا وصور ونابلس وطبرية وبيسان وعسقلان وحيفا وقيسارية وأرسوف وعكا وصيدا، وكانوا قد استولوا قبل ذلك على الرملة وبيت لحم[(٢)].

ثم اتجه فريق من الصليبيين عام /٤٩٥هـ-١٠٠٢م/ نحو طرابلس الشام، وحاصروها، وهاجموها، ولكن صمود الطرابلسيين بقيادة أميرهم القاضي أبوعلي ابن عمار أفشل خطتهم. وكرر الصليبيون محاولاتهم التي باءت بالفشل حتى عام /٥٠١هـ/ حينما قام الصليبيون بحشد قوة كبيرة للهجوم على طرابلس، في حين تخاذل العباسيون والفاطميون والسلاجقة ولم يستجيبوا لنداءات استغاثة أهل طرابلس، فسقطت المدينة بأيدي الصليبيين عام /٥٠٢هـ-١١٠٩م/ **وأقاموا فيها إمارتهم الصليبية الرابعة**، وفي عام/٥٠٣هـ/ استولوا على بيروت ثم صيدا[(٣)].

---

(١) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، الحرب الصليبية الأولى (ص/5299).

(٢) للتوسع انظر: الكامل، لابن الأثير، (٩/٤٣)، والحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، (١/ ٢٤٣ و٢٥٤ ومابعدها) .

(٣) انظر: الحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، (١/ ٣٠٩ومابعدها، و٣٧٠ ومابعدها)، والجبهة الإسلامية، د.حامد غنيم أبوسعيد، (١/ ١٥٦ ومابعدها)..

ثم قام الصليبيون بعد ذلك بتوسيع مناطق نفوذهم حول إماراتهم الصليبية الأربع، فغدت إماراتهم الصليبية تمتد من الرها شمال شرق حلب إلى أنطاكية غرباً ثم جنوباً على طول ساحل بلاد الشام إلى عسقلان إلى حدود غزة إلى خليج العقبة في أقصى الجنوب، وفي العمق تمتد إلى ريف حلب وحماة الغربي وطبرية وبيت المقدس والكرك والشوبك[1].

وبهذا انتهت الحرب الصليبية الأولى.

سكارى

لم توقظ الفاجعة الأمراء والحكام، بل بقي كلٌّ منهم متمسكاً بحكم دويلته وإمارته التافهة، وغالباً لا يتحرك أحدهم لمواجهة الصليبيين إلا إذا هُددت مصالحه بشكل مباشر!!، وترى الناس سكارى وماهم بسكارى!!.

وكذلك فإن الأمراء الصليبيين تمسَّك كلٌّ منهم بإمارته وحكمه، فإذا تحالفوا توسَّعوا على حساب المسلمين، وإذا تحالف الأمراء والحكام المسلمون هزموا الصليبيين واسترجعوا بعض المناطق الإسلامية من أيديهم.

تعجب

إن تعجب فعجب تلك التحالفات التي تتنقل وتتغير باستمرار وفق مصالح الحكام على الأغلب؟!!..وأكبر العجب عندما يتحالف بعض الحكام المسلمين مع الأمراء الصليبيين ضد إخوانهم من الحكام المسلمين!!.

---

(١) اتعاظ الحنفا، للمقريزي، (٣/٢٨)، والجبهة الإسلامية، د.حامد غنيم أبوسعيد، (١/ ١٧٣ ومابعدها)، وانظر: الخريطة رقم /١٢/ في فهرس الخرائط.

ومن الأدلة على استهزاء الحكام بمصاير شعوبهم، أن يتولى الخلافة الفاطمية في مصر أثناء هذه الفاجعة عام /٤٩٥هـ/المنصور بن المستعلي بالله الذي لم يتجاوز عمره خمس سنوات فقط، ولقَّبوه بالآمر بأحكام الله، وبقي في الخلافة مدة /٢٩/ سنة، فتأمل!![١].

٢-رجال الصحوة المدافعون عن الرسالة والرسول ﷺ والمسلمين.

• تحركات المقاومة الإسلامية الأولى ضد الصليبيين.

المقاومة أثناء الزحف الصليبي:

تصدى السلطان السلجوقي "قلج أرسلان" للموجة الأولى من الزحف الصليبي بقيادة بطرس الناسك أبرز دعاة الحروب الصليبية عند مدينة "نيقية"، واستطاع عام /٤٨٩هـ-١٠٩٦م/ أن يسحق ذلك الجمع الحاشد من الصليبيين العوام المتحمسين غير المدربين فلم ينج منهم إلا النادر القليل الذين فروا إلى القسطنطينية[٢].

تأخر "قلج أرسلان" بالتصدي للموجة الثانية للزحف الصليبي بقيادة الأمراء الصليبيين الذين هاجموا "نيقية" مما أدى إلى سقوطها بأيديهم عام /٤٩٠هـ-١٠٩٧م/، ولما زحف الصليبيون في نفس العام نحو منطقة "ضورليوم" شرق "نيقية"، تحالف قلج أرسلان مع الأمير غازي كمشتكين بن

(١) انظر: اتعاظ الحنفا، للمقريزي، (٣١/٣)..

(٢) انظر: الحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، (١٣٦/١ ومابعدها) .

دانشنمد وقررا التصدي للزحف الصليبي، ودارت معركة عنيفة بين الطرفين انتهت بانتصار الصليبيين، بسبب تفوق الجيش الصليبي عدداً وعدة [١].

وفي عام /٤٩٥هـ-١١٠٢م/ نصب أمير سيواس غازي كمشتكين كميناً لتجمع الأرمن والصلبيين بقيادة بوهيموند عند مدينة ملطية، فوقع بوهيموند في الكمين وأسر وقتل رجاله، ثم قام الأمير غازي بالاستيلاء على ملطية[٢].

وفي عام /٤٩٥هـ-١١٠٢م/ تصدى قلج أرسلان السلجوقي مع الأمير غازي كمشتكين بن دانشنمد التركماني ورضوان بن تتش السلجوقي أمير حلب للموجة الثالثة من الزحف الصليبي التي تضم أربعة جيوش، الأول من اللمبارديين بقيادة "أنسلم" رئيس أساقفة ميلان والثاني من الفرنسيين والألمان وبلغ مجموعهم نحو /٢٠٠/ ألف جندي قادهم ريموند الصنجيلي، والتقى الجمعان بين سيواس وأماسية ودارت معركة حاسمة انهزم فيها التجمع الصليبي وفر أمراؤهم تاركين وراءهم نساءهم وأولادهم ومتاعهم،واستولى المسلمون على غنائم عظيمة وأسروا أعداداً غفيرة، وقتلوا منهم أعداداً ضخمة قدرها المؤرخون من /٥٠ إلى ١٦٠/ ألف قتيل، ثم جاء جيش ثالث بقيادة وليم الثاني كونت نفرز ويبلغ عدده حوالي /١٥/ ألف جندي فرنسي، فأدركهم جيش المسلمين قرب مدينة "هرقلة"، فأبادهم إبادة شبه تامة، ثم جاء جيش رابع بقيادة وليم التاسع دوق اكوتين وولف الرابع دوق بافاريا ويبلغ عدده

(١) المصدر السابق، (١/١٦٢ ومابعدها).

(٢) المصدر السابق، (١/٣٨٧ ومابعدها).

/٦٠/ ألف جندي، فتربص الجيش الإسلامي لهم قرب مدينة "هرقلة" فأبادهم عن آخرهم، ولم يتمكن من النجاة إلاقلة قليلة[١].

المقاومة بعد الاحتلال:

ظهرت أوائل تحركات المقاومة الإسلامية للاحتلال الصليبي بعد مرور ثماني سنوات على بدايته، أي في عام /٤٩٧هـ-١١٠٤م/ عندما تكوَّن **حلف بين حاكم الموصل شمس الدولة جمركش وحاكم "ماردين"**[٢]، **سقمان الأرتقي** إثر سقوط "حرَّان"[٣] بيد الصليبيين، واستطاع هذا التحالف المتواضع أن يهزم تحالفاً صليبياً ضخماً بين ثلاثة أمراء صليبيين وهم أمير الرها وأمير أنطاكية وأمير تل باشر، وأن يأسر الأمراء الثلاثة وأن يمزق قواتهم في معركة على نهر البليخ[٤].

وفي عام /٤٩٩هـ-١١٠٦م/ هاجم **ظهير الدين طغتكين أتابك** صاحب دمشق حصن علعال الصليبي قرب طبرية، فهزم الصليبيين في الحصن، وقام بهدمه، فكان من أمراء المقاومة الإسلامية[٥].

(١) المصدر السابق، (١/٣٤٦ ومابعدها)..
(٢) تقع شرقي الأناضول في تركيا.
(٣) تقع شمالي الرقة وجنوبي ماردين في تركيا.
(٤) للتوسع انظر: الكامل، لابن الأثير، (٩/٧٢ وما بعدها)، والجبهة الإسلامية، د.حامد غنيم أبوسعيد، (١/ ١٧٤ ومابعدها).
(٥) الكامل، لابن الأثير، (٩/٨٨).

وفي عام /٥٠٢هـ/ حقق ظهير الدين أتابك صاحب دمشق انتصاراً كبيراً على الصليبيين مما اضطر بلودين ملك مملكة بيت المقدس الصليبية أن يطلب المهادنة والموادعة[١].

وفي عام /٥٠٥هـ-١١١١م/ تحالف ظهير الدين مع الفاطميين لصدِّ هجوم ملك بيت المقدس بلودين على صور وحطموا هجومه.

وفي العام نفسه تكوَّن تحالف بين أمير الموصل مودود وأمير تبريز وأمير همذان وأمير مراغة وغيرهم، واستطاع هذا التحالف أن يفتح حصوناً عدَّة تابعة لإمارة الرَّها الصليبية[٢].

وفي عام /٥٠٦هـ/ قام أمير الموصل مودود بن ألتونكتين بحملة كبيرة على إمارة الرَّها الصليبية ومع أنه لم ينجح بتحريرها إلا أنه اتخذ من الجهاد ضد الصليبيين ومقاومتهم سياسة ثابتة له[٣].

وفي عام /٥٠٧هـ-١١١٣م/ قام مودود بتكوين تحالف بدعوة من ظهير الدين أتابك أمير دمشق، ضمَّ أمير سنجار وأمراء آخرين ضد تحالف صليبي يضم ملك بيت المقدس وأمير تل باشر وأمير أنطاكية وأمير طرابلس، أي أنه يضم جميع الأمراء الصليبيين، واستطاع الحلف الإسلامي أن يتغلب على

(١) المصدر السابق، (٩/١٣٠).

(٢) المصدر السابق، (٩/١٤٣)، والجبهة الإسلامية، د.حامد غنيم أبوسعيد، (١/ ١٧٦ ومابعدها).

(٣) الكامل، لابن الأثير، (٩/١٤٧).

الحلف الصليبي في معركة دارت عند بحيرة طبرية[١].

وفي عام /٥٠٨هـ/ قاد آق سنقر خليفة مودود حركة المقاومة ضد إمارة الرَّها الصليبية[٢].

وفي عام /٥١٢هـ-١١١٨م/ هاجم ظهير الدين طغتكين أتابك صاحب دمشق طبرية ثم اتجه إلى عسقلان فحاصرها لمدة شهرين ثم عاد إلى دمشق[٣].

وفي عام /٥١٣هـ-١١١٩م/ هاجم أمير أنطاكية "سيرجال" (روجر دي سالرنو في المصادر الغربية) حلب، فجاء إليه نجم الدين إيلغازي فهاجمه وقاتله قتالاً قوياً في سهل قريب من أرتاح فهزمه هزيمة منكرة، وأسفرت المعركة عن مقتل أمير أنطاكية الصليبي، ودمر الجيش الصليبي عن آخره[٤].

وفي عام /٥١٤هـ/ سجل نجم الدين إيلغازي انتصارات أخرى على الصليبيين قرب حلب فهزمهم، وهدم حصن زردنا، وهاجم مع ظهير الدين أتابك الصليبيين في معرَّة قنسرين، وأخضعوهم فطلبوا المهادنة[٥].

وفي عام /٥١٥هـ-١١٢١م/ هاجم "بلك" بن بهرام بن أرتق أمير خرتبرت إمارة الرها وأخذ أميرها الصليبي جوسلين أسيراً، وفي عام /٥١٧هـ-

(١) المصدر السابق، (١٤٩/٩)، والحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، (٣١٩/١ ومابعدها)..
(٢) الكامل، لابن الأثير، (١٥٣/٩).
(٣) المصدر السابق، (١٧٨/٩).
(٤) المصدر السابق، (١٨٥/٩ ومابعدها)، والحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، (٥٠٤/١ ومابعدها).
(٥) المصدر السابق، (١٩٤/٩ ومابعدها).

١١٢٣م/ جاء ملك القدس "بلدوين الثاني" لتخليص جوسلين من الأسر فانقض عليه "بلك" فجأة عند موضع اسمه أورش فهزمه وأسره وحمله إلى قلعة "خرتبت" ليستأنس به جوسلين ملك الرها في سجنه[١].

وفي عام /٥١٨هـ/ هاجم الصليبيون حلب، فهبَّ آق سنقر أمير الموصل لنجدتها استجابة لطلب أهلها، فلما وصل انسحب الصليبيون وفكوا الحصار عنها[٢].

وفي عام /٥١٩هـ-١١٢٥م/ تحالف ظهير الدين صاحب دمشق مع أمراء الجزيرة لصد هجوم الصليبيين القادمين من بيت المقدس[٣].

وفي عام /٥٢٤هـ-١١٣٠م/ جرت معركة في سهل عين زربة، بين الأمير إليغازي ابن الدانشمند وبوهيموند الثاني أمير أنطاكية انتصر فيها إليغازي وقتل فيها بوهيموند[٤].

- **بعض زعماء المقاومة الإسلامية ضد الصليبيين في المرحلة الأولى.**

السلطان قلج أرسلان السلجوقي من عام /٤٩٠هـ إلى ٤٩٤هـ/.

الأمير غازي كمشتكين دانشمند من عام /٤٩١هـ إلى ٤٩٤هـ/.

---

(١) المصدر السابق، (٩/٢١٠)، والحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، (١/٥١٣ ومابعدها).
(٢) الكامل، لابن الأثير، (٩/٢٢٩ ومابعدها).
(٣) المصدر السابق، (٩/٢٤٠).
(٤) الحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، (١/٥٣١ ومابعدها).

شمس الدولة جرمكش، أمير الموصل، عام /٤٩٧هـ/.

سقمان الأرتقي، أمير ماردين، عام /٤٩٧هـ/.

فخر الملك، القاضي أبو علي بن عمار، أمير طرابلس الذي قاوم الصليبيين خمس سنوات، وهزمهم ومنعهم من احتلال طرابلس، من عام /٤٩٥هـ إلى ٥٠١هـ/ .

ظهير الدين طغتكين أتابك، صاحب دمشق، عام /٤٩٩هـ-٥١٩هـ/.

مودود بن التونتكين، أمير الموصل، عام /٥٠٥هـ-٥٠٧هـ/.

آق سنقر البرسقي، أمير الموصل، عام /٥٠٨هـ-٥١٨هـ/.

نجم الدين إيلغازي، أمير حلب، عام /٥١٢هـ-٥١٤هـ/.

بلك بن بهرام أرتق، عام /٥١٥هـ/.

وبعد هؤلاء بدأت مرحلة المقاومة الإسلامية الأساسية.

عماد الدين زنكي قائد المقاومة الإسلامية من عام/٥٢١ إلى ٥٤١هـ/.

قائد

إن قائد المقاومة الإسلامية بلا منازع في هذه المرحلة هو "عماد الدين زنكي"، الذي قضى حياته في توحيد الجبهة الإسلامية في وجه الصليبيين، وقد أكَّد المؤرخون أن ذلك كان الهم الأكبر لعماد الدين، ولم يفكر كغيره في التمسك بالحكم أو المصالح الشخصية[1]

---

(١) عندما هدد الصليبيون حلب، خشي عماد الدين أن يستولوا عليها، فأرسل قاضيه إلى السلطان السلجوقي "مسعود" للمساعدة في درء الخطر عنها.. ولكن القاضي حذر عماد =

تولى إمارة الموصل عام /٥٢١هـ-١١٢٧م/ وكانت أولى خطوات خطته في مواجهة الصليبيين، معالجة حالة التمزق والتفرق والعمل على توحيد الجبهة الإسلامية، وفي فترة مبكرة من ولايته استولى على جزيرة ابن عمر ثم نصيبين ثم سنجار ثم حران في إقليم الجزيرة[١].

في عام /٥٢٢هـ-١١٢٨م/ سار عماد الدين إلى منبج فاستولى عليها وضمَّ بزاغة، وخرج أهل حلب إليه فاستقبلوه واستبشروا بقدومه فاستلمها ورتب أمورها[٢].

في عام (٥٢٣هـ) استولى على حماة واستعصت عليه حمص فعاد إلى الموصل [٣].

وفي عام /٥٢٤هـ-١١٣٠م/ سار إلى حصن الأتارب قرب حلب ليحرره من الصليبيين فخرج إليه الصليبيُّون وجمعوا جيشاً عظيماً فالتقوا ودار

الدين من إمكانية استيلاء السلطان مسعود على إمارته، فما كان من عماد الدين زنكي إلا أن آثر المصلحة الإسلامية العامة على مصلحته الشخصية، وقال لقاضيه: "إن الصليبيين قد طمعوا في البلاد وإن هم استولوا على حلب لم يبقَ في الشام إسلام، وعلى كل حال فالمسلمون أولى بها من الكفار"

انظر: التاريخ الباهر، لابن الأثير، (ص/٦٢)، وتاريخ الإسلام، د.حسن إبراهيم حسن، نقلاً عن كتاب المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لأبي الفرج ابن الجوزي، (١٠/٦٧).

(١) الكامل، لابن الأثير، (٩/٢٤٢)، والباهر، لابن الأثير، (ص/٣٤ ومابعدها)، والروضتين، لأبي شامة، (١/١١٥ وما بعدها).

(٢) الكامل، لابن الأثير، (٩/٢٤٦ ومابعدها)، والحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، (١/٥٦٥ ومابعدها).

(٣) الكامل، لابن الأثير، (٩/٢٥١ ومابعدها).

بينهما قتال شديد فانهزم الصليبيُّون هزيمة منكرة ووقع كثير منهم في الأسر وقُتل منهم الكثيرون، ثم زحف إلى حصنهم واستولى عليه عنوة وقتل المسلمون وأسروا كل من فيه، ثم زحف غرباً نحو قلعة حارم فأخضعها(١).

ثم انشغل عماد الدين في الصراعات الداخلية بين سلاطين السلاجقة والخلفاء العباسيين في بغداد سنوات عدة، ولكنه لم يكن يغفل عن مقاومة الصليبيين بل مبادرتهم والهجوم على ممالكهم كلما أتيح له ذلك.

ففي عام (٥٢٧هـ-١١٣٣م) هاجم ملك مملكة بيت المقدس الصليبية أعمال حلب ومحيطها، فتصدى لهم الأمير أسوار نائب عماد الدين في حلب، فأوقع بهم وأكثر القتل فيهم وأسر، فانهزموا، وعادوا أدراجهم، ثم هاجم صليبيو الرها أعمال حلب، فخرج إليهم نائبه أسوار فأوقع بهم وقتلهم عن آخرهم وأسر من لم يُقتل(٢).

وفي عام (٥٢٨هـ) استولى عماد الدين زنكي على قلعة الصور من بلاد ديار بكر، ثم استولى على جميع قلاع الأكراد الحميدية، وقلاع الأكراد الهكارية وكواشي(٣).

وفي عام (٥٣٠هـ) اجتمعت عساكره في حلب وحماة بقيادة الأمير أسوار

---

(١) المصدر السابق، (٩/٢٥٣ ومابعدها)، والباهر، لابن الأثير، (ص/٣٩ وما بعدها)، والروضتين، لأبي شامة، (١/١١٨وما بعدها)..

(٢) انظر: الكامل، لابن الأثير، (٩/٢٦٨ومابعدها).

(٣) المصدر السابق، (٩/٢٧٤ ومابعدها).

نائبه في حلب، قاصدين أعمال اللاذقية وما حولها، والتي كانت تحت سيطرة الصليبيين، فقتلوا وأسروا وغنموا غنائم عظيمة، وعجز الصليبيون عن مواجهتهم[١].

وفي عام /٥٣١هـ-١١٣٧م/، استولى على قلعة بعرين قرب حماة، وبسط سلطانه على المعرَّة وكفر طاب[٢].

وفي عام (٥٣٢هـ) تحالف الصليبيون وإمبراطور بيزنطة للوقوف في وجه القوة المتصاعدة لعماد الدين زنكي، فحاصروا حلب من كل الجهات، ولكن عماد الدين استطاع أن يشكك الإمبراطور بنوايا الصليبيين فانسحب وفشل الحصار[٣].

وفي العام نفسه استولى على حمص وأعمالها[٤].

وفي عام (٥٣٣هـ-١١٣٩م) استولى على بعلبك وقلعتها[٥].

وفي عام /٥٣٤هـ/ توجه عمادالدين زنكي إلى دمشق وحاصرها، وأرسل إلى أميرها جمال الدين محمد ليسلمها إليه، وعرض عليه حمص وبعلبك عوضاً عنها، فلم يقبل، ومات أثناء الحصار، وولي بعده ابنه مجير الدين الذي

(١) المصدر السابق، (٢٩١/٩).

(٢) المصدر السابق، (٢٩٨/٩ ومابعدها)، والحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، (٥٧٤/١ ومابعدها).

(٣)الكامل، لابن الأثير، (٩/ ٢٩٩ومابعدها و ٣٠٢)، والروضتين، لأبي شامة، (١٢٢/١ ومابعدها)، والجبهة الإسلامية، د.حامد غنيم أبوسعيد، (١/ ٢٥٨).

(٤) الكامل، لابن الأثير، (٣٠١/٩)

(٥) المصدر السابق، (٣١٠/٩).

استنجد بالصليبيين ضد عماد الدين زنكي، مقابل إعطائهم بانياس، فانسحب عماد الدين وأخذ مجير الدين بانياس وسلّمها للصليبيين[1].

وفي العام نفسه، استولى عماد الدين على "شهر زور" وأعمالها وما يجاورها من حصون في تلك البلاد[2].

وفي عام (٥٣٦هـ) ملك عماد الدين مدينة "آمد"، ومدينة "الحديثة"[3].

وفي عام (٥٣٧هـ) ملك عماد الدين قلعة "أشب" وهي أعظم حصون الأكراد الهكارية، فدمرها وبنى عوضاً عنها قلعة "العمادية" المشهورة باسمه[4].

وفي عام /٥٣٨هـ-١١٤٤م/ استولى على عدة حصون صليبية في ماردين في ديار بكر[5].

وفي عام /٥٣٩هـ-١١٤٤م/ **حقق أعظم انتصاراته عندما حرر إمارة الرها من الصليبيين بعد أن دام احتلالهم لها /٤٨/ سنة،**ثم تمدد إلى الحصون والمدن والقرى الأخرى في هذا الإقليم، وبذلك حرر جميع المناطق الإسلامية شرق الفرات من قبضة الصليبيين،**وقد أذن هذا النصر ببداية**

(١) المصدر السابق، (٣١٣/٩ ومابعدها).

(٢) المصدر السابق، (٣١٤/٩ ومابعدها).

(٣) المصدر السابق، (٣٢٤/٩ ومابعدها).

(٤) المصدر السابق، (٣٢٦/٩)، والروضتين، لأبي شامة، (١٣٥/١ وما بعدها).

(٥) الكامل، لابن الأثير، (٣٢٩/٩) .

تقلص الوجود الصليبي في المنطقة[1].

● أهم انجازات وصفات القائد عماد الدين زنكي:

١- أصبح أميراً للموصل بعد بدء الحرب الصليبية الأولى بـ /٤٢ سنة/، فكان عليه أن يواجه أمراً واقعاً، غدا فيه العدو متمكناً في الأرض ومتحصناً بقوة، ومتحولاً إلى ممالك قوية مدعومة بالجيوش، ومؤيدة بالدعم القوي من أوروبا الصليبية.

٢-كان عليه أن يواجه التمزق والتشرذم في الجبهة الإسلامية، ويعمل على توحيدها. وهكذا فإن **من أهم ميزاته أنه القائد الأول للتحرير**، ولم يكن يستند إلى أي إنجاز سابق. وقد نجح عماد الدين في توحيد إمارتي الموصل وحلب، واستطاع أن يوقف التوسع الصليبي، ثم استطاع أن يقلص نفوذه، ليبدأ بالانحسار تدريجياً.

٣- ويعدُّ باعث الصحوة، ومؤسس المقاومة الإسلامية ضد الصليبيين بلا منازع، لمدة عشرين عاماً.

وفي عام /٥٤١هـ-١١٤٦م/اغتاله بعض الخونة من غلمانه أثناء حصاره لقلعة جعبر، فانتقل إلى الرفيق الأعلى بعد جهاد طويل، جزاه الله تعالى عن المسلمين خير الجزاء.

وقد تحدث ابن الأثير عن سيرة السلطان الشهيد عماد الدين زنكي في

---

(١) المصدر السابق، (٩/٣٣١ومابعدها)، والباهر، لابن الأثير، (ص/٦٦)، والروضتين، لأبي شامة، (١/١٣٨ومابعدها).

كتابه التاريخ الباهر، نوجزها بما يلي:

كانت سيرته من أحسن سير الملوك وأكثرها حزماً وضبطاً للأمور، وكانت رعيته في أمن شامل، واستقرار، لعجز القوي عن التعدي على الضعيف.

فقد استولى أحد أمرائه المقربين ومن ذوي الرأي عنده على بيت يهودي في جزيرة ابن عمر، فاستغاث اليهودي بالسلطان عماد الدين، فنظر إلى الأمير المعتدي نظرة مغضب ولم يكلمه كلمة واحدة، فتأخر الأمير القهقرى وأخرج خيامه وانتقل إليها وردَّ البيت لليهودي.

وكان عماد الدين ينهى أصحابه عن اقتناء الأملاك، ويقول: "متى صارت الأملاك لأصحاب السلطان، ظلموا الرعية وتعدُّوا عليهم، وغصبوا أملاكهم."...ولا خلاف في أن عمارة البلاد من ثمرات العدل، وكف الأيدي المتطاولة إلى أهلها.

ومن علم حال هذه البلاد قبل ملكه عرف مقدار ماعمر منها..،حكى لي والدي، قال:رأيت الموصل التي هي أم البلاد في أول أيام الشهيد وأكثرها خراب...،فلما طالت أيام الشهيد عماد الدين وحمى البلاد ومنع المفسدين وكف أيدي الأقوياء، سارت سيرته في البلاد، فقصده الناس واتخذوا بلاده داراً... فلم تزل العمارة تكثر بالموصل وغيرها.

وكانت الموصل أقل بلاد الله فاكهة... فلما عمرت البلاد، زرعت البساتين بظاهرها وفي ولايتها، فهي اليوم أكثر البلاد فاكهة.

وكان يتابع أعمال عماله بدقة، ويرفع إليه تقارير عن أعمالهم وأوضاعهم من عيونه المبثوثين، وكان مع اشتغاله بالأمور الكبار من أمور الدولة لا يهمل الاطلاع على صغارها، وكان يقول: "إذا لم يُعرف الصغير ليُمنع ، صار كبيراً".

وكان لا يسمح بمرور رسول دولة أخرى في بلاده إلا بأمره، ويرسل له مرافقاً لا يتركه حتى يسافر، ويمنعه من الاجتماع بأحد من الرعية، فكان الرسول يدخل بلاده ويخرج منها ولا يعلم من أحوالها شيئاً ألبتة.

وكان يتعهد عماله ويمتحنهم، وكان لا يسمح لأحدٍ من خَدَمه بالخروج خارج البلاد حتى لا يدل على عوراتها، فيطمعَ أعداؤها بها.

وكان يضع على الثغور في مواجهة الصليبيين مجموعات، ويأمرهم بمهاجمتهم على طريقة حرب العصابات حتى لا يرتاحوا، وكان يملكهم كل ما يستنقذونه من بلاد الصليبيين.

وكان شجاعاً تُضرب الأمثال بشجاعته، فقد أحدق به الأعداء الداخليون والخارجيون من كل جانب، فكان ينتصف منهم ويغزو كلاً منهم في عقر داره، ويفتح بلادهم.

وكان سياسياً حاذقاً محنكاً، إذا لم يجد عنده قدرة على مهاجمة سلطان، حرَّك عليه أصحاب الأطراف بالخروج عليه، فيصبح السلطان محتاجاً إليه ليعيدهم إلى طاعته، فيصير عماد الدين كالحاكم على الجميع، وكلٌّ يداريه ويخضع له، ويطلب منه ما تستقر القواعد على يده، وهذا ما كان يفعله مع السلطان "مسعود" السلجوقي المجاور له.

وكان شديد الغيرة على نساء الأجناد، فإن التعرض إليهن كان من الذنوب التي لا يغفرها، فقد بلغه عن رجل متقرب إليه أنه يتعرض للنساء فألقى القبض عليه، وأخذ جميع أمواله، وقطع ذَكَره، وقلع عينيه، فلم يتجاسر بعده أحد على سلوك شيء من أفعاله.

وكان يحافظ على قواده ويرعاهم، ولا يتغير عليهم إلا بذنب يوجب ذلك، فلهذا كانوا ينصحونه ويبذلون نفوسهم له، وكان يبحث عن أصحاب المواهب، والهمم العليا، والآراء الصائبة، والأنفس الأبية، فيقرِّبهم ويكلِّفهم بالأعمال، ويوسِّع عليهم في الأرزاق، يحثهم على فعل الجميل واصطناع المعروف.

ومنذ تولى المُلْك بدأت البلاد التي استولى عليها الصليبيون بالعودة إلى سلطان المسلمين، وصارت عقود الصليبيين تتفسخ، وسلطانهم يتقلص [1].

وبعد استشهاده بقيت جبهة المقاومة الإسلامية ضد الصليبيين فلم تتوقف، بل تابعت خُطاها بنجاح على يد ابنه **نور الدين محمود زنكي**، زعيم المقاومة الإسلامية للصليبيين بلا منازع بعد أبيه.

٣- المتخاذلون والخائنون.

وكما ظهر أثناء الحرب الصليبية الأولى، رجال الصحوة المدافعون عن الرسالة والرسول ﷺ والمسلمين، ظهر أيضاً المتخاذلون! والخائنون!.

---

(١) انظر التاريخ الباهر، لابن الأثير، (ص / ٧٦ ومابعدها).

متخاذلون

هناك حكام سجّل لهم التاريخ تخاذلهم ومواقفهم المخزية، اللاهثة وراء المصالح والأهواء الشخصية، والمعبرة عن موت حسِّهم الديني، وافتقادهم لأدنى درجات المسؤولية تجاه أمتهم وشعوبهم.

فالحكام الفاطميون تخاذلوا عن مواجهة الزحف الصليبي، بل إن المؤرخين يشيرون إلى **خيانتهم** بإقامة تحالف بينهم وبين الصليبيين لإضعاف خصومهم السلاجقة!!، وبدل أن يتحالفوا مع الجبهة الإسلامية لمواجهة الغزو الصليبي، كانوا يستغلون انشغال السلاجقة في الصراع مع الصليبيين ليستولوا على مدنهم كما فعلوا في طرابلس ودمشق وصور وعسقلان والقدس وغيرها،وهذا منتهى **المهانة** ... وليس بعجيب أن الصليبيين استولوا بسهولة على هذه المدن بعد ذلك وطردوا الفاطميين منها، **لأن الخائن لا أمان له ولا ثقة لأحد به.**

وتخاذل بعض سلاطين السلاجقة عن الانضمام إلى الجبهة الإسلامية في الدفاع عن أنطاكية في وجه الغزو الصليبي وكان على رأسهم رضوان بن "تتش" أمير حلب. بل ذهب إلى أخطر من ذلك، حينما عمل على إضعاف القوات الإسلامية التي جاءت لنجدة أنطاكية، فهو لم يكتف بموقفه السلبي بعدم نجدة المسلمين في أنطاكية، بل عمد إلى **إثارة الفتنة** بين القوات التركية والقوات العربية المدافعة عن أنطاكية!!، وقد تحدث المؤرخون كابن العديم وغيره عن مواقفه **المتخاذلة** وإساءته البالغة للجبهة الإسلامية، إضافة إلى

كون شغله الشاغل ينصبُّ على توسيع سلطانه ونفوذه والتمسك بحكمه، وقد دفعه هذا إلى التحالف مع الإسماعيلية الباطنية، فساعدهم على نشر دعوتهم، وأقام لهم دار الدعوة في حلب، وبالمقابل ساعدوه على تصفية خصومه ومنهم جناح الدولة أمير حمص[1].

وتخاذل الخلفاء العباسيون، الذين تفرَّغوا لقصورهم، واهتموا اهتماماً بالغاً في الحفاظ على ما تبقى لهم من سلطان زائف لا يتجاوز حدود رقابهم التي تحكم بها السلاطين المسيطرون على بغداد، ولم يكن الزحف الصليبي على بلاد الشام يقلقهم بسبب بُعده عن قصورهم!!.

ثانياً: الحملة الصليبية الثانية:

١- الوقائع:

سبَّب تحرير عماد الدين زنكي للرها من الصليبيين، ثم استيلاء ابنه نور الدين محمود على معاقل صليبية عدَّة، فزعاً في الغرب الصليبي، فتداعى الغرب إلى شن حرب صليبية ثانية، لإغاثة الإمارات الصليبية في بلاد الشام من جهة، ولإخضاع بلاد الشام ومصر على نحو كامل للنفوذ الصليبي

---

(١) للتوسع انظر:

-زبد الحلب من تاريخ حلب، عمر بن أبي جرادة، ابن العديم.

-الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية، د. حامد زيان.

-الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية، د. حامد غنيم أبو سعيد.

وعقيدته ومصالحه من جهة أخرى.

قام الراهب الفرنسي "سان برنارد" بالتحريض على هذه الحرب، وعُقِدَ مجمع كنسي برئاسة البابا "أوجان الثالث" في مدينة "فيزولاي" عام /٥٤٠هـ-١١٤٥م/ دعا إلى شن حرب صليبية ثانية على بلاد الشام **بعد خمسين سنة** تقريباً من الحرب الأولى، فاستجاب لهذه الدعوة ملك فرنسا "لويس السابع" ، وإمبراطور ألمانيا "كونراد الثالث"[(١)].

وصلت الجيوش الصليبية إلى القسطنطينية عام /٥٤٢هـ-١١٤٧م/ ، وما إن خرج الإمبراطور الألماني كونراد من نيقية متوجهاً إلى قونية حتى تصدت له قوات السلطان السلجوقي مسعود عند "اسكي شهر" وأعملوا فيهم قتلاً وأسراً فاضطر كونراد للتراجع إلى نيقية مع فلول قواته في حين غنم المسلمون غنائم لاحصر لها، وهناك التقى بالملك الفرنسي لويس السابع، ثم توجه كل منهما إلى بيت المقدس عن طريق مختلف، وهناك بعد التداول قرر ملك فرنسا وإمبراطور ألمانيا وملك مملكة بيت المقدس احتلال مدينة دمشق، فتوجوا إليها وحاصروها عام /٥٤٣هـ-١١٤٨م/ ودافع أهل

---

(١) انظر: الحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، (١/٦٢١ ومابعدها).

دمشق عن مدينتهم ببسالة منقطعة النظير[1]، وبعد خمسة أيام دبَّ الخلاف بين القادة الصليبيين، وبلغهم قدوم جيش بقيادة نور الدين من حلب وسيف الدين غازي من الموصل، فانسحبوا متقهقرين.. وبهذا انتهت الحرب الصليبية الثانية بفشل ذريع، وتجرَّع الصليبيون الخيبة ورجعوا مهزومين[2].

٢- رجال الصحوة المدافعون عن الرسالة والرسول ﷺ والمسلمين.

قائد

نور الدين محمود زنكي، قائد المقاومة الإسلامية ضد الصليبيين في هذه المرحلة.

نور الدين محمود زنكي قائد المقاومة الإسلامية، من عام /٥٤١ إلى ٥٦٩هـ/.

(١) ويروي ابن الأثير قصة جهاد الفقيه حجة الدين الشيخ يوسف بن ذي باس الفندلاوي المغربي، فقد خرج للقتال وكان شيخاً كبيراً فقيهاً صالحاً فلما رآه الأمير معين الدين ((وهو راجل، قصده وسلَّم عليه، وقال له: يا شيخ، أنت معذور لكبر سنك، ونحن نقوم بالذبّ عن المسلمين، وسأله أن يعود، فلم يفعل، وقال له: قد بعت واشترى مني، فوالله لا أقلته ولا استقلته، يعني قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [سورة التوبة: 111]وتقدّم فقاتل الفرنج حتى قُتلَ))
انظر: الكامل، لابن الأثير (٣٥٣/٩)..

(٢) انظر: الكامل، لابن الأثير، (٣٥٣/٩ ومابعدها)، والروضتين، لأبي شامة، (١٨٤/١ ومابعدها)، والحركة الصليبية، د. سعيد عاشور،، (٢/ ٦٢١ ومابعدها).

استغل الصليبيون وعملاؤهم موت عماد الدين زنكي عام /٥٤١هـ-١١٤٦م/، فانقض "جوسلين الثاني" على الرَّها واستولى عليها، وانقضَّ العميل معين الدين أنر المتحكم بدمشق على بعلبك واستولى عليها وأخضع حكام حمص وحماة التابعين لدولة زنكي، وقام ريموند أمير أنطاكية بحملة على حلب حتى وصل إلى أسوارها.

بعد أسبوع واحد استعاد نور الدين الرَّها وفرَّ جوسلين، وكان من جملة القتلى بلدوين حاكم مرعش الصليبي[١].

وفي عام /٥٤٢هـ/ وسَّع منطقة نفوذه فاستولى على أربعة حصون صليبية[٢].

وفي عام /٥٤٣هـ/ استولى على حصن "العُرَيمة" التابع لإمارة طرابلس، وتصدى لجنود ريموند أمير أنطاكية الصليبي الذين أغاروا على أرياف حلب، فانهزم الصليبيون وقتل كثير منهم وأسر مجموعة من أمرائهم ولم ينج منهم إلا قليل[٣].

وفي عام /٥٤٤هـ-١١٤٩م/ هاجم أنطاكية وحرَّرها وقتل ملكها "ريموند"، وأعاد سلطته على حمص[٤].

وفي عام /٥٤٥هـ/ حرر حصن أفاميا القريب من حماة وشيزر من

---

(١) انظر: الكامل، لابن الأثير، (٩/٣٤٢)، والروضتين، لأبي شامة، (١/١٧٥)، والحركة الصليبية، د. سعيد عاشور،، (٢/ ٦١١ ومابعدها)..

(٢) الكامل، لابن الأثير، (٩/٣٤٨).

(٣) المصدر السابق، (٩/٣٥٤ ومابعدها)، والروضتين، لأبي شامة، (١/١٩٦ ومابعدها).

(٤) الكامل، لابن الأثير، (٩/٣٦٢ ومابعدها)، والباهر، لابن الأثير، (ص/٩٨ ومابعدها)، والحركة الصليبية، د. سعيد عاشور،، (٢/ ٦٣٧ ومابعدها).

الصليبيين وحصنه بالذخائر والسلاح والرجال[1].

وفي عام /٥٤٦هـ-١١٥١م/ تغلَّب على "جوسلين الثاني" بالحيلة فأسره، ثم استولى على بلاده تل باشر وعين تاب واعزاز وحرر عدداً كبيراً من حصونه وقلاعه شمال حلب، فكانت نهاية إمارة الرَّها الصليبية[2].

وفي عام /٥٤٧هـ/ جمع الصليبيون جموعهم ليمنعوا نور الدين من بسط سيطرته على المنطقة فساروا إليه وهو "بدلوك"، فتحول إليهم وصادمهم وهزمهم هزيمة منكرة وقَتل كثيراً منهم وأسر منهم عدداً كبيراً، ثم رجع إلى دلوك فحررها [3].

وفي عام /٥٤٩هـ-١١٥٥م/ حرر دمشق من حكامها العملاء للصليبيين، ومن نفوذ الصليبيين المتحكم بها، وأعاد توحيدها مع حلب بعد انفصالهما لمدة /٦١/ عاماً، وبهذا استطاع نور الدين أن يوحد جبهة المقاومة من الرها شمالي شرق بلاد الشام إلى دمشق وجنوبها[4].

وفي عام /٥٥٢هـ-١١٥٧م/ ملك شيزر وبعلبك، وهاجم جيش بلدوين الثالث ملك مملكة بيت المقدس عند بانياس قرب القنيطرة، فجعل جنودهم بين قتيل وأسير وجريح، ولاذ بلدوين بالفرار إلى صفد، واستولى

---

(١)الكامل، لابن الأثير، (٩/٣٦٦) .

(٢) المصدر السابق، (٩/٣٦٩ ومابعدها)، والباهر، لابن الأثير، (ص/١٠٢ ومابعدها)، والجبهة الإسلامية، د.حامد غنيم أبوسعيد، (١/ ٢٧٨ ومابعدها).

(٣) الكامل، لابن الأثير، (٩/٣٧٥).

(٤) المصدر السابق، (٩/٣٩٨ ومابعدها)، والحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، (٢/ ٦٦١ ومابعدها)، والجبهة الإسلامية، د.حامد غنيم أبوسعيد، (١/ ٢٨٠ ومابعدها).

نور الدين على بانياس[(١)].

وفي عام /٥٥٩هـ-١١٦٤م/ أرسل جيشاً إلى مصر للمرة الأولى بقيادة أسد الدين شيركوه ليكون له يد في مصر يستعين بها على جهاد الصليبيين، وفي هذه السنة حرر حصن حارم وحصن بانياس[(٢)].

وفي العام نفسه شكل نور الدين تحالفاً مع فخر الدين قرا أرسلان الأرتقي أمير حصن كيفا في ديار بكر، ونجم الدين ألبي أمير ماردين، وأخيه قطب الدين مودود أتابك الموصل، واتجه جيش التحالف بقيادته لمواجهة تحالفٍ صليبي عند ارتاح قرب حارم بقيادة بوهيموند الثالث أمير أنطاكية، ومعه ريموند الثالث أمير طرابلس، وحاكم قلقيلية البيزنطي،وثوروس الثاني الأمير الأرمني، فدارت بين الحلفين معركة حامية انتصر المسلمون فيها وقتل الآلاف من الصليبيين وأسر جميع أمرائهم باستثناء ثوروس، ثم توجه نور الدين إلى حارم فاستولى عليها، وانحدر نحو بانياس فاستولى عليها أيضاً[(٣)].

وفي عام /٥٦٢هـ-١١٦٧م/ أرسل جيشاً بقيادة أسد الدين شيركوه، يساعده صلاح الدين الأيوبي للمرة الثانية، لتحرير مصر من العملاء الصليبيين، وعلى رأسهم وزير الفاطميين "شاور" بن مجير السعدي المتحكم

---

(١) انظر: الكامل، لابن الأثير، (٩/٤١٣ ومابعدها)، والحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، (٢/ ٦٦٦ ومابعدها).

(٢) الكامل، لابن الأثير، (٩/٤٦٥ ومابعدها)، والنوادر السلطانية، لابن شداد، (ص/٧٥ وما بعدها)، والروضتين، لأبي شامة، (١/٤٠٦ ومابعدها).

(٣) الباهر، لابن الأثير، (ص/١٢٢ ومابعدها)، والحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، (٢/ ٦٨٥ ومابعدها).

بمصر، فاستنجد شاور بملك القدس الصليبي، وتقابلت الجيوش في صعيد مصر قرب "المُنْية" فانتصر جيش نور الدين انتصاراً عظيماً، ثم اتجه جيشه إلى الإسكندرية فحررها، وولَّى عليها صلاح الدين الأيوبي، ثم عاد الصليبيون فحاصروا الإسكندرية بمساعدة الأسطول البحري البيزنطي، وانتهى الحصار بعقد هدنة وانسحاب الجيوش النورية والصليبية من مصر وتركها لأصحابها[(١)].

وفي عام /٥٦٤هـ-١١٦٨م/ عاد الصليبيون فهاجموا بلبيس، واستولوا عليها، وارتكبوا فيها مذبحة مروِّعة، ثم هاجموا الفسطاط، ثم حاصروا القاهرة، فأرسل نور الدين القائد شيركوه ومعه صلاح الدين للمرة الثالثة، فدخلوا القاهرة، وأصبح شيركوه وزير الخليفة الفاطمي، وأصبح حكم مصر بيده، وبعد شهرين تقريباً توفي شيركوه، فخلفه صلاح الدين الأيوبي في الوزارة وفي حكم مصر[(٢)].

وفي ١١/شوال/٥٦٩هـ-١٥/٥/١١٧٤م، توفي القائد المجاهد الملك العادل نور الدين زنكي قائد المقاومة الإسلامية، بعد أن ترك على مدى ثمانية وعشرين عاماً سجلاًّ حافلاً بالجهاد ضد الصليبيين والنضال من أجل بناء جبهة المقاومة الإسلامية ضد الصليبيين، فجزاه الله تعالى عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء[(٣)].

---

(١) انظر: الكامل، لابن الأثير، (١٠/٣ ومابعدها)، والنوادر السلطانية، لابن شداد، (ص/٧٦ ومابعدها).

(٢) انظر: الكامل، لابن الأثير، (١٠/١١ ومابعدها)، والنوادر السلطانية، لابن شداد، (ص/٧٦ ومابعدها) . وانظر: الحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، (٢/ ٧٠٥ ومابعدها).

(٣) انظر: الكامل، لابن الأثير، (١٠/٥٦)، والباهر، لابن الأثير، (ص/١٦٢)، والنوادر =

إنجاز

بعد أن كانت مصر والخلافة الفاطمية فيها في حالة تبعية كاملة لمملكة بيت المقدس وكانت تدفع الأموال لملكها الصليبي، تحولت مصر بفضل حكمة نور الدين قائد جبهة المقاومة الإسلامية وجهاده العظيم وجهاد قادة جنده المخلصين وأصبحت جزءاً عظيماً من دولة المقاومة الإسلامية، وغدت مركزاً لها ضد الخطر الصليبي والزاوية المنيعة التي خرجت منها جيوش المقاومة لتحرير الأرض الإسلامية من رجز الصليبية، وكانت المخزن الكبير الذي أمد جبهة المقاومة بالموارد البشرية والمالية الضخمة في جهادها ضد الصليبيين واقتلاعهم من جذورهم.[1].

أهم صفات القائد نور الدين محمود:

يقول ابن الأثير في صفة الملك العادل نور الدين محمود زنكي في كتابه "الكامل في التاريخ":

(وطبق ذكره الأرض **بحسن سيرته وعدله**، وقد طالعت سير الملوك المتقدمين فلم أر فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز أحسن من سيرته، ولا أكثر تحرياً منه للعدل، وقد أتينا على كثير من ذلك في كتاب الباهر من أخبار دولتهم، ولنذكر ههنا نبذة، لعل يقف عليها من له حكم فيقتدي به).

السلطانية، لابن شداد، (ص/٨٨ ومابعدها) .

(١) انظر: الحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، (٢/٧٠٥ وما بعدها).

فمن ذلك **زهده وعبادته وعلمه**، فإنه كان لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرف إلا في الذي يخصه من ملك كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة ...، ولقد شكت إليه زوجته من الضائقة، فأعطاها ثلاث دكاكين في حمص كانت له، يُحصل له منها في السنة نحو العشرين دينار، فلما استقلتها قال: "ليس لي إلا هذا وجميع ما بيدي أنا فيه خازن للمسلمين، **لا أخونهم فيه، ولا أخوض نار جهنم لأجلك**" وكان يصلي كثيراً بالليل، وله أوراد حسنة، وكان كما قيل :

جَمَعَ الشجاعةَ والخشوعَ لربهِ   ما أحسنَ الشجعان في المحرابِ

وكان عارفاً بالفقه على مذهب أبي حنيفة، ليس عنده فيه تعصب، **وسمع الحديث** وأسمعه طلباً للأجر، وأما **عدله**، فإنه لم يترك في بلاده على سعتها مكساً ولا عشراً، بل أطلقها جميعاً في مصر والشام والجزيرة والموصل.

وكان يُعظم الشريعة، ويقف عند أحكامها، وأحضره إنسان إلى مجلس الحكم، فمضى معه إليه، وأرسل إلى القاضي كمال الدين بن الشهرزوري يقول: "**قد جئت محاكماً، فاسلك معي ما تسلك مع الخصوم**"، وظهر الحق له، فوهبه الخصم الذي أحضره، وقال : "**أردت أن أترك له ما يدعيه، إنما خفت أن يكون الباعث لي على ذلك الكبر والأنفة من الحضور إلى مجلس الشريعة، فحضرت، ثم وهبته ما يدعيه**".

وبنى دار العدل في بلاده، وكان يجلس هو والقاضي فيها، ينصف المظلوم، ولو أنه يهودي من الظالم، ولو أنه ولده أو أكبر أمير عنده.

وأما **شجاعته**، فإليها النهاية، وكان في الحرب يأخذ قوسين وتركشين

ليقاتل بها، فقال له القطب النساوي الفقيه : "بالله عليك، لا تخاطر بنفسك وبالإسلام، فإن أصبت في معركة لا يبقى من المسلمين أحد إلا أخذه السيف"، فقال نور الدين: "**ومَن محمود حتى يقال له هذا؟!!، من قبلي من حفظ البلاد والإسلام، ذلك الله الذي لا إله إلا هو**".

وأما **ما فعله من المصالح**: فإنه بنى أسوار مدن الشام جميعها، وقلاعها، فمنها دمشق وحمص وحماة وحلب وشيزر وبعلبك وغيرها، وبنى المدارس الكثيرة للحنفية والشافعية، وبنى الجامع النوري بالموصل، وبنى البيمارستانات والخانات في الطرق، وبنى الخانكاهات في جميع البلاد، وأوقف على الجميع الوقوف الكثيرة، سمعت أنّ حاصلَ وقْفِهِ كل شهر تسعة آلاف دينار صوري.

وكان **يكرم العلماء وأهل الدين**، ويعظمهم، ويقوم إليهم، ويجلسهم معه، وينبسط معهم، ولا يرد لهم قولاً، ويكاتبهم بخط يده، وكان **وقوراً، مهيباً مع تواضعه** ، وبالجملة: فحسناته كثيرة، ومناقبه غزيرة) [(١)].

وكان نور الدين يرعى عساكره ويعوض عليهم ما خسروه في معاركهم، وكان يرعى أُسر الشهداء، ويعطيهم ما كان مخصصاً لشهيدهم في حياته، فبعد هزيمة جيشه في منطقة البقيعة تحت حصن الأكراد شمالي بلاد الشام، بسبب مباغتة الصليبيين لمعسكره، أقسم ألا يظله سقف حتى يأخذ بثأره وثأر الإسلام، وأرسل إلى حلب ودمشق وأحضر الأموال والثياب والخيام

(١) انظر: الكامل، لابن الأثير، (١٠/٥٦وما بعدها).

والسلاح والخيل فأعطى الناس (أي: العسكر) عوض ما أُخذ منهم جميعاً، فعاد العسكر كأن لم تصبه هزيمة، وكل من قتل من العسكر أعطى إقطاعة لأولاده.

وكان يطلب النصر من الله تعالى بكثرة الصدقة على المساكين، والإنفاق على العلماء والمحتاجين، وكان يخاطب أصحابه بقوله: "فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم".

فقد رأى أصحابه كثرة إنفاقه على الفقراء والضعفاء، فنصحوه بتوفير هذه الأموال لإنفاقها على الجيش وتجهيزه للمعركة (فغضب من ذلك، وقال: والله إني لا أرجو النصر إلا بأولئك، فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم، كيف أقطع صلات قوم يقاتلون عني وأنا نائم على فراشي بسهام لا تُخْطىء، وأصرفها إلى من لا يقاتل عني إلا إذا رآني بسهام قد تصيب وقد تُخْطىء، وهؤلاء القوم لهم نصيب في بيت المال كيف يحل لي أن اعطيه غيرهم؟!!)[1].

وبلغ من شدة اهتمام نور الدين بأمر المسلمين حين حاصر الصليبيون دمياط، أنه قرئ عليه جزء من حديث مسلسل بالتبسم، فطُلب منه أن يبتسم لتتم السلسلة، فغضب من ذلك وقال: "إني لأستحي من الله أن يراني متبسماً، والمسلمون محاصرون بالإفرنج".

يقول أبو شامة بالروضتين: (بلغني أن إماماً لنور الدين رأى ليلة رحيل الفرنج عن دمياط في منامه النبي ﷺ وقال له: "أَعْلِمْ نور الدين أن الفرنج قد

(١) انظر: المصدر السابق، (٩/٤٦٣).

رحلوا عن دمياط في هذه الليلة"، فقال: يا رسول الله، ربما لايصدقني، فاذكر لي علامة يعرفها، فقال: "قل له بعلامة ما سجدت على تل حارم وقلت: يارب انصر دينك ولاتنصر محموداً، من هو محمود الكلب حتى يُنصر!!" قال: فانتهيت ونزلت إلى المسجد، وكان من عادة نور الدين أنه كان ينزل إليه بغلس ولايزال يركع فيه حتى يصلي الصبح، قال: فتعرضت له، فسألني عن أمري، فأخبرته بالمنام، وذكرت له العلامة، إلا أنني لم أذكر لفظة الكلب. فقال نور الدين رحمه الله تعالى: اذكر العلامة كلها؛ وألح علي في ذلك، فقلتها؛ فبكى رحمه الله وصدَّق الرؤيا)[1].

• أهم إنجازات نور الدين محمود زنكي في قيادة المقاومة الإسلامية ضد الصليبيين.

* استطاع إحياء وبعث الصحوة الإسلامية في الأمة، وتشكيل رأي عام ضاغط لدرجة أن بعض الحكام أصبحوا يخشون أن تنقلب شعوبهم على حكمهم إذا لم يشاركوا نور الدين بأعمال المقاومة ضد الصليبيين، وليس أدلَّ على ذلك ما حصل مع فخر الدين قرا أرسلان أمير حصن كيفا والديار الجزرية[2].

*ومن أهم إنجازاته أيضاً أنه وحَّد جبهة المقاومة الإسلامية من الرها في الجزيرة السورية شرقاً إلى حلب وأنطاكية غرباً إلى دمشق جنوباً إلى عمق مصر.

(١) انظر: الروضتين، لأبي شامة، (٢/١٤٣ وما بعدها).

(٢) انظر: الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية، د.حامد غنيم أبو سعيد، (١/٢٨٦).

*خطط وساهم في إسقاط الخلافة الفاطمية في مصر، وانفرد صلاح الدين الأيوبي نائبه في مصر بالتنفيذ.

*سدَّد ضربات قاصمة للصليبيين وأضعفهم، وأسقط مملكة الرها الصليبية نهائياً، وأحاط بأهم مراكزهم، وهي مملكة بيت المقدس، من شمالها وجنوبها.

حقيقة

عندما يتوافر للأمة قادة بهذه الصفات الرائعة، فإن الشعوب تستجيب لهم وتضحي بالغالي والرخيص وتجاهد معهم حتى يتحقق النصر..

٣- المتخاذلون والخائنون.

خان بعض الأمراء الأتابك جبهة المقاومة الإسلامية، فتحالفوا مع الصليبيين، وعلى رأسهم أمير دمشق مجير الدين أبق بن محمد ونائبه معين الدين أنر، ولم يُنْجِهما خضوعما للصليبيين، فشن الصليبيون معركتهم الوحيدة في الحرب الصليبية الثانية على دمشق التي يحكمانها ، ولكنهم فشلوا بسب بسالة أهلها، إلى أن قام بتحريرها نور الدين زنكي من العملاء، وفرَّ مجير الدين هارباً إلى بغداد. علماً بأن جده الخامس ظهير الدين أتابك كان من قادة المقاومة الإسلامية المتميزين(١) .

(١) الكامل، لابن الأثير، (٩/٣٩٨ ومابعدها)، والحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، (٢/ ٦٦١ ومابعدها) .

ويقف في مقدمة العملاء والخونة أيضاً، شاور بن مجير السعدي وزير الخليفة الفاطمي العاضد، والمتحكم بمصر، والذي كان عميلاً متحالفاً مع الصليبيين في مملكة القدس، وقد ألقى القبض عليه صلاح الدين الأيوبي ثم قتله بعد موافقة أسد الدين شيركوه[1].

ثالثاً: الحملة الصليبية الثالثة.

بعد وفاة الملك العادل نور الدين محمود زنكي تولى قيادة المقاومة الإسلامية الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، وعمل صلاح الدين من تاريخ توليه القيادة عام (٥٦٩هـ) وحتى عام (٥٨٣هـ) على توحيد جبهة المقاومة الإسلامية وتوسيع رقعتها حتى بلغت ذروتها، وصارت حدود الدولة تحت قيادته تمتد من حدود إيران شرقاً إلى عمق ليبيا غرباً، ومن حدود تركيا شمالاً إلى اليمن جنوباً،وكان للإنجازات العظيمة التي حققها صلاح الدين الأيوبي عام /٥٨٣هـ-١١٨٧م/حينما سحق الصليبيين في معركة حطين، ثم حرر الساحل الشامي من الصليبيين من بيروت شمالاً إلى غزة جنوباً، ثم حرر بيت المقدس وما حوله من مدن عديدة، ثم حرر عدداً من المدن والقلاع المحيطة بمملكتي طرابلس وأنطاكية الصليبيتين، كان لهذه الإنجازات العظيمة وقع الصاعقة على الكنيسة الصليبية في أوروبا وعلى ملوكها، فانبرت بكل طاقاتها لدعم ما بقي من الممالك الصليبية المهزومة عن طريق تنفيذ الحرب الصليبية

(١) انظر: الكامل، لابن الأثير، (١٠/١٥)، والروضتين، لأبي شامة، (٢/٥٥ ومابعدها) .

الثالثة على مرحلتين:

١- الوقائع:

المرحلة الأولى في الحملة الصليبية الثالثة (الإمدادات العاجلة).

وذلك بهدف مساعدة بقايا الممالك الصليبية على الصمود، فبدأت الإمدادات تصل إليهم من خريف عام /٥٨٤هـ-١١٨٨م/ إلى صيف عام /٥٨٦هـ-١١٩٠م/ أي على مدى ستة وعشرين شهراً.

وهذا تلخيص موجز للإمدادات العاجلة:

١-كان أول المبادرين ملك صقلية "وليم الثاني" حيث أرسل أسطولاً بحرياً يحمل ثلاثمائة فارس نورماندي، وصل إلى طرابلس عام /٥٨٤هـ-١١٨٨م/ وساهمت هذه القوة بالدفاع عن طرابلس واللاذقية، وشاركت في حصار عكا بعد ذلك[1].

٢- وفي العام نفسه وصلت مجموعة من الفرسان الإسبان.

٣- وفي بداية عام /٥٨٥هـ-١١٨٩م/ وصل أسطول بحري مكوَّن من اثنتين وخمسين سفينة يقوده رئيس أساقفة بيزا ، وساهموا في حصار عكا.

٤- وبعد أربعة أشهر تقريباً، وفي الشهر التاسع عام /١١٨٩م/ وصل أسطول بحري ضخم مكوَّن من خمسمائة سفينة دانماركية وفلمنكية.

٥- وفي الشهر نفسه، وصل أسطول ضخم للدانيين والفريزيان.

---

(١) انظر: الكامل، لابن الأثير، (١٦٧/١٠).

٦- وبعد أيام وصلت عدة سفن تحمل جنوداً فرنسيين وفلمنكيين.

٧- وبعد أيام وصل مجموعة من الألمان وأخرى من الطليان.

٨- وفي نهاية العام وصل أسطول يضم مجموعة من المتطوعين الإنكليز.

٩- وفي عام /٥٨٦هـ-١١٩٠م/ وصلت أعداد كبيرة تضم نبلاء من فرنسا وإيطاليا والمجر والدنمارك ورجال كنيسة فرنسيين وغيرهم.

١٠-وفي نهاية العام وصلت وحدات إنكليزية يقودها رئيس أساقفة كانتربري.

١١-وكان للنساء أيضاً دور مهم وفعال في القتال، وفي توفير إمدادات المؤن للجيوش[١].

ويبين عظم حجم هذه الإمدادات على عظم حجم الاستنفار الأوروبي لهذه الحرب الصليبية الثالثة، حيث ساعدت هذه الإمدادات الصليبيين في صور وطرابلس وأنطاكية على الصمود وعدم الاستسلام، وتمكين قوتهم في حصونهم، ثم ساعدتهم في حصار عكا والاستيلاء عليها وعلى مدن أخرى.

المرحلة الثانية في الحملة الصليبية الثالثة (بدء الزحف).

بدأ زحف ثلاثة جيوش أوروبية لاسترجاع بيت المقدس وما حرره صلاح الدين من مدن وحصون الممالك الصليبية.

(١) انظر: الكامل، لابن الأثير، (١٩١/١٠ ومابعدها)، والجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية، د. حامد غنيم أبو سعيد، (١٣٧/٢ ومابعدها)..

أ- الحملة الألمانية.

قادها الإمبراطور الألماني "فريدريك بربروسا"، وانضم تحت رايتها ما ينوف على مئتي ألف مقاتل، وكانت أولى الحملات الثلاث انطلاقاً عن طريق البر، حيث بدأت زحفها في شهر أيار /٥٨٥هـ-١١٨٩م/، ووصلت بعد ثلاثة عشر شهراً تقريباً إلى شمال أنطاكية في حزيران عام /٥٨٦هـ-١١٩٠م/.

وبعد أيام عدة من وصولها، مات الإمبراطور الألماني "بربروسا" قائد الحملة غرقاً في النهر قرب طرسوس شمال أنطاكية، فانفرط عقد الحملة، ورجع عدد كبير من جنودها، وأُصيبت الحملة بضربة إلهية قاصمة.

ثم عمل الإمبراطور الابن"فريدريك دوسواب" على جمع فلول الحملة، وسار بهم إلى أنطاكية ومنها إلى عكا، حيث وصلوا إليها في الشهر العاشر من عام /١١٩٠م/ ولكن الابن لحق بأبيه، فمات في حزيران عام /٥٨٧هـ-١١٩١م/، وبهذا انتهت الحملة الألمانية[١].

ب- الحملة الفرنسية.

قادها ملك فرنسا "فيليب أوغسطس"، وحطَّ رحاله في صقلية، ثم غادرها في آخر آذار عام /٥٨٧هـ-١١٩١م/ قاصداً عكا، فوصلها في ٢٠/نيسان/١١٩١م.

---

(١) انظر: الكامل، لابن الأثير، (١٩٣/١٠ ومابعدها)، والحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، (٨٤٥/٢ ومابعدها).

قاد "فيليب" عملية تنظيم حصار عكا، وشارك جنوده في حصارها مدة مائة يوم[١].

ج- الحملة الإنكليزية.

قادها ملك إنكلترة "ريتشارد قلب الأسد" ، وحط رحاله في صقلية، ثم غادرها بعد ملك فرنسا بعشرة أيام، واستولى في طريقه على قبرص وانتزعها من إمبراطور بيزنطة، ثم أبحر إلى عكا فوصل إليها في ٨/حزيران/١١٩١م-٥٨٧هـ، أي بعد ملك فرنسا بشهر ونصف تقريباً.

وبعد وصوله أصبح القائد الأعلى للقوات الصليبية بمواجهة صلاح الدين الأيوبي القائد الأعلى لقوات المقاومة الإسلامية.

وفي ١٢/تموز/١١٩١م، الموافق ١٧/جمادى الآخرة/٥٨٧هـ، سقطت عكا بيد الصليبيين بعد حصار طويل، فغدت عكا عاصمة المملكة الصليبية في فلسطين[٢].

وفي العام نفسه سار الصليبيون إلى حيفا أول شعبان فنزلوا بها، ثم إلى قيسارية ثم إلى أرسوف ثم إلى يافا فنزلوا فيهم بعد معارك عدة، وفي ٢٠/شعبان/٥٨٨هـ

---

(١) انظر: الكامل، لابن الأثير، (١٠/٢٠٤ ومابعدها)، والجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية، د. حامد غنيم أبو سعيد، (٢/١٤٦ ومابعدها).

(٢) انظر: الكامل، لابن الأثير، (١٠/٢٠٥ ومابعدها)، والحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، (٢/ ٨٦٣ ومابعدها).

حرر صلاح الدين يافا ثم مالبثوا أن سيطروا عليها مرة أخرى [(١)].

وانتهت الحرب الصليبية الثالثة، بعقد هدنة في الرملة بتاريخ ١١٩٢/٩/٢م الموافق ٢٠/شعبان/٥٨٨هـ، بعد أن دبَّ الخلاف بين الصليبيين [(٢)].

٢-رجال الصحوة المدافعون عن الرسالة والرسول ﷺ والمسلمين.

قائد

صلاح الدين الأيوبي قائد المقاومة الإسلامية ضد الصليبيين
من عام /٥٦٩ هـ إلى ٥٨٩ هـ / .

قاد صلاح الدين الأيوبي المقاومة الإسلامية في هذه المرحلة الصعبة للغاية، التي تكاثرت فيها المهام الجليلة.

وحقق الله تعالى على يديه انتصار المسلمين على أعدائهم الصليبيين الأوروبيين (الفرنج).

النصر

كيف لا ينتصر القائد المسلم الذي استجمع أسباب النصر؟!!..فقد كان صلاح الدين الأيوبي: قائداً عسكرياً شجاعاً مقداماً خبيراً ملهماً.. وكان سياسياً محنكاً فذّاً. وكان راغباً في الآخرة، محباً للشهادة، زاهداً في الدنيا، عالماً عابداً مستقيماً ورعاً متواضعاً..

---

(١) انظر: الكامل، لابن الأثير، (١٠/٢٠٧ ومابعدها)، والحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، (٢/ ٨٧٣ ومابعدها).

(٢) انظر: الكامل، لابن الأثير، (١٠/٢١٨ ومابعدها)، والحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، (٢/ ٨٩٣ ومابعدها).

قول ابن شداد الذي صاحبه في حلِّه وترحاله:

(وكان رحمة الله عليه حسن العقيدة كثير الذكر لله تعالى قد أخذ عقيدته على الدليل بواسطة البحث مع مشايخ أهل العلم وأكابر الفقهاء)... (وكان قد جمع له الشيخ قطب الدين النيسابوري عقيدة تجمع جميع ما يحتاج إليه في هذا الباب، وكان من شدة حرصه عليها يعلمها الصغار من أولاده حتى ترسخ في أذهانهم في الصغر ورأيته وهو يأخذها عليهم وهم يلقونها من حفظهم بين يديه).

(وكان يواظب على السنن الرواتب، وكان له صلوات يصليها إذا استيقظ من الليل).

(وأما الزكاة **فإنه مات رحمه الله تعالى ولم يحفظ ما وجبت عليه به الزكاة، وأما صدقة النفل فإنها استنفدت جميع ما ملكه من الأموال، فإنه ملك ما ملك ولم يخلف في خزانته من الذهب والفضة إلا سبعة وأربعين درهماً ناصرية وجرماً (ديناراً) واحداً ذهباً ولم يخلف ملكاً ولا داراً ولا عقاراً ولا بستاناً ولا قرية ولا مزرعة ولا شيئاً من أنواع الأملاك)**

(وكان رحمه الله تعالى خاشع القلب، رقيقه، غزير الدمعة، إذا سمع القرآن يخشع قلبه وتدمع عيناه في معظم أوقاته) [1].

(ولقد كان رحمه الله تعالى عادلاً رؤوفاً رحيماً ناصراً للضعيف على القوي).

---

(١) النوادر السلطانية، لابن شداد، (١/٣٣)، والسلوك لمعرفة دول الملوك، للمقريزي، (١/٢٢٧ ومابعدها).

(وكان كريماً رحمه الله، يعطي في وقت الضيق كما يعطي في حال السعة).

(ولقد كان رحمه الله تعالى من عظماء الشجعان، قوي النفس شديد البأس عظيم الثبات لا يهوله أمر ، وما رأيته استكثر عدواً أصلاً ولا استعظم أمرهم قط).

(ولقد كان رحمه الله شديد المواظبة عليه (على الجهاد) عظيم الاهتمام به ولو حلف حالف أنه ما أنفق بعد خروجه إلى الجهاد ديناراً ولا درهماً إلا في الجهاد أو في الأرفاد لصدق وبرَّ في يمينه . ولقد كان حبه للجهاد والشغف به قد استولى على قلبه وسائر جوانحه استيلاءً عظيماً بحيث ما كان له حديث إلا فيه ولا نظر إلا في آلته ولا كان له اهتمام إلا برجاله ولا ميل إلا إلى من يذكره ويحث عليه. **ولقد هجر في محبة الجهاد في سبيل الله أهله وأولاده ووطنه وسكنه وسائر بلاده وقنع من الدنيا بالسكون في ظل خيمة تهب بها الرياح ميمنة وميسرة.** ولقد وقعت عليه الخيمة في ليلة ريحية على مرج عكا فلو لم يكن في البرج لقتلته ولا يزيده ذلك إلا رغبة ومصابرة واهتماماً) [(١)].

أهم إنجازات السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي:

فبعد استلامه وزارة الخليفة الفاطمي العاضد، كان عليه أن يحقق **أول إنجازاته** في مصر وهو من أعظمها، ألا وهو إسقاط الخلافة الفاطمية التي حكمت مصر لأكثر من /٢٠٩/ أعواماً هجرية، من عام /٣٥٨هـ-٩٦٩م/ إلى يوم وفاة الخليفة الفاطمي العاضد عام /٥٦٧هـ-١١٧١م/، وقد وُفِّق

(١) النوادر السلطانية، (١/٤١ ومابعدها).

لذلك عام /٥٦٧هـ/ فسيطر مباشرة على أفراد البيت الفاطمي، وصادر ممتلكاتهم، وأسدل الستار على مملكتهم نهائياً[1].

وكان **ثاني إنجازاته** الجليلة ضمُّ مصر إلى جبهة المقاومة الإسلامية، وتوسيع سلطانها، ففي عام /٥٦٩هـ/ ضمَّ اليمن والحجاز، وصار البحر الأحمر تحت نفوذه، كما عمل على تمكين حكمه، فتصدى عام /٥٦٩هـ/ لمؤامرة صليبية بالتحالف مع أنصار الدولة الفاطمية فقضى عليها في مهدها.

وكان **ثالث إنجازاته** الجليلة، إعادة بلاد الشام إلى حضن جبهة المقاومة الإسلامية، بعد أن تشتت وتفرقت إثر وفاة الملك العادل نور الدين محمود زنكي في شوال عام /٥٦٩هـ-١١٧٤م/، فقد دبَّ الصراع بين آل زنكي في إمارات الموصل وحلب ودمشق، لتقاسم مملكة نور الدين، وناصبوا صلاح الدين العداء، مما اضطر صلاح الدين للتدخل لإعادة بناء جبهة المقاومة الإسلامية في بلاد الشام، وقد استغرق تحقيق هذا الإنجاز ما يقارب عشر سنوات من حياته[2].

أنجز صلاح الدين بعد سبعة أشهر من توليه الوزارة نصراً مؤزراً على هجوم تحالف صليبي بيزنطي واسع على دمياط، بتاريخ (١/صفر/٥٦٥هـ-١١٧٠/١/٢١م). قام به جيش بري مع أسطول صليبي بالتحالف مع

(١) الكامل، لابن الأثير، (٣٣/١٠)، والحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، (٢/ ٧٢٢ ومابعدها).
(٢) الحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، (٢/ ٧٣٦ ومابعدها).

أسطول بيزنطي بلغت أعداد سفنه مئتي سفينة، فانهزمت القوات الغازية، ونكصت على أعقابها[1].

وفي العام نفسه جهز عدداً كبيراً من السفن وحمل أجزاءها على الجمال عبر صحراء سيناء حتى البحر الأحمر وهناك ركبت هذه السفن وأخذ صلاح الدين يهاجم مدينة آيلة (إيلات) الواقعة على خليج العقبة وفي نهاية العام حرر المدينة وأخذ حاميتها أسرى إلى القاهرة[2].

وفي عام /٥٧٠هـ-١١٧٤م/ ذهب بجيشه إلى دمشق، وتسلَّمها من أمرائها.

وفي عام /٥٧٠هـ-١١٧٥م/، توجه نحو حمص وحماة وضمَّهما إلى الجبهة الإسلامية.

وفي نهاية العام، وصل إلى حلب واقترح الصلح على الملك إسماعيل الذي كان صغير السن وخاضعاً لنفوذ أعداء صلاح الدين، ومنهم "سعد الدين كمشتكين" الذي رفض الصلح[3].

وفي عام /٥٧٢هـ-١١٧٦م/ ملك حصن بزاعة ومدينة منبج وقلعة أعزاز شمالي حلب، وضمَّ كل ذلك إلى الجبهة الإسلامية[4].

---

(١) الكامل، لابن الأثير، (٢٢/١٠)، والروضتين، لأبي شامة، (١٣٩/٢ ومابعدها).

(٢) الكامل، لابن الأثير، (٣١/١٠).

(٣) انظر: الكامل، لابن الأثير، (٦٥/١٠ ومابعدها)، والنوادر السلطانية، لابن شداد، (ص/٩٢ ومابعدها).

(٤) انظر: الكامل، لابن الأثير، (٧٥/١٠ ومابعدها)، والروضتين، لأبي شامة، (٤٠٥/٢ ومابعدها).

وفي العام نفسه توصل إلى صلح مع الملك الصالح إسماعيل صاحب حلب، وسيف الدين غازي صاحب الموصل، وقطب الدين أيلغازي صاحب ماردين، ونور الدين قرا أرسلان صاحب حصن كيفا[1].

وفي الفترة بين الأعوام /٥٧٣هـ/ إلى /٥٧٧هـ/ قام صلاح الدين بمواجهة الصلبيين في عدة مناطق، كما قام بمعالجة المشاكل التي ظهرت هنا وهناك في عدد من مناطق بلاد الشام.

وفي عام /٥٧٨هـ-١١٨٢م/ زحف نحو الجزيرة ليستكمل إقامة جبهة إسلامية موحدة، فسيطر على كل من الرها والرقة وسروج ونصيبين ومنطقة الخابور، ثم سيطر على سنجار[2].

وفي بداية عام /٥٧٩هـ-١١٨٣م/ سيطر على آمد، ثم اتجه نحو حلب فسيطر على تل خالد وعين تاب، ثم سيطر على حلب، وبهذا أتم صلاح الدين بناء جبهة إسلامية موحدة في وجه الصليبيين، واستطاع بحكمته وقوته أن يمنح الأمراء السلطة على مناطقهم مقابل تعهدهم بإرسال العسكر لقتال الصليبيين عندما يُطلب ذلك منهم، وهذا يؤكد أنه كان يسعى لتوحيد جبهة المقاومة الإسلامية ضد الصليبيين ولم يك يسعى لتوسيع سلطانه[3].

(١) انظر: الكامل، لابن الأثير، (١٠/٧٦ ومابعدها).
(٢) المصدر السابق، (١٠/١١٣ ومابعدها)، والنوادر السلطانية، لابن شداد، (ص/١٠٢)..
(٣) المصدر السابق، (١٠/١١٩ ومابعدها)، والجبهة الإسلامية، د.حامد غنيم أبوسعيد، (٢/ ٧٩ ومابعدها) .

يقول المؤرخ الإنكليزي "رنسيمان": (فأصبحت إمبراطوريته تمتد من "برقة" [1] إلى نهر دجلة، ولم يظهر من المسلمين منذ أكثر من قرنين، أمير في قوة صلاح الدين، إذ ارتكن إلى ثروة مصر، وخضعت لحكمه المباشر المدينتان الكبيرتان: دمشق وحلب، وأحاط بهما، وامتد صوب الشمال الشرقي حتى أسوار الموصل، الإقطاعات الحربية التي ارتكن صلاح الدين إلى مساندة أربابها، ولقي صلاح الدين التأييد من الخليفة العباسي ببغداد، وسعى سلطان السلاجقة ببلاد الأناضول إلى كسب صداقته، ولم تعد الإمبراطورية البيزنطية مصدر خطر له، ولم يتبق له سوى أن يقهر الدخلاء الذين صاروا وصمة في جبين الإسلام بتملكهم فلسطين وساحل الشام)[2].

وكان **رابع إنجازاته** الجليلة إعلاء كلمة الجهاد في الأمة، فجمع العلماء حوله وقدَّم لهم الدعم ليكتبوا عن الجهاد، وليعملوا على نشر الوعي في جماهير الأمة.

ومن العلماء الذين ألفوا له كتباً عن الجهاد، القاضي الفاضل، والعماد الأصفهاني، وبهاء الدين بن شداد، وكان يرسل العلماء إلى أمراء الولايات ليحثوهم على الجهاد والالتحاق مع جنودهم بجيش صلاح الدين.

---

(١) برقة: مدينة ساحلية في ليبية تقع في منتصف المسافة تقريباً بين الإسكندرية وطرابلس.

(٢) انظر: الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية، د.حامد غنيم أبو سعيد، (٢/٨٥).

مجاهد

جعل صلاح الدين الجهاد أكبر همه وجُلّ اهتمامه وقضيته، فلم يتخذ لنفسه قصراً كباقي الملوك، بل جعل خيمته في جميع حروبه قصره ومسجده.

فقد ذكر ابن كثير أن صلاح الدين لما رجع إلى دمشق من غزوة حصن كوكب، وحصاره للصليبيين فيه، وجد الصفي بن الفارض وكيل الخزانة قد بنى له داراً في القلعة (قلعة دمشق) هائلة مطلة على الشرف القبلي، فغضب منه وعزله، وقال: ((إنا لم نخلق للمقام بدمشق ولا بغيرها من البلاد وإنما خلقنا لعبادة الله عز وجل والجهاد في سبيله وهذا الذي عملته مما يثبط النفوس ويقعدها عما خلقت له)) [1].

بل كان يطمع بعد أن يحرر بلاد الشام من الصليبيين أن يتخلى عن الحكم، ثم يخوض البحر ليصل إلى بلاد الصليبيين فيما وراءه لينشر الإيمان في ربوعهم.

يقول ابن شداد: (ثم سرنا في خدمته (بعد أن ودَّع العسكر في عسقلان) إلى الساحل طالبي عكا،وكان الزمان شتاء والبحر هائجاً شديداً وموجه كالجبال... فعظم أمر البحر عندي... لعظم الهول الذي شاهدته من حركة البحر... فبينا أنا في ذلك إذ التفت إلي رحمه الله، وقال: **أما أحكي لك شيئاً في نفسي، إنه متى يسر الله تعالى فتح بقية الساحل، قسمت البلاد، وأوصيت، وودعت، وركبت هذا البحر إلى جزائره، واتبعتهم فيها، حتى لا أبقي على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت**، فعظم وقع

(١) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، (١٢/٣٢٩).

هذا الكلام عندي، حيث ناقض ما كان خطر لي، وقلت له: ليس في الأرض أشجع نفساً من المولى، ولا أقوى منه نية في نصرة دين الله تعالى)[1].

وكان **خامس إنجازاته** الجليلة أنه سحق الجيوش الصليبية في معركة حطين، وحرر أغلب الساحل الشامي من الصليبيين، ثم حرر بيت المقدس، وتلا ذلك تحريره لأغلب الحصون التابعة لمملكتي طرابلس وأنطاكية الصليبيتين.

وكان **سادس إنجازاته** أنه ألزم نفسه بالعمل بنظام الشورى، فلا يقطع رأياً إلا بعد أن يشاور.

فقد أحاط نفسه بأعلام من العلماء والخبراء المشهود لهم بالعلم والحكمة ورجاحة الرأي، فمن العلماء القاضي الفاضل،والفقيه عيسى الهكاري، والقاضي والمؤرخ بهاء الدين بن شداد، والمؤرخ العماد الأصفهاني، وهؤلاء كانوا لايفارقونه لافي حل ولاترحال، كما كانوا يقودون مايعرف في عصرنا بالتوجيه المعنوي في الجيش على مستوى البلاد.

وكان مجلس الشورى يضم إلى جانبهم القادة العسكريين والأمراء والوزراء، وكان يشاورهم في كافة الشؤون السياسية والعسكرية والاقتصادية، في السلم والحرب.

ووضع آلية لتبليغ القرارات لكافة الجهات ذات العلاقة، وأقام عليها القاضي بهاء الدين بن شداد.

(١) انظر: النوادر السلطانية، لابن شداد، (١/٥٤).

حقيقة

كم تبتهج الأرواح، وكم تنتشي العقول، وكم تتقوى العزائم، وكم تتقد الإرادات، وكم تتجدد الآمال، بالعزة والنصر والتمكين..عندما تسمع عن القادة العظماء المخلصين المجاهدين..إن النصر ليس ببعيد عن القادة المؤهلين الذين توافرت فيهم شروط القيادة الناجحة والمخلصة.

ولم يشغله سعيه الحثيث على توحيد جبهة المقاومة الإسلامية عن مواجهة الصليبيين كلما اقتضى الأمر ذلك، بما يمكن تسميته **حروب الإغارات**.

ففي عام (٥٧٠هـ-١١٧٤م) وصل أسطول ضخم للصليبيين من صقلية إلى الإسكندرية وكانوا قد تحالفوا مع فلول الفاطميين وملك مملكة بيت المقدس، لينقضُّوا على صلاح الدين ويخرجوه من مصر، لأنه أصبح يمثِّل خطراً عظيماً على الصليبيين فهو يحيط بهم من مصر جنوباً ومن بلاد الشام شمالاً... وقد شملت هذه الحملة على ما ينوف مئتي سفينة وأكثر من خمسين ألف جندي... وقد خرج أهل الإسكندرية لملاقاة عدوهم، فقاوموه بشجاعة، وحاصر الصليبيون الإسكندرية ونصبوا نحوها المنجنيقات، فصبر أهل البلد، ووصلت العساكر الإسلامية من الأماكن القريبة فقويت شوكة المسلمين ووصل صلاح الدين الإسكندرية في يوم واحد، فعاود المسلمون القتال وزال ما بهم من تعب، وهاجموا الصليبيين عند حلول الظلام ووصلوا إلى خيامهم فغنموا ما فيها من الأسلحة وكثر القتل في الصليبيين، ففروا إلى البحر فركب بعضهم وغرق بعضهم، وغاص بعض المسلمين في الماء وخرقوا

السفن فغرقت بمن فيها، وقتل الكثير منهم وأسر الكثير، وفرَّ الباقون منهزمين[1] ، وفي العام نفسه وأثناء حصار صلاح الدين لمدينة حلب، أرسل سعد الدين كمشتكين المتحكم فيها إلى ريموند أمير طرابلس الصليبي، ليهاجم حمص من أجل أن يرحل صلاح الدين عن حلب، فهاجم ريموند حمص، ولما علم بقدوم صلاح الدين انسحب راجعاً عنها، فلما وصل صلاح الدين حمص ملك قلعتها، ثم سار إلى بعلبك فملك قلعتها[2].

وفي عام /٥٧٣هـ-١١٧٧م/ هاجم عسقلان، وأوغل في صميم المناطق الصليبية[3].

وفي عام /٥٧٤هـ-١١٧٩م/ عسكر صلاح الدين على مشارف بانياس جنوب دمشق وحاصرها وجرت مناوشات مع الصليبيين، وفي بداية عام /٥٧٥هـ/ خرج الصليبيون مع ملكهم وهاجموا سرية لصلاح الدين، فسار إليهم في عسكره وقاتلهم قتالاً شديداً حتى أنزل الله نصره على المسلمين وهزم الصليبيين، وجرى فيهم مقتلة كبيرة وأسر منهم صاحب جبيل وصاحب طبرية ومقدم الداوية ومقدم الاسبتارية وصاحب جنين وابن صاحب الرملة ونابلس، ثم رجع صلاح الدين إلى حصن يعقوب الذي بناه الصليبيون قرب بانياس عند مخاضة الأحزان، فحاصره ثم زحف إليه، ونقب النقابون أسواره

---

(١) الكامل، لابن الأثير، (١٠/٦٣).

(٢) المصدر السابق، (١٠/٦٧ وما بعدها)، والروضتين لأبي شامة، (٢/٣٥٠ وما بعدها).

(٣) انظر: الكامل، لابن الأثير، (١٠/٨٥ ومابعدها).

واشتد في قتاله حتى استولى عليه، وأسر كل من فيه، وأطلق من كان فيه من أسرى المسلمين، ولم يغادر صلاح الدين حتى هدمه وسواه بالأرض[1].

وفي العام نفسه هاجم أسطول صلاح الدين المصري ميناء عكا الصليبي، واستولى على سفينتين كبيرتين، وأسر من كان بها من المقاتلين[2].

وفي بداية عام /٥٧٨هـ-١١٨٢م/ هاجم صلاح الدين منطقة الكرك والشوبك[3]، كما هاجمت قواته بقيادة "فروخ شاه" ابن أخيه منطقة الجليل في فلسطين واستولت على أحد الحصون، وبعد مدة هاجم صلاح الدين الصليبيين في بيروت براً وبحراً[4].

وفي نهاية العام نفسه قام أرناط أمير الكرك الصليبي ببناء أسطول من السفن في الكرك ثم حملها إلى أيلة (إيلات) على خليج العقبة وشحنها بالمقاتلين وسيَّرها في البحر ثم قسمها فرقتين، فرقة حاصرت حصن "أيلة" وفرقة سارت إلى "عيذاب" على السواحل الغربية للبحر الأحمر، قاصدين احتلال مكة والمدينة والدخول بعد ذلك إلى اليمن، ومنع الحجاج عن البيت الحرام، وفي طريقهم أفسدوا في السواحل ونهبوا وخرَّبوا، فتوجه نحوهم الأسطول

---

(١) انظر: الكامل، لابن الأثير، (١٠/٩٥ ومابعدها) .

(٢) الحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، (٢/ ٧٦٢ ومابعدها) .

(٣) تقع في الأردن جنوبي عمَّان.

(٤) انظر: الكامل، لابن الأثير، (١٠/١١٢ ومابعدها)، والنوادر السلطانية، لابن شداد، (ص/١٠١)، والحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، (٢/ ٧٧٢ ومابعدها).

الإسلامي بمصر بقيادة "حسام الدين لؤلؤ الحاجب" فابتدأ بقتال الذين حاصروا حصن "أيلة" فقتل بعضهم وأسر بعضهم الآخر، ثم لحق بالذين خربوا ونهبوا سواحل البحر الأحمر فأدركهم عند "رابغ" بساحل الجوزاء، فأوقع بهم العطب وشاهدوا الهلاك فهربوا إلى البر، واعتصموا بالشعاب، فنزل إليهم وقاتلهم أشد قتال، فقتل أكثرهم وأسر بعضهم[(١)].

وفي عام /٥٨٠هـ-١١٨٤م/ هاجم صلاح الدين منطقة الكرك مرة أخرى فسيطر عليها دون القلعة، ثم هاجم نابلس ثم جنين، فقتل من الصليبيين في كل هجوم وأسر منهم ثم عاد إلى دمشق[(٢)].

وفي عام /٥٨١هـ-١١٨٥م/ توجه صلاح الدين إلى الجزيرة وملك ميافارقين، وبعد أن تمَّ لصلاح الدين إكمال توحيد جبهة المقاومة الإسلامية، بدأ بحروب التحرير الكبرى[(٣)].

اغتنم صلاح الدين فرصة خيانة (أرناط) أمير الكرك الصليبي للهدنة في عام /٥٨٢هـ-١١٨٦م/، حيث هاجم أرناط قافلة للمسلمين غزيرة الأموال والرجال، فاستولى على الأموال وأسر الرجال، فطالبه صلاح الدين بإعادة القافلة فأبى وتكبر، فقرر بدء التحرك العسكري لتحرير بلاد الشام من الصليبيين[(٤)].

---

(١) انظر: الكامل، لابن الأثير، (١٠/١١٧).

(٢) انظر: الكامل، لابن الأثير، (١٠/١٢٧ ومابعدها)، والنوادر السلطانية، لابن شداد، (ص/١١٥).

(٣) انظر: الكامل، لابن الأثير، (١٠/١٣٣ ومابعدها)، والنوادر السلطانية، لابن شداد، (ص/١١٨).

(٤) انظر: الكامل، لابن الأثير، (١٠/١٤٢).

الموجة الأولى من حروب التحرير.

أولاً: معركة حطين:

معركة غيرت وجه التاريخ.

معركة كسر فيها صلاح الدين العمود الفقري لجيوش الصليبيين، فانهارت قوتهم.

- **الاستعدادات السياسية.**

١- عمل صلاح الدين على تخريب العلاقة بين "لوزجنان" ملك بيت المقدس، و"أرناط" أمير الكرك والشوبك، مما كان له الأثر الأكبر في إيقاع الخلاف وزعزعة الثقة بينهما، وتمزيق جبهة الجنوب الصليبية.

٢-في (ربيع الأول/٥٨٣هـ-١١٨٧م) أرسل إلى أمير حلب يأمره بإقامة صلح مع أمير أنطاكية "بوهيمند الثالث" بقصد فتح ثغرات في الجبهة الصليبية، وإخراج إمارة أنطاكية في الشمال من الصراع ريثما يتفرغ من مهاجمة جبهة الجنوب[١].

٣-فصل إمارتي طرابلس وأنطاكية الصليبيتين عن مملكة بيت المقدس الصليبية وقطع طرق الإمدادات بينها.

٤-أقام تحالفاً مع أمير طرابلس الصليبي "ريموند" ضد مملكة بيت المقدس الصليبية مما أضعف قدرة الصليبيين على مواجهته[٢].

---

(١) الحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، (٢/٨٠١).

(٢) انظر: الكامل، لابن الأثير، (١٠/١٤١وما بعدها).

٥-أقام تحالفاً مع الإمبراطورية البيزنطية مما أثار حفيظة الصليبيين، وطالبوا البابا بالدعوة إلى حملة ضد البيزنطيين، ونتيجة لذلك اتخذ الصليبيون طريق البحر لحملاتهم الصليبية اللاحقة، عوضاً عن الطريق البري الذي يمر في الأراضي البيزنطية [(١)].

- **الاستعدادات العسكرية.**

١- قام بتوحيد الجبهة الإسلامية من دجلة شرقاً إلى برقة غرباً، ومن حلب شمالاً إلى اليمن جنوباً.

٢- فتح الطريق الساحلي بين مصر وفلسطين، وأعطى لجيوشه حرية الحركة بين مصر وبلاد الشام.

٣- وفي أول عام (٥٨٣هـ-١١٨٧م) **أعلن الجهاد**، وحشد القوات من جميع أنحاء البلاد في مصر وبلاد الشام، وخرج من دمشق على رأس عسكره إلى "مرج عكا" الذي جعله مركزاً لتجمع القوات والإمدادت والمؤن.

٤- ترك ولده "الأفضل" في هذا المركز، وسار بعسكره نحو إمارة الكرك والشوبك [(٢)]، فشنَّ غارة أضعفت من قوة الصليبيين في هذين الحصنين، مما سمح للجيش المصري بالعبور من مصر إلى فلسطين، ليقف جنباً إلى جنب مع القوات الإسلامية[(٣)].

(١) انظر: استرداد بيت المقدس،عبد الله سعيد الغامدي،بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى،[١٤٠١-١٤٠٢هـ]. (ص/١٩٢ ومابعدها).

(٢) تقع في الأردن جنوبي عمان.

(٣) انظر الكامل، لابن الأثير، (١٠/١٤٣)، والروضتين، لأبي شامة، (٣/٢٧٦).

٥- في عام (٥٨٣هـ-١١٨٧م) أرسل وحدة عسكرية لمهاجمة "صفورية[١]" التي تتحصن فيها القوات الخاصة الصليبية من الداوية والاستبارية، بقصد اختبار قوة الصليبيين، وتشتيت جبهتهم الجنوبية، وكلف القائد "مظفر الدين كوكبري" بقيادة الحملة التي فاجأت الصليبيين بهجومها مع نهاية الليل، فاستيقظوا من نومهم، وأسرعوا لحشد قواتهم المشتتة، ودارت رحى معركة كبيرة أسفرت عن انتصار المسلمين وسقوط معظم الصليبيين بين قتيل وجريح، ومقتل عدد من قادتهم، كما أسر المسلمون النجدة الصليبية التي أتت لإنقاذهم عن آخرها [٢].

وقائع معركة حطين[٣].

استبشر صلاح الدين بهذا النصر، فتحرك بعسكره من قرب حصن الكرك واتجه نحو "عشترا" في حوران جنوبي سورية، وبدأت عساكر المسلمين من كافة أنحاء البلاد تتجمع حوله بأعداد كبيرة، فقام صلاح الدين بتنظيم الجيش ميمنة وميسرة، وكان على رأس الجيش في القلب[٤].

ولما علم الصليبيون بذلك استنفروا قواهم، ونبذوا خلافاتهم وراء ظهورهم، وأعلنوا التعبئة العامة، وأقاموا معسكرهم قرب صفورية[٥].

---

(١) تقع شمالي فلسطين.

(٢) انظر: الكامل، لابن الأثير، (١٠/١٤٤)، والروضتين، لأبي شامة، (٣/٢٧٦ وما بعدها).

(٣) تقع في فلسطين بين حيفا وطبرية.

(٤) الكامل، لابن الأثير، (١٠/١٤٤)، والنوادر السلطانية،لابن شداد،(١/١٢٦).

(٥) انظر: الكامل، لابن الأثير، (١٠/١٤٥)، والروضتين، لأبي شامة، (٣/٢٧٧).

ولكـن صـلاح الـدين أراد أن يُخـرجهم مـن معسـكرهم الحصـين، ومـن منطقـتهم الاسـتراتيجية الـتي تـوفر لهـم احتياجـاتهم للمعركـة. فعمـد إلى استدراجهم إلى موقع هـو يختـاره، ليصلوا إليـه منهكـين، فتوجـه إلى طبريـة[1] بـدلاً مـن التوجـه إلى صـفورية، وتحركـت قـوات المقدمـة باتجـاه الهـدف يـوم الخميس (٢٣/ربيع الآخـر/٥٨٣هـ-٢/تمـوز/١١٨٧م) واكتسـح المسـلمون طبرية، فلجأ من بها من الصليبيين إلى قلعتها[2].

فلمـا وصـل الخـبر إلى الصـليبيين المجتمعـين في صـفورية اسـتنفروا وبـدؤوا الزحف نحو طبرية[3].

وكان صلاح الدين قد أعدَّ لهم على طريقهم نحو طبرية مفاجآت بسبب الكمـائن الـتي نصبها لهـم أثنـاء تقـدمهم إليهـا، ممـا أثـر سـلباً علـى حـالتهم المعنوية، ومما زاد من معاناتهم فقدان الماء ووعورة الطرق وحرارة الجو المرتفعة، ونتج عن هذا انفصال الجيش عن مقدمته ووسطه.

كمـا قـام صـلاح الـدين بتحرُّك آخـر، فقـد تـرك في طبريـة مجموعـة مـن العسكر، وتحوَّل نحو سهل حطين، ورتَّب العسكر، منتظراً مجيء الصليبيين إلى أرض المعركـة الـتي اختارهـا، وهـو مرتـاح وجيشـه بكامـل جاهزيتـه، الماديـة والمعنويـة، فوصـل الجـيش الصـليبيي إلى مرتفعـات جبـل طبريـة المشـرف علـى

---

(١) تقع شمالي فلسطين.

(٢) انظـر: الكامـل، لابـن الأثـير، (١٠/١٤٤ومـا بعـدها)، والنـوادر السـلطانية، لابـن شـداد، (١/١٢٧)، والنجوم الزاهرة، لابن تغري بردي، (٣/٣٨٦).

(٣) انظر: الكامل، لابن الأثير، (١٠/١٤٦)، والنوادر السلطانية، لابن شداد، (١/١٢٧).

سهل حطين، وهو منهك من شدة التعب وقد أصابه العطش الشديد، وانهارت معنوياته[1].

وبدأت المعركة يوم الجمعة (٢٤/ربيع الآخر/٥٨٣هـ) وبعد يوم طويل من الصدام، ومع حلول الليل، شرع صلاح الذين في الخطوة التالية من خطته، فقام بتطويق الجيش الصليبي من كل الجهات.

وفي صباح يوم السبت (٢٥/ربيع الآخر) بدأ صلاح الدين هجومه الشامل على الصليبيين، وسدَّ عليهم المنافذ ولا سيما طريقهم للوصول إلى طبرية للحصول على الماء، واجتهد صلاح الدين بتحريض الجنود على الجهاد في سبيل الله، فاستماتوا في القتال، حتى لاحت بوادر الهزيمة بين صفوف الصليبيين. فانهزم "ريموند" أمير طرابلس مع جنوده، وفتح له المسلمون طريقاً ليخرج من الطوق مما أحدث تمزقاً وانهياراً في معنويات الصليبيين، وألقى بعض الجنود أسلحتهم، وجاؤوا إلى معسكر المسلمين مستسلمين، وأشعل المسلمون الأعشاب اليابسة المنتشرة حول الصليبيين مما اضطرهم إلى التراجع إلى أعلى التل[2].

وأراد صلاح الدين أن يحطم ما بقي من الروح المعنوية لدى جيش الصليبيين، فركز جهوده على الاستيلاء على صليبهم الأعظم، وبالفعل ما إن تمكن من الاستيلاء عليه حتى بدأ الصليبيون ينهارون ويتراجعون، ويتساقطون بين قتيل وأسير[3].

---

(١) انظر: الكامل، لابن الأثير، (١٠/١٤٦).

(٢) انظر: الكامل، لابن الأثير، (١٠/١٤٦ وما بعدها)، والنوادر السلطانية، لابن شداد، (١/١٢٨).

(٣) الكامل، لابن الأثير، (١٠/١٤٧)، والروضتين، لأبي شامة، (٣/٢٨٧).

ثم أراد صلاح الدين أن يحسم المعركة، فعزم على الاستيلاء على خيمة ملك بيت المقدس "جاي لوزجنان" فكان له ما أراد فسقط الملك قائد جيش الصليبيين في يده أسيراً، فنزل صلاح الدين عن فرسه، وسجد شكراً لله، باكياً من شدة فرحه، كما سقط في الأسر أيضاً "أرناط" أمير الكرك والشوبك وعدد آخر من أمراء الصليبيين، ودمر جيش الصليبيين وسقط معظمهم بين أسير وقتيل[1].

وجاء وقت القصاص من "أرناط" أمير الكرك والشوبك الصليبي، الذي أقسم صلاح الدين أن يقتله بيده إن مكنه الله تعالى منه.. فأمر صلاح الدين ببناء خيمته، فدخلها وصلى فيها شكراً لله تعالى على انتصار المسلمين، ثم أحضر الأسرى من ملوك الصليبيين وأمرائهم، وقدم الماء المثلج لملك مملكة القدس "جاي لوزجنان" الذي كاد العطش أن يقتله، ثم التفت إلى "أرناط" وذكَّره بجرائمة التي ارتكبها بحق المسلمين، وخيانته للعهود، ومهاجمته لسواحل البحر الأحمر بقصد الوصول إلى مكة والمدينة المنورة، واعتدائه على قوافل الحجاج إلى مكة، وكذلك القوافل التجارية والسطو على أموال المسلمين، وقتلهم وأسْرهم،ثم عرض عليه الإسلام، فأبى، عندئذ قتله صلاح الدين جزاء جرائمه[2].

ولما رأى ذلك الملك "لوزجنان" وقع الخوف في قلبه فبادره صلاح الدين بقوله: (لم تجر عادة الملوك أن تقتل الملوك، إلا أن هذا تجاوز الحد وتجرَّأ على

(١) انظر: الكامل، لابن الأثير، (١٠/١٤٧)، والنوادر السلطانية، لابن شداد، (١/١٢٩).

(٢) انظر: الكامل، لابن الأثير، (١٠/١٤٨)، النجوم الزاهرة، لابن تغري بردي، (٦/٣٠ وما بعدها).

الأنبياء صلوات الله عليهم) [1].

إضاءة

إن انتصار صلاح الدين في معركة حطين على الصليبيين، مهّد لبدء انحسار الوجود الصليبي في بلاد الشام.

إن معركة حطين من أهم المعارك الفاصلة التي أثرت عسكرياً وسياسياً على مستقبل بلاد الشام.

يقول المؤرخ الإنكليزي "رنسيمان": (سبق للمسيحيين في الشرق أن تعرضوا للكوارث، إذ وقع في الأسر ملوكهم وأمراؤهم، غير أن آسريهم لم يكونوا وقت ذاك سوى أمراء صغار لم يستهدفوا إلا إحراز بعض الكسب، على حين جرت في قرون حطين إبادة أضخم جيش لم تشهد المملكة مثله من قبل، وضاع الصليب المقدس، وكان المنتصر سيد العالم الإسلامي بأسره) [2].

ثانياً: تحرير بيت المقدس:

وجاءت لحظة الاستحقاقات الكبرى.

جاء وقت تحقيق الهدف المنشود.

جاء موعد تحرير بيت المقدس.

الاستعدادات:

بعد تدمير معظم جيوش الصليبيين في معركة حطين التي تجمعت من

---

(١) انظر: النوادر السلطانية، لابن شداد، (١٣٠/١ ومابعدها)، والنجوم الزاهرة، لابن تغري بردي(٣١/٦).

(٢) الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية، د.حامد غنيم أبو سعيد، (١٠٩/٢).

جميع إماراتهم، وانكسار العمود الفقري لقوتهم، أضحت الإمارات الصليبية لا قوة لها على مجابهة جيوش صلاح الدين الأيوبي، فانهارت معنوياتهم للحضيض، وظنَّ الناجون منهم أن هدف صلاح الدين القادم سيكون بيت المقدس، فتجمعوا بها، وتجمع معهم الصليبيون المتحمسون للدفاع عنها من الإمارات الأخرى.

ولكن صلاح الدين كانت لديه خطة أخرى، فقد قرر تحرير المدن الساحلية من أيدي الصليبيين ليحرمهم من طرق الإمدادات من أوروبا والعالم الخارجي، ثم يتجه بعد ذلك لتحرير مدن الداخل التي ستصبح في حكم من لا حول له ولا قوة إلا الاستسلام الكامل.

اتجه صلاح الدين إلى حصن طبرية فحرره، ثم اتجه في نهاية (ربيع الآخر/٥٨٣هـ-تموز/١١٨٧م) إلى عكا فحاصرها، فما لبث أن خرج إليه أهلها يطلبون الأمان فأمَّنهم على أنفسهم ونسائهم وأولادهم وأموالهم، واستثنى السلاح والعتاد، وهذا ما كان يفعله عندما يمنح الأمان لأي مدينة. ودخل صلاح الدين بجيشه إلى عكا واستولى على ما فيها من سلاح وعتاد وأطلق سراح أربعة آلاف من أسرى المسلمين، وأقام فيها أول صلاة جمعة بعد أن انقطعت منذ سيطر الصليبيون عليها قبل /٨٨ سنة/ تقريباً[(١)].

ثم بدأ صلاح الدين بإرسال فرق عسكرية لتحرير المدن الساحلية القريبة من عكا، فأنجز بفضل الله تعالى تحرير الناصرة وحيفا وعتليت وقيسارية

---

(١) انظر: الكامل، لابن الأثير، (١٤٩/١٠وما بعدها)، والنوادر السلطانية، لابن شداد، (١٣١/١ ومابعدها).

وصفورية وسبسطة ونابلس ويافا [1].

بعد ذلك، وضع صلاح الدين خطة لتحرير المدن الساحلية شمالي عكا، فبدأ بتبنين فحررها في جمادى الأولى/٥٨٣هـ، ثم سار إلى صرفند، فاستسلمت بدون قتال، ثم توجه منها إلى صيدا، فاستسلمت بتاريخ (٢١/جمادى الأولى/٥٨٣هـ-١١٨٧م)، ثم قصد بيروت فحاصرها لمدة أسبوع، فنزل إليه أهلها فطلبوا الأمان فأمَّنهم، وتسلمها منهم، ثم اتجه نحو جبيل فاستلمها دون قتال [2].

هذه السياسة التي انتهجها صلاح الدين بإعطاء الأمان لمن يطلبه، أدت إلى أمور ثلاثة:

الأول: رغبة سكان المدن بالاستسلام ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم.

الثاني: استمرار رواج الحياة الاقتصادية في هذه المدن .

الثالث: الاحتفاظ بقوة جيوشه وعدم إنهاكها استعداداً لمعركة التحرير الكبرى لبيت المقدس.

ثم قرر صلاح الدين التوجه لتحرير المدن الساحلية جنوبي عكا، فبدأ بمدينة عسقلان، وخلال سيره إليها حرر مدينة الرملة ومدناً أخرى، ولما وصل عسقلان بتاريخ (١٦/جمادى الآخرة/٥٨٣هـ-أواخر/آب/١١٨٧م)امتنع أهلها عن تسليمها، وصمموا على القتال، فاستخدم الأساليب السياسية

---

(١) انظر:الكامل، لابن الأثير، (١٠/١٥٠).

(٢) المصدر السابق، (١٠/١٥١وما بعدها)، والنوادر السلطانية، لابن شداد، (١/١٣٢ ومابعدها).

معهـم، واسـتقدم مـن دمشـق الملـك الأسـير "لوزجنـان" ملـك مملكـة بيـت المقدس، والأسير "جيرار" مقدم الداوية، وأغراهما بالأمان والحرية إن هـم أقنعوا حامية عسقلان بتسليم المدينـة، فراسـلوهم وحثـوهم علـى التسـليم ولكـنهم رفضوا وقرروا المقاومة، عندها نصب صلاح الدين المنجنيقات حول عسقلان وشرع بقتالها، فما لبث أهلها أن طلبوا الأمـان، فـأمنهم، واستلمها في نهاية جمادى الآخرة،ثم طلب أهل غزة الأمان فأمنهم واستلمها منهم[1].

وهكذا أتم صلاح الدين تنفيذ المرحلة الأولى من خطته، فسيطر على الشريط الساحلي من بيروت شمالاً إلى غزة جنوباً، ثم بدأ بالانتقال إلى المرحلة الثانية من خطته في تحرير بيت المقدس، بعد أن أصبح الطريق إلى ذلك سهلاً وممهداً.

وقائع تحرير بيت المقدس:

استطاع صلاح الـدين أن يعـزل بيـت المقـدس عـن العـالم الخـارجي، وقطـع طرق الإمداد عنهـا، فلا أوروبا قادرة على إمدادهم بالرجال والسلاح، ولا إمارتا طرابلس وأنطاكية الصليبيتين قادرتين على ذلك بعد تحرير بيروت والجبيل، وإمارة الكرك والشوبك مشلولة لاقدرة لها على المساعدة... وبات استرداد بيت المقدس مسألة وقت يختارها السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي.

قـام الصـليبيون المتجمعـون في بيـت المقـدس بتحصـين المدينـة قـدر اسـتطاعتهم، فحفـروا الخنـادق العميقـة، وأقـاموا الأبـراج العاليـة، ونصـبوا المنجنيقات، ووزعوا العساكر على الأسوار[2]، وعقدوا العزم على الدفاع عن

(١) انظر: الكامل، لابن الأثير (١٠/١٥٣وما بعدها)، والنوادر السلطانية، لابن شداد، (١/١٣٣ ومابعدها).
(٢) انظر: الكامل، لابن الأثير (١٠/١٥٤).

بيت المقدس، وبذل أموالهم وأنفسهم وأولادهم دونه.

عرض صلاح الدين على وفد من بيت المقدس تسليم المدينة بالشروط التي استسلمت بها باقي المدن الصليبية، مقابل تأمينهم على أنفسهم ونسائهم وأولادهم وأموالهم والسماح لمن يريد الخروج من المدينة سالماً، وما فعله صلاح الدين بالمقارنة مع ما فعله الصليبيون عندما احتلوا بيت المقدس يدل على تسامح المسلمين ومدى رقيهم الأخلاقي وشهامتهم التي يُمليها عليهم الإسلام، ولكنَّ الصليبيين أضاعوا هذه الفرصة النادرة ورفضوا الأمان الذي قدمه لهم صلاح الدين.

ومن الأمور العجيبة التي تدل على شخصية صلاح الدين الأيوبي القائد الإسلامي المتسامح، أنه أرسل حامية مع خمسين فرساً لتحمل زوجة ومتاع وأولاد القائد الصليبي "لباليان" من بيت المقدس إلى طرابلس، علماً بأن هذا القائد الصليبي هو من سيتولى الدفاع عن بيت المقدس![1].

ولما حان الوقت المناسب حسب خطة صلاح الدين لتحرير بيت المقدس، استنفر الجيوش والوحدات القتالية التي انتشرت على الساحل والتي قامت بتحرير مدنه وقلاعه، فجاءت إليه العساكر الإسلامية من مواقع انتشارها وتجمعت حوله.. ولما انتشر خبر بدء تحركه نحو تحرير بيت المقدس توافد عليه المتطوعون من كل البلاد يتقدمهم العلماء والفقهاء ليشاركوا في تحرير بيت المقدس[2].

---

(١) انظر: تاريخ الحروب الصليبية، ستيفين رنسيمان، (٧٤٨/٢ وما بعدها).

(٢) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، (٣٢٢/١٢).

وأمر صلاح الدين الأسطول البحري الإسلامي المصري بقيادة الحاجب لؤلؤ، بالقدوم إلى قبالة الشريط الساحلي وإجراء دوريات دائمة لقطع الطريق على أي محاولة أوروبية لإرسال سفن لمهاجمة المدن الساحلية، أثناء تحرير بيت المقدس[(1)].

وأعد صلاح الدين العتاد والسلاح اللازم للحصار واقتحام الأسوار، فأحضر المنجنيقات والعرادات والنفاطات والقطاعات وعدد النقوب.

وفي (١٥/رجب/٥٨٣هـ-٢٠/أيلول/١١٨٧م) تقدم صلاح الدين بجيشه وعتاده لحصار المدينة، واختار الجانب الغربي أولاً، ثم ما لبث أن انتقل بعد خمسة أيام إلى الجانب الشمالي عند باب العامود، لأنه وجد هذا الجانب أسهل من الجانب الغربي البالغ الصعوبة[(2)].

وظن الصليبيون أن صلاح الدين انسحب وترك المدينة، ولكنهم فوجئوا بظهوره في الجانب الشمالي من المدينة، فأسرعوا بنقل معداتهم وعسكرهم من الجانب الغربي إلى الجانب الشمالي[(3)].

وكان الصليبيون يرسلون فرسانهم جماعات خارج سور بيت المقدس للإغارة والتناوش مع المسلمين، فحمل المسلمون عليهم ((حملة رجل واحد، فأزالوا الفرنج عن مواقفهم، فأدخلوهم بلدهم، ووصل المسلمون إلى الخندق، فجاوزوه والتصقوا إلى السور فنقبوه، وزحف الرماة يحمونهم، والمجانيق توالي الرمي لتكشف الفرنج عن الأسوار ليتمكن المسلمون من النقب، فلما نقبوه

(١) انظر: الكامل، لابن الأثير، (١٠/١٥٤).

(٢) انظر: الكامل، لابن الأثير (١٠/١٥٥)، والنوادر السلطانية، لابن شداد، (١/١٣٤ ومابعدها).

(٣) انظر: الكامل، لابن الأثير (١٠/١٥٥).

حشوه بما جرت به العادة، فلما رأى الفرنج شدة قتال المسلمين، وتحكم المجانيق بالرمي المتدارك، وتمكن النقابين من النقب، وأنهم قد أشرفوا على الهلاك، اجتمع مقدموهم يتشاورون فيما يأتون ويذرون، فاتفق رأيهم على طلب الأمان، وتسليم البيت المقدس إلى صلاح الدين، فأرسلوا جماعة من كبرائهم وأعيانهم في طلب الأمان)) [(١)].

وبعد الأخذ والرد، وصلاح الدين مصمم على تحرير بيت المقدس بقوة السلاح، إلا أن أصحاب صلاح الدين وقواده أشاروا عليه بقبول استسلامهم ومنحهم الأمان، فاستجاب لهم، ووافق على مغادرة الصليبيين المدينة مقابل فدية، فجعل على الرجل خمسة دنانير، وعلى المرأة خمسة دنانير، وعلى الطفل دينارين[(٢)]، وأعطاهم مهلة أربعين يوماً، فمن انقضت المدة عليه ولم يؤد ما عليه صار مملوكاً، وعرض الأمير "باليان" أن يدفع ثلاثين ألف دينار عن جميع الفقراء، فقبل صلاح الدين، **وسُلمت المدينة يوم الجمعة ٢٧/رجب/٥٨٣هـ-١٢/١٠/١١٨٧م، وكان يوماً مشهوداً رُفعت فيه الأعلام الإسلامية على أسوار مدينة القدس المحررة**، ودخل صلاح الدين المدينة المحررة، فأصلح أحوالها، وأزال التعديات التي اصطنعها الصليبيون على المسجد الأقصى، وأمر بتطهير المسجد والصخرة، ولما كان يوم الجمعة رابع شعبان/٥٨٣هـ صلى المسلمون في الأقصى بأعداد هائلة أتت من كل فجٍّ عميق، وصلى معهم صلاح الدين، وكان الخطيب والإمام

---

(١) انظر: المصدر السابق، (١٠/١٥٥).

(٢) وفي النوادر السلطانية لابن شداد، ديناراً واحداً. انظر: (١/١٣٦).

الشيخ محي الدين بن زنكي قاضي دمشق[1].

(ولما فرغ صلاح الدين من صلاة الجمعة تقدم بعمارة المسجد الأقصى واستنفاد الوسع في تحسينه وترصيفه، وتدقيق نقوشه، فأحضروا من الرخام الذي لا يوجد مثله، ومن الفص المذهب القسطنطيني وغير ذلك مما يحتاجون إليه، (الذي) قد ادخر على طول السنين، فشرعوا في عمارته، ومحوا ما كان في تلك الأبنية من الصور، وكان الفرنج فرشوا الرخام فوق الصخرة وغيبوها، فأمر بكشفها. وكان سبب تغطيتها بالفرش أن القسيسين باعوا كثيراً منها للفرنج الواردين إليهم من داخل البحر للزيارة، فكانوا يشترونه بوزنه ذهباً رجاء بركتها، وكان أحدهم إذا دخل إلى بلاده باليسير منها بني له الكنيسة، ويجعل في مذبحها، فخاف بعض ملوكهم أن تفنى، فأمر بها ففرش فوقها حفظاً لها؛ فلما كشفت نقل إليها صلاح الدين المصاحف الحسنة، و الربعات الجيدة، ورتب القراء، وأدرَّ عليهم الوظائف الكثيرة، فعاد الإسلام هناك غضاً طرياً، وهذه المكرمة من فتح البيت المقدس لم يفعلها بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، غير صلاح الدين رحمه الله، وكفاه ذلك فخراً وشرفاً))[2].

تسامح صلاح الدين ليس له مثيل:

عندما احتل الصليبيون القدس ارتكبوا من الفظائع ما تشيب له العوارض.

يتحدث المؤرخ والباحث الدكتور غوستاف لوبون عن الأعمال

(١) انظر: الكامل، لابن الأثير، (١٠/١٥٦وما بعدها).

(٢) انظر: المصدر السابق،(١٠/١٥٨).

الوحشية التي ارتكبها الصليبيون في مدينة القدس بحق اليهود والمسلمين والنصارى الذين يخالفونهم بالمذهب، فيقول: (وكان سلوك الصليبيين حين دخلوا القدس غير سلوك الخليفة الكريم عمر بن الخطاب نحو النصارى حين دخلها منذ بضعة قرون، قال كاهن مدينة لوبوي، ريموند داجيل : (حدث ما هو عجيب بين العرب عندما استولى قومنا على أسوار القدس وبروجها، فقد قطعت رؤوس بعضهم، فكان هذا أقل ما يمكن أن يصيبهم، وبُقِرتْ بطون بعضهم، فكانوا يُضطرون إلى القذف بأنفسهم من أعلى الأسوار، وحُرق بعضهم في النار وكان ذلك بعد عذاب طويل، وكان لايُرى في شوارع القدس وميادينها سوى أكداس من رؤوس العرب وأيديهم وأرجلهم، فلا يمر المرء إلا على جثث قتلاهم، ولكن كل هذا لم يكن سوى بعض ما نالوا)، وروى ذلك الكاهن الحليم خبرَ ذبح عشرة آلاف مسلم في مسجد عمر ، فعرض الوصف الآتي: (لقد أفرط قومنا في سفك الدماء في هيكل سليمان، وكانت جثث القتلى تعوم في الساحة هنا وهنالك، وكانت الأيدي والأذرع المبتورة تسبح كأنها تريد أن تتصل بجثث غريبة عنها، فإذا ما اتصلت ذراعٌ بجسم لم يعرف أصلها، وكان الجنود الذين أحدثوا تلك الملحمة لا يطيقون رائحة البخار المنبعثة من ذلك إلا بمشقة)، ولم يكتف الفرسان الصليبيون الأتقياء بذلك، فعقدوا مؤتمراً أجمعوا فيه على إبادة جميع سكان القدس، من المسلمين واليهود وخوارج النصارى، الذي كان عددهم نحو ستين ألفاً فأفنوهم عن بكرة أبيهم في ثمانية أيام، ولم يستثنوا منهم امرأةً ولا ولداً ولا شيخاً) [1].

---

(١) انظر: حضارة العرب، للدكتور غوستاف لوبون، (ص/326 وما بعدها).

ويشهد المؤرخ والباحث وِل ديورانت على أحداث مماثلة نفذها الصليبيون في القدس فيقول: (يقولون إن النساء كن يُقتلن طعناً بالسيوف والحراب، والأطفال الرضع يُختطفون من أرجلهم من أثداء أمهاتهم، ويقذف بهم من فوق الأسوار، أو تهشم رؤوسهم بدقها بالعمد، وذبح السبعون ألفاً من المسلمين الذين بقوا في المدينة، أما اليهود الذين بقوا أحياء فقد سيقوا إلى كنيس لهم، وأشعلت فيهم النار وهم أحياء) [(١)].

وأثناء الحروب الصليبية في الحملة الصليبية الثالثة قام ملك إنكلترة "ريكاردس" الذي كان يقود هذه الحملة مع ملك فرنسا بقتل ثلاثة آلاف أسير مسلم في القدس في يوم واحد بعد أن خدعهم وأعطاهم الأمان من القتل، **يقول غوستاف لوبون** حول ذلك: (ولذا ظلت القيادة العليا في يد قلب الأسد ريكاردس الذي اقترف جرائم وحشية كالتي اقترفها رجال الحملة الصليبية الأولى. وكان أول ما بدأ به ريكاردس هو قتْله أمام معسكر المسلمين ، ثلاثة آلاف أسير مسلم سلَّموا أنفسهم إليه بعد ما قطع لهم عهداً بحقن دمائهم، ثم أطلق لنفسه العنان في اقتراف أعمال القتل والسلب. وليس من الصعب أن يتمثل المرء درجة تأثير تلك الكبائر في صلاح الدين النبيل الذي رحم نصارى القدس ولم يمسهم بأذى، والذي أمدّ فليب أوغست وقلب الأسد ريكاردس بالأزواد والمرطبات في أثناء مرضهما، فقد أبصر الهوَّةَ العميقة

(١) انظر: كتاب قصة الحضارة، ول ديورانت، الحرب الصليبية الأولى (ص/5299).

بين تفكير الرجل المتمدن وعواطفه وتفكير الرجل المتوحش ونزواته) [١].

يقول أحد المؤرخين المسيحيين: (الواقع أن المسلمين الظافرين اشتهروا بالاستقامة والإنسانية، فبينما كان الفرنج منذ ثمانٍ وثمانين سنة يخوضون دماء ضحاياهم، لم تتعرض الآن دار من الدور للنهب، ولم يحل بأحد من الأشخاص مكروه، إذ صار رجال الشرطة، بناءً على أوامر من صلاح الدين، يطوفون بالشوارع والأبواب يمنعون كل اعتداء يقع على المسيحيين)[٢].

وعندما حرر صلاح الدين بيت المقدس ضرب أروع الأمثلة في التسامح، والمعاملة الإنسانية، والحفاظ على العهود والمواثيق.

فقد خرج بطرك الصليبيين الكبير ومعه أموال عظيمة، لا يعلمها إلا الله، جمعها مما هو مخزون في كنائسهم، وكان له من المال مثل ذلك، فلم يعرض له صلاح الدين، فقيل له: ليُأخذ ما معه ليقوى به المسلمون؟!!، **فقال: لا أغدر به!!، ولم يأخذ منه سوى عشرة دنانير، وأرسل معه ومع من يتبعه من يحميهم حتى وصلوا إلى مدينة صور!!**،ولم ينفق هذا البطرك من هذه الأموال الضخمة لأحد من الفقراء، بل تركهم للأسر والسبي!!.

وكان في القدس امرأة قد ترهَّبت، ومعها من الحشم والجواري والعبيد خلق كثير، ولها من الجواهر النفيسة والأموال الشيء العظيم، فطلبت من

(١) انظر: كتاب حضارة العرب للدكتور غوساف لوبون (ص/ 330).

(٢) انظر: الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية،د. حامد غنيم أبو سعيد، (١١٦/٢).

صلاح الدين الأمان لنفسها ولمن معها، فأمَّنها وسيرها إلى مأمنها.

وأطلق صلاح الدين ملكة القدس وأطلق مالها وحشمها، واستأذنته في الذهاب إلى نابلس حيث زوجها ملك القدس مأسوراً في قلعتها، فأذن لها في الذهاب والإقامة عند زوجها في قلعة نابلس!!.

وأتته زوجة أمير الكرك "أرناط" المعروف بعظيم عدوانه على المسلمين والتنكيل بهم، تطلب الأمان والخروج فأطلقها ومالها ومن معها!![1].

(وقد برهن صلاح الدين وغيره من أمراء المسلمين على تلك الشهامة والتسامح عندما أصبح آلاف المدنيين الصليبيين الذين عجزوا عن دفع الفدية المقررة أسرى في يد صلاح الدين، فتقدم الملك العادل إلى أخيه السلطان صلاح الدين يطلب منه أن يهب له ألفاً من أولئك الصليبيين الفقراء ليطلق سراحهم لوجه الله، فأجابه صلاح الدين إلى ذلك)، (**ثم تقدم صلاح الدين وأمر حراسه بالمناداة في شوارع بيت المقدس بأنه سوف يطلق سراح من لم يستطع دفع الفدية من الصليبيين لكبَر سنِّه**، وأن على هذه الطائفة أن تتقدم من الباب الخلفي للمدينة ليسمح لها بالخروج من طلوع الشمس إلى الليل، وما إن صدر ذلك الإعلان حتى توافد الصليبيون على ذلك الباب بأعداد لا تُحصى، وطلب أمير البيرة إطلاق سراح زهاء خمسمائة أرمني، ذكر لصلاح الدين أنهم من بلده، وأن قدومهم إلى بيت المقدس كان من أجل العبادة هناك، كما طلب أيضاً الأمير المظفر عبلي كوجك إطلاق سراح زهاء

---

(١) انظر: الكامل، لابن الأثير (١٠/١٥٧).

ألف أرمني ادعى أنهم من الرها، فأجابهما صلاح الدين إلى ذلك وأطلق سراحهم)، (والواقع أن صلاح الدين أبدى من التسامح وكرم الأخلاق تجاه أسرى الصليبيين في بيت المقدس الشيء الكثير، وبلغ من كرم وشهامة صلاح الدين ما قام به تجاه زوجات وبنات الفرسان الصليبيين، الذين قُتلوا وأُسروا أثناء معاركهم مع صلاح الدين، فقد تجمعن أمام صلاح الدين يبكين فسأل عن حالهن وما يطلبن، فقيل له: إنهن يطلبن الرحمة، **فعطف عليهن صلاح الدين وسمح لمن كان زوجها على قيد الحياة بأن تتعرف عليه، وأطلق سراحه وسمح لهم بالذهاب حيث يريدون،أما النساء والبنات اللاتي مات أزواجهن وآباؤهن فقد أمر صلاح الدين بأن يُصرف لهن من خزانته الخاصة ما يناسب عيشتهن ومركزهن وأعطاهن حتى ابتهلت ألسنتهن بالدعاء له)**، (**واحترم صلاح الدين مشاعر المسيحيين**، فعندما أشار عليه بعض المسلمين عقب دخوله بيت المقدس بهدم كنيسة القيامة، وإزالة آثارها، وقالوا: "إذا هدمت بنيانها، وألحقت أسافلها بأعاليها، ونبشت المقبرة وعفيت، وأخمدت نيرانها وأطفيت، ومحيت رسومها ونفيت، وانقطعت عنها إمداد الزوار، وانحسمت عن قصدها مواد أطماع أهل النار، ومهما استمرت العمارة استمرت الزيارة"، بينما أشار عليه البعض الآخر بأنه: "لما فتح أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه القدس في صدر الإسلام، أقرَّهم على هذا المكان ولم يأمرهم بهدم البنيان" **فأعرض صلاح الدين بتسامحه عن هدمها،** وتضرع بعض المسيحيين إلى صلاح الدين ليسمح لهم بالبقاء داخل بيت

المقدس بعد أدائهم الفدية المقررة عليهم، وتعهدوا له بألا يزعجوا أحداً، وأن يقوموا بالخدمة داخل المدينة، فوافق صلاح الدين على ذلك) [1].

ويروي ابن شداد قصة امرأة صليبية خُطفت ابنتها منها، فأتت إلى صلاح الدين وهو مرابط مقابل العسكر الصليبي تبكي وتستغيث وتطلب مساعدته باستعادة ابنتها، (فرق لها ودمعت عينه وحركته مروءته وأمر من ذهب إلى سوق العسكر يسأل عن الصغيرة من اشتراها ويدفع له ثمنها ويحضرها وكان قد عرف قضيتها من بكرة يومه فما مضت ساعة حتى وصل الفارس والصغيرة على كتفه فما كان إلا أن وقع نظرها عليها فخرت إلى الأرض تعفر وجهها في التراب والناس يبكون على ما نالها وهي ترفع طرفها إلى السماء ولا نعلم ما تقول فسلمت ابنتها إليها وحملت حتى أعيدت إلى عسكرهم)[2].

تسامح

لقد كان صلاح الدين متسامحاً انطلاقاً من إيمانه العميق بالمبادئ الإسلامية الإنسانية، وكان تسامحه ومعاملته الإنسانية لأعدائه الصليبيين كبيراً جداً لدرجة أقلقت قيادات جيشه، وأثارت انتقادات بعض المؤرخين، أمثال ابن الأثير وغيره.

---

(١) انظر: استرداد بيت المقدس في عصر صلاح الدين الأيوبي، عبد الله سعيد الغامدي، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى-السعودية، [١٤٠٢هـ]، (ص/٢٣٩وما بعدها).

(٢) انظر: النوادر السلطانية، لابن شداد،(١/٦٨ ومابعدها).

الحرب الصاعقة

لقد دمّر صلاح الدين قوى مملكة بيت المقدس وما حولها وحرر مدنها وقلاعها التي ذكرناها في وقت قياسي لا يتجاوز الثلاثة أشهر، من حطين في 1187/7/4م إلى بيت المقدس في 1187/10/12م، إنها الحرب الصاعقة التي سحقت الصليبيين، ولم يشهدوا لها مثيلاً!!.

الموجة الثانية من حروب التحرير.

بعد انتهاء الموجة الأولى من حروب التحرير، أنجز صلاح الدين، وخلال أربعة أشهر تقريباً،مايلي:

١- تنظيم أمور البلاد التي حررها.

٢- ترميم الجيوش واستكمال جاهزيتها.

٣- بدء التخطيط للموجة الثانية من حروب التحرير.

فكانت الموجة الأولى مخصصة لإمارة بيت المقدس، وكانت الموجة الثانية مخصصة للإمارتين الصليبيتين في طرابلس وأنطاكية.

ففي ربيع الأول عام /٥٨٤هـ-١١٨٨م/، زحف صلاح الدين نحو الساحل السوري واستولى على بانياس شمال طرسوس.

ثم توجه إلى إمارة أنطاكية، فاستولى على جبلة واللاذقية وقلعة صهيون وما حولهم، ثم استولى على حصن برزية، وقلعتي دربساك وبغراس، وكانتا

جناحي حماية لأنطاكية[1].

وفي شعبان /٥٨٤هـ/، طلب أمير أنطاكية الهدنة من صلاح الدين، وتعهَّد بإطلاق من بحوزته من أسرى المسلمين، فاستجاب له صلاح الدين [2].

ولم يعرف صلاح الدين الراحة ولم ير أهله، فواصل الجهاد وتوجه في رمضان عام /٥٨٤هـ-١١٨٨م/ إلى قلعة صفد جنوب طبرية، فحررها، ثم حرر قلعة كوكب، ثم جاءته بشائر تحرير حصون الكرك وهرمز والوعر والشوبك[3].

وهكذا في نهاية عام /٥٨٤هـ/ لم يبق من مملكة القدس سوى صور، ولا من مملكة أنطاكية إلا مدينتها، وبعض الحصون.

وبعد أن كانت الجبهة الصليبية تمتد من الرَّها شمال شرق بلاد الشام إلى حلب وإلى أنطاكية غرباً، ثم إلى طرابلس جنوباً، ثم إلى غزة والعقبة في أقصى الجنوب، ثم إلى الكرك والشوبك جنوب عَمان في الأردن.

فإنه لم يبق من هذه الخريطة الضخمة إلا أجزاء مقطعة الأوصال ومطوقة من جميع جهاتها بجبهة المقاومة الإسلامية، وكان لسقوط بيت المقدس وانهيار الممالك الصليبية وقع الصاعقة على أوروبا التي استنفرت كل قواها لشن الحرب الصليبية الثالثة، كما مر معنا تفاصيل ذلك.

---

(١) الكامل، لابن الأثير، (١٠/ ١٦٧ ومابعدها)، والنوادر السلطانية، لابن شداد، (ص/١٤٤ ومابعدها).

(٢) انظر: النوادر السلطانية، لابن شداد، (١/١٥١)، والكامل، لابن الأثير، (١٠/١٧٤ ومابعدها).

(٣) انظر:النوادر السلطانية، (١/١٥٢ ومابعدها)، والكامل، لابن الأثير، (١٠/١٧٥ومابعدها).

وفي بداية عام (٥٨٥هـ-١١٨٩م) سار صلاح الدين إلى حصن شقيف فحاصره وأسر "أرناط" الأمير الصليبي الخطير، وكان صلاح الدين منزعجاً ومهموماً بسبب تجمُّع الإمدادات الضخمة من الصليبيين القادمين من أوروبا في مدينة صور ، ولما جاءه نبأ خروجهم بأعداد لا تحصى لمحاصرة مدينة عكا في منتصف رجب، سار إليهم، وضرب خيمته على "تل كيسان" واستدعى العساكر الإسلامية، وكانت الإمدادات الصليبية الضخمة تأتي من البحر بلا انقطاع، وبقيت المناوشات أياماً طويلة، وفي مستهل شعبان حمل عليهم حملة قوية ففتح ثغرة في طوق حصارهم لعكا، واتصل الطريق بين جيش صلاح الدين وبين المسلمين المحاصرين في عكا، فأدخل صلاح الدين إليهم الرجال والذخائر والأموال والسلاح وغير ذلك، وفي /٢٠شعبان/ خرج الصليبيون من معسكراتهم كأنهم الجراد المنتشر وهاجموا جيش صلاح الدين، فدارت رحى معركة عنيفة بين الطرفين انهزم فيها بعض المسلمين وصمد صلاح الدين وهاجم مع مجموعة ممن معه مؤخرة الصليبيين فأخذتهم سيوف الله من كل جانب فقُتل منهم نحو عشرة آلاف وأُسرت أعداد كبيرة منهم وكان في جملة من أُسر مقدم الداوية، ومرض صلاح الدين وامتلأت الأرض من جيف الصليبيين وفسد الهواء، فأشار أصحاب صلاح الدين وأطباؤه عليه بالانتقال، فرحل إلى "الخروبة" في أوائل رمضان، وبقيت عكا محاصرة [1].

وفي مستهل عام (٥٨٦هـ-١١٩٠م) وبعد انقضاء الشتاء، سار صلاح

(١) الكامل، لابن الأثير، (١٠/١٨٠ وما بعدها).

الدين بجيشه إلى عكا ليفك الحصار عن أهلها، وبدأ يناوش الصليبيين كل يوم، ووصل الأسطول المصري ليفك الحصار عن عكا من جهة البحر واشتبك مع أسطول الصليبيين، وصلاح الدين يهاجم الحصار البري، وفي ٢٠/جمادى الآخرة خرج الصليبيون من خنادقهم التي ضربوها حول عكا بأعداد لا تُحصى، وهاجموا جيش صلاح الدين، ودارت معركة عنيفة أحاط فيها المسلمون بالصليبيين المهاجمين ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، تزيد على عشرة آلاف قتيل، وتتالت الإمدادات الصليبية إلى عكا، وأرسل إليهم البابا بمداومة قتالهم، وأن النجدات ستصل إليهم براً وبحراً[١].

وفي عام (٥٨٧هـ-١١٩١م) بقي الحال هكذا وبقيت المناوشات بين الطرفين حتى وصلت الحملات الصليبية الألمانية والفرنسية والإنكليزية إلى صور وعكا وعندها بدأت الحرب الصليبية الثالثة [٢].

بعد انتهاء الحرب الصليبية الثالثة بسبعة شهور تقريباً، انتقل القائد المجاهد صلاح الدين الأيوبي إلى الرفيق الأعلى بتاريخ ٢٧/صفر/٥٨٩هـ الموافق ٤/٣/١١٩٣م، بعد أن أنهى مهمته بنجاح، وأبلى بلاء حسناً، رحمه الله تعالى، وجزاه الله تعالى عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

---

(١) المصدر السابق، (١٠/١٩١ وما بعدها).

(٢) انظر: الكامل، لابن الأثير، (١٠/٢٠٤ وما بعدها).

٣- المتخاذلون والخائنون.

كان في مقدمتهم السلطان السلجوقي "قلج أرسلان الثاني" الذي رحب بالحملة الصليبية الألمانية، وعمل على تأمين الطريق الذي سلكه الإمبراطور الألماني "بربروسا" وجيشه، بل وبعث بالأدِلَّاءِ ليرشدوهم للطريق للوصول إلى شمال بلاد الشام، وذلك في منتصف عام /٥٨٦هـ-١١٩٠م/، علماً بأن جدَّ هذا السلطان والذي يحمل نفس الاسم كان من رواد المقاومة الإسلامية ضد الصليبيين، حيث واجه جيش بطرس الناسك عند نيقية وأفناه عن بكرة أبيه [١].

ومنهم "سعد الدين كمشتكين" الذي سيطر على حكم إمارة حلب وعلى ملكها الفتى إسماعيل بن نور الدين زنكي، ووقف في وجه جهود صلاح الدين الأيوبي لتوحيد جبهة المقاومة الإسلامية في مواجهة الصليبيين، فرفض جميع مبادرات المصالحة التي قدمها صلاح الدين، بل تحالف مع الإسماعيلية الباطنية (الحشاشين) لقتل صلاح الدين حينما كان يحاصر قلعة أعزاز شمالي حلب، فقام القاتل الباطني بمهاجمة صلاح الدين على حين غرة، وطعنه طعنات قاتلة عدة، ولكن الله تعالى أنجاه منها بأعجوبة، وذلك في ذي القعدة عام /٥٧١هـ/، وبعد سنتين ألقى الملك إسماعيل القبض على كمشتكين وقتله، لما كان يمثله من تهديد لملكه[٢].

(١) الحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، (٢/ ٨٤٧ ومابعدها) .

(٢) الكامل، لابن الأثير، (١٠/٧٦و٨٧ ومابعدها)، والنوادر السلطانية، لابن شداد، (ص/٩٧ ومابعدها).

وقد وصف صلاح الدين الأيوبي في رسالة وجهها إلى الخليفة العباسي الناصر عام /٥٨٦هـ/، أحوال المتخاذلين من الحكام والأمراء وقادة الجيوش وضعفهم، وتفاني الصليبيين في بلوغ أهدافهم، فقال: (وقد بُلى الإسلام منهم (يقصد الصليبيين) بقوم قد استطابوا الموت، واستجابوا الصوت، وفارقوا المحبوبين والأوطان والأوطار، وهجروا المألوفين: الأهل والديار، كل ذلك طاعةً لقسيسهم، وامتثالاً لأمر مركيسيهم (أميرهم)، وغيرة لمتعبدهم، وحمية لمعتقدهم، وتهالكاً على مقبرتهم، فهذا شرح حال هؤلاء، وتعصبهم في ضلالهم، ولجاجتهم في غوايتهم بخلاف أهل الإسلام، فإنهم يتضجرون ولا يصبرون، بل يتفللون ولا يجتمعون، ويتسللون ولا يرجعون، وإنما يقيمون ببذل النفقة، وإذا حضروا حضروا بقلوب غير متفقة، ليعلم أن الإسلام من عند الله منصور، وأن الكفر بإرادة الله محسور مدحور)[١].

حقيقة

كم تتألم الأرواح والنفوس، وكم تتخذل الإرادات والمعنويات..عندما تسمع وتشاهد أعمال القادة المتخاذلين والخائنين.. إن الهزيمة والصغار والهوان ليسوا ببعيد عن قادة باعوا دينهم وآثروا دنياهم وملذاتهم وخذلوا شعوبهم..وهذا جزء من جزائهم العادل الأدنى دون العذاب الأكبر لو كانوا يعقلون.

---

(١) انظر: الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية، د. حامد غنيم أبو سعيد، (١٥٢/٢).

رابعاً: الحملة الصليبية الرابعة.

بعد وفاة صلاح الدين بست سنوات تقريباً دعا بابا الكاثوليك إلى حملة صليبية رابعة، مستغلاً الصراعات الداخلية العنيفة بين الأمراء الأيوبيين للسيطرة على مملكة صلاح الدين المترامية الأطراف.

١- الصراع الداخلي يطغى على جبهة المقاومة الإسلامية بين عامي /٥٨٩هـ-٥٩٧هـ/ و /١١٩٣م-١٢٠١م/.

نستطيع أن نوجز هذه الحقبة الزمنية بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي، بأنها **حقبة نزاع وتراجع وتهادن مع الصليبيين.**

بينما كان صلاح الدين قائد جبهة إسلامية واحدة تمتد من ديار بكر (جنوب تركيا) شمالاً إلى اليمن جنوباً ومن برقة غرباً إلى إيران شرقاً، أصبحت الدولة مقسمة إلى أربع دويلات:

الأولى:مملكة دمشق والساحل وبيت المقدس، وسيطر عليها ابنه الملك الأفضل نور الدين.

الثانية: مملكة مصر، وسيطر عليها ابنه الملك العزيز عثمان.

الثالثة: مملكة حلب وجميع أعمالها، وسيطر عليها ابنه الملك الظاهر غازي.

الرابعة: مملكة الكرك والشوبك في الأردن والجزيرةشمال سورية، وسيطر عليها أخوه الملك العادل.

وإلى جانب هؤلاء كان هناك أمراء آخرون في حماة وحمص والموصل وغير ذلك.

ثم مالبث أن دبَّ الشقاق والنزاع بين أبناء أسرته، كل يريد توسيع ملكه والسيطرة على أملاك الآخرين[1].

فابنه الأكبر الملك الأفضل نور الدين ملك دمشق وبيت المقدس، كان مشغولاً بلهوه وشربه وملذاته، التي شغلت الكثير من وقته[2].

وفي عام /٥٩٠هـ/ زحف أخوه الملك العزيز ملك مصر على دمشق، وتجمعت القوى للصراع بينهما، ولكن عمهما الملك العادل عقد صلحاً بينهما تمَّ بموجبه إعادة توزيع مناطق النفوذ بين الإخوة [3].

وفي عام /٥٩١هـ-١١٩٥م/ عاد الصراع بين الأخوين، وزحف الأفضل مع عمه العادل فاستولوا على بيت المقدس من سلطان الملك العزيز ، ثم توجها إلى مصر، إلا أن الطرفين تصالحا[4].

وفي عام /٥٩٢هـ/ تبدلت المواقع، فزحف العزيز مع عمه العادل من مصر نحو دمشق، فاستوليا عليها في عام /١١٩٦م/[5].

وفي المحرم عام /٥٩٥هـ-١١٩٨م/ توفي الملك العزيز، وتولى حكم مصر ابنه ناصر الدين محمد وكان عمره تسع سنين وأشهراً، فتولى الوصاية عليه

---

(١) الكامل، لابن الأثير، (١٠/٢٢٥ ومابعدها).

(٢) السلوك، للمقريزي، (١/٢٣٣ ومابعدها).

(٣) الكامل، لابن الأثير،(١٠/٢٣٤ ومابعدها)، والسلوك، للمقريزي، (١/٢٣١ ومابعدها)..

(٤) الكامل، لابن الأثير، (١٠/٢٣٩ ومابعدها)، والسلوك ، للمقريزي، (١/٢٣٧ ومابعدها) .

(٥) الكامل، لابن الأثير، (١٠/٢٤٢ ومابعدها)، والسلوك، للمقريزي، (١/٢٤٦ ومابعدها).

عمه الملك الأفضل وسيطر على مصر، مما أثار حفيظة عمه الآخر الملك العادل فوقع النزاع بينهما[1].

وفي شعبان من العام نفسه، هاجم الأفضل دمشق التي يملكها عمه الملك العادل بدعم من أخيه المظفر ملك حلب وابن عمه أسد الدين شيركوه ملك حمص، واستنفر كل فريق أنصاره، ولما يئس الأفضل من القدرة على أخذ دمشق انسحب إلى مصر وانسحب الآخرون كل إلى دياره[2].

استغل الملك العادل تراجع الأفضل نحو مصر، فتوجه إليها بقواته، ودخل القاهرة في عام /٥٩٦هـ-١٢٠٠م/[3].

وفي عام /٥٩٧هـ-١٢٠١م/ تجدد الصراع بين الملك العادل وأبناء أخيه، فزحف الملك الأفضل والملك الظاهر على دمشق، وبعد حصارها اختلفا على السيادة عليها، فباءت محاولة الاستيلاء على دمشق بالفشل.

بعد هذه المحاولة أصبح الملك العادل صاحب الكلمة العليا في الدولة الأيوبية، حيث بسط سلطانه على مصر وبيت المقدس والسواحل ودمشق وجميع ما في يده ويد أولاده من بلاد المشرق[4].

(١) الكامل، لابن الأثير، (١٠/٢٥٥ ومابعدها)، والسلوك، للمقريزي، (١/٢٥٨ ومابعدها)..

(٢) الكامل، لابن الأثير، (١٠/٢٥٧ ومابعدها)، والسلوك، للمقريزي، (١/٢٥٩ ومابعدها).

(٣) الكامل، لابن الأثير، (١٠/٢٦٥ ومابعدها)، والسلوك، للمقريزي، (١/٢٦٣ ومابعدها).

(٤) الكامل، لابن الأثير، (١٠/٢٦٩ ومابعدها)، والسلوك، للمقريزي، (١/٢٦٧ ومابعدها)..

٢–وقائع الحرب الصليبية الرابعة.

أثناء هذه الصراعات دعا البابا "إينوسان الثالث" إلى حملة صليبية رابعة بهدف احتلال بيت المقدس عام /٥٩٥هـ–١١٩٨م/.

وقرر الصليبيون أن يجعلوا وصولهم إلى بيت المقدس عن طريق مصر، فإذا سقطت مصر أصبح الاستيلاء على بيت المقدس مضموناً،لأن مصر هي مركز المقاومة الحقيقي ضد الصليبيين بالشام وهي الخزان الكبير الذي يمد المقاومة بالموارد البشرية والمالية.

ولما وصل الصليبيون إلى البندقية عام /٥٩٨هـ–١٢٠٢م/، استطاع دوق البندقية "هنري دندولو" أن يحول وجهة الجيوش إلى مملكة المجر للاستيلاء على مدينة زارا.

ثم استطاع "إلكسيس الصغير" الذي فقد عرش الإمبراطورية في القسطنطينية، أن يقنع البابا والجيوش الصليبية بمساعدته على استعادة عرشه، مقابل إخضاع الكنيسة الشرقية للبابوية ومساعدة الصليبيين في حملتهم على مصر، وتولى دوق البندقية قيادة الجيوش الصليبية، واتجه بها نحو القسطنطينية، وقام الصليبيون باحتلالها في/ ١٢/٤/١٢٠٤م/ الموافق/ ٦٠١هـ/، فعاثوا فيها فساداً وخرَّبوها ونهبوها، وتقاسم الصليبيون الكاثوليك البلاد التي استولوا عليها من مسيحيي المشرق الأرثوذوكس، الذين تمنوا لو أن المسلمين استولوا عليها، لأن المسلمين عندما استولوا على بيت المقدس عاملوا المسيحيين بمنتهى السماحة، وحافظوا على حياتهم وأموالهم وأهليهم.

وأقام الصليبيون الغربيُّون الكاثوليك إمبراطورية كاثوليكية إقطاعية على أنقاض الإمبراطورية البيزنطية الأرثوذوكسية، بعد أن مزقوها إلى إقطاعات على الأمراء الصليبيين، إلى أن سقطت عام /٦٥٩هـ-١٢٦١م/، وعادت الإمبراطورية البيزنطية كما كانت.

وبهذا انتهت الحرب الصليبية الرابعة بعد أن تحولت بقدرة الله تعالى عن بيت المقدس إلى احتلال عاصمة الإمبراطورية المسيحية الشرقية.

فتأمل أقدار الله تعالى![١].

وأما الصراع مع الإمارات الصليبية في عكا وطرابلس وأنطاكية فقد سيطر عليها معارك كر وفر محدودة، وعقدت الهدنة تلو الهدنة بينهم وبين الملك العادل، وهذا ما حصل في الأعوام /٥٩٣هـ/ و /٦٠١هـ/ و /٦٠٣هـ/ و /٦٠٧هـ/ و /٦٠٩هـ/ إلى /٦١٤هـ/.

وقد طلب ملك مملكة عكا الصليبية من بابا روما التحضير لحملة صليبية خامسة، تبدأ مع نهاية الهدنة عام /٦١٤هـ-١٢١٧م/[٢].

وفي عام /٦١٠هـ-١٢١٣م/ دعا البابا أنوسنت الثالث إلى حملة صليبية جديدة، وكانت النية أن يشترك البابا نفسه في هذه الحملة لولا وفاته عام /١٢١٦م/.

وفي عام /٦١٤هـ/ وصلت الحملة البحرية (كما اشتهرت) إلى عكا بعدد

---

(١) الحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، (٢/ ٩٢٩ ومابعدها).

(٢) الجبهة الإسلامية، د.حامد غنيم أبوسعيد، (٢/ ١٩٦ ومابعدها).

كبير من المقاتلين الصليبيين يقودهم دوق النمسا وملك المجر وملك قبرص وهاجمت هذه القوات بيسان ثم مالبثت قوتها أن انحسرت بسبب موت ملك قبرص ورحيل ملك المجر في نهاية العام [1].

حقيقة

وهكذا يعيد التاريخ نفسه، ويظهر أنه كلما اشتدّ الصراع الداخلي انعكس ضعفاً على جبهة المقاومة الإسلامية، وهذا يُغري الأعداء بمهاجمة بلاد المسلمين، مما يفضي إلى تضييع مصالح الأمة، وتوالي النكبات عليها، بسبب أهواء الحكام والسلاطين الذين أعمتهم زخارف الدنيا فأوغلوا في البحث عن مصالحهم، وتوسيع دائرة نفوذهم!!.

* * * *

(١) الكامل، لابن الأثير، (١٠/٣٧٣ ومابعدها)، والسلوك، للمقريزي، (١/٣٠٧ ومابعدها). والحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، (٢/ ٩٥٦ ومابعدها).

خامساً: الحملة الصليبية الخامسة.

١- الوقائع.

في مطلع عام /٦١٥هـ/ زحفت القوات الصليبية بقيادة "حنا دي برين" ملك مملكة بيت المقدس نحو مصر، وضمت قوات الصليبيين في مملكته إضافة لجموع الصليبيين الوافدين من قبرص وأوروبا بدعوة من البابا، ووصلت السفن إلى دمياط في ٢٨/٥/١٢١٨م-٦١٥هـ/، وبدأ الصليبيون بالهجوم على برج دمياط وتمَّ لهم اقتحامه بعد ثلاثة أشهر في آخر آب/١٢١٨م-آخر جمادى الأولى/٦١٥هـ..

وبعد أيام عدة وفي ٧/جمادى الآخرة/٦١٥هـ-٣١/٨/١٢١٨م توفي الملك العادل، مما أثر سلباً على جبهة المقاومة الإسلامية، وتولى المُلك بعده ابنه الملك الكامل. (١)

وبعد أيام عدة وصل الكاردينال "بيلاجيوس" على رأس حملة كبيرة من الأوروبيين مندوباً عن البابا، وأصبح شريكاً في قيادة الحملة الصليبية الخامسة، ثم وصلت إمدادات أوروبية من فرنسا وإنكلترة انضمت مباشرة إلى الحملة الصليبية في مهاجمة دمياط.

وفي شباط /١٢١٩م/ بدأ حصار دمياط، ووصلت إمدادات صليبية متتالية من أوروبا، وضعفت معنويات الملك الكامل، فعرض على الصليبيين

---

(١) الكامل ، لابن الأثير، (١٠/٣٧٥ ومابعدها)، والسلوك، للمقريزي، (١/٣٠٩ ومابعدها)، والحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، (٢/ ٩٦٦ ومابعدها)..

أسخى عرض، يقضي بجلاء الصليبيين عن مصر **مقابل إعطائهم القدس وعسقلان وطبرية وجبلة واللاذقية وسائر مافتحه صلاح الدين من بلاد الساحل** ماعدا الكرك والشوبك..، ورفض المندوب البابوي بلاجيوس العرض،وفي آب كرر الكامل العرض فرفضه بلاجيوس،وبسبب سوء موقفه **كرر العرض مرة بعد مرة، وتكرر الرفض..** [1].

احتدم الصراع واستمر حصار دمياط أشهراً عدة، وفي آخر شعبان/٦١٦هـ- تشرين الثاني/ ١٢١٩م، سقطت دمياط بأيدي الصليبيين، فغدروا بأهلهاووضعوا فيهم السيف قتلاً وأسراً وباتوا تلك الليلة يفجرون بالنساء وجعلوا جامعها كنيسة [2].

وفي العام نفسه بدأ الزحف المغولي على الجبهة الشرقية للعالم الإسلامي.

بعد سقوط دمياط تراجع الملك الكامل إلى جنوب دمياط، وأقام مدينة سمَّاها المنصورة، وجعل منها خط الدفاع الثاني في مواجهة الزحف الصليبي نحو القاهرة، وأرسل في طلب الإمدادات العسكرية، وتداعى المسلمون في القاهرة وجوارها يستحثهم علماؤهم، ونودي بالنفير العام، فاجتمعت حشود كبيرة من المصريين بدأت تشارك في القتال ضد الصليبيين، وجاءت أيضاً إمدادات من بلاد الشام.

وبقي الصراع محتدماً لأكثر من سنة أخرى، الصليبيون يريدون كسر

(١) الكامل، لابن الأثير، (١٠/٣٧٩)، الحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، (٢/ ٩٦٩ ومابعدها).
(٢) الكامل، لابن الأثير، (١٠/٣٧٧)، والسلوك، للمقريزي، (١/٣١٩).

الدفاعات الإسلامية والزحف إلى القاهرة، وقوات المقاومة الإسلامية تريد كسر هجومهم، والزحف إلى دمياط لاستعادتها[١].

وفي جمادى الآخرة/٦١٨هـ-١٢٢١م/، بدأت النجدات الإسلامية تصل إلى ميدان المعركة، وقام بعض المقاتلين المسلمين بتفجير جسر النيل، فاجتاحت المياه مواقع الصليبيين، وأحاطت بهم، وقطعت الاتصال بينهم وبين الخارج، وغاصوا بالوحول [٢].

وفي ٨/رجب/٦١٨هـ-٢٨/٨/١٢٢١م، انهزم الصليبيون واستسلموا، وطلبوا الأمان، وسلَّموا دمياط بتاريخ ٧/٩/١٢٢١م.

ويأبى الله تعالى.. فرزق المسلمين إعادة دمياط، وبقيت البلاد التي حررها صلاح الدين بأيديهم رغم تخاذل الملك الكامل، وبهذا انتهت الحملة الصليبية الخامسة، بهزيمة مذلَّة للصليبيين، ونصر مؤزر للمسلمين[٣].

٢- أوضاع جبهة المقاومة الإسلامية بين عامي /٦١٥هـ-٦٢٤هـ/ و /١٢١٨م-١٢٢٧م/.

في عام/٦١٥هـ-١٢١٨م/ وفي الوقت الذي وصل فيه الصليبيون من عكا إلى دمياط، وبدؤوا بالهجوم على برج السلسلة للاستيلاء عليه، بدأ سلطان السلاجقة الروم في الأناضول "عز الدين كيكاوس" بمهاجمة شمالي

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، للمقريزي، (١/٣١٩ ومابعدها).

(٢) الكامل، لابن الأثير، (١٠/٣٧٩)، والسلوك، للمقريزي، (١/٣٢٧).

(٣) الكامل، لابن الأثير، (١٠/٣٧٩ وما بعدها)، والسلوك، للمقريزي، (١/٣٢٨ ومابعدها)..

بلاد الشام بالتحالف مع بعض الأمراء الأيوبيين لتوسيع سلطان مملكته وممالكهم على حساب الممالك الإسلامية الأخرى، بدلاً من إنجاد المسلمين في دمياط الذين يتعرضون لهجوم كاسح من الجيوش الصليبية المتتالية القادمة من أوروبا والجيوش الصليبية القادمة من الممالك الصليبية في بلاد الشام بتشجيع ودعم من البابوية[1].

وبعد وفاة الملك العادل عام /٦١٥هـ-١٢١٨م/بدأ الصراع على الحكم بين أبنائه، ولكن الهجوم الصليبي على المشرق العربي أجَّل هذا الصراع إلى حين.

ففي عام /٦١٥هـ/ وأثناء احتدام القتال بين الصليبيين والقوات الإسلامية على أبواب دمياط، ظهر أشخاص أعمتهم المصالح الشخصية ومآربهم الدنيوية عن واجب الدفاع عن الأمة، فراحوا يتآمرون على إسقاط قائد جبهة دمياط الملك الكامل عن حكم مصر، ليؤول الحكم إليهم، وكان على رأس هؤلاء كبير الأمراء عماد الدين أحمد بن المشطوب، وأدت هذه المؤامرة إلى تقدُّم الجيوش الصليبية نحو دمياط واحتلالها، ولكن الملك الكامل وبمساعدة أخيه الملك المعظم، قضوا على المؤامرة، ومنعوا تدهور الجبهة الإسلامية[2].

وفي عام /٦١٦هـ-١٢١٩م/ بدأ المغول باجتياح الممالك الإسلامية في أقصى الشرق، وبدؤوا باحتلال المملكة الخوارزمية. **فغدا العالم الإسلامي**

(١) الكامل، لابن الأثير، (٣٩١/١٠ وما بعدها)، والسلوك، للمقريزي، (٣٠٩/١)

(٢) الكامل، لابن الأثير، (٣٧٦/١٠ وما بعدها)، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تَغْري بَرْدي، (٢٠٢/٦).

بين فكي كماشة، هجوم صليبي مسعور من الغرب، وهجوم مغولي تدميري من الشرق.

وبعد هزيمة الحملة الصليبية الخامسة، ومع كل الأخطار التي تهدد العالم الإسلامي، تجدد الصراع بين أبناء الملك العادل، الذين انقسموا إلى جبهتين متصارعتين:

الأولى: بزعامة الملك الأشرف، وكان معه ملوك حمص وحماة وحلب والموصل. **والثانية**: بزعامة الملك المعظم، ومعه ملك بعلبك.

وبقي الملك الكامل في مصر الأقوى بينهم ،يحاول الإصلاح بين إخوته كلما اشتد الصراع بينهم..

فقد شهدت الأعوام بين /٦١٩هـ-١٢٢٢م/ إلى /٦٢٢هـ-١٢٢٥م/ هجمات متبادلة بين الإخوة، لم تغيِّر من الواقع على الأرض.

وفي عام /٦٢٢هـ/ دخل على خط الصراع جلال الدين بن خوارزم شاه منكبرتي آخر شاهات وملوك خوارزم -الذي عاد إلى حكم مملكة خوارزم بعد أن اجتاحها جنكيز خان، وكان قد هرب إلى الهند ثم عاد إلى حكمها بعد انسحاب جنكيز خان إلى بلاده- فتحالف معه الملك المعظم ضد إخوته، حيث دار بينهم وبينه صراع دموي عندما هاجم حمص[(١)].

ومع أن الخطر المغولي والصليبي بات يهدد مصير العالم الإسلامي، فإن

(١) الكامل، لابن الأثير، (٣٧٦/١٠ وما بعدها)، والسلوك، للمقريزي، (٣٣٩/١ ومابعدها)..

الصراعات بين أولاد الملك العادل، كانت لا تتعدى دائرة المصالح الشخصية الضيقة، والتي أساءت إساءة بالغة إلى جبهة المقاومة الإسلامية.

يضاف إلى ذلك أن باقي حكام المسلمين في الشرق لم يكونوا أحسن حالاً في البحث عن مصالحهم الشخصية وأهوائهم وملذاتهم والأمة الإسلامية تعاني ماتعاني، ومن الأحداث المخزية التي ذكرها المؤرخون عام /٦٢٠هـ-١٢٢٣م/ أثناء الاجتياح الصليبي والمغولي لبلاد المسلمين، أن سلطان السلاجقة في بلاد الروم "مغيث الدين طغرلشاه بن قلج أرسلان" بلغه موت ملك مملكة الكرج وتولي إمرأة أمر المملكة، فطلبوا لها زوجاً ليتولى شؤون الملك، فارسل ابنه الكبير ليتزوجها ولتصير المملكة في دائرة نفوذه،فامتنعت عن الزواج به، وقال أهل الأمر في مملكتها: لانفعل هذا لأننا لايمكننا أن يملك أمرنا مسلم،فقال لهم:إن ابني يتنصر ويتزوجها، فأجابوه إلى ذلك، فأمر ابنه فتنصر ودان بالنصرانية وتزوج الملكة...وأقام عند الكرج حاكماً في بلادهم واستمر على النصرانية..، ثم كانت هذه الملكة تهوى مملوكاً لها...ودخل يوماً فرآها نائمة معه في الفراش، فواجهها بالمنع، فقالت: إن رضيت بهذا وإلا...، فقال: لاأرضى، فنقلته إلى بلد آخر ووكلت به من يمنعه من الحركة وحجرت عليه...فتأمل هذا التردي والانحطاط.[1].

---

(١) الكامل، لابن الأثير، (٤٣٧/١٠).

تعجب

إن الأمة الإسلامية تعاني وباستمرار من حكّام وأمراءِ السوء أصحاب الأهواء الذين بدل أن يهتمُّوا بالمسلمين وقضاياهم، تراهم مستغرقين في صراعاتهم وشهواتهم وأهوائهم، ضاربين بعرض الحائط مصالح الأمة..

وإن تعجب فعجب يدهشك ويسوؤك، عندما يثبت لك أن بعض هؤلاء الحكّام لا يجد غضاضة من التحالف مع الأعداء وملوكهم ضد إخوته، في غمرة الصراع فيما بينهم..

وهذا مافعله الملك الكامل حينما ازداد الصراع بينه وبين أخيه الملك المعظم وحليفه جلال الدين الخوارزمي، فقد أرسل إلى الإمبراطور "فريدريك الثاني" يطلب منه القدوم إلى عكا، **ووعده أن يعطيه بيت المقدس!!.. وبعض المدن التي حرَّرها صلاح الدين الأيوبي!!..فجهز الإمبراطور نفسه للتوجه إلى ساحل بلاد الشام**[1].

لقد أغرى هذا الشقاق والضعف والانحطاط "فريدريك الثاني" إمبراطور ألمانيا وصقلية وجنوب إيطاليا،ليحصل على بيت المقدس بلا حرب ولا ثمن ولا تضحيات.

(١) الكامل، لابن الأثير، (٣٧٦/١٠ وما بعدها)، والسلوك، للمقريزي، (٣٤٥/١ ومابعدها).

سادساً: الحملة الصليبية السادسة.

١- الوقائع.

في غمرة صراع أمراء المسلمين وحكامهم على الملك والسلطان والمصالح والأهواء، كانت أوروبا تتهيأ على قدم وساق للحملة الصليبية السادسة التي شجع عليها البابا هنريوس الثالث وبعد وفاته البابا جريجوري التاسع، وفرضا على إمبراطور ألمانيا "فريدريك" قيادتها وهدداه بالحرمان إن لم يفعل، فلما تلكأ صدر قرار الحرمان بحقه عام /١٢٢٧م/.[١]

أمام هذا الموقف وجد الإمبراطور أن من مصلحته التحرك إلى فلسطين للحد من هجوم البابا عليه وإضعافه، فوصلت طلائع قواته إلى عكا في منتصف عام /٦٢٥هـ-١٢٢٨م/، ووصلت جماعات مقاتلة من فرنسا، فدخلت صيدا وأخرجوا من كان فيها من المسلمين، وتوزعت جماعات مقاتلة أخرى من الألمان وغيرهم لتحصين بعض المدن والحصون.

وفي أيلول من العام نفسه، وصل الإمبراطور إلى فلسطين بقصد استلام بيت المقدس، حسب العهد الذي أخذه على نفسه الملك الكامل، وأصيب الكامل بحرج شديد لأنه لم يعد بحاجة لمساعدة الإمبراطور بسبب موت أخيه الملك المعظم الذي كان ينافسه على الملك..[٢]

(١) الحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، (٢/ ١٠٠٠ ومابعدها)..

(٢) الكامل، لابن الأثير، (٤٧٧/١٠ وما بعدها)، والسلوك، للمقريزي، (١/ ٣٥١ ومابعدها)، الحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، (٢/ ١٠٠٣ ومابعدها)

لم يكن الإمبراطور يملك القوة العسكرية الكافية لاحتلال بيت المقدس، بل جاء لاستلامها بناء على دعوة من صديقه الملك الكامل ولم يكن معه أكثر من خمسمائة فارس وهي قوة صغيرة لاتسطيع منازلة المسلمين في معركة محلية، وتعرَّض الإمبراطور لمفاجآت لم تكن في حسبانه، فقد أصدر البابا جريجوري قراراً ثانياً في أواخر عام /١٢٢٨م/ بحرمانه ولعنه، وأباح لرعاياه الاعتداء على أملاكه، مما زاد في إضعاف موقفه، فلجأ إلى المفاوضات مع الملك الكامل، **وتذكر المصادر التاريخية أن الإمبراطور كان يبكي أثناء المفاوضات لاستدرار عطف الملك الكامل**، ويشرح له حجم المأساة التي ستلحق به وبملكه من قبل البابا إذا رجع ولم يحصل على بيت المقدس، فرضخ الكامل لطلبه..

وبعد المفاوضات اتفقا على التالي:

١- أن يأخذ الصليبيون بيت المقدس على أن يبقى المسجد الأقصى وقبة الصخرة بيد المسلمين، وسائر قرى القدس.

٢- وأن تكون القرى الممتدة على الطريق من بيت المقدس إلى مملكة عكا الصليبية بيد الإفرنج..

٣- وأن يملك الإمبراطور أيضاً بيت لحم والناصرة وتبنين وصيدا .

٤- ويتعهد "فريدريك الثاني" بمساعدة الملك الكامل ضد خصومه، سواء أكانوا مسلمين أم مسيحيين.

وعلى هذا الأساس عُقدت هدنة مدتها عشر سنوات، تبدأ في ٢٨/ربيع الأول/٦٢٦هـ-٢٧/٢/١٢٢٩م.

وسميت المعاهدة بمعاهدة يافا، وبموجبها أمر الملك الكامل المسلمين في القدس بالخروج منها، والتخلي عنها للصليبيين.. [1]

ياللفاجعة

استولى الصليبيون على القدس مرة أخرى، بسبب تخاذل بعض حكام المسلمين وتنازعهم على الملك والمصالح والأهواء!!...

فأين عظمة جهاد صلاح الدين الأيوبي وتضحياته لتحرير بيت المقدس من تخاذل أبناء أخيه وخاصة الملك الكامل، هذا التخاذل والانحطاط الذي أفضى إلى استيلاء الصليبيين على بيت المقدس مرة أخرى، بعد أن فشلوا في ذلك في حروب امتدت على مدى أكثر من أربعين عاماً!!..

لقد أهدر الكامل الجهاد العظيم لعمه صلاح الدين الأيوبي وجهاد عشرات الألوف من جنود الإسلام ودمائهم الزكية التي روت أراضي حطين وباقي فلسطين ومصر وبلاد الشام حتى تحررت القدس، ثم يقوم الكامل من أجل مصالحه الخسيسة بتسليمها للصليبيين بدون ثمن!!..

والأشد عجباً أنه عندما دخل الإمبراطور فريدريك الثاني القدس قام الملك الكامل بمنع الأذان فيها تكريماً للإمبراطور الصليبي... [2].

وباستيلاء الصليبيين على بيت المقدس تنتهي الحملة الصليبية السادسة.

---

(١) الكامل لابن الأثير، (١٠/٤٨١ وما بعدها)، والسلوك، للمقريزي، (١/ ٣٥٣ ومابعدها)، الحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، (٢/ ١٠٠٩ ومابعدها)..

(٢) السلوك، للمقريزي، (١/ ٣٥٤).

٢- أوضاع جبهة المقاومة الإسلامية بين عامي /٦٢٥هـ-٦٤٤هـ/ و /١٢٢٩م-١٢٤٦م/.

وإن تعجب فعجب يدهشك ويؤلمك، ففي الوقت الذي تخاذل فيه الملك الكامل، وكان يُجري المفاوضات مع الصليبيين لتسليم بيت المقدس لهم، كان جزءٌ من جيشه بالتحالف مع أخيه الملك الأشرف يحاصر دمشق التي يحكمها الملك الناصر داود ابن أخيهم لانتزاعها منه، وبعد عقد هدنة يافا ذهب الملك الكامل بنفسه إلى دمشق وشارك في حصارها ، حتى انتزعها وسلَّمها لأخيه الملك الأشرف عام /٦٢٦هـ/!!..فتأمل!!..[(١)]

إضاءة

بالرغم من النتيجة المؤلمة المتمثلة بخسارة بيت المقدس، وأجزاء واسعة من فلسطين لصالح الجبهة الصليبية الغربية!!.. وبالرغم من اكتساح مشرق العالم الإسلامي من قِبل المغول، حيث بلغت جيوشهم قريباً من شرق العراق!!..بالرغم من هذه المآسي كلها استمر الحكام والأمراء في البيت الأيوبي في الصراع والتقاتل على المكاسب الدنيوية، ولم توقظهم الفواجع التي حلّت بالأمة الإسلامية التي كانت في جزءٍ منها بسببهم وبما كسبت أيديهم!!.. وكذلك تواصل الصراع بين حكام المشرق المسلمين للعلّة نفسها..

ففي جمادى الأولى عام /٦٢٦هـ-١٢٢٩م/ قام السلطان جلال الدين خوارزم شاه منكبرتي بالاستيلاء على مدينة "خِلاط"[(٢)] التي يحكمها الملك

---

(١) الكامل، لابن الأثير، (٤٨٢/١٠)، والسلوك، للمقريزي، (١/ ٣٥٦ ومابعدها)..

(٢) تقع شرقي تركيا.

الأشرف، فقتل فيها الرجال وسبى الحريم واسترق الأطفال ونهب الأموال، وجرى على أهلها ما لم يُسمع بمثله [1].

وفي عام/٦٢٧هـ-١٢٣٠م/، تحالف الملك الأشرف مع السلطان علاء الدين كيقباذ سلطان سلاجقة بلاد الروم، ضد جلال الدين خوارزم شاه ودارت بين الطرفين معركة قرب أرزنجان انتهت بهزيمة جلال الدين، وتوجه الملك الأشرف إلى خلاط فاسترجعها[2] .

وفي عام/٦٢٧هـ-١٢٣٠م/، تحالف الملك الكامل مع السلطان علاء الدين كيقباذ من سلاجقة بلاد الروم، ثم دبَّ الشقاق بينهما، فهاجم السلطان السلجوقي مدينة خِلاط عام /٦٣١هـ-١٢٣٤م/، وزحف الملك الكامل بجيش يضم أمراءِ وملوك بني أيوب قاصداً بلاد سلاجقة الروم، وفي طريقهم اشتدَّ النزاع بينهم، مما أفشل حملتهم، فرجعوا إلى ممالكهم عام /٦٣٢هـ/.

ونتيجة ذلك استولى السلطان علاء الدين كيقباذ السلجوقي عام /٦٣١هـ/ على قلاع وأراضٍ موالية للملك الكامل[3] .

وفي عام /٦٣٣هـ-١٢٣٦م/خرج الملك الكامل من مصر إلى البلاد الشرقية فاسترجع "حرَّان" و"الرَّها"[4] من كيقباذ . [5].

---

(١) الكامل ، لابن الأثير، (١٠/٤٨٤ وما بعدها)، والسلوك، للمقريزي، (١/ ٣٥٩ ومابعدها)..
(٢) الكامل، لابن الأثير، (١٠/٤٨٦ وما بعدها) ، والسلوك، للمقريزي، (١/ ٣٦٠ ومابعدها)..
(٣) السلوك، للمقريزي، (١/ ٣٥٩ و ٣٦٩)..
(٤) تقع بالقرب من أورفا شرقي تركيا.
(٥) السلوك، للمقريزي، (١/ ٣٧٣).

وفي عام /٦٣٤هـ/ تمرد الملك الأشرف الأيوبي على الملك الكامل وتحالف مع صاحب حلب وعلاء كيقباذ سلطان السلاجقة الروم.[(١)]

وفي عام /٦٣٥هـ/ تحالف جميع الأمراء الأيوبيين ضد الملك الكامل باستثناء الملك الناصر داود ملك حماة، فزحف الكامل بجيشه صوب دمشق، واستولى عليها في جمادى الأولى.[(٢)].

وبعد أسابيع توفي الملك الكامل في ٢١/رجب/٦٣٥هـ-١٢٣٨م، وتم الاتفاق على أن يلي الحكم بعده الملك العادل الصغير، ومركزه مصر، كما اتفق أن يكون الملك الجواد ابن عمه نائباً عنه في حكم دمشق، والملك الصالح نجم الدين أيوب نائباً عنه في حكم البلاد الشرقية. ومع ذلك بدأ مسلسل جديد من الصراعات بين أمراء البيت الأيوبي.[(٣)]..

٣- المتخاذلون والخائنون.

كان الملك الكامل الأيوبي ابن أخي صلاح الدين من أكبر المتخاذلين الذين خانوا الأمانة وفرطوا ببيت المقدس والمدن والحصون التي قضى صلاح الدين حياته جهاداً ونضالاً لتحريرها، فقام بتقديمها للصليبيين بلا ثمن، وبدل أن يحرر ماتبقى بيد الصليبيين من أراضي بلاد الشام، أعاد مملكة بيت المقدس الصليبية كما كانت قبل حروب التحرير التي قادها صلاح الدين..

---

(١) السلوك، للمقريزي، (١/ ٣٧٧)، والبداية والنهاية، لابن كثير، (١٣/١٧٠)..

(٢) السلوك، للمقريزي، (١/ ٣٧٩)، والبداية والنهاية، لابن كثير، (١٣/١٧٣).

(٣) السلوك، للمقريزي، (١/ ٣٨٠ ومابعدها)، والبداية والنهاية، لابن كثير، (١٣/١٧٤ ومابعدها).

والملك الكامل بسبب جبنه وتخاذله كان وراء سقوط دمياط بيد الصليبيين الذين قتلوا الرجال وسبوا النساء وفجروا بهن، لقد هرب من دمياط وترك جيشه بلا قائد لمجرد سماعه بمؤامرة تحاك ضده من بعض أمرائه، ولولا مجيء شقيقه الملك المظفر إلى دمياط ووقوفه أمام زحف الصليبيين نحو القاهرة لسقطت القاهرة بأيديهم!! [(١)] .

وشهدت الأعوام بين /٦٣٥هـ/إلى /٦٣٨هـ/صراعات عنيفة وعديدة بين أطراف البيت الأيوبي، نتجاوزها لكثرتها، وجميعها لا يخرج عن دائرة الصراع من أجل المصالح الشخصية والاستئثار بالحكم [(٢)].

ولكن الفاجعة تصدمك عندما تجد أن الملك إسماعيل حاكم دمشق، تحالف مع الصليبيين للزحف على مصر والاستيلاء على حكمها من نجم الدين أيوب، مقابل أن يعطي الصليبيين قلعة صفد وبلادها، وقلعة الشقيف وبلادها، ومناصفة صيدا وطبرية وأعمالها، وجبل عامل وسائر بلاد الساحل!!..وفتح دمشق للصليبيين ليشتروا منها السلاح، فأنكر عليه ذلك الشيخ العز بن عبد السلام خطيب الجامع الأموي فطرده وضيق عليه، ودارت معركة على مشارف غزة عام /٦٣٨هـ-١٢٤١م/ بين القوات الصليبية والشامية من ناحية، وبين القوات المصرية من ناحية أخرى، **ولكن جنود الشام انحازوا إلى جانب جنود مصر، واتحدوا ضد الصليبيين**

(١) الكامل، لابن الأثير، (١٠/٣٧٦ وما بعدها)، والسلوك، للمقريزي، (١/ ٣١٤ ومابعدها)..
(٢) السلوك، للمقريزي، (١/ ٣٨٠ ومابعدها).

والخونة، وهزموهم شرَّ هزيمة. [(١)]

وفي نهاية عام /٦٤١هـ-١٢٤٣م/ كرَّر الملك إسماعيل صاحب دمشق ومعه الملك الناصر داود صاحب الكرك الاستعانة بالصليبيين مرة أخرى ضد الملك الصالح نجم الدين أيوب، مقابل إعطائهم القدس وطبرية وعسقلان، وتمكن الصليبيون من الصخرة وجلسوا فوقها يشربون الخمر وعلقوا الأجراس على المسجد الأقصى، وانضم إلى نجم الدين أيوب الخوارزمية، وفي بداية عام /٦٤٢هـ-١٢٤٤م/ دارت معركة طاحنة في ظاهر غزة، قاتل فيها الملك إسماعيل إلى جانب الصليبيين، **حيث رفع الصليبيون الصلبان فوق رؤوس جيش إسماعيل صاحب دمشق، والمنصور صاحب حمص!!**.. وهاجموا جميعاً الملك الصالح نجم الدين أيوب صاحب مصر ومعه الخوارزمية، فانكسر الصليبيون ومعهم العملاء والخائنون، ولم يفلت من الصليبيين إلا من شرد!![(٢)] .

4- رجال الصحوة المدافعون عن الرسالة والرسول ﷺ والمسلمين.

قائد

الملك الصالح نجم الدين أيوب قائد المقاومة الإسلامية
من عام /٦٣٥هـ إلى ٦٤٧هـ / .

سجَّل التاريخ للملك الصالح نجم الدين أيوب **أعظم إنجاز عندما حرَّر بيت المقدس مرة أخرى من يد الصليبيين** بتاريخ ١١/٧/١٢٤٤م-

(١) السلوك، للمقريزي، (١/ ٤٠٧ ومابعدها)، والبداية والنهاية، لابن كثير، (١٣/١٨١ ومابعدها)..

(٢) السلوك، للمقريزي، (١/ ٤١٧ ومابعدها)، والنجوم الزاهرة، لابن تَغْري، (٦/٢٨٥ ومابعدها).

٦٤٢هـ، بعد أن هزمت قواته تحالف الصليبيين مع الملك إسماعيل صاحب دمشق والملك المنصور صاحب حمص والملك الناصر داود صاحب الكرك عند غزة، ومنذ ذلك التاريخ بقيت مدينة القدس حُرَّة، لم يستطع الصليبيون تدنيسها، والعودة إليها، إلى أن سقطت بيد **الاحتلال البريطاني**،في ١٦ تشرين الثاني عام /١٩١٧م/، **ثم الاحتلال الإسرائيلي**، في حزيران من عام /١٩٦٧م/مما شكَّل وصمة عار بحقِّ جميع قادة العرب والمسلمين. [١].

وفي نهاية عام /٦٤٢هـ-١٢٤٤م/ زحفت قوات الملك الصالح نجم الدين أيوب على دمشق فحاصرتها وفيها الملك إسماعيل صاحبها والملك المنصور صاحب حمص بعد هزيمتهما في غزة مع حلفائهما الصليبيين، وفي بداية عام /٦٤٣هـ-١٢٤٥م/ حررها من العملاء، ووحد مصر والشام[٢].

وفي عام /٦٤٤هـ-١٢٤٦م/ قضى الملك الصالح نجم الدين أيوب على تمرد قاده الخوارزمية، فتبدد شملهم ولم تقم بعدها لهم قائمة. [٣].

وفي عام /٦٤٥هـ-١٢٤٧م/ استولت جيوش الصالح أيوب على قلعة طبرية من الصليبيين، ثم حاصرت عسقلان واستولت عليها من الصليبيين. [٤].

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، للمقريزي، (١/ ٤٢٠).

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك، للمقريزي، (١/ ٤٢٠ ومابعدها)، والبداية والنهاية، لابن كثير، (١٩٤/١٣ ومابعدها).

(٣) السلوك، للمقريزي، (١/ ٤٢٧). .

(٤) السلوك، للمقريزي، (١/ ٤٣١)، والبداية والنهاية، لابن كثير، (٢٠٢/١٣)..

وهرع ملوك البيت الأيوبي لتقديم فروض الولاء والطاعة للملك الصالح نجم الدين أيوب، وأصبح صاحب الكلمة العليا في جبهة المقاومة الإسلامية التي تمتد من بلاد الشام إلى مصر..

سابعاً: الحملة الصليبية السابعة.

١- الوقائع.

بعد أن تم تحرير بيت المقدس للمرة الثانية على يد الملك الصالح نجم الدين أيوب، ثارت ثائرة الصليبيين في بلاد الشام وفي أوروبا، وأرسل بطرك بيت المقدس عام /٦٤٢هـ-١٢٤٤م/ نداء استغاثة للبابا وملوك الغرب وأمرائه يطلب منهم المعونة العاجلة، فعُقد مجمع كنسي في ليون عام /١٢٤٥م/، عقدوا العزم فيه على إرسال حملة صليبية جديدة للاستيلاء على بيت المقدس[(١)].

ففي عام /٦٤٦هـ-١٢٤٨م/ وصل قائد الحملة الصليبية السابعة "الملك لويس التاسع" إلى قبرص على رأس حملة كبيرة يصحبه زوجته وأخواه، وجرى بينه وبين المغول اتصالات للقيام بعمل مشترك ضد المسلمين[(٢)]..

وفي شهر أيار عام /٦٤٧هـ-١٢٤٩م/ أقلعت الحملة الصليبية السابعة من قبرص، متجهة إلى دمياط في مصر، فوصلت إليها بتاريخ

(١) الحركة الصليبية، عاشور، (٢/ ١٠٥٢ ومابعدها)..

(٢) المصدر السابق، (١٠٥٣/٢)، وانظر: بحث التحالف الصليبي المغولي ضد العالم الإسلامي في هذا الكتاب.

٢١/صفر/٦٤٧هـ-١٦/٤/١٢٤٩م،ووصل أيضاً صليبيو ساحل بلاد الشام، وفوجئت حامية دمياط بهم، فاقتتلوا نهاراً، وفرَّت الحامية ليلاً، فاستولى الصليبيون عليها[١].

وفي خط الدفاع الثاني في مدينة المنصورة، كان الملك نجم الدين أيوب يقود المعركة رغم مرضه الشديد، واستنفر أهل القاهرة، وبدأت المناوشات مع الصليبيين، وبدأ المسلمون يغيرون عليهم، ويأسرون منهم، على طريقة حرب العصابات وحققوا نجاحاً ملحوظاً. [٢].

وفي أثناء المعارك، توفي الملك الصالح نجم الدين أيوب يوم الاثنين ١٥/شعبان/٦٤٧هـ-١٢٥٠م، فأخفت زوجته الملكة شجرة الدر أمر وفاته، وقادت المعركة باسمه، وأصدرت الأوامر والتعليمات بختمه الخاص، مع بعض قواده من المماليك البحرية[٣].

وفي ٢١/ذي القعدة/٦٤٧هـ وصل الملك المعظم توران شاه بن نجم الدين أيوب[٤] إلى المنصورة، وتولى قيادة المعركة، وانهزم الصليبيون في المنصورة، وانقطعت عنهم الإمدادات من دمياط ومن البحر، وشرعوا يطلبون الهدنة من المسلمين [٥].

---

(١) السلوك، للمقريزي، (١/ ٤٣٤ ومابعدها).

(٢) المصدر السابق، (١/ ٤٣٧ ومابعدها)، والنجوم الزاهرة، لابن تَغْري، (٦/292 ومابعدها)..

(٣) السلوك، للمقريزي، (١/ ٤٤١ ومابعدها)، والبداية والنهاية، لابن كثير، (١٣/٢٠٧)..

(٤) كان متولياً حصن كيفا في الجزيرة الفراتية.

(٥) السلوك، للمقريزي، (١/ ٤٥٠ ومابعدها).

وفي ٣/محرم/٦٤٨هـ-١٢٥٠م، انسحب الصليبيون من المنصورة نحو دمياط، فلحق بهم المسلمون، ودارت معركة حاسمة بينهم، قُتل فيها نحو ثلاثين ألفاً من الصليبيين، وأُسر من نجا من القتل، وكان على رأس الأسرى قائد الحملة الصليبية ملك فرنسا "لويس التاسع" وأخواه وأكابر قومه.. (١)

٢- هزيمة الحملة الصليبية، وسقوط الدولة الأيوبية، وظهور دولة المماليك.

انسحب الصليبيون من دمياط ومن جميع مصر، مقابل إطلاق سراح لويس التاسع، على أن يحترم الطرفان هدنة مدتها عشر سنوات، وهكذا أُسدل الستار على الحملة الصليبية السابعة التي مُنيت بالهزيمة. (٢)

وفي يوم الاثنين ٢٦/محرم/٦٤٨هـ-٢/٥/١٢٥٠م، نشب صراع بين المماليك وتوران شاه، أدى إلى مقتله، **وبذلك طويت صفحة الدولة الأيوبية في مصر، وحلَّت محلها دولة المماليك**(٣).

٣-أوضاع جبهة المقاومة الإسلامية بين عامي /٦٤٨هـ-٦٥٨هـ/ و /١٢٥٠م- ١٢٦٠م/.

في عام /٦٤٨هـ-١٢٥٠م/ زالت الدولة الأيوبية، واجتمع كبار

(١) المصدر السابق، (١/ ٤٥٥ ومابعدها)،.

(٢) الحركة الصليبية، عاشور، (٢/ ١٠٧٥)..

(٣) السلوك، للمقريزي، (١/ ٤٥٨ ومابعدها)، والبداية والنهاية، لابن كثير، (١٣/٢٠٨)..

المماليك، واتفقوا على تنصيب "شجرة الدر" ملكة على مصر.[1].

تمردت دمشق على هذا، ونصَّبت الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن عبد العزيز ملكاً على حلب ودمشق.

وتمردت الكرك والشوبك في الأردن، ونصَّبت الملك المغيث عمر بن العادل ملكاً عليها.

بدأت هذه الحقبة الزمنية بتفتت الجبهة الإسلامية إلى هذه الممالك الثلاث.

في ٣٠/ربيع الآخر/٦٤٨هـ، تراجع المماليك بعد اعتراض الخليفة العباسي المستعصم، وأقاموا عز الدين أيبك ملكاً على مصر، ولقبوه بالملك المعز، ثم نصَّبوا سلطاناً لمصر وهو موسى حفيد الملك الكامل الأيوبي، ولقبوه بالملك الأشرف، وكان منصباً صورياً لأن عمر السلطان لا يتجاوز الست سنوات!!.

بدأ الصراع العسكري بين المماليك والملك الناصر صاحب دمشق وحلب، ففي ١٠/ذي القعدة/٦٤٨هـ، التقت جيوش الناصر الزاحفة على مصر وفيها جميع ما تبقى من أمراء البيت الأيوبي، مع قوات المماليك في مكان قريب من بلبيس في الديار المصرية، فانهزم الناصر أمام المماليك، وأسر عدداً من أمراء الجيش الأيوبي[2].

وفي تلك الظروف السيئة التي أحاطت بالمسلمين سعى لويس التاسع

---

(١) السلوك، للمقريزي، (١/ ٤٥٩).

(٢) السلوك، للمقريزي، (١/ ٤٦٢ ومابعدها)، والبداية والنهاية، لابن كثير، (١٣/٢٠٩ ومابعدها)، والنجوم الزاهرة، لابن تَغْري، (٧/٦ ومابعدها)..

ملك فرنسا المقيم في عكا بعد هزيمته في دمياط للاستفادة من الشقاق بين الأيوبيين في بلاد الشام والمماليك في مصر ليحقق مكاسب للصليبيين على حساب المسلمين جميعاً،وما لبث أن وجد نفسه بينهما، كل طرف يخطب وده ويحاول محالفته ضد الآخر!!..فأسرع المماليك بإرسال الهدايا إليه وأطلقوا سراح حوالي ثلاثة آلاف من أسرى الصليبيين على دفعات استرضاء له ووعدوه **بإعطائه بيت المقدس**، وأسرع الملك الناصر الأيوبي بإرسال سفارة إليه يعرض عليه محالفته **ويغريه بإعطائه بيت المقدس، الذي أصبح ورقة تباع وتشترى بيد الحكام ليحتفظوا بكراسي حكمهم وقد فعلوا هذا مرات ومرات!!..**

وفي عام /٦٥٠هـ-١٢٥٢م/عقد معاهدة بين المماليك والملك لويس فرض فيها شروطه بإعفائه من متأخر فدية دمياط، وإطلاق سراح جميع الأسرى الصليبيين، والأهم إعطاؤه بيت المقدس بعد انتصار التحالف الصليبي المماليكي على الأيوبيين، على أن تلتقي جيوش هذا التحالف قرب يافا في أيار /١٢٥٢م/، **وبهذا حصل لويس بسبب الخلاف بين الحكام المسلمين ماعجز أن يحصل عليه في حملته العسكرية الصليبية السابعة على مصر**، وخرج لويس على رأس قوة إلى يافا بانتظار مجيء حلفائه المماليك، وأرسل الناصر قوة عسكرية إلى قرب غزة، عندها تدخل الخليفة العباسي المستعصم وتوسَّط بين المماليك والأيوبيين، ونجحت الوساطة عام

/٦٥١هـ/، واتفق أن تشمل منطقة نفوذ الملك المعز مصر وغزة والقدس ونابلس والساحل، وأما نفوذ الملك الناصر بلاد الشام من حلب إلى الأردن[(١)].

وبين أعوام /٦٥٢هـ/ إلى /٦٥٦هـ/ دارت صراعات كثيرة داخل النظام المملوكي وخارجه، ففي عام /٦٥٢هـ/ التجأ المماليك البحرية إلى الملك الناصر بدمشق وأغروه بملك مصر بسبب صراعهم مع الملك المعز أيبك، وفي نهاية ربيع الأول/٦٥٥هـ/، قُتل الملك المعز بتدبير من شجرة الدر التي تزوجت به بعد موت زوجها الأول الملك الصالح نجم الدين أيوب، ثم ما لبثت أن قُتلت بدورها، وتولى الحكم بعده ابنه الملك المنصور، وكان عمره آنذاك خمس عشرة سنة!![(٢)].

وفي خضمِّ الصراعات المتشعبة داخل النظام المملوكي من جهة، وبينه وبين ما تبقى من البيت الأيوبي، اجتاح المغول العراق عام /٦٥٦هـ-١٢٥٨م/، وقتلوا الخليفة العباسي المستعصم، **وأسقطوا الخلافة**..

وفي عام /٦٥٧هـ/ زحفوا على الجزيرة الفراتية.

وفي مطلع عام /٦٥٨هـ/ استولى المغول على حلب وحماة وحمص ودمشق، واتجهوا نحو فلسطين بعد انهزام الأمراء الأيوبيين وتخاذلهم واستسلامهم..

---

(١) السلوك، للمقريزي، (١/ ٤٧٩ ومابعدها)، والحركة الصليبية، عاشور، (٢/ ١٠٨٩ ومابعدها)..

(٢) السلوك، للمقريزي، (١/ ٤٨٣و٤٩٣ ومابعدها)، والنجوم الزاهرة، لابن تَغْري، (٧/ ١٠ ومابعدها).

٤- رجال الصحوة المدافعون عن الرسالة والرسول ﷺ والمسلمين.

قائد

الملك المظفر قطز قائد جبهة المقاومة الإسلامية على جبهتين، من عام / ٦٥٧ هـ إلى ٦٥٨ هـ / .

في هذه الظروف التي تزاحمت فيها الصراعات الداخلية والبلايا والهزائم على الجبهات كافة، تولى الملك المنصور بن المعز سلطنة مصر وعمره خمسة عشر عاماً، وأقيم الأمير سيف الدين قطز نائباً للسلطان بعد مقتل الملك المعز، ثم مالبث أن عزل المنصور لعدم كفاءته وتولى السلطنة الملك المظفر قطز في (٢٤/ذي القعدة/٦٥٧هـ) [١] وسرعان ماقام بإعداد الجيوش لمواجهة الزحف المغولي نحو فلسطين، فخرج من مصر بعد أربعة أشهر تقريباً من احتلال دمشق من قبل المغول، على رأس جيش أثار فيه روح الجهاد في سبيل الله لرد المغول المعتدين، فالتقت الجيوش في عين جالوت قرب بيسان في فلسطين، وفي يوم الجمعة ٢٥/رمضان/٦٥٨هـ-٢/٩/١٢٦٠م، دارت رحى معركة طاحنة استمات فيها المقاتلون من الجانبين، وكانت الغلبة للملك المظفر والمسلمين، وانهزم المغول وتشتتوا [٢].

ثم توجه الملك المظفر قطز إلى دمشق فحررها، وأرسل الأمير ركن الدين بيبرس على رأس جيش شمالاً حتى تمَّ له تحرير بلاد الشام حتى الفرات،

---

(١) السلوك، للمقريزي، (١/ ٥٠٧ ومابعدها)، والنجوم الزاهرة، لابن تَغْري، (٦٧/٧)..

(٢) انظر: تفاصيل معركة عين جالوت في الفصل الثالث من هذا الكتاب.

وبذلك توحدت جبهة المقاومة الإسلامية من جديد في مصر وبلاد الشام[1].

وفي فترة خمسة أسابيع، أعاد الملك المظفر التنظيم الإداري للولايات في بلاد الشام، ووضع على رأس كل ولاية قائداً مسؤولاً اتجاهه.

وفي ١٧/ذي القعدة/٦٥٨هـ، قُتل الملك المظفر قطز، وتولى الملك من بعده الملك الظاهر بيبرس[2].

أهم إنجازات الملك المظفر قطز.

■أوقف الزحف المغولي على بلاد الشام.

■هزم المغول ، وحرر بلاد الشام من قبضته.

■أعاد توحيد جبهة المقاومة الإسلامية، ووفر لها ما تحتاجه من عوامل القوة والصمود.

■هيأ الظروف للبدء بدحر الصليبيين، وطردهم من بلاد الشام نهائياً.

●أوضاع جبهة المقاومة الإسلامية بين عامي /٦٥٨هـ- ٦٧٦هـ/ و /١٢٦٠م- ١٢٧٧م/.

بعد مقتل الملك المظفر قطز، تولى الملك الظاهر بيبرس قيادة جبهة المقاومة الإسلامية، وبدأت الفتن الداخلية تطل برأسها وتنذر بتمزيق هذه الجبهة.

---

(١) البداية والنهاية، لابن كثير، (٢٥٧/١٣). والسلوك، للمقريزي، (١/ ٥١٧ ومابعدها)، والنجوم الزاهرة لابن تَغْري، (٧٥/٧ ومابعدها)..

(٢) السلوك، للمقريزي، (١/ ٥١٩٩٩ ومابعدها)، والنجوم الزاهرة، لابن تَغْري، (٧٧/٧ ومابعدها)..

ففـي عـام /٦٥٨هـ/ تمـرد عـز الـدين أزدمـر في حلـب ، ولكـن المغـول اكتسحوها فسقطت في أيديهم.

فقـام الملـك الظـاهر بيـبرس باسـتردادها في ربيـع الآخـر /٦٥٩هـ/ ، وفي السنة نفسها ظهر تمرد فيها قاده شمس الدين برلي، فأرسل بيبرس قواته في ذي القعدة /٦٥٩هـ/ واستولى عليها [1].

وفي عـام /٦٥٩هـ/ حصـل تمـرد في دمشـق قـاده أميرهـا سـنجر الحلـبي، وسعى لبسط سلطانه على حلب وحماة وحمص، ولكن أتباع الظاهر بيبرس أوقعوا به الهزيمة، واقتادوه مقيداً إلى القاهرة[2].

وفي جمادى الأولى/٦٦١هـ/ قضى الملك الظاهر بيبرس على تمرد خطير في الجنوب، قاده الملك المغيث في الكرك والشوبك وتوابعهما شرقي الأردن. [3].

قائد

الملك الظاهر بيبرس قائد جبهة المقاومة الإسلامية على ثلاث جبهات، من عام /٦٥٨ هـ إلى ٦٧٦ هـ / .

● كان الملك الظاهر بيبرس من أبرز زعماء جبهة المقاومة الإسلامية ضد الصليبيين في كل تاريخها، فقد قاد الجهاد على الجبهة الصليبية والجبهة المغولية ولم ينسَ الجبهة الداخلية.

---

(١) الجبهة الإسلامية، د.حامد غنيم أبو سعيد، (٣/ ٩٠ ومابعدها)..

(٢) السـلوك، للمقريـزي، (١/ ٥٢٥ ومابعـدها)، والنجـوم الزاهـرة، لابـن تَغْـري، (٧/ ٩٧ ومابعدها)..

(٣) البداية والنهاية، لابن كثير، (١٣/ ٢٧٦)، والجبهة الإسلامية، د.حامد غنيم، (٣/ ٤٦)..

أولاً: الجهاد على الجبهة الداخلية.

في عـام /٦٥٩هـ- ١٢٦١م/ استطاع الملـك الظـاهر بيـبرس أن يجعـل القاهرة مركز قيادة جبهة المقاومة الإسلامية، وجاء إليه الأمراء من كل أصقاع العـالم الإسـلامي يعلنـون انضـمامهم إليـه، وتوحيـد مركـز القيـادة يعـني توحيـد مركز التخطيط والتنفيذ وفق إدارة موحدة.

واستطاع بين عامي /٦٥٨هـ/ و /٦٦١هـ/ أن يقضي على الانشقاقات والتمرد في مناطق عدة، كما مر معنا.

وفي رجب/٦٥٩هـ/ أعاد الملك الظاهر بيبرس الخلافة العباسية ، وأقامها في القاهرة، وبايع الخليفة العباسي المستنصر بالله، واستقبله أحسن استقبال، وذلك بعد ثلاث سنوات ونيف من سقوط الخلافة العباسية في بغداد على يد المغول .

وبعـد سـتة أشـهر تـوفي المستنصـر بـالله، فبـايع بيـبرس "الحـاكم بـأمر الله" خليفة عباسياً بعده في عام /٦٦١هـ/.[١]

ثم بدأ بيبرس بتوسيع رقعة جبهة المقاومة الإسلامية:

- ففـي عـام /٦٦٢هـ- ١٢٦٤م/ بسـط سيطرته على الحجـاز والـيمن، مستفيداً من البُعد المعنوي من سيادته على الأماكن المقدسة في الحجاز.

وفي عام /٦٦٤هـ/ بسط سيطرته على بلاد برقة في العمق الليبي.

---

(١) السلوك، للمقريزي، (١/ ٥٢٩ ومابعدها و ٥٤١ومابعدها و ٥٤٧)، والنجوم الزاهرة، لابن تَغْري، (٩٨/٧ومابعدها و ١٠٥ ومابعدها)..

ثانياً: الجهاد على الجبهة الصليبية.

في عام /٦٦٠هـ- ١٢٦٢م/ بدأ الملك الظاهر بيبرس تحركه ضد إمارة أنطاكية الصليبية، فشنَّ أميرا حلب وحماة غارة على أنطاكية، استولى فيها المسلمون على السويداء شمال سورية، وأسروا ثلاثمائة أسير[١].

وفي جمادى الآخرة/٦٦١هـ-٤/٤/١٢٦٣م، اكتسح بيبرس الناصرة في فلسطين، ثم شنَّ غارة مفاجئة على عكا، ودار قتال عنيف خارج أسوارها، أُصيب به قائد الحامية الفرنسية. [٢]..

وفي جمادى الأولى /٦٦٣هـ-٤/٣/١٢٦٥م، حرَّر مدينة قيسارية وقلعتها، ثم حرر يافا.

وفي ٨/رجب/٦٦٣هـ-٢٩/٤/١٢٦٥م، حرَّر مدينة أرسوف من الصليبيين. [٣] .

وفي صفر /٦٦٤هـ-١١/١٢٦٥م صدَّت قواته هجوماً شنَّه "بوهمند" حاكم إمارة طرابلس الصليبية وهزمته، وبعد أشهر عدة أرسل بيبرس مجموعة من المقاتلين بقيادة سيف الدين قلاوون، فهاجموا عرقة وحلباء والقليعات وانتزعوها من سلطانه[٤].

---

(١) السلوك، للمقريزي، (١/ ٥٤٣). .

(٢) المصدر السابق، (١/ ٥٥٤ ومابعدها).

(٣) المصدر السابق، (٢/ ١٩ ومابعدها)..

(٤) المصدر السابق، (٢/ ٣٢ ومابعدها) .

وفي شعبان /٦٦٤هـ-حزيران/١٢٦٦م، أغار بيبرس بجيشه على عكا، وأرسل مجموعتين من المقاتلين للإغارة على صور، ووجه مجموعة أخرى من المقاتلين للإغارة على جبل عامل.

وفي ١٨/شوال/٦٦٤هـ-تموز/١٢٦٦م، حرر صفد ذات الموقع الاستراتيجي المطل على الجليل، بعد حصار دام حوالي أربعين يوماً، وقتل جميع من كان فيها من المقاتلين الصليبيين من الداوية (وحدات خاصة) وكانوا نحو ألفي مقاتل[1].

وفي ذي القعدة /٦٦٤هـ/حرَّر مدينة قارة بين دمشق وحمص، كما حرَّر هونين وتبنين والرملة.

وفي أواخر عام /٦٦٤هـ/ غزت قواته بقيادة أمير حماة الملك المنصور "سيس" عاصمة أرمينية، وجرت معركة انتصر فيها المسلمون وسيطروا عليها وقتلوا وأسروا عدداً من الأمراء بما فيهم "ليون" ابن الملك "هيثوم"، كما غزت قواته بقيادة الأمير سيف الدين قلاوون المصيصة وأذنة وأياس وطرسوس من بلاد أرمينية الصغرى، وبهذا ألحق بيبرس بملكها "هيثوم" هزيمة مريرة[2].

وفي عام /٦٦٥هـ-١٢٦٧م/ زحف نحو فلسطين، وأقام في صفد، وجاءته رسل الصليبيين يطلبون الهدنة، فتركهم في صفد، وشنَّ غارة مفاجئة

(١) السلوك، للمقريزي، (٢/ ٣٣ ومابعدها)، والنجوم الزاهرة، لابن تَغْري، (٧/ ١٢٤ ومابعدها)..

(٢) السلوك، للمقريزي، (٢/ ٣٧)، والنجوم الزاهرة، لابن تَغْري، (٧/ ١٢٦ ومابعدها) .

على عكا، وألبس جنوده لباس المقاتلين الصليبيين من الداوية والإستبارية (وحدات خاصة) لخداع الصليبيين، فأوقع بهم القتل، وبعد أيام شنَّ غارة أخرى ألحق المسلمون فيها بالصليبيين خسائر فادحة [(١)].

وفي ٢٠/جمادى الآخرة/٦٦٦هـ-٧/٣/١٢٦٨م، زحف بيبرس بقواته نحو شمال بلاد الشام لتحرير أنطاكية، وفي طريقه حرر مدينة يافا ثانية، ثم حرر حصن الشقيف الاستراتيجي من يد الداوية (وحدات خاصة)، وكان ذلك في ١٩/رجب/٦٦٦هـ-١٥/٤/١٢٦٨م.

وفي ٤/رمضان/٦٦٦هـ-١٨/٥/١٢٦٨م، حرَّر أنطاكية نهائياً من الوجود الصليبي، وأسر قائد جيشها، ونتيجة لذلك استسلمت الحصون التابعة لها، وكان هذا من أعظم الانتصارات. وهكذا تحرَّرت أنطاكية بعد أن دام احتلالها /١٧٥/ سنة [(٢)].

وفي عام /٦٦٨هـ-١٢٧٠م/ قويت شوكة صليبيي عكا بما وصل لهم من إمدادات الغرب، فخرجوا من عكا يُغيرون على عسكر جنين وعسكر صفد، فخرج السلطان الظاهر بيبرس من دمشق وأمر عساكر صفد وعين جالوت بالإغارة على هؤلاء الصليبيين ثم يظهرون انهزامهم ليلحقوا بهم وكان السلطان يكمن للصليبيين فقاتلهم مع أمرائه وعساكره فانهزم الصليبيون شر هزيمة فقتل

(١) السلوك، للمقريزي، (٢/ ٤٣).

(٢) السلوك، للمقريزي، (٢/ ٤٨ ومابعدها)، والنجوم الزاهرة، لابن تَغْري، (٧/ ١٢٧ ومابعدها).

منهم وأسر عدداً من كبرائهم وسار بهم إلى دمشق، ثم أغار على حصن الأكراد بنفسه مع عدد قليل من عسكره فقتل منهم وأسر ثم عاد إلى دمشق[١] .

وفي رجب /٦٦٩هـ/ زحف الملك الظاهر على إمارة طرابلس الصليبية، فاستولى على صافيتا وعلى الحصون التي تشكل خط دفاعها، واقتلعت نفوذ طائفتي الإستبارية والداوية الصليبيتين من المنطقة.

وقاد بيبرس عملية تحرير أهم الحصون الصليبية في شمال بلاد الشام ألا وهو حصن الأكراد، فأسقط الوجود الصليبي في هذا الحصن في شعبان /٦٦٩هـ/، ثم استولى على حصن عكار، ثم قصد حصن "القرين" قرب صفد وكان من أمنع الحصون فاستولى عليه[٢].

وفي أواخر عام /٦٦٩هـ-١٢٧١م/قدمت حملة صليبية ثانوية بقيادة ولي عهد إنكلترة أدوارد، ونزلت عكا، إلا أن أحلامه وأوهامه سقطت أمام قوة جنود الملك الظاهر بيبرس، وانهزمت القوات الصليبية التي هاجمت حصن قاقون عام /٦٧٠هـ-١٢٧٢م/، ورجع الأمير يجر ذيول الخيبة مكسوراً إلى بلده، ولم تكن حال الحملة الهزيلة التي قادها ابنا الملك أرجوان عام /٦٦٧هـ/ بأحسن حال منها[٣].

---

(١) السلوك، للمقريزي، (٢/ ٦٤ ومابعدها)..

(٢) السلوك، للمقريزي، (٢/ ٦٩ ومابعدها)، والنجوم الزاهرة، لابن تَغْري، (٧/ ١٣٥ ومابعدها)..

(٣) السلوك، للمقريزي، (٢/ ٧٧)، والحركة الصليبية، عاشور، (٢/ ١١٥٨ ومابعدها)..

وفي عام /٦٧١هـ/ ضمَّ بيبرس حصن قدموس (الواقع بين حمص وحماة) آخر معاقل الإسماعيلية إلى جبهة المقاومة الإسلامية [١].

ثالثاً: الجهاد على الجبهة المغولية.

وكان للملك الظاهر بيبرس إنجازات كبيرة على هذه الجبهة، وسوف نتطرق إليها في فصل الحروب المغولية في هذا الكتاب.

●أهم إنجازات الملك الظاهر بيبرس.

١- قضى على الفتن الداخلية.

٢- أعاد توسيع وتوحيد جبهة المقاومة الإسلامية.

٣- حطَّم أسطورة الشبح المغولي المعادي، وردَّه إلى خارج بلاد الشام، وأقام علاقة ودية مع مغول القبجاق، وكان هذا سبباً هاماً في انتشار الإسلام بينهم.

٤- دمَّر قوة الوجود الصليبي، وفكك أوصاله، وقلَّص سلطانه، وحرر الكثير من المناطق التي كانت تحت سيطرته.

٥-كان بيبرس قائداً عسكرياً موهوباً وصلباً وشجاعاً، وكان سياسياً محنكاً، ومخططاً استراتيجياً يستوعب الظروف والعوامل المحيطة بقضيته.

٦- واستطاع الملك الظاهر بيبرس محاصرة الصليبيين في بلاد الشام، من خلال إقامته تحالفات ثلاثة:

التحالف الأول: مع "بركة خان" ملك تتار القبجاق والقبيلة الذهبية،

---

(١) السلوك، للمقريزي، (٢/ ٨٣).

والذي حال دون إقامة تحالف بين هولاكو والممالك الصليبية في بلاد الشام.

التحـالف الثـاني: مـع إمبراطـور بيزنطـة "ميخائيـل بـاليولوخس الثـامن" والذي قطع الطريق على صليبيي الغرب من إقامة تحالف مع الإمبراطور لدعم الممالك الصليبية في بلاد الشام.

والتحالف الثالث: مع بعض الممالك الغربية، ومنها اتفاقية صداقة مع ملـك صـقلية"مانفرد"، واتفاقيـة مـع ملـك مرسـيلية "شـارل" وهـو أخـو الملـك لـويس التاسع ملك فرنسا، واتفاقيـة مـع "ألفونسـو العاشـر" ملـك قشـتالة في الأندلس[1].

وبهذا أصبح الصليبيون في بلاد الشام معزولين عن أي إمدادات كبيرة أو مساعدات من جهات خارجية، وباتوا محاصرين من جميع الجهات، وأصبح زوالهـم وانهيـارهم نهائيـاً عـن بـلاد الشـام مؤكـداً، وهـو رهينـة الوقـت المناسـب القادم لا محالة...

انتقــل الملــك الظــاهر بيــبرس إلى الرفيــق الأعلــى في محــرَّم / ٦٧٦هـ-١٢٧٧م/، بعد جهاد دام سبعة عشر عاماً، رحمه الله تعالى، وجزاه خيراً عن الإسلام والمسلمين. [2].

٥- المتخاذلون والخائنون.

في كـل زمـان يظهـر رجـال الصـحوة المـدافعون عـن الرسـالة والرسـول ﷺ

(١) انظر: جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين،د.عبد الله الغامدي، (ص/١٦٠).

(٢) السلوك، للمقريزي، (٢/ ١٠٣)، والنجوم الزاهرة، لابن تَغْري، (٧/ ١٥٦ ومابعدها).

والمسلمين، أمثال عماد الدين زنكي، ونور الدين محمود زنكي، وصلاح الدين الأيوبي، والمظفر قطز، والظاهر بيبرس...، ويظهر أيضاً المتخاذلون والخائنون..

إضاءة

هناك حكام وأمراء لاهثون وراء الحكم والسلطة سجل التاريخ تخاذلهم وخيانتهم ومواقفهم المخزية في سبيل تحقيق أطماعهم ومصالحهم الشخصية، والمعبرة عن موت حسِّهم الديني، وافتقادهم لأدنى درجات المسؤولية تجاه أمتهم وشعوبهم، واستخفافهم بآلام الناس وعذاباتهم، والويلات التي تحل عليهم نتيجة صراعاتهم على الحكم!!.

وفي عام /٦٥٦هـ-١٢٥٨م/ أعلن الملك الناصر صاحب دمشق وحلب ولاءه لهولاكو، وأرسل ابنه الملك العزيز (الذليل) إلى هولاكو يطلب منه المجيء إلى بلاد الشام ليساعده على احتلال مصر، فأرسل له نجدة من عشرين ألف جندي تتاري!! [(١)]...

وفي عام /٦٥٧هـ/ التحق السلطان عز الدين كيكاوس والسلطان ركن الدين قلج ارسلان من سلاجقة الروم بهولاكو وأعلنا الخضوع والطاعة له!! [(٢)].

وفي عام /٦٥٨هـ-١٢٦٠م/ وأثناء اجتياح المغول لبلاد الشام، قام الملك المنصور ابن المظفر الأيوبي حاكم حماة بتسليم مفاتيح المدينة لهولاكو، واستسلم له، ولم يبذل أي مقاومة للدفاع عن المدينة، والوقوف في وجه الغزاة!!.

(١) السلوك، للمقريزي، (١/ ٥٠٠ ومابعدها).
(٢) المصدر السابق، (١/ ٥١٠).

وفي العام نفسه لحق الملك الأشرف موسى صاحب حمص بهولاكو وأعلن تبعيته له، ورجع من عنده ومعه مرسوم بأن يكون نائباً عن هولاكو بدمشق والشام!! [1]..

بينما استمات أهل مدينة "ميافارقين" تحت قيادة حاكمهم الكامل محمد الأيوبي، وصمدوا في وجه ابن هولاكو "أشموط" سنة ونصف تقريباً، حتى أكلوا جلود النعال من جوعهم بسبب الحصار. وصمد المقاومون في قلعة دمشق خمسين يوماً في وجه المغول بعد أن فرَّ ملكها المتخاذل الناصر يوسف وترك دمشق للمغول، حتى جاء الملك المظفر قطز من مصر فقضى على جيش هولاكو في عين جالوت، ثم توجه نحو دمشق وحرَّرها.

وفي عام /٦٦١هـ/ تمرد الملك المغيث حاكم الكرك على قائد جبهة المقاومة الإسلامية الملك الظاهر بيبرس، بل إنه تحالف مع المغول على قتاله، وطلب جنوداً من المغول لمساعدته[2]!!.

ومن المعروف أن الإسماعيليين المتمركزين بين حمص وحماة كانوا دائماً يتحالفون مع الغزاة الصليبيين والمغول، وينفذون عمليات اغتيالات ضد قادة جبهة المقاومة الإسلامية، فقتلوا بعضهم، ونجا بعضهم بأعجوبة ومنهم الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي..

---

(١) المصدر السابق، (١/ ٥١١ ومابعدها).

(٢) انظر: الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية، د.حامد غنيم أبو سعيد، (٣/٩٣).



المطلب السابع: الحروب الصليبية المرافقة للحروب الصليبية المشهورة على جبهتي شمالي أفريقيا والأندلس.

أولاً: الحروب الصليبية المرافقة على جبهة شمالي أفريقيا. [1]

١- الوقائع:

بدأت الحروب الصليبية المشهورة تتحرك باتجاه بلاد الشام عام /٤٨٩هـ-١٠٩٦م/، ومع ذلك فإن الحروب الصليبية على جبهتي الأندلس وشمالي أفريقيا لم تتوقف، بل ازدادت ضراوة واتساعاً. ففي حين كانت الحملات الصليبية في بلاد الشام ترسخ قدمها، وتؤسس أربع ممالك صليبية تمتد من الرها شمالي سورية إلى خليج العقبة جنوباً. كانت قوات صليبية أغلبها من صقلية النورماندية (بعد انتزاعها من المسلمين) تهاجم جزر البحر المتوسط وشمالي أفريقيا لإخضاعها كلما سنحت الفرصة.. بل وامتدت الحروب الصليبية على جبهتي الأندلس وشمالي أفريقيا إلى ما بعد اندحار الصليبيين عن بلاد الشام ومصر.

ففي عام /٥١٧هـ-١١٢٣م/ قام "رجار الثاني" ملك صقلية ببناء أسطول ضخم لم يُعهد مثله، مؤلف من ثلاثمائة قطعة بحرية، سار به نحو تونس، فلما مر بجزيرة "قوصرة" استولى عليها، وقتل من بها، وسبى ونهب، ثم سار إلى تونس واستولى على حصن الديماس، فأرسل الحسن بن علي بن يحيى

(١) انظر: الخريطتين رقم /٢-١٣/ في فهرس الخرائط.

بن تميم بن المعز سلطان الدولة الزيرية في تونس جيشاً لملاقاة الصليبيين عند حصن الديماس، فانهزم الصليبيون إلى مراكبهم وقُتل منهم أعداد كبيرة، وغنم المسلمون جميع ما تخلف عنهم، وبقي مجموعة من الجنود الصليبيين محصورين في حصن الديماس، فلم يستطيعوا الصمود، فقتلوا عن آخرهم، وانسحب بقية الصليبيين بمراكبهم مهزومين[1].

وفي عام /٥٢٩هـ-١١٣٥م/ خرج أسطول صليبي كبير من صقلية وفيه جمع غفير من مشاهير فرسانهم، فهاجموا جزيرة "جربة" في تونس، فاجتمع أهلها وقاتلوا قتالاً شديداً، وقُتل من أهل "جربة" بشر كثير وانهزموا، ومَلكَ الصليبيون الجزيرة، فنهبوا أموالها، وسبوا نساءها وأطفالها. [2]

وفي عام /٥٣٦هـ-١١٤١م/ هاجم أسطول صقلي مؤلف من خمس وعشرين سفينة مرسى المهدية، فأخذ جميع ما فيها من مراكب. [3]

وفي عام /٥٣٧هـ/ وقع الخلاف والنزاع بين أهل طرابلس الغرب، فطمع "رجاج" ملك صقلية الصليبي في ملكها، فأرسل أسطوله البحري إليها، فحاصرها، ونقب أسوارها، فاستنجد أهلها بالعرب فأنجدوهم، وهزموا الصليبيين الذين عادوا خائبين. [4]

---

(١) انظر: الكامل، لابن الأثير، (٢٢٢/٩ وما بعدها)، والبيان المغرب، لابن عذاري، (٣٠٩/١).

(٢) انظر: الكامل، لابن الأثير، (٢٨٦/٩).

(٣) انظر: البيان المغرب، لابن عذاري، (٢١٣/١).

(٤) انظر: العبر، لابن خلدون، (٢٠٢/٥).

وفي عام /٥٣٨هـ/ هاجم "رجار" مدينة "صفاقس" فدخلت في طاعته[١].

وفي عام /٥٤١هـ-١١٤٦م/أرسل "رجار" ملك صقلية الصليبي أسطوله إلى طرابلس الغرب، فنزل في ساحلها، ونزل المقاتلة فأحاطوا بها براً وبحراً، وقاتلوها ثلاثة أيام، ودار القتال أيضاً في داخل طرابلس بسبب الخلاف بين أهل طرابلس وبني مطروح، فلما شعر الصليبيون بذلك، بادروا إلى الأسوار، ونصبوا عليها السلالم، وتسلَّقوها، ودخلوا البلد عنوة، وأفحشوا في القتل والسلب والنهب، ثم خرج منها الصليبيون بعد أن فرضوا على أهلها الجزية.[٢]

وفي عام /٥٤٣هـ-١١٤٨م/ استغل "رجار ملك صقلية المجاعة التي اجتاحت تونس من عام /٥٣٧هـ/ إلى عام /٥٤٣هـ/، فبنى أسطولاً ضخماً بلغ نحو /٢٥٠/ سفينة، وملأها بالرجال والسلاح والأقوات، وسار قائد الأسطول "جرجي" نحو المهدية في تونس، وخادع الحسن بن علي سلطان تونس فأوهمه أنه لا طمع له في المهدية، بل يريد الذهاب إلى "قابس". فلما علم الحسن بخداعه، جمع الأعيان وشاورهم، وقال لهم: ((وأنا أرى سلامة المسلمين من الأسر والقتل خيراً من المـُلك، ... وليس لنا بقتاله طاقة، والرأي أن نخرج بالأهل والولد وننزل عن البلد،...)) فأخذ معه ما خفَّ حمله... ووصل الصليبيون المهدية ودخلوها بغير مانع ولا دافع، ودخل "جرجي" قصر الحسن، فوجد الخزائن مملوءة من الذخائر النفيسة ، ثم نهبت

(١) انظر: البيان المغرب، لابن عذاري، (٢٠٣/١).

(٢) انظر: العبر، لابن خلدون (٢٠٢/٥ وما بعدها)

المدينة، وأعطى "جرجي" الأمان لأهل المدينة، وفرض عليها الجزية. ولما استقر "جرجي" بالمدينة أرسل أسطولاً بعد أسبوع إلى مدينة "صفاقس" وآخر إلى مدينة "سوسة" فدخلها من غير قتال، أيضاً، وأما "صفاقس" فإن أهلها امتنعوا عن تسليمها وقاتلوا دونها ما استطاعوا، ولكنَّ الصليبيين امتلكوها بعد قتال شديد، وأوقعوا في أهلها القتل والأسْر والسبي، ثم أعطى "جرجي" الأمان لأهل "صفاقس" و"سوسة" وفرض الجزية. كما حاول "جرجي" أن يهاجم قلعة "إقليبية" ، وهي قلعة حصينة، ولكن أهلها قاتلوا الصليبيين وصمدوا، ثم هزموهم، فعاد الصليبيون إلى المهدية. وبذلك ملك الصليبيون الساحل من طرابلس الغرب حتى مدينة تونس[1].

وفي عام /٥٤٨هـ-١١٥٣م/ أرسل "رجاج" ملك صقلية الصليبي أسطوله إلى مدينة "بونة" أي "عنابة" في الجزائر، فحاصرها ثم استولى عليها ، وسبى أهلها، وملك ما فيها، ولأن قائد الأسطول "فيليب المهدوي" تسامح وأغضى عن جماعة من العلماء والصالحين ، وسمح لهم بالخروج بأهليهم وأموالهم، قام "رجار" عند عودة الأسطول إلى صقلية بإحراق هذا القائد حتى الموت[2].

وفي عام /٥٥١هـ-١١٥٦م/ ثار المسلمون على الصليبيين المتحكمين بسواحل أفريقيا.. فقد تحكَّم الصليبيون بصفاقس وكان المتولي عليها "أبو

(١) انظر: الكامل، لابن الأثير (٣٥٠/٩ وما بعدها)، والعبر، لابن خلدون، (٢٠٣/٥ وما بعدها).
(٢) انظر: الكامل، لابن الأثير، (٣٩١/٩)، والعبر، لابن خلدون (٢٠٤/٥).

الحسن الغرياني" من أهل العلم والدين، قد عجز عن أمور الولاية، فطلب من "رجار" ملك صقلية أن يولي ابنه عمر، فولاه "رجار" وأخذ أبا الحسين والده رهينة إلى صقلية، فأوصى ابنه عمر قبل رحيله، وقال: يا بني أنا كبير السن وقد قرب أجلي، فمتى أمكنتك الفرصة في إنقاذ المسلمين من ملكة (تحكم) العدو، فافعل، ولا تخشَ عليَّ، واحسبني قد مت، فلما مات "رجار" وتولى ابنه "غليالم" من بعده ملك صقلية، واختل أمره، دعا عمر أهل صفاقس للثورة على الصليبيين الإفرنج، فساروا بهم وقتلوهم، واقتدى بهم أهل طرابلس الغرب، بقيادة أبو يحيى مطروح، ثم أهل قابس بقيادة محمد بن رشيد، وسار عسكر عبد المؤمن سلطان الموحدين في المغرب إلى بونة "عنابة" فملكها، وبهذا خرجت جميع أفريقيا عن حكم الصليبيين الإفرنج ماعدا المهدية وسوسة. وأرسل ملك صقلية إلى والي صفاقس يهدده بالرجوع عن فعله أو يقتل والده الذي هو رهينة في صقلية، فلما وصل رسول الملك وجد أهل صفاقس يحملون جنازة ويدفنونها، فلما قابله عمر قال له: هذا أبي، قد دفنته وقد جلست للعزاء فاصنعوا به ما أردتم، فلما بلغ ملك صقلية رد عمر بن أبي الحسن الغرياني أخذ أباه وصلبه فلم يزل يذكر الله تعالى حتى مات[1].

وفي عام /٥٥٤هـ-١١٥٩م/ جهز عبد المؤمن سلطان الموحدين في المغرب جيشاً من /١٠٠/ألف مقاتل، وسار به إلى زويلة والمهدية بعد أن لجأ أهلها إليه يشكون ما فعله الصليبيون بهم، من قتل ونهب وأسر وكرب..،

(١) انظر: الكامل، لابن الأثير، (٤٠٣/٩ وما بعدها)، والعبر، لابن خلدون (٢٠٥/٥).

فدمعت عيناه، وقال لهم: أبشروا، لأنصرنَّكم ولو بعد حين. فكتب إلى جميع نوابه يأمرهم بحفر الآبار في طريقه، وأن يحفظوا الغلات في سنبله، فجمعوها وطينوا عليها فأصبحت كأنها تلال.. وكان جيش عبد المؤمن منظماً منضبطاً، يصلي جميعه مع أمام واحد، فلما وصل إلى مدينة تونس أرسل إلى أهلها يدعوهم إلى طاعته، فامتنعوا، فقاتلهم، فطلبوا الأمان، فأمَّنهم، وتسلَّم البلد.. ثم سار إلى مدينة المهدية، فدخل زويلة وحاصر المهدية، وأثناء حصارها جاءه أهل صفاقس وطرابلس وجبال نفوسة وقفصة وقصور أفريقيا وما ولاها، فأعطوه الطاعة، وأما قابس ففتحها عنوة، وسيَّر ابنه أبا محمد عبد الله في جيش ففتح بلاداً.. ولما طال حصار المهدية وفيها أبناء ملوك الصليبيين وأمراؤهم، جاءتهم النجدة من صقلية حيث أرسل ملكها أسطولاً من /١٥٠/سفينة، فلما وصل شواطئ المهدية وقفت مقابل سفن السلطان عبد المؤمن الموحدي، وسجد عبد المؤمن يمرِّغ وجهه في الأرض ويبكي ويدعو للمسلمين بالنصر.. واقتتل الجيشان فانهزمت سفن الصليبيين وتبعهم المسلمون وأخذوا بعض سفنهم وعاد أسطول المسلمين مظفَّراً منصوراً، وبقي الصليبيون المتحصنون داخل مدينة المهدية يقاومون الحصار ستة أشهر، فلما يئسوا من النجدات نزل بعض فرسانهم يطلبون الأمان لمن فيها من الفرنج الصليبيين على أنفسهم وأموالهم ليخرجوا منها ويعودوا إلى صقلية، فأجابهم إلى ذلك، فلما ركبوا السفن وساروا هاج البحر عليهم شتاء فغرق أكثرهم .

وكان هذا في المحرم عام /٥٥٥هـ/ . وعادت المهدية إلى حكم المسلمين بعد أن بقيت تحت سيطرة الصليبيين /١٢/عاماً[١].

وهكذا استمرت الغزوات الصليبية على شمالي أفريقيا المرافقة للحروب الصليبية على بلاد الشام على هذا النحو إلى أن جاءت الحملة الصليبية الأكبر على تونس عام /٦٦٤هـ/.

الحملة الصليبية (الثامنة) وهي الأكبر على تونس: [٢]

ففي عام /٦٦٤هـ-١٢٦٥م/ وصلت أخبار الضربات القاصمة التي وجهها الملك الظاهر بيبرس لما تبقى من الصليبيين في البلاد الشامية إلى أوربا، فدعا البابا كلمنت الرابع إلى حملة صليبية جديدة، وأبدى الملك "لويس التاسع" ملك فرنسا رغبته الشديدة في الاشتراك في هذه الحملة وهو الذي كان يخطط لها منذ هزيمته وأسره في دمياط، فأرسل البابا إليه الكاردينال رودلف ليسلمه الصليب وليرافقه في الحملة نائباً عنه، وكتب إلى ملوك النصارى بالمسير معه وأطلق يده في أموال الكنائس يأخذ منها مايشاء [٣] .

وكان الملك الظاهر بيبرس يدرك (أن فتحه لأنطاكية وهي ثاني إمارة صليبية تؤسس في المشرق، سيثير أوروبا الغربية ضده مثلما أدى سقوط الرّها

(١) انظر: الكامل، لابن الأثير، (٤٢٨/٩)وما بعدها ، والعبر، لابن خلدون (٢٠٦/٥).

(٢) انظر: الخريطة رقم /١٣/ في فهرس الخرائط.

(٣) العبر، لابن خلدون، (٢٩١/٦)، والسلوك، للمقريزي، (١/ ٤٦٠ ومابعدها)، والحروب الصليبية في شمال أفريقية، د.ممدوح حسين، (ص/٢٤٧)..

في يد عماد الدين زنكي، إلى تحريك الحملة الصليبية الثانية، فكان لذلك يراقب الموقف بحذر شديد، فما أن علم بأمر الحملة الجديدة حتى شرع في الاستعداد لمواجهتها. وكما كانت عادته في مواجهة الأخطار لم تقتصر جهوده على مجال واحد وإنما سارت في عدة اتجاهات في آن واحد. فقد بدأ في تحصين الموانئ المصرية المطلة على البحر الأبيض المتوسط وشحنها بالسلاح والرجال والأزواد ليحول دون أي نزول محتمل للصليبيين في أحدها كما حدث بالنسبة للحملة الصليبية السابقة) [(١)] واهتم أيضاً بتدعيم الأسطول، وزيادة عدد سفنه، (ونشط في حشد الجيوش وتنظيمها وتوزيعها على الثغور المصرية والشامية. ولم يغفل أثناء ذلك عن تحصين الحدود الشرقية لبلاد الشام لمواجهة أي هجوم تتاري محتمل أثناء انشغاله بقتال الصليبيين. وبالإضافة إلى ذلك اتصل بالبنادقة ووعدهم بمنحهم عدة امتيازات تجارية في شطري سلطنته مصر والشام مقابل امتناعهم عن تقديم المساعدة البحرية للملك الفرنسي) [(٢)] .

وأرسل سلطان تونس "المستنصر الحفصي" بسفارة دبلوماسية إلى الملك لويس مزودين بهدية ثمينة شخصية إليه، إضافة إلى ثمانين ألف درهم للتفاوض معه بغرض إيقاف الحملة على تونس فأخذ المبلغ وأخبرهم بأنه سيغزوهم

---

(١) انظر: الحروب الصليبية في شمال أفريقية وأثرها الحضاري، د.ممدوح حسين، دار عمار، عمان- الأردن، الطبعة الأولى [١٤١٩هـ-١٩٩٨م]، (ص/٢٥٤ وما بعدها).

(٢) المصدر السابق، (ص/٢٥٥).

واحتال عليهم ولم يعد لهم المبلغ، وتوافق ذلك بوصول رسول الملك الظاهر بيبرس للملك لويس الذي لم يأت بهدية على عادة الملوك بل برسالة شعرية شديدة اللهجة ينذره ويذكره بالمعاهدة المعقودة بينهما والتي تمنع لويس من الاعتداء على بلاد المسلمين، فلم يزد ذلك الطاغية إلا عتواً واستكباراً[1].

ولكن ملك صقلية "شارل دانجو" شقيق الملك لويس، أقنعه بالتوجه إلى تونس للقضاء على المستنصر بالله ملك الدولة الحفصية الذي ساعد خصوم "شارل" وآواهم، فاستحكم العداء بينهما، وتذكر بعض المصادر أن لويس التاسع أراد غزو تونس بقصد تنصيرها لتأثره برهبان منظمتي الفرنسيسكان والدومينيكان القريبتين منه جداً، واللتين كان لهما نشاط تنصيري واسع في تونس[2].

وأراد "لويس" أن يعمل بنصائح المستشارين الذين يرون أنه لايمكن احتلال بيت القدس عن طريق البر من أوربا إلى بلاد الشام، بل يجب أن يكون عن طريق بري ينطلق من شمالي إفريقيا ويتحرك باتجاه مصر للقضاء على القوة العسكرية المركزية، ثم الانطلاق إلى بيت المقدس[3].

فأراد أن يحتل تونس وأن يجعل منها قاعدة استناد عسكرية ضخمة للانطلاق نحو الهدف..

ومع أن السلطان الظاهر بيبرس (علم أن الحملة لن توجه ضد بلاده،

(١) كتاب العبر، لابن خلدون، (٦/٢٩١ ومابعدها).
(٢) الحروب الصليبية في شمال أفريقية، (ص/٢٦٣ ومابعدها و٢٧٠ ومابعدها) .
(٣) الحروب الصليبية في شمال أفريقية، (ص/٢٦٠ ومابعدها).

وإنما ستوجه ضد الدولة الحفصية، فإن ذلك لم يصرفه عن العمل على مواجهتها، فهو لم يُهمل أمر تونس، فبالرغم من فتور العلاقات بينه وبين المستنصر الحفصي، إلا أن ذلك لم يمنعه من القيام بواجبه في شد أزر إخوانه مسلمي إفريقيا، لقد كان الظاهر بيبرس على مستوى المسؤولية، فوضع مصلحة المسلمين العليا فوق مستوى الخلاف، لذلك لم يكد يعرف بتحرك الحملة إلى تونس حتى بادر إلى مساعدة المستنصر) [1] فكتب رسالة إلى المستنصر يخبره بها بإرسال العساكر إليه لمساندته، وأرسل رسالة إلى عربان برقة وبلاد الغرب بالمسير إلى نجدته، وبالفعل فقد شاركوا إخوانهم في تونس في التصدي للحملة الصليبية [2].

في آخر ذي القعدة /٦٦٨هـ-١٢٧٠م/، وصلت أساطيل "لويس التاسع" إلى شاطئ مدينة قرطاجة، وكان عدد جنوده ستة آلاف فارس، وثلاثين ألف راجل، ومعهم ثلاثمائة سفينة [3].

وفي أول المحرَّم /٦٦٩هـ-١٢٧٠م/ وقعت معركة كبيرة بين المسلمين والصليبيين، قُتل فيها الكثير من جنود الطرفين، وأغار بعض المسلمين على مواضع من معسكرات الصليبيين فباغتوهم، وأوقعوا بهم.

طالت محاصرة المسلمين للصليبيين حتى نالهم الوهن والتعب والجوع،

---

(١) المصدر السابق، (ص/٢٥٦).

(٢) السلوك، للمقريزي، (٢/ ٦٩) .

(٣) كتاب العبر، لابن خلدون، (٦/٢٩٢)، والسلوك، للمقريزي، (١/ ٤٦٠ ومابعدها).

وتفشت بينهم الأوبئة، وأُصيب قائد الحملة "لويس التاسع" بالوباء[1]، فمات في المحرم /٦٦٩هـ-٢٥/٨/١٢٧٠م/[2].

وصل إلى تونس "شارل دانجو" ملك صقلية يوم وفاة أخيه الملك "لويس التاسع" واستمر الحصار والقتال.

وفي الخامس من ربيع الأول/٦٦٩هـ-تشرين الأول/١٢٧٠م، اتفق الطرفان على عقد هدنه مدتها خمس عشرة سنة.

انسحبت القوات الصليبية عقب معاناة كبيرة، وأبحرت إلى صقلية، ولكنها وفي عُرض البحر تعرضت لعاصفة شديدة أتت على الكثير من سفنها ورجالها، ومات عدد كبير من الأمراء والملوك وزوجاتهم غرقاً أو مرضاً[3]...

وبهذا أُسدل الستار على هذه الحملة الصليبية الفاشلة، التي انهزمت ورجعت تجرُّ أذيال الخيبة.

٢- أوضاع جبهة المقاومة الإسلامية في المشرق بين عامي /٦٧٦هـ-٦٧٩هـ/ و /١٢٧٧م-١٢٨٠ م/.

بعد وفاة الملك الظاهر بيبرس عام /٦٧٦هـ/ ظهرت الخلافات والانقسامات بين مراكز القوة في الدولة. فقد تولى الحكم بعده ابنه الملك السعيد، ذو الثماني عشرة سنة، والذي لم يكن مؤهلاً للقيادة، فأساء

(١) وفي بعض الروايات أن سهماً أصابه، فكان سبب موته.

(٢) كتاب العبر، لابن خلدون، (٢٩٣/٦ ومابعدها)، والسلوك، للمقريزي، (٤٦٠/١ ومابعدها).

(٣) كتاب العبر، لابن خلدون، (٢٩٤/٦) .

التصرف مع كبار القادة وأهانهم، وساهم في إحداث انقسام بينهم، وحوَّلهم إلى فريقين متعاديين، فأفسد الخواطر وأوغر الصدور.

وفي عام /٦٧٧هـ/ جهز الملك السعيد الأمير سيف الدين قلاوون والأمير بدر الدين بيسري، وأمرهما بالتوجه إلى أرمينية الصغرى؛ ليبعدهما عن مركز الحكم، فتوجها وفي نفسيهما إحن[١].

وفي عام /٦٧٨هـ/ قرر التخلص منهما، فبلغهما ذلك وهما في دمشق، وفي القاهرة حاصر الأمراء والثائرون قلعة الملك، وأجبروه على خلع نفسه، ونفوه إلى الكرك[٢].

وفي ٢٠/رجب/٦٧٨هـ-١٢٧٩م/، تولى الملك المنصور سيف الدين قلاوون الحكم، وأصبح سلطاناً على بلاد الشام والحجاز ومصر[٣].

وفي المحرم/٦٧٩هـ/، تمرد سنقر الأشقر حاكم دمشق، وأقام سلطنة فيها، وسانده حكام بعلبك وحماة وحلب وأمراء آخرون.

فاوض قلاوون الأشقر سلمياً، فلم يستجب، فواجهه في معركتين الأولى في غزة والثانية على مشارف دمشق، انتهت بهزيمة الأشقر وتحرير دمشق[٤].

---

(١) السلوك، للمقريزي، (٢/١٠٨ ومابعدها)..

(٢) السلوك، للمقريزي، (٢/١١٧ ومابعدها)، والنجوم الزاهرة، لابن تَغْري، (٧/ ٢٣٠ ومابعدها)..

(٣) السلوك، للمقريزي، (٢/١٢٢)، والنجوم الزاهرة، لابن تَغْري، (٧/ ٢٤٨ ومابعدها)..

(٤) السلوك، للمقريزي، (٢/١٣١ ومابعدها)، والنجوم الزاهرة، لابن تَغْري، (٧/ ٢٥٠ ومابعدها)..

ثانياً:الحروب الصليبية عل جبهة الأندلس، المرافقة لحروب بلاد الشام[(١)].

١- الوقائع :

لم تتوقف الحروب الصليبية في الأندلس أثناء الحروب في بلاد الشام ، بل ازدادت ضراوة وحماسة بسبب ما رآه الصليبيون من الإنجازات التي تحققت لهم هناك ، وأهمها احتلال بيت المقدس وإقامة أربع إمارات صليبية واحتلال الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط بكامله من تركيا حتى العريش .

ففي عام / ٥٠٨هـ - ١١١٤م/ تجمعت حملة صليبية من ثلاث إمارات برشلونه البحرية، وبيزا وجنوا الإيطاليتين وجمعوا /٣٠٠/ سفينة حربية وهاجموا جزر البليار، واستولوا على جزيرة "يابسة " ثم انكفؤوا [(٢)].

كانت انتصارات الصليبيين في بلاد الشام تزيد من حماسة الصليبيين في الأندلس للقضاء على الدولة الإسلامية ، وطرد المسلمين وجعل الأندلس دولة مسيحية كاثوليكية خالصة، وكان باباوات روما يحرضون ويقدمون الدعم القوي لكلا الجبهتين ، ويتابعون أخبارهما واحتياجاتهما !! ..

وفي عام / ٥١٢هـ- ١١١٨م/ قاد "ألفونسو المحارب "حملة صليبية تجمعت بناء على طلبه من الدول الأوربية وخاصةً من فرنسا وإيطاليا إضافة للجنود الأسبان والبرتغاليين ..

---

(١) انظر: الخرائط ذوات الأرقام /٨-٩-١٠/ في فهرس الخرائط.

(٢) الأندلس التاريخ المصور، د. طارق السويدان، (ص/٣١٤)..

وبلغ الحشد الصليبي /٥٠/ ألف مقاتل زحف بهم إلى مدينة "سرقسطة" عاصمة شمال الأندلس وحاصرها لمدة تسعة أشهر فهلك الناس جوعاً ثم استولى عليها، فغادرها معظم أهلها خوفاً على أنفسهم ، وحول الصليبيون مساجدها إلى كنائس وأديرة، **لقد سقطت سرقسطة بعد أن حكمها المسلمون /٤٠٠/ سنة تقريباً**[1] ..

وفي عام / ٥١٩هـ- ١١٢٥م/ جهز ملك آراغون " ألفونسو المحارب "حملة صليبية ضخمة انضم إليها الخونة من أهل الذمة الذين منحهم المسلمون حرية الاعتقاد وحافظوا على معابدهم وأموالهم وأنفسهم وتجارتهم ، وكان لهم ما كان للمسلمين وتسلموا المناصب المهمة في الدولة ، فكانت مكافأتهم للمسلمين على إحسانهم أن غدروا بهم وخانوا الدولة .. تجمع في هذه الحملة الصليبية أكثر من /٥٠/ ألف مقاتل إضافة للذين يلتحقون بهم من الخونة الذين يقاتلون معهم ويطلعونهم على الثغور والطرق ، خرج "ألفونسو" بجيشه من " سرقسطة " واتجه جنوباً يجتاح أراضي المسلمين ويدمر القرى ويحرقها ويخرب المزروعات ، ثم اتجه نحو البحر الأبيض المتوسط فاستولى على المدن الساحلية "بلنسية" ثم "دانية" ثم توغل حتى استولى على " المرية "جنوب "غرناطة"..

وفي عام / ٥٢٠هـ- ١١٢٦م/ وصل إلى غرناطة فحاصرها، ولكن الله تعالى منَّ على المسلمين فنزلت الأمطار والثلوج وانتشرت الأوبئة في جيشه ،

---

(١) المصدر السابق، (ص/٣١٥).

واغتنم المجاهدون الفرصة فأطلقوا حرب عصابات تقطع أوصال جيشه المنهك، فانسحب غرباً ولاحقته قوات المجاهدين تدمر مؤخرة جيشه ومازال يندحر حتى رجع من حيث أتى فدخل " طليطلة " عاصمته محطماً بعد /١٥/شهراً [١]..

وفي عام /٥٢٨هـ– ١١٣٤م/ توجه " ألفونسو المحارب " ملك آراغون للاستيلاء مرة ثانية على " بلنسية " فتصدى له والي بلنسية ووالي مرسية ، فقتلوه وهزم جيشه، ثم اغتنم أخوه " ألفونسو السابع " الفرصة فاستولى على مملكة أخيه " آراغون " ليصبح قائد الجبهة الصليبية الأكبر في الأندلس . [٢]

وفي عام / **٥٤٠هـ– ١١٤٧م/ بدأ الغرب الصليبي بالتحضير للحرب الصليبية الثانية على بلاد الشام .**

وفي عام /٥٤١هـ– ١١٤٧م/ ظهرت دولة الموحدين على أنقاض دولة المرابطين نهائياً، وبقي المسلمون في الأندلس بلا قائد قوي حكيم، يقود الدفاع عنهم ضد الصليبيين [٣].

فاستغل " ألفونسو السابع " ملك صليبيي أسبانيا ، هذا الضعف في المسلمين فقاد حملة صليبية عام / ٥٤٢هـ– ١١٤٨م/ عبر البر وجاءت البحرية الإيطالية من جنوا والبندقية والتقى الجمعان على حصار مدينة " المرية

---

(١) المصدر السابق، (ص/٣١٨ ومابعدها)..

(٢) المصدر السابق، (ص/٣٢١ ومابعدها)..

(٣) الكامل،لابن الأثير،(٩/٢٠١ومابعدهاو٣٤٢)، والعبر،لابن خلدون، (٦/١٨٩)..

" وميناءها على البحر الأبيض المتوسط جنوب الأندلس، ودام الحصار ثلاثة أشهر، ثم استولت القوات الصليبية على المدينة وقتلت الآلاف وأسرت عشرات الآلاف وأخذوا /١٤/ ألف سبية من نساء المسلمين !!.. وبدأت تظهر علامات واضحة على توحيد جهود الحملات الصليببة في المشرق والمغرب، ففي العام نفسه تحالف ملك البرتغال الصليبي " ابن الرِّنك " مع الأساطيل الإنكليزية والألمانية المتجهة إلى الممالك الصليبية في بلاد الشام للمشاركة في الحملة الثانية ، وهي تحمل الرجال والعتاد، فأقنع قادتها بمساعدته لمهاجمة عاصمة غرب الأندلس " لشبونه " فاستولوا عليها ثم اتجهوا إلى مدينة "شنترين" فاقتحموها ، وبدأت أراضي الأندلس تتهاوى بأيدي الصليبيين[1] .

ولما جاء عام / ٥٤٤هـ- ١١٤٩م/ كان ثلثا الأندلس قد ضاع ولم يبق للمسلمين إلا الثلث الجنوبي والجنوبي الشرقي !!..

وفي عام / ٥٥٢هـ- ١١٥٧م/ ظهر من جديد الخائن " ابن مردنيش "العامل في خدمة الصليبيين مقابل فتات من الحكم ومظاهره وإمارته ، فقد شارك جيش "ألفونسو السابع" بستة ألاف مقاتل لصد هجوم المسلمين على مدينة "المرية" في جنوب الأندلس على البحر لاستعادتها من الصليبيين !!.. [2].

---

(١)الأندلس التاريخ المصور، د.طارق السويدان، (ص/٣٤٢ ومابعدها)..

(٢) الكامل، لابن الأثير، (٩/٤١٦ ومابعدها)، والأندلس التاريخ المصور، د.طارق السويدان، (ص/٣٤٥)..

فتأمل !!.. حاكم يدعي أنه مسلم يقاتل المسلمين إلى جانب جيش صليبي !!..

أليس التاريخ يعيد نفسه!!..

وفي عام / ٥٨٠هـ– ١١٨٤م/كان على الموحدين أن يقاتلوا على ثلاث جبهات :

١– جبهة مملكة قشتالة والتي يحكمها الملك " ألفونسو الثامن " .

٢– جبهة مملكة ليون والتي يحكمها الملك " فرناندو" .

٣– جبهة مملكة البرتغال والتي يحكمها الملك " ابن الرِّنك " .

وفي عام / ٥٩١هـ– ١١٩٥م/ جهز " ألفونسو الثامن " ملك قشتالة حملة صليبية، **قدم البابا الدعم لها وأعلن أن الغفران ودخول الجنة سيكون لكل من يشارك في هذه الحملة الصليبية**، فاجتمع حشد كبير من صليبيي أوروبا والتحم مع جيش الموحدين والأندلسيين قرب قلعة الأرك، وانتصر المسلمون نصراً ساحقاً، فقتل من الصليبيين زهاء /٣٠/ ألف قتيل ، وولى ألفونسو فاراً إلى أن وصل إلى طليطلة .. [1]

وفي عام / ٦٠٧هـ– ١٢١٠م/ دعا البابا "أنوسنت الثالث" إلى حملة صليبية في الأندلس، حث فيها نصارى أوروبا والأندلس على الالتحاق بجيش

---

(١) الكامل، لابن الأثير، (١٠/٢٣٦ ومابعدها)، والعبر، لابن خلدون، (٤/١٨٢ ومابعدها)، والأندلس التاريخ المصور، د. طارق السويدان، (ص/٣٥٩ ومابعدها)...

"ألفونسو الثامن"، وهدد " شانجة " ملك " نبارة " شمال الأندلس بالحرمان إذا لم يبادر بالالتحاق مع جيشه بهذه الحملة ، وأعلنت الحملة شعارها المشهور "كلنا صليبيون " .

وبقيت القوات تتجمع وتتجهز حتى عام / ٦٠٩هـ– ١٢١٢م/ ثم اتجهت جيوش الحملة الصليبية الآتية من أوروبا ومملكة قشتالة ومملكة آراغون ومملكة نباره إلى مكان قريب من حصن العقاب ، والتقى الجيشان ..

وقام " ألفونسو " بخديعة كبيرة إذ قدم دعوة للصلح إلى أمير الموحدين في الأندلس والمغرب " محمد الناصر بن يعقوب " ، ولما اتفقا على ذلك ، بدأ "ألفونسو" في صباح أحد الأيام التالية هجوماً مباغتاً فاشتبك الطرفان بقتال عنيف وسقط عشرات الألوف من القتلى وهزم الجيش الموحدي وتفرق في جميع الجهات .

اغتنم " ألفونسو " هزيمة جيش الموحدين ، فبدأ يكتسح القرى والمدن والقلاع ويقوم بتدميرها وكان يدمر المساجد ويقتل النساء والشيوخ والأطفال، وهذا ما فعله بأهل " أبدة " حيث قتل منهم ما يقارب / ٦٠/ ألفاً وأسر منهم /١٠٠/ ألف بيعوا في أوروبا بيع العبيد [١].

وفي عام / ٦١٤هـ– ١٢١٧م/ هاجم ملك البرتغال الصليبي " مدينة قصر أبي دانس " وساعده الأسطول الصليبي الألماني المتجه نحو فلسطين ،

---

(١) العبر، لابن خلدون، (٦/٢٤٩)، والأندلس التاريخ المصور، د. طارق السويدان، (ص/٣٦٥ ومابعدها)..

وبعد حصار شهرين ونصف طلب أهلها الأمان على أن يتركوا كل أموالهم وأراضيهم ويخرجوا بأنفسهم فقط آمنين ، فوافق ملك البرتغال ولكن عندما فتح أهل المدينة أبوابها غدر الصليبيون بهم كعادتهم فقتلوهم جميعاً نساء ورجالاً وأطفالاً وشيوخاً وفعلوا مثل ذلك بالقرى المجاورة للمدينة .. وفي أثناء ذلك كان الخليفة الموحدي " المستنصر "في المغرب يبحث عن اللهو والعبث(١).

وفي عام / ٦٢٠هـ– ١٢٢٣م/ مات المستنصر الشاب فجأة ، فبدأ صراع واسع على خلافته ، فكان يستولي على السلطة أحدهم ثم لا يلبث أن يخلع أو يقتل ..

ولم يكن المتصارعون يتورعون عن الخيانة فقد تحالف " أبو يعلى إدريس بن المنصور " مع ملك قشتالة الذي أمده بجنود من النصارى القشتاليين فاجتاز بهم البحر من الأندلس إلى المغرب واستولى على الحكم وكان ذلك عام / ٦٢٦هـ–١٢٢٩م/ (٢)..

تمزقت دولة الموحدين ، فاستقل الحفصيون في تونس (أفريقيا) عام / ٦٢٧هـ– ١٢٣٠م/، وكان بنو مرين أقاموا دولة أخرى في جنوب المغرب عام /٦١٤هـ/ ، وأقام بنو زيان دولتهم في الجزائر عام / ٦٣٣هـ– ١٢٣٥م/ (٣).

---

(١) الأندلس التاريخ المصور، د. طارق السويدان، (ص/٣٧٢ ومابعدها)..

(٢) المصدر السابق، (ص/٣٧٣ ومابعدها).

(٣) للتوسع انظر:

*العبر، لابن خلدون.

=

وفي عام / ٦٢٧هـ– ١٢٣٠م/ اغتنم الملوك الأسبان الصليبيون الفرصة وبدؤوا ينهشون ويقتطعون ما تصل إليه أيديهم من أراضي الأندلس المتبقية .. وكان ملك آراغون الجديد " خايمي " يطمع بالاستيلاء على جزر " البليار " في البحر المتوسط القريبة من شواطئ الأندلس، فجهز حملة صليبية ساعده فيها الفرنسيون والإيطاليون فهاجموا مدينة " ميورقة " عاصمة الجزيرة الكبرى بمئة وخمس وخمسين سفينة، وحاصروها ثم اقتحموها ودارت المعارك في الشوارع فقتل في يوم واحد /٢٤/ ألفاً من أهلها ، وقتل الوالي بعد /٤٥/ يوماً تحت التعذيب[1].

وفي عام / ٦٣١هـ– ١٢٣٤م/ **أعلن البابا حرباً صليبية مقدسة لاحتلال " بلنسية "** فقام ملك أراغون والفرسان الصليبيون بهجوم على الأرياف والقرى والمناطق فخربوها ودمروها وقتلوا أهلها ، واستولوا على الحصون .

وفي عام / ٦٣٣هـ– ١٢٣٥م/ حاصر " فرناندو الثالث "ملك قشتالة " قرطبة " ولم يكن فيها جيش يدافع عنها وجرت مقاومة شديدة من أهلها ، ولم ينجدها أحد من ملوك الطوائف المتبقين!! ودام الحصار الشديد شهور عدة ، فاستنفذت المدينة طاقاتها فعرض أهلها على ملك قشتالة الخروج

---

*البيان المغرب، لابن عذاري.

*المعجب، للمراكشي.

*السلطنة الحفصية، محمد العروسي المطوي.

*الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، لابن أبي زرع الفاسي..

(١) الأندلس التاريخ المصور، د. طارق السويدان، (ص/٣٧٥)..

بأنفسهم وأموالهم وتسليم المدينة فوافق على ذلك، فخرجوا منها هائمين على وجـــوههم إلى المنـــاطق الأندلســـية المتبقيـــة بيـــد المســـلمين .. **دخل الصليبيون وحولوا جامع قرطبة العظيم إلى كنيسة ، وبهذا أسقطت عاصـمة الخلافـة بعـد أن بقيـت مركـزاً للحضـارة الإسـلامية أكثـر مـن /٥٠٠/ سنة** [١]..

وفي عام / ٦٣٦هـ– ١٢٣٩م/ حاصر " خايمي " ملك أراغون " بلنسية " بجيش بلغ /٧٠/ ألف مقاتل ، فأرسل أميرها يطلب النجدة من المواقع الإسلامية القريبة منه ، وأرسل يطلب الإغاثة والمدد من أمير الحفصيين في تونس فأرسل مدداً لم يستطع الوصول إلى أهل بلنسية ، فاستسلمت المدينة وهاجر المسلمون منها إلى مدينة " دانية " ، واحتل " خايمي" مدينة بلنسية **وحول مساجدها إلى كنائس مباشرة بعد أن بقيت بيد المسلمين أكثر من /٥٠٠/ سنة !!..** [٢].

انهارت الأندلس وبدأت مدنها تسقط بيد مملكتي قشتالة وآراغون الصليبيتين.

ففي عام /٦٤١هـ/سقطت مدينة دانية .

وفي عام /٦٤٣هـ/ سقطت مدينة جيان .

وفي عام/٦٤٤هـ/ سقطت مدينة شاطبة .

---

(١) السلوك، للمقريزي، (٣٧٤/١)، الأندلس التاريخ المصور، د. طارق السويدان، (ص/٣٧٦ ومابعدها)..

(٢) الأندلس التاريخ المصور، د. طارق السويدان، (ص/٣٨٩ ومابعدها)..

وفي العام نفسه سقطت مدينة مرسية .

وفي عام /٦٤٥هـ– ١٢٤٧م/ حاصر " فرناندو الثالث " ملك قشتالة مدينة إشبيلية وقطع عنهم الإمدادات والطعام حتى هلك منهم أناس جوعاً ومرضاً ، وبعد تسعة أشهر من الحصار استسلم أهلها ، وفي عام /٦٤٦ هـ / خرج منها /٤٠٠/ ألف مسلم تشتتوا فيما بقي من الأندلس تحت سيطرة المسلمين ، واتجه جزء منهم إلى شمال أفريقيا ، وتجرع أهل إشبيلية الجوع والآلام والمنايا والأسقام .. **بعد أن بقيت إشبيلية تحت حكم المسلمين أكثر من /٥٠٠/ سنة !!..**

إضاءة

لعلك لا تصدق أن أمير غرناطة المسلم كان على رأس قوة من جيشه يساعد " فرناندو " الصليبي على حصار المسلمين في إشبيلية ، وفي تهجيرهم بعد سقوطها ، كل ذلك من أجل أن يرضى عنه " فرناندو " ويبقيه حاكماً لغرناطة .. وما علم هذا الخائن أن الدور سوف يأتي عليه وقد أتى !!. [1]

[illegible] ـام المتخاذلين فبنو الأحمر يتحالفون مع الصليبيين ضد بني مرين وبنو مرين يتحالفون مع الصليبيين ضد بني الأحمر ، ويتصارعون لا على حكم دول بل على حكم المدن المتبقية من الأندلس التي لا يتجاوز عددها ثلاث مدن ..

فتأمل هذا الخذلان !!..

(١) المصدر السابق، (ص/٣٩١ ومابعدها)..

واستمرت الصراعات والتنازلات للصليبيين حتى عام / ٧٠٢هـ–١٣٠٣م/ الموافق للخروج النهائي للصليبيين من جزيرة أرواد السورية وطي صفحة الحروب الصليبية المشهورة على مصر وبلاد الشام للأبد ..

إضاء

انتصرت جبهة المقاومة في بلاد الشام ونظفتها من كل آثار الصليبيين، في حين انهزم المسلمون في الأندلس بسبب تفرق ملوكهم وأمرائهم اللاهثين وراء السلطة والجاه والمال!!..

ثالثاً : رجال الصحوة المدافعون عن الرسالة والرسول ﷺ والمسلمين، على جبهة الأندلس أثناء الحروب الصليبية على بلاد الشام ومصر:

١- رجال الصحوة المدافعون من العلماء على جبهة الأندلس :

إضاءة

شارك العلماء في الجهاد باللسان والسنان للدفاع عن الأندلس وبذلوا جهوداً جبارة لتوحيد كلمة المسلمين ، وحثهم على الجهاد ، بل ومشاركتهم في الجهاد في مقدمة الجيوش.

ومن أشهر هؤلاء العلماء، والمعارك والأحداث التي شاركوا فيها على جبهة الأندلس:

الإمام " **الجزولي** ":

شارك الإمام الجزولي **في معركة الأمراء السبعة** بلسانه وسنانه ، تحت قيادة تميم بن المجاهد الكبير" يوسف بن تاشفين "وكان "ألفونسو" قد دفع إلى المعركة بأهم أمرائه وعددهم سبعة وفي مقدمتهم ابنه الوحيد "شانجه"،

وبعد معركة عنيفة جرت عام /٥٠١هـ– ١١٠٨م/ قتل الأمراء السبعة وقتل ابنه الوحيد وانتصر المسلمون ..

وكان الإمام الجزولي في قافلة الشهداء ..

معركة **القضاة** :

أعد العدة الأمير علي ابن المجاهد الكبير " يوسف بن تاشفين " وخليفته، لتحرير طليطلة من سلطان الصليبيين بزعامة " ألفونسو المحارب " وذلك في عام /٥٠٣هـ– ١١١٠م/ ووقعت معركة كبرى قرب مدينة " طَلَيبرة " ودعيت معركة القضاة لكثرة العلماء والقضاة الذين شاركوا فيها، واستشهدوا في مقدمة الصفوف..

هكذا كان العلماء في مقدمة صفوف المجاهدين ، بل القادة المحرضون على الجهاد والاستشهاد في سبيل الله دفاعاً عن الإسلام والمسلمين وبلادهم.

العالم **الجليل "ابن رشد الجد"**:

كان يشارك الأمير الرأي ويقدم اقتراحات لحماية المسلمين وبلادهم من العدوان الصليبي عام (٥٢١هـ– ١١٢٧م) فقد سافر " ابن رشد الجد " إلى المغرب والتقى أمير المرابطين علي بن المجاهد الكبير " يوسف بن تاشفين " وخليفته وأشار عليه بثلاثة أمور :

الأول: عزل أخيه تميم عن ولاية الأندلس ، وتولية رجل قوي حازم عاقل يعرف أحوال الناس وبارع في سياسة أمورهم ، وبالوقت نفسه خبير بالقتال ومجاهدة الأعداء وأخذ الحذر والحيطة منهم.

الثاني: بناء أسوار للمدن بقصد تحصينها وحمايتها من أي هجوم مباغت.

الثالث: إخراج المعاهدين الذين يخونون العهد من بلاد الأندلس ، وهم الذين كانوا يرشدون الصليبيين إلى مواطن ضعف المسلمين ليدهموهم ..

فاستجاب الأمير لطلباته وكانت طلبات حكيمة في مكانها ..

واجب

يجب على العلماء إرشاد الحكام لما فيه مصلحة البلاد والعباد ، أما الذين ينعزلون عن الحكام الوطنيين بذريعة بئس العلماء على أبواب الحكام فهم مخطئون، وكذلك فإن العلماء الذين يلازمون أبواب السلاطين بحثاً عن مصالحهم هم أشد خطأً..

العلماء في مقدمة الشهداء في معركة العقاب :

وقعت هذه المعركة عام (٦٠٩هـ– ١٢١٣م) كان شعار " ألفونسو الثامن " وجنوده في هذه المعركة **"كلنا صليبيون " وكان البابا " أنوصان الثالث " قد قاد التحريض لحشد المقاتلين في هذه المعركة من كافة أنحاء أوروبا كونها معركة صليبية مقدسة ..**

وكان جيش المسلمين بقيادة محمد الناصر بن يعقوب أمير الموحدين في المغرب ، وقد أخطأ هذا الأمير في تقدير الأمور والتخطيط للمعركة مما أدى إلى هزيمة المسلمين واستشهاد عدد كبير منهم ..

وكان في مقدمة الشهداء عدد كبير من العلماء المجاهدين الذين كانوا دائماً في مقدمة الجهاد والمعارك ، لايتأخرون عنها، بل كانوا قادة الجهاد ورواده .

وكان من الشهداء ..

-العالم الجليل إسحاق بن إبراهيم بن يعمر الجابري ، قاضي بلنسية ..

-العالم الجليل " أبو عمر أحمد بن هارون النغزي "كان زاهداً ورعاً وآية في الحفظ والرواية والدراية ..

-العالم الجليل " أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحضرمي " ..، قاضي قرطبة وله مؤلفات عدة ..

وسار على نهج هؤلاء العلماء نفر كبير من العلماء المجاهدين ، الذين ظلوا يجاهدون ويحثون على الجهاد ويعلمون ويرشدون، ولكن الأندلس سقطت نهائياً بسبب خيانة الحكام وصراعاتهم على الحكم .[1].

٢- رجال الصحوة المدافعون من الحكام على جبهة الأندلس ، أثناء الحروب الصليبية على بلاد الشام ومصر :

إضاءة

برزت مجموعة من أعلام الحكام الشرفاء على جبهة الأندلس أثناء الحروب الصليبية على بلاد الشام، وقد قام هؤلاء الحكام بالدفاع عن الرسالة والرسول ﷺ والمسلمين، وقدموا التضحيات الجسام، وجاهدوا في سبيل الله تعالى، وحققوا انتصارات متعددة.

---

(١) للتوسع انظر:

-جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين والموحدين، /٤٨٣هـ-١٠٩٠م/، /٦٤٠هـ-١٢٤٢م/، د.محمد بن إبراهيم أبا الخيل، دار أصداء المجتمع-السعودية، الطبعة الأولى [١٤١٩هـ-١٩٩٨م].

-الأندلس.. التاريخ المصور، د.طارق السويدان، شركة الإبداع الفكري-الكويت، الطبعة الأولى [١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م].

ومن أشهر هؤلاء القادة المجاهدين ..

- القائد المجاهد علي بن يوسف بن تاشفين :

تولى قيادة الدولة المرابطية في المغرب والأندلس عام (٥٠٠هـ– ١١٠٧م) ، كان يتصف بالورع والحزم والذكاء ويسير على نهج أبيه المجاهد الكبير يوسف بن تاشفين في التقوى وحب الجهاد والحرص على مصالح الأمة.

-وبين عامي /٥٠١هـ إلى ٥٠٥هـ/ حقق علي بن يوسف ين تاشفين إنجازات مهمة حيث هزم " ألفونسو السادس " عام /٥٠١هـ/ هزيمة ساحقة عند مدينة "أقليش" وقتل قواده السبعة وولي عهده ، وكانت معركة " أقليش " تضاهي بنتائجها معركة الزلاقة الشهيرة ، وفي عام /٥٠٢هـ/ مات "ألفونسو السادس" كمداً وحزناً وانقسمت مملكته بين ولديه " ألفونسو المحارب" في مملكة آراغون شمال شرق وشمال وسط الأندلس و"ألفونسو السابع" في شمال غرب الأندلس جيليقية والبرتغال ..

-وفي عام / ٥٠٣هـ/ سحق جيش علي بن يوسف في معركة القضاة قرب "طليبرة " جيش "ألفونسو المحارب"، مما دعاه للاستنجاد بأوروبا فجاء الإمداد من فرنسا وإيطاليا ودول أخرى.. وسميت معركة القضاة لكثرة العلماء والقضاة المجاهدين الذين شاركوا بأنفسهم في هذه المعركة واستشهد عدد منهم .

- وفي عام / ٥٠٨هـ– ١١١٤م/ صد هجوماً بحرياً صليبياً مؤلفاً من تحالف ثلاثي مؤلف من حكومة برشلونة، وحكومة بيزا الإيطالية وحكومة جنوا الإيطالية ومعهم /٣٠٠/ سفينة ، فأرسل المجاهد " علي " /٣٠٠/ سفينة هاجمت السفن الصليبية فانسحبت وغرق بعضها بعد أن هبت عليهم عاصفة .

-وفي عام / ٥١١هـ- ١١١٧م/ أخضع " قلمرية " عاصمة البرتغال في غرب الأندلس. رحم الله القائد المجاهد علي بن يوسف بن تاشفين وجزاه الله خيراً عن الإسلام والمسلمين [1].

المطلب الثامن: التطهير النهائي لجيوب الممالك الصليبية في بلاد الشام.

●زعماء جبهة المقاومة الإسلامية في هذه المرحلة.

قائد

الملك المنصور سيف الدين قلاوون قائد جبهة المقاومة الإسلامية على جبهتين، من عام / ٦٧٨ هـ إلى ٦٨٩ هـ / .

كما كان الملك الظاهر بيبرس يقود جبهة المقاومة الإسلامية على الجبهة الغربية مع الصليبيين، وعلى الجبهة الشرقية مع المغول، في آنٍ واحد، كذلك فعل الملك المنصور سيف الدين قلاوون.

أولاً: الجهاد على الجبهة المغولية.

كان للملك سيف الدين قلاوون إنجازات كبيرة على هذه الجبهة، وبخاصة في عام /٦٨٠هـ/، وسوف نتطرق لهذه الإنجازات في الفصل الثالث من هذا الكتاب.

ثانياً: الجهاد على الجبهة الصليبية.

(١) الأندلس التاريخ المصور، د. طارق السويدان، (ص/٣١٠ ومابعدها)..

في عام /٦٨٢هـ/ هاجمت قواته مملكة أرمينية الصغرى التي تحالفت مع مغول فارس ضد المسلمين، كما تحالفت باستمرار مع الصليبيين في حربهم ضد الأراضي الإسلامية. وتوغلت القوات الإسلامية في العمق، وأوقعوا بالأرمن خسائر كبيرة[١].

وفي عام /٦٨٤هـ/ أسرع ملك الأرمن "ليو" يطلب الهدنة مقابل دفع مبالغ كبيرة، وإطلاق جميع الأسرى المسلمين الذين بحوزته، وبشرط ألا يساعد أحد ضد الدولة الإسلامية[٢].

وفي ١٩/ربيع الأول/٦٨٤هـ-٢٥/٥/١٢٨٥م، زحف قلاوون على حصن المرقب القريب من مدينة جبلة الساحلية، وحاصره مدة ثمان وثلاثين يوماً، حتى تمَّ له تحريره من الصليبيين الإستبارية (وحدات خاصة) [٣].

وفي الخامس من ربيع الأول/٦٨٦هـ-٢٠/٤/١٢٨٧م، أرسل مجموعة من المقاتلين إلى اللاذقية فحرروها [٤] .

وفي ٢/محرم/٦٨٨هـ، زحف قلاوون بجيشه على مملكة طرابلس الصليبية، وحاصرها، وبعد أربع وثلاثين يوماً من الحصار والقتال **تحررت طرابلس،**

---

(١) السلوك، للمقريزي، (١٧٤/٢)..

(٢) الجبهة الإسلامية، د.حامد غنيم أبو سعيد، (٢٠٢/٣ ومابعدها)..

(٣) السلوك، للمقريزي، (١٨٩/٢)، والحركة الصليبية، عاشور، (١١٨٦/٢)، تاريخ الحروب الصليبية، رنسيمان، (٦٦٨/٣ ومابعدها).

(٤) . الجبهة الإسلامية، د.حامد غنيم أبو سعيد، (٢١٠/٣).

بعد أن دام احتلالها/١٩٧/ سنة. وأمر قلاوون بهدم المدينة القديمة، وبناء مدينة جديدة على بُعد أميال منها، ثم توجَّه نحو الجنوب، فحرر البترون ونيفين، واستسلم له حاكم جبيل الصليبي وأذعن[1].

وفي شوال/٦٨٩هـ/، بدأ قلاوون يخطط لاقتلاع آخر مملكة صليبية في المشرق، وهي مملكة عكا، فأقام مخيماً على مشارف القاهرة يحضِّر للمعركة الفاصلة، ولكن المرض أَلمَّ به، فعاجله الموت وانتقل إلى الرفيق الأعلى في ٦/ذي القعدة/٦٨٩هـ-١٢٩٠م، رحمه الله تعالى وجزاه خيراً عن الإسلام والمسلمين[2].

قائد

الملك الأشرف خليل بن سيف الدين قلاوون، قائد إنهاء الصليبية في المشرق الإسلامي، من عام /٦٨٩ هـ إلى ٦٩٣ هـ /.

بعد وفاة الملك المنصور سيف الدين قلاوون في معسكر التحضير لتحرير عكا، تولى الحكم من بعده ابنه الملك الأشرف خليل.

ومن الملفت لنظر الباحثين، أن وفاة السلطان قلاوون لم تؤدِّ إلى انشقاقات وصراعات داخلية كما جرى في عهود أسلافه، وهذا استثناء فريد أتاح لجبهة المقاومة الإسلامية استئناف مسيرتها مباشرة دون انتظار!!.

ففي عام /٦٩٠هـ/ أصدر الملك الأشرف أمراً بالاستعداد لمعركة تحرير

(١) السلوك، للمقريزي، (٢/٢١١)، والحركة الصليبية، عاشور، (٢/١١٧٣ ومابعدها).

(٢) السلوك، للمقريزي، (٢/٢١٧)، والنجوم الزاهرة، لابن تغري، (٧/٣٢٣)

عكا، فجهزت أعواد المجانيق في دمشق على وجه السرعة، وتوجه أمراء دمشق وحماة والمدن الأخرى والحصون إلى عكا، ووصل إليها الملك الأشرف في ٣/ربيع الأول/٦٩٠هـ-١٥/٤/١٢٩١م، وبدأ بحصار عكا، وعلى الصعيد الآخر كان الصليبيون قد حشدوا قواتهم في عكا، فجاءها مدد من الصليبيين المتعصبين من أوروبا، وحشد الداوية والإستبارية (وحدات خاصة) كلَّ قواهم، وجاء عساكر من قبرص. وحاصر الملك الأشرف خليل عكا مدة أربعة وأربعين يوماً كان يتخللها إغارات متبادلة.

وفي يوم الجمعة ١٧/جمادى الثاني/٦٩٠هـ-١٨/٥/١٢٩١م، شن الملك الأشرف الهجوم الحاسم على عكا، وبعد قتال ضارٍ حُررت عكا آخر الكيانات الصليبية في المشرق الإسلامي، وقُتل وأُسر أعداد كبيرة جداً من الصليبيين، ومن نجا منهم فرَّ عن طريق البحر[1].

وهكذا انتهى الوجود الصليبي في عكا، بعد احتلال دام /١٩٩/ سنة. وبعد انكسار الصليبيين في عكا، وقبل تنظيفها منهم، توجهت قوة من المقاتلين المسلمين إلى **مدينة صور**، وما إن وصلت طلائعهم إليها حتى فرَّ قادتها وعساكرها إلى قبرص، ودخلها المسلمون وحرروها نهائياً في ٦٩٠هـ-١٩/٥/١٢٩١م.

وزحفت قوة أخرى شمالاً نحو **مدينة صيدا**، التي يسيطر عليها صليبيو

(١) تاريخ الحروب الصليبية، رنسيمان، (٦٩٧/٣ ومابعدها).

الداوية (وحدات خاصة)، وفي رجب/٦٩٠هـ-١٤/٧/١٢٩١م، حررها المسلمون بقيادة الأمير علم الدين سنجر الشجاعي.

ومن صيدا واصلت القوات الإسلامية زحفها شمالاً إلى **بيروت**، فلاذت حاميتها بالفرار، وفي آخر رجب من العام نفسه حررها المسلمون.

وفي شعبان/٦٩٠هـ-٣/٨/١٢٩١م، حررت **طرطوس** (انطرطوس) وقلعتها، وتلاها تحرير **قلعة عثليث** في ١٤/آب من العام نفسه على يد الأمير الشجاعي.

وكانت قوة أخرى قد توجهت إلى **حيفا** جنوب عكا، فقامت بتحريرها في العام نفسه[١].

وفي ١٢/محرم/٦٩٣هـ-١٢٩٤م، انتقل الملك الأشرف إلى الرفيق الأعلى[٢].

وكانت تصفية آخر جيب للصليبيين في **جزيرة أرواد** بتاريخ صفر/٧٠٢هـ-١٣٠٣م على يد جيش الملك الناصرمحمد بن قلاوون، **بعد احتلالها الذي دام /٢١١/ سنة. وبهذا التحرير طويت صفحة العدوان الصليبي على مصر وبلاد الشام**[٣] .

---

(١) السلوك، للمقريزي، (٢/٢٢٣ ومابعدها)، والحركة الصليبية، عاشور، (٢/١١٧٦ ومابعدها).
(٢) السلوك، للمقريزي، (٢/٢٤٥ ومابعدها)، والنجوم الزاهرة، لابن تغري، (٨/١٥ ومابعدها).
(٣) السلوك، للمقريزي، (٢/٣٥٤)،وتاريخ الحروب الصليبية، رنسيمان، (٣/٧١٢).

 المطلب التاسع: المدافعون عن الرسالة والرسول ﷺ وصُنّاع الصحوة والنصر ضد العدوان الصليبي المشهور.

إضاءة

إن النصر العظيم الذي حققته الأمة الإسلامية بدحر العدوان الصليبي الذي دام ما يقارب القرنين، لم يكن وليد صدفةٍ، أو حدثٍ عابرٍ، أو إنجازٍ خارقٍ لم يكن للإنسان دور فيه. بل تحقق هذا النصر بسبب توافر متطلباته وعوامله..

وكان أهمها ما يلي:

أولاً: دور صُنَّاع الصحوة والنصر من العلماء المجددين.

قام مجموعة من العلماء المجددين ببذل كل ما في وسعهم لتغيير أحوال الأمة الإسلامية، بعد أن سادت وتفشَّت الوقائع التالية:

١- سيطر على بعض العلماء التعصب والتقليد والجمود، والتكالب على المناصب والمصالح وفتات الدنيا.

٢-سيطر على أغلب الحكام التقاتل والتنازع للحفاظ على كرسي الحكم، أو لتوسيع مناطق النفوذ، وجمع الأموال والثروات، والبحث عن الأهواء والملذات،وأهملوا الأخذ بالاستعدادات اللازمة لتوحيد الأمة سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، وصدِّ أعدائها المتربصين، وانحصر همهم ببناء جيوش على مقاسهم، مهمتها الحفاظ على حكمهم وسلطانهم وأطماعهم، وليس بناء جيوش قادرة على مواجهة الأعداء وحماية البلاد والعباد، وفرض احترام أمة المسلمين وهيبتها على أعدائها.

٣-تخلفت الأمة عن الجهاد في سبيل الله، والدفاع عن الأوطان، وانشغلت في البحث عن توفير متطلبات المعيشة، التي غدت صعبة المنال، وانتشرت الأمراض الاجتماعية، وتفشى الذل والخنوع والاستسلام لواقع الحال.

في ظل تلك الظروف الصعبة، والأجواء القاتمة، عملت فئات من العلماء على محاور عدة، لبعث الصحوة في الأمة.

الفئة الأولى من صناع الصحوة والنصر من العلماء:

كان في مقدمتهم:

١- الإمام محمد الغزالي أبو حامد[١]، مؤسس المدرسة الغزالية في طوس وغيرها.

٢-الإمام الشيخ عبد القادر الجيلاني[٢]، مؤسس المدرسة القادرية في بغداد.

٣-الشيخ أبو البيان نبأ بن محمد بن محفوظ الدمشقي[٣]، مؤسس المدرسة البيانية في دمشق.

٤-الشيخ رسلان الجعبري[٤] مؤسس مدرسة الشيخ رسلان في دمشق.

٥-الشيخ عدي بن مسافر[٥] مؤسس المدرسة العدوية في الجبال

(١) ولد عام (٤٥٠هـ-١٠٥٨م) وتوفي عام (٥٠٥هـ-١١١١م)، وعاش /٥٥/سنة.

(٢) ولد عام (٤٧٠هـ-١٠٧٨م) وتوفي عام (٥٦١هـ-١١٦٦م)، وعاش /٩١/سنة.

(٣) توفي عام (٥٥١هـ-١١٥٦م).

(٤) توفي عام (٥٥٠هـ-١١٥٥م).

(٥) توفي عام (٥٥٧هـ-١١٦٢م).

"الهكارية" الكردية شمال العراق.

٦-الإمام الشيخ أحمد الرفاعي[١] مؤسس المدارس الرفاعية في جنوب العراق.

٧-الشيخ حياة بن قيس الحراني[٢] مؤسس المدرسة الحرانية في حرَّان جنوبي شرقي تركيا، وغيرهم[٣] ..

إضاءة

ركَّزت هذه الفئة على التجديد والإصلاح في مجال التربية والتعليم والفكر الإسلامي، وإخراج جيل جديد من العلماء المجددين لقيادة التغيير والإصلاح، وإحياء روح الجهاد في الأمة.

وسلكت لتحقيق ذلك السُّبل التالية:

١- افتتاح أعداد كبيرة من المدارس التعليمية والتربوية، لتخريج العلماء المجددين القادة، وليس لتخريج موظفين من الأئمة والخطباء المتكسبين.

٢- إصلاح المناهج التعليمية.

٣- إحياء النظرة النقدية للتراث الإسلامي، لتمحيصه من الأفكار الخاطئة والانحرافات التي اخترقت الاختصاصات كافة، في الفقه والتفسير والعقيدة والتصوف وغيرها، وأخذ ما يصح ونبذ ما لا يصح.

٤- إصلاح التصوف، وتقييده بالكتاب والسنة.

---

(١) توفي عام (٥٧٨هـ-١١٨٢م).

(٢) توفي عام (٥٨١هـ-١١٨٥م).

(٣) للتوسع انظر: هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، د.ماجد عرسان الكيلاني، (ص/١٠٧ وما بعدها).

٥- التركيز على علم تزكية النفوس، وتخليتها من صفاتها المرذولة، وتحليتها بالفضائل والصفات والأخلاق الحميدة.

٦- التركيز على التربية الروحية، والترقي الروحي بذكر الله تعالى، ومراقبته على كل حال، والاستحياء من نظره.

٧- محاربة الاتكالية والدعوة للعمل.

٨- محاربة الأفكار المنحرفة.

٩- إعادة نشاط الدعوة إلى الله تعالى في المستويات كافة، وعلى نطاق واسع.

١٠- إحياء دور العقل والأخذ بالأسباب.

١١- إحياء دور المرأة في التربية والتعليم والإصلاح.

١٢- إخراج جيل جديد من علماء الصحوة المجددين، وإصلاح دور العلماء ليرتقوا إلى المكانة اللائقة بهم، تزكية وإخلاصاً، وعلماً صحيحاً، وعملاً حكيماً، ورؤية واضحة، وقدرة على التضحية، وفهماً شاملاً لمقاصد الشريعة، وثقافة واسعة، ووعياً ونضجاً، وإرادة قوية، وهمَّة عالية...

لأن فساد الأمة بفساد حكامها وعلمائها.

وأسباب فساد العلماء -في هذه الحقبة- **كثيرة، ومنها:**

١-فساد التربية والعلوم.

٢-الانشغال بالشكليات وإهمال الجوهر.

٣-إهمال فقه الأولويات.

٤-إهمال فقه التدرج.

٥-إهمال فقه الحكمة.

٦-الانعزال، وعدم معرفة الواقع.

٧-ضعف التربية الروحية والتزكية ومجاهدة النفس.

٨-الضعف في فهم مقاصد الشريعة.

٩-الضعف في الوعي والنضج.

١٠-الضعف في المؤهلات والخبرات.

١١-ضعف القدرة على التضحية.

١٢-الانغماس في متطلبات المعيشة.

١٣-ضعف الإرادة والعزيمة والحماسة المتزنة.

١٤-الضعف في الرؤية والتبصر.

١٥-استعجال الأمور قبل نضجها.

١٦-التعصب للمذهب والجماعة وعدم الخضوع للحق.

١٧-التخاصم والصراع الذي أدى إلى تمزيق وحدة الأمة، وظهور الجماعات المتعادية، والمذهبيات المفرقة.

١٨-افتقاد التعاون والتنسيق والتكامل مع العلماء والدعاة الآخرين.

١٩- الاختلاف والصراعات بين الجماعات.

٢٠-الوقوع في مرض الغلو والتطرف.

٢١-الخضوع للأمراء والأغنياء حباً في المال والجاه.

٢٢-إضاعة الوقت في الخلافيات والمجادلات بقصد المنافسة والمباهاة.

٢٣-الاجتهاد في استمالة قلوب الناس كسباً للمال والجاه.

٢٤-الاغترار بكثرة الأتباع.

٢٥-التباري والتنافس في تحصيل العلوم التقليدية مع الغفلة عن العلوم التي ترتبط بمصالح الأمة، بل التقليل من شأنها وازدرائها.

٢٦-ترويج ثقافة الفقر واستحسانها حتى افتقرت الأمة وأصابها الضعف والوهن والتخلف.

٢٧-الانتساب للتصوف شكلاً، وإهمال مجاهدة النفس وغفلة القلب وتطهير الباطن، والوقوع في الشبهات.

٢٨-اتخاذ التصوف شبكة للرياسة وجمع المال.

٢٩-جعل التصوف باباً للشطحات، والكلام غير المقيد بالكتاب والسنة، مما أدى إلى تشويش العقول والأفهام.

٣٠-الانشغال بتحسين تلاوة ألفاظ القرآن، مع الغفلة عن فهم معانيها والعمل بها وتعليمها وتحقيق مقاصدها.

٣١-عدم الاهتمام بحل المشاكل الجوهرية التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية.

٣٢-التنافس بتكرار أداء الحج، وإقامة الولائم والاحتفالات، وإهمال حاجات الفقراء والمساكين.

يقول الإمام الغزالي: (وهلك الخلق لفقد الأطباء (أي العلماء) بل اشتغل الأطباء بفنون الإغواء. فليتهم إذا لم ينصحوا لم يغشوا، وإذا لم يصلحوا لم يفسدوا، وليتهم سكتوا وما نطقوا)[1].

(١) إحياء علوم الدين، للإمام الغزالي، (٤/٥١).

ويدعو الغزالي إلى نشر العلماء الربانيين، الصالحين المصلحين، المجددين في كل مكان، لأنهم هم أطباء القلوب والعقول، ومفاتيح السعادة، ويُحمِّل هذه المسؤولية للعلماء والحكام على السواء، فيقول: (وهذا فرض عين على العلماء كافة، وعلى السلاطين كافة، أن يرتبوا في كل قرية وفي كل محلَّة فقيهاً متديناً يعلِّم الناس دينهم، فإن الخلق لا يولدون إلا جهالاً. فلا بد من تبليغ الدعوة إليهم في الأصل والفرع، والدنيا دار المرضى، إذ ليس في بطن الأرض إلا ميت، ولا على ظهرها إلا سقيم. ومرضى القلوب أكثر من مرضى الأبدان، والعلماء أطباء، والسلاطين قُوَّام دار المرضى)[1].

إضاءة

استطاع هؤلاء العلماء من صنّاع الصحوة المجددين بفضل حركتهم الإصلاحية أن يخرِّجوا جيلاً جديداً من العلماء المؤهلين لقيادة التغيير والإصلاح، وإحياء روح الجهاد الحق في الأمة..

فأخذ العلماء يتحدثون في دروسهم وعلى منابرهم وفي المناسبات كافة عن فضل بيت المقدس وبلاد الشام، وواجب الجهاد ضد الصليبيين لتحريرها، وفضل الجهاد والمجاهدين، وواجب الحكام ببناء الجيوش القوية لتحقيق التحرير، وانتشرت الكتب والمؤلفات التي تتحدث عن هذه القضايا، وكان نتيجة ذلك أن سرت الدعوة إلى الجهاد وتحرير المقدسات في كل أنحاء العالم الإسلامي، مما مهَّد لظهور قيادات سياسية وعسكرية تبنَّت قضية الجهاد

(١) المصدر السابق، (٤/٥١).

والتحرير وكان أولهم المجاهد الكبير عماد الدين زنكي.

جهود الفئة الثانية من صناع الصحوة والنصر من العلماء:

إضاءة

ركزت هذه المجموعة من العلماء على دعم قادة الجهاد والمقاومة، عقائدياً وفكرياً، ومساعدتهم بالتعبئة الدينية؛ لإحياء روح الجهاد في الأمة، وتقديم النصيحة والمشورة لهم، وتحمُّل مسؤوليات محددة إلى جانبهم..

وسوف نتحدث على نحو مختصر عن بعضهم على سبيل المثال لا الاستقصاء.

١- من هؤلاء **العالم القاضي بهاء الدين الشهرزوري** [(١)]، الذي كان وراء وصول عماد الدين زنكي إلى زعامة جبهة المقاومة الإسلامية، وكان عماد الدين يستشيره في معظم الأمور المهمة في دولته، حتى صرَّح ابن الأثير بذلك، فقال: (وكان لا يصدر إلا عن رأيه)[(٢)].

وتحدث أبو شامة عن ذلك فقال: (وكان بهاء الدين أعظم الناس عنده منزلة، وأكرمهم عليه، وأكثرهم انبساطاً معه، وقرباً منه، ورتب الأمور على أحسن نظام وأحكم قاعدة) [(٣)].

٢- **ومنهم الإمام الحافظ ابن عساكر**[(٤)]، كان إمام المحدثين في عصره،

---

(١) ولد عام /٥٣٢هـ-١١٣٨م/.

(٢) الكامل في التاريخ، لابن الأثير، (٢٤٣/٩).

(٣) انظر: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، أبو شامة المقدسي، (١١٦/١).

(٤) ولد عام /٤٩٩هـ-١١٠٦م/ وتوفي عام /٥٧١هـ-١١٧٦م/، وعاش /٧٢/ سنة.

حافظاً متقناً ذكياً، وكان مجتهداً في العبادة، محافظاً على وقته، آمراً بالمعروف، وناهياً عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، بعيداً عن الدنيا ومناصبها وجاهها.

فقد كان عوناً **للملك العادل نور الدين** على توحيد البلاد والجهاد، وسخَّر طاقاته الفكرية والعقائدية لتحقيق ذلك، فجمع في مؤلَّف "الأربعون حديثاً في الحث على الجهاد" لتربية المجتمع والجند على ثقافة الجهاد.

وعمل على تثقيف المجتمع ودفعه للوقوف يداً واحدة مع نور الدين قائد جبهة المقاومة الإسلامية ضد العدوان الصليبي في عصره.

وقد استفاد نور الدين من التعبئة الفكرية والجهادية التي قام بها ابن عساكر وكرَّس لها جلَّ حياته ووقته.

ونبَّه ابن عساكر في مؤلفاته المجتمعات الإسلامية وحكام المسلمين إلى أهمية بلاد الشام وواجب تحريرها من المعتدين.

وحضَّ ابن عساكر نور الدين على الجهاد لتحرير البلاد والعباد، وإقامة العدل، وتخفيف الضرائب والالتزامات المادية عن عامة الناس، والاجتهاد في البناء الداخلي، وكان عوناً له على ذلك(١).

٣- ومنهم العالم الناصح أبو عثمان المنتخب البحتري الواسطي :

---

(١) للتوسع انظر: ابن عساكر ودوره في الجهاد ضد الصليبيين، د.أحمد حلواني، دار الفداء- دمشق، (ص/٤٦).

كان من كبار الصالحين، وكان ناصحاً صادقاً مخلصاً ودوداً، وكان يجتمع في مجلس وعظه الآلاف من الناس، وكان زاهداً لا يقبل من السلطان ولا من غيره شيئاً.. قدم النصائح للملك العادل نور الدين زنكي .. وخاصة عندما بدأ الشعب يعاني من العشور والمكوس (الضرائب) التي فرضها عليه نور الدين من أجل توفير المال لنفقات جهاد الصليبيين ..

لم تكن كلماته في النصيحة سهلة ولكن إخلاصه ومحبته لنور الدين ومعرفة نور الدين بذلك جعلها برداً وسلاماً وآتت أكلها ..

ففي قصيدة شعرية يخاطب بها نور الدين ناصحاً كما ينصح الأب ابنه بلا قيود، قال :

مثل وقوفك أيها المغرور ... يوم القيامة والسماء تمور

إن قيل نور الدين رحت مسلماً ... فاحذر بأن تبقى وما لك نور

أنهيت عن شرب الخمور وأنت في ... كأس المظالم طائش مخمور

عطلت كاسات المدام تعففاً ... وعليك كاسات الحرام تدور

ماذا تقول إذا نقلت إلى البلى ... فرداً وجاءك منكر ونكير

ماذا تقول إذا وقفت بموقف ... فرداً ذليلاً والحساب عسير

وتعلقت فيك الخصوم وأنت في ... يوم الحساب مسلسل مجرور

وتفرقت عنك الجنود وأنت في ... ضيق القبور موسد مقبور

ووددت أنك ما وليت ولاية ... يوماً ولا قال الأنام أمير

وبقيت بعد العز رهن حفيرة ... في عالم الموتى وأنت حقير

وحشرت عريانـــــــاً حزينـاً باكيـاً	قلقـاً وما لك في الأنام مجيـــر
أرضيت أن تحيـا وقلبـــــك دارس	عاف الخراب وجسمك المعمور
أرضـيت أن يحظـى سـواك بقربـه	أبـــداً وأنـــت مبعـــدمهجور
مهـد لنفسـك حجـــة تنجـو بهـــا	يوم المعـــاد ويوم تبدو العـــور

فلما سمع نور الدين هذه الأبيات بكى بكاءً شديداً وأمر بوضع المكوس والضرائب في سائر البلاد [1] .

رحم الله الواعظ الصالح ، والحاكم الصالح المتعظ ..

فبهما تنهض الأمة وتنتصر على أعدائها ..

وكتب نور الدين إلى الناس يستسمح منهم ليحلل نفسه مما أخذ منهم ، ويقول لهم إنما صرفت ذلك في قتال أعدائكم من الكفرة ، والذب عن بلادكم ونسائكم وأولادكم، وكان يقول لهم :

" والله ما أخرجناها إلا في جهاد عدو الإسلام...

وكان في تهجده يقول: ارحم العشار المكاس!!.. "[2]

انظروا إلى فقه الحاكم وورعه !! ..

رحم الله العلماء الواعظين الناصحين المخلصين المصلحين ..

ورحم الله الحكام الورعين المخلصين الصالحين المتفقهين الخاضعين لأمر الله ورسوله وشريعته فبهؤلاء العلماء وهؤلاء الحكام تنهض الأمة وتقوى وتنتصر .

(١) انظر: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، لأبي شامة، (١/٥٥ ومابعدها).
(٢) المصدر السابق، (١/٥٤) .

٤-ومنهم **الفقيه الصوفي قطب الدين النيسابوري**[(١)]، فقيه عصره، ساهم في النهضة العلمية وإنشاء المدارس والتدريس في عصر الملك العادل نور الدين محمود، وكان مستشاراً وناصحاً له، يقول أبو شامة في الروضتين عن علاقة نور الدين بالقطب النيسابوري: وهو مشغوف ببركة أنفاسه، واغتنام كلامه واقتباسه [(٢)].

كما ساهم النيسابوري في تعليم صلاح الدين الأيوبي وتربيته، فقد ألف له كتاباً في العقيدة جمع فيه جميع ما يُحتاج إليه في هذا الباب، وكان (صلاح الدين) من شدة حرصه عليه يعلم هذه العقيدة الصغار من أولاده. يقول ابن شدَّاد: (ورأيته وهو يأخذهم عليها، وهم يقرؤونها) [(٣)].

٥- ومنهم **الفقيه العالم ضياء الدين عيسى بن محمد الهكاري**[(٤)]، الذي جمع العلم بالشريعة مع فنون الحرب، فكان أكبر أمراء الجيش لدى صلاح الدين الأيوبي، وكان قبل ذلك إمام الصلاة في الجيش، ولكن حنكته العسكرية وشجاعته الفائقة أهَّلته أن يكون كبير القادة العسكريين[(٥)].

يقول عنه ابن خلكان: (كبير القدر وافر الحرمة معولاً عليه في الآراء

(١) ولد عام /٥٠٥هـ-١١١٢م/، وتوفي عام /٥٧٨هـ-١١٨٢م/، وعاش /٧٣/ سنة.

(٢) انظر: الروضتين،لأبي شامة، (٢٦٣/٢) و(٥٢/١).

(٣) انظر:النوادر السلطانية، لابن شداد، (ص/٣٣).

(٤) توفي عام /٥٨٥هـ-١١٨٩م/.

(٥) الكامل في التاريخ، لابن الأثير، (١٩٠/١٠).

والمشورات... ولما توفي أسد الدين اتفق الفقيه عيسى المذكور والطواشي بهاء الدين قراقوش ... على ترتيب السلطان صلاح الدين موضعه في الوزارة، **ودققا الحيلة في ذلك حتى بلغا المقصود**... ولم يكن (أي صلاح الدين) يخرج عن رأيه)[1].

٦-ومنهم **العالم القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي**[2]، الذي قال عنه الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي: (لم أفتح البلاد بسيفي، وإنما برأي القاضي الفاضل)، وكان القاضي الفاضل يجمع إلى حنكته السياسية ورعاً فائقاً، وكان القاضي الفاضل وزير صلاح الدين المقرَّب ومستشاره الأول. [3]

وكان الفاضل عشير صلاح الدين ويده اليمنى في جميع أعمال الإدارة والسياسة والحرب، بل في أخص الشؤون العائلية للأسرة الأيوبية. [4]

(وكان القاضي الفاضل من البراعة ما جعله ينطق عن ضمير صلاح الدين بكل ما يريد، وأحلَّه ذلك من نفسه منزلة عالية، فصرَّح له أنه أعزُّ عليه من أهله وأولاده، كان إذا سافر في غزوة ما تركه لتدبير الأمر في القاهرة ،كاتبه (أي

---

(١) انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان، (٣/٤٩٧).

(٢) ولد عام /٥٢٩هـ-١١٣٥م/، وتوفي عام /٥٩٦هـ-١٢٠٠م/، وعاش /٦٧/سنة.

(٣) انظر: هكذا ظهر جيل صلاح الدين،د.ماجد عرسان الكيلاني، (ص/٤٩٦).

(٤) انظر: الفتح القُسِّي في الفتح القدسي، عماد الدين الكاتب الأصفهاني (ت:٥٩٧هـ)، دار المنار، مطبوع تحت عنوان: حروب صلاح الدين، الطبعة الأولى [٢٠٠٤م]، (ص/٥).

صلاح الدين) طالباً المشورة، جاعلاً له الكلمة على من خلفه..) [1].

(وأما زعامة الفاضل العلمية فتظهر من أنه كان القائم على تنفيذ هذه الخطة الذهبية، وهي الخطة التي جاء بها صلاح الدين إلى الديار المصرية، وتتلخص في إنشاء المدارس العلمية التي تحارب بها الدولة الأيوبية عقائد الدولة الفاطمية، وقد نجح السلطان ووزيره في هذه الخطة التي رسماها نجاحاً لا يفوق مثله... ويسجل التاريخ للقاضي الفاضل أنه هو الذي رشَّح صلاح الدين للخليفة العاضد وأقنعه أن يجعله وزيراً بعد أسد الدين شيركوه) [2].

٧-ومنهم **الفقيه العالم بهاء الدين قراقوش**[3]، الذي كان قائداً عسكرياً شجاعاً، وسياسياً حكيماً، وإدارياً موهوباً، ولَّاه صلاح الدين على عكا، كما ولَّاه الإدارة في القاهرة[4].

٨-ومنهم **الفقيه المؤرخ بهاء الدين يوسف بن رافع الشهير بابن الشداد**[5]، درس في المدرسة النظامية في بغداد، ثم في مدرسة القاضي كمال الدين الشهرزوري في الموصل، وتمسك به صلاح الدين الأيوبي فأبقاه عنده في دمشق، فقرأ عليه أذكار البخاري، وكتابه في الجهاد وأحكامه وآدابه، وقد

---

(١) انظر: صلاح الدين قاهر العدوان الصليبي، د. محمد رجب البيومي، دار القلم-دمشق، الطبعة الأولى، [١٤١٨هـ-١٩٩٨م]، (ص/٢٢٢).

(٢) المصدر السابق، (ص/٢٢٤).

(٣) توفي عام /٥٩٧هـ-١٢٠١م/.

(٤) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، (١٣/٣٧).

(٥) ولد عام /٥٣٩هـ-١١٤٥م/، وتوفي عام /٦٣٢هـ-١٢٣٥م/، وعاش /٩٣/ سنة.

عيَّنه صلاح الدين قاضياً لعسكره وللقدس الشريف، وظل ابن شداد في صحبة صلاح الدين يساعده إلى أن أدركته المنية، وكان ابن شداد والقاضي الفاضل إلى جانبه حين وفاته.. ولعب ابن شداد دوراً مهماً في التقريب بين أولاد صلاح الدين، والتوفيق بينهم، وفض النزاع بينهم[1].

٩-ومنهم **الإمام عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي**[2]، "سلطان العلماء" في عصره كما وصفه تلميذه ابن دقيق العيد.

عاصر الحروب الصليبية ، وسقوط بغداد عاصمة الخلافة العباسية على يد جيوش التتار بقيادة هولاكو، كما عاصر سقوط الدولة الأيوبية وتمزقها إلى دويلات تتنازع فيما بينها، وتتآمر على بعضها البعض.

كان خطيب الجامع الأموي في دمشق، وكان خطيباً بارعاً مؤثراً في قلوب السامعين وعقولهم، وكان ناصحاً شجاعاً.. عمل على توحيد كلمة المسلمين لمواجهة الأخطار المحدقة بهم، ولكن الحكامَ أتباعَ الأهواء والمصالح الشخصية تشبثوا بسلطانهم، بل إنهم تحالفوا مع الصليبيين ضد بعضهم !!.. وهذا ما فعله الملك الصالح إسماعيل ملك دمشق حينما تحالف مع الصليبيين واستنصر بهم على ابن أخيه الملك الصالح نجم الدين أيوب ملك مصر، وقدَّم لهم مقابل التحالف التنازل عن صفد وصيدا وقلعة الشقيف وغيرها، كما

---

(١) انظر: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، لابن شداد، (ص/٥ ومابعدها).

(٢) ولد عام /٥٧٧هـ-١١٨١م/ في دمشق، وتوفي عام/ ٦٦٠هـ-١٢٦٢م/، وعاش /٨٣/سنة.

سمح للصليبيين بدخول دمشق لشراء السلاح لقتال المسلمين في مصر!!..

فهبَّ الشيخ الشجاع يدافع عن المسلمين، وأفتى بحرمة بيع السلاح للصليبيين، وألقى خطبة مدوية على منبر الجامع الأموي في دمشق استنكر فيها خيانة المسلمين والتحالف مع أعدائهم، وذمَّ فعل الملك إسماعيل، وقطع الدعاء له في الخطبة، وصار يدعو بدعاء منه" اللهم أبرم لهذه الأمة إبرام رشد، تُعزُّ فيه أولياءك، وتذل فيه أعداءك، ويعمل فيه بطاعتك، وينهى فيه عن معصيتك" والناس يضجون بالدعاء..

فقام السلطان بعزله من الخطابة وسجنه، ثم أطلقه خوفاً من ثورة أهل دمشق عليه.

فسافر إلى مصر عام /٦٣٩هـ-١٢٤١م/ وتابع عمله في التعليم والإرشاد والفتوى والخطابة ونصح الملوك كما فعل مع الملك الصالح نجم الدين أيوب والملك الظاهر بيبرس، وحمل السلاح ضد الصليبيين[١].

١٠-ومنهم **الإمام محي الدين النووي**[٢]، كان ينصح الملوك، ومنهم الملك الظاهر بيبرس، فدعاه للإشفاق على الرعية ومراعاة أحوالهم[٣]، قال

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، للمقريزي، (١/ ٤٠٧ ومابعدها)، والبداية والنهاية، لابن كثير، (١٨١/١٣ ومابعدها).

(٢) ولد عام /٦٣١هـ-١٢٣٤م/ في مدينة نوى جنوبي سورية، وتوفي عام /٦٧٦هـ-١٢٧٧م/، وعاش /٤٥/سنة.

(٣) انظر: حسن المحاضرة ، لجلال الدين السيوطي،(٦٧/٢ وما بعدها).

عنه السيوطي في طبقات الحفاظ: (وكان إماماً بارعاً حافظاً متقناً، أتقن علوماً شتى، وبارك الله في علمه وتصانيفه؛ لحسن قصده، وكان شديد الورع والزهد، أمَّاراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، تهابه الملوك)[١].

١١-ومنهم **الشيخ عمر بن قدامة الحنبلي**[٢]، كان عالماً زاهداً تقياً خطيباً، وكان كثير الصحبة للملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، وما كان ينقطع عن غزو الصليبيين معه.

إضاءة

هذه الفئة من العلماء ركزت جهودها على الإصلاح في مجال السياسة والحكم..[1]

وسلكت لتحقيق ذلك السبُل التالية:

١-مشاركة بعضهم في الحملات الجهادية، والقتال في صفوف الجيوش، ومرافقة قادة جبهات المقاومة في حروبهم ضد الصليبيين.

٢-إقامة تحالف بين العلماء المجددين الربانيين وبين الحكام والعسكريين المجاهدين.

٣-تقديم الدعم العقائدي والفكري للحكام قادة جبهة المقاومة الإسلامية ضد العدوان الخارجي.

---

(١) انظر: طبقات الحفاظ،للسيوطي (٥١٣/١).

(٢) ولد عام /٥٢٨هـ-١١٣٤م/ وتوفي عام /٦٠٧هـ-١٢١٠م/، وعاش /٧٩/ سنة.

(٣) علماً بأن لبعضهم جهوداً في مجال الإصلاح والتجديد في التربية والتعليم.

٤-التعبئة الفكرية والدينية لإحياء روح الجهاد في الأمة ودعم المجاهدين، من خلال دروسهم وخطبهم في المساجد، وتصنيفهم الرسائل والكتب المتعلقة بالجهاد وأحكامه، واستثارة مشاعر المسلمين بالأشعار الجهادية.

٥-بيان مكانة بيت المقدس وبلاد الشام في الإسلام، وأهمية تحريرها والدفاع عنها.

٦-حث الحكام على الجهاد والتحرير.

٧-مناصحة الحكام، وحثهم على إقامة العدل.

٨-دعوة الحكام للإشفاق على الرعية، ومراعاة أحوالهم، والتعفف عن أموالهم.

٩-دعوة الحكام للالتزام بتعاليم الإسلام، وتطبيق الشريعة.

١٠-دعوة الحكام لتنفيذ برامج إصلاحية.

١١-دعوة الحكام لاختيار القادة المؤهلين.

١٢-دعوة الحكام لبناء جيش قوي، والتركيز على الصناعات العسكرية.

الفئة الثالثة من صنَّاع الصحوة والنصر من العلماء:

إضاءة

اجتهدت هذه الفئة في مواجهة الحملات الصليبية الفكرية على الإسلام والقرآن والنبي ﷺ. فقد ركزت جهودها على تحقيق هزيمة الهجوم الصليبي الفكري، من جهة، وشن هجوم معاكس على أصول الفكر الصليبي وبيان مفاسده وبطلانه، من جهة أخرى..

وسوف نتحدث عن بعضهم على نحو مختصر، على سبيل المثال لا الاستقصاء.ومن هؤلاء:

١- **الإمام الجويني**[١]، "إمام الحرمين"، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني، معلم العلماء في المدرسة النظامية في نيسابور، تتلمذ على يديه الإمام الغزالي، وساهم في تحصين الأمة ضد دعاوى النصارى الصليبيين، وتوفي قبل بدء الحروب الصليبية على بلاد الشام بعشر سنوات. فألف كتابه تحت عنوان "شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل"، حيث بيَّن في كتابه حقيقة ما جرى من تحريف في التوراة والإنجيل، وكيف دُوِّنت التوراة عبر مئات السنين، والفروق بين التوراة العبرانية واليونانية، ثم بيَّن بعض التناقضات في الإنجيل، فترك وراءه جيلاً من العلماء المحصنين ضد دعاوى النصارى الصليبيين[٢] .

٢-ومنهم **الإمام الغزالي**[٣]، "أبو حامد"، محمد بن محمد الطوسي الغزالي، مجدد القرن وباعث الصحوة الإسلامية، وباني جيل جديد من علماء الصحوة.

عاش أول ثماني سنوات من الحروب الصليبية على بلاد الشام، وزامن سقوط القدس، وساهم في تحصين الأمة ضد دعاوى النصارى الصليبيين، فألف كتاباً عنوانه "الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل"، ردَّ فيه على

---

(١) ولد عام /٤١٩هـ-١٠٢٨م/ في جوين من نواحي نيسابور، وتوفي عام /٤٧٨هـ-١٠٨٥م/، وعاش /٥٩/سنة.

(٢) انظر:سير أعلام النبلاء، للذهبي، (٤٤٣/٣٥ ومابعدها)، ووفيات الأعيان، لابن خلكان، (١٦٧/٣ ومابعدها).

(٣) ولد عام /٤٥٠هـ-١٠٥٨م/، وتوفي عام /٥٠٥هـ-١١١١م/، وعاش /٥٥/سنة.

عقيدة الحلول الإلهي في المسيح، وعقيدة التثليث عن طريق النصوص الواردة في الإنجيل، ودحض هذه المعتقدات، وبيَّن بطلانها [(١)].

٣-ومنهم **الإمام الشهرستاني**[(٢)]، "أبو الفتح"، محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، شيخ أهل الكلام والحكمة، إمام في الفلسفة، والمعرفة بالفِرَق والأديان والعقائد.

ولد قبل بدء الحروب الصليبية على بلاد الشام بسنة واحدة، وعاش سبعين سنة تقريباً يتجرَّع آلامها وويلاتها.

ساهم في تحصين الأمة ضد دعاوى النصارى الصليبيين، وداعميهم من الباطنيين.. فألف كتابه الشهير "الملل والنِّحَل" وجعل القسم الثاني منه مخصصاً للحديث عن اليهود والنصارى، وبيان فِرَقِهم، والرد على دعاويهم. [(٣)].

٤-ومنهم **أبو مروان عبد الملك بن مسرة اليحصبي**[(٤)]، من علماء قرطبة، محدِّث وفقيه أندلسي، ومن كبار العلماء.

اجتمع أساقفة طليطلة ووجهوا إليه كتاباً يثنون فيه على النصرانية،

---

(١) انظر:سير أعلام النبلاء، للذهبي، (٣٠٢/٣٧ ومابعدها)، ووفيات الأعيان، لابن خلكان، (٢١٦/٤ ومابعدها)، ومعجم المؤلفين، عمر كحالة، (٢٦٦/١١)..

(٢) ولد عام /٤٧٩هـ-١٠٨٦م/ ففي شهرستان، وتوفي عام /٥٤٩هـ-١١٥٤م/، وعاش /٧٠/ سنة.

(٣) انظر:سير أعلام النبلاء، للذهبي، (٢٨٥/٣٩ ومابعدها)، ووفيات الأعيان، لابن خلكان، (٢٧٣/٤ ومابعدها)، ومعجم المؤلفين، عمر كحالة، (١٨٧/١٠)..

(٤) توفي عام /٥٥٢هـ-١١٥٧م/.

ويطعنون في الإسلام، فبادر بالرد عليهم، وأظهر لهم جهلهم وتفاهتهم، وجعل ردَّه تحت عنوان "ميزان الصدق المفرِّق بين أهل الباطل وأهل الحق" وقد أفحمهم وأقام عليهم الحجة، وانتشر الرد بين المسلمين فقوي موقفهم، وتمكنوا من الرد على المشككين[(١)].

٥-ومنهم **عبد الله بن سهل الغرناطي**[(٢)]، "أبو محمد"، من علماء غرناطة الأندلسيين، الذين حاوروا الصليبيين وناظروهم فأفحموهم وأحرزوا الغلبة عليهم، أقام في "بياسة" أيام سيطرة قشتالة عليها، مما أتاح الفرصة له لمناظرة قساوستهم مرات عدَّة، فانتصر عليهم بالحجة والبرهان، فقد كان متمكناً من علوم المنطق، عارفاً بطرق المجادلة، ومتمرساً في فنون المحاججة[(٣)].

٦-ومنهم **أبو جعفر أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة الخزرجي القرطبي**[(٤)]، فقيه أندلسي اشتهر بالحفظ والإلمام بالتاريخ والأدب، عاش حياته والأندلس ممزقة بين ملوك الطوائف، ينهشها الصليبيون، وفي مقدمتهم "ألفونس السادس" ملك قشتالة.

ساهم في تحصين الأمة ضد دعاوى النصارى الصليبيين، فألَّف كتاباً تحت

---

(١) العبر في أخبار من ذهب، للذهبي، (١١٥/٢)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي، (١٦١/٤)، وجهود علماء الأندلس،محمد بن إبراهيم أبا الخيل، (ص/٣٩٢ ومابعدها)..

(٢) توفي عام /٥٧١هـ-١١٧٦م/.

(٣) جهود علماء الأندلس،محمد بن إبراهيم أبا الخيل، (ص/٣٩٥ ومابعدها).

(٤) ولد في عام /٥١٩هـ-١١٢٥م/ وتوفي عام /٥٨٢هـ-١١٨٦م/، وعاش /٦٣/سنة.

عنوان "مقامع هامات الصلبان وروائع رياض الإيمان"، ردَّ فيه على صليبيي طليطلة، وبيَّن فيه إعجاز القرآن الكريم، والأدلة على نبوة نبينا محمد ﷺ، ونفي الألوهية عن المسيح، ودافع فيه عن المسيح عليه السلام ضد إساءات اليهود [١].

٧-ومنهم **الإمام القرافي**[٢]، "أبو العباس" أحمد بن إدريس الصنهاجي البهنسي المشهور بالقرافي، فقيه، أصولي، مفسِّر.

عاش أثناء الحروب الصليبية، وساهم في تحصين الأمة ضد دعاوى الصليبيين، فألَّف رسالة بعنوان "الأجوبة الفاخرة"[٣]، ردَّ فيه على شبهات النصارى الصليبيين في عصره، فأفحمهم وأقام الحجة عليهم بالدليل والبرهان.

٨- وكتب أحد النصارى الصليبيين كتاباً أسماه "تثليث الوحدانية في معرفة الله" وبعث به من طليطلة إلى قرطبة، هاجم فيه دين المسلمين، وسوَّق كتابه بينهم ليُضلَّ الضعفاء منهم، وتطاول على الإسلام وتبجَّح أن علماء المسلمين في الأندلس ليس في مكنتهم مجاراته والرد على شبهاته، فتصدَّى له عالم من علماء قرطبة وردَّ عليه ردَّاً مُفحماً في كتابه "الإعلام بما في دين

---

(١)ا لأعلام، للزركلي، (١/٤٥٦)، وجهود علماء الأندلس،محمد بن إبراهيم أبا الخيل، (ص/٣٨٩ ومابعدها).

(٢) ولد عام /٦٢٦هـ-١٢٢٨م/ في مصر، وتوفي عام /٦٨٤هـ-١٢٨٥م/، وعاش /٥٨/سنة.

(٣) انظر: إفحام النصارى، إعداد سليمان بن صالح الخراشي،دار القاسم- الرياض، الطبعة الأولى [١٤١٩هـ].

النصارى من الفساد والأوهام"[1] .

وجرت مناظرات فيها الكثير من التحدي والمواجهة بين علماء المسلمين في الأندلس، وبين القساوسة الذين يهاجمون الإسلام والقرآن والنبي ﷺ ضمن جهودهم الصليبية في الحرب على المسلمين.

ومن تلك المناظرات المناظرة التي جرت في مدينة "مُرسِيَة" الواقعة تحت السيطرة الصليبية في الأندلس، بين أبي علي بن رَشِيق التغلبي[2]، وبين أحد القساوسة، وقد سجَّلها فيما بعد في أحد كتبه[3].

وهكذا واجه هؤلاء العلماء وغيرهم الحملات الصليبية المسمومة، التي استهدفت الإسلام عقيدة وشريعة، واستهدفت النبي ﷺ فطعنت في صدق نبوته وشوهت شخصيته ودعوته، وعملت على تنصير المسلمين.

وقد سلكت هذه الفئة من العلماء المدافعين عن الرسالة والرسول ﷺ لتحقيق أهدافهم في هزيمة الحرب الصليبية الفكرية، الطرق التالية:

---

(١) نُسب هذا الكتاب إلى الإمام القرطبي المفسر المشهور، محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي، المتوفى عام /٦٧١هـ-١٢٧٣م/، وقد بيَّن بعض المحققين عدم صحة نسبته إليه.
انظر: جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين والموحدين، /٤٨٣هـ-١٠٩٠م/، /٦٤٠هـ-١٢٤٢م/، د.محمد الحسين أبا الخيل، دار أصداء المجتمع- السعودية، الطبعة الأولى [١٤١٩هـ-١٩٩٨م].(ص/ ٤٠٠ ومابعدها)

(٢) توفي عام /٦٩٦هـ-١٢٩٦م/.

(٣) للتوسع انظر: المصدر السابق، (ص/٣٦٥ وما بعدها).

١-تأليف الكتب والرسائل، التي تتضمن الردود المفحمة، وتقيم الحجة عليهم بالبيان والبرهان، وتزهق دعاويهم الفكرية، بل تهاجمهم في أصولهم، وتبطل عقائدهم.

٢-إقامة المناظرات العلنية، وتحقيق النتائج السابقة نفسها.

٣-استخدام فن الشعر، وتأليف قصائد شعرية طويلة، تحقق الأهداف السابقة نفسها، ثم نشرها على أوسع نطاق.

٤-توعية المسلمين في خُطب الجمعة، والدروس الدينية في المساجد، والحلقات العلمية.

ثانياً: دور صنَّاع الصحوة والنصر من الحكام والعسكريين المجاهدين:

تصدى للعدوان الصليبي مجموعة من القادة السياسيين والعسكريين المخلصين، الذين توافرت فيهم صفات القيادة الناجحة، ومنها:

١- الإخلاص والاستعانة بالله تعالى، فلم تكن السلطة والدنيا همهم ولا مبلغ علمهم.

٢-الإرادة والعزيمة القوية.

٣-الرؤية الصحيحة والواضحة لجميع العوامل المؤثرة في وحدة البلاد وقوتها.

٤-تحديد الأهداف القريبة والبعيدة.

٥-تدبُّر العواقب.

٦-إقامة العدل.

٧-تنفيذ برنامج إصلاحي.

٨-العمل بالشورى وعدم الاستبداد.

٩-التخطيط الصحيح وتحديد الأولويات.

١٠-اختيار القادة المؤهلين.

١١-التنفيذ الصحيح ومتابعته.

١٢-المراجعة الشاملة للعمل.

١٣-التعاون والتنسيق مع العلماء والخبراء.

١٤-تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة.

١٥-التفاني في العمل.

١٦-الالتزام بالإسلام عقيدةً وشريعةً وتطبيقاً.

١٧-الأمانة والزهد والتعفف عن أموال الدولة وأموال الرعية.

١٨-البعد عن المظاهر، وترشيد الإنفاق، وبذل المال للمصلحة العامة.

١٩-بناء القوة العسكرية صناعة وتدريباً وعقيدة.

٢٠-توفير الأمن والأمان للمواطنين كافة.

٢١-قبول النصيحة والنقد البناء.

٢٢-العمل على توحيد البلاد، ومحاربة التفرق.

إن النصر العظيم على الصليبيين ساهم في صناعتة رجال الصحوة، المدافعين عن الرسالة والرسول ﷺ والمسلمين، من الحكام والعسكريين المجاهدين، وكان أبرزهم:

١- السلطان عماد الدين زنكي[١]:

كان له شرف بعث الصحوة، وتأسيس نواة جبهة المقاومة، والقضاء على أول إمارة صليبية في الشرق وهي "الرَّها".

٢- الملك العادل، نور الدين محمود زنكي[٢]:

وكان له شرف توحيد جبهة المقاومة الإسلامية، والقضاء على أصحاب المطامع والفتن، ثم توسيع هذه الجبهة لتمتد من الرَّها شرقاً إلى حلب شمالاً، إلى دمشق جنوباً، إلى غزة والعريش، وسدد ضربات قاصمة للصليبيين أسهمت في إضعافهم.

٣- الملك الناصر، صلاح الدين الأيوبي[٣]:

وكان له شرف إسقاط الخلافة الفاطمية المتحالفة مع الصليبيين، فضمَّ مصر إلى جبهة المقاومة، وأسقط المتخاذلين والخونة، وقام بتوحيد جبهة المقاومة الإسلامية، ثم توسيع رقعتها حتى وصلت إلى الحجاز واليمن جنوباً، فصار البحر الأحمر تحت نفوذه، ثم بدأ بحروب التحرير الكبرى من حطين وصولاً إلى تحرير بيت المقدس. لقد سحق صلاح الدين أطراف الممالك الصليبية وقطَّع أوصالها، وحولها إلى جُزر منعزلة يحيط بها المسلمون من كل

(١) ولد عام /٤٤٧هـ-١٠٨٤م/، وتوفي عام /٥٤١هـ-١١٤٦م/، وعاش /٦٤/ سنة، وحكم /٢٠/ سنة.
(٢) ولد عام /٥٠٩هـ-١١١٥م/، وتوفي عام /٥٦٩هـ-١١٧٤م/، وعاش /٦٠/ سنة، وحكم /٢٨/ سنة.
(٣) ولد عام /٥٣٢هـ-١١٣٨م/، وتوفي عام /٥٨٩هـ-١١٩٣م/، وعاش /٥٧/ سنة، وحكم /٢٠/سنة.

جانب، وكان له شرف التصدي لذروة العدوان الصليبي على الشرق الإسلامي في الحملة الصليبية الثالثة.

٤- الملك الصالح، نجم الدين أيوب (الحفيد)[١]:

وكان له شرف تحرير بيت المقدس مرة ثانية ونهائية، فقد بقي بيت المقدس محرراً حتى عام /١٩٦٧م/ عندما قام باحتلاله الإسرائيليون.

٥- الملك المظفر، قُطُز[٢]:

وكان له شرف إيقاف الزحف المغولي على بلاد الشام ثم هزيمته، ثم تحرير بلاد الشام من قبضة المغول. ثم أعاد توحيد جبهة المقاومة الإسلامية، لتهيئة الظروف لبداية دحر الصليبيين.

٦- الملك الظاهر، بيبرس[٣]:

وكان له شرف توسيع رقعة جبهة المقاومة الإسلامية، وتوحيد مركز القيادة والتخطيط، ثم القضاء على ثاني مملكة صليبية في أنطاكية، ثم حرر الكثير من المدن الساحلية في فلسطين والحصون الداخلية، وساهم في إضعاف مغول فارس، ونال بحُسن سياسته شرف إقامة تحالف بين الإمبراطور

---

(١) ولد عام / ٦٠٣هـ- ١٢٠٦م/، وتوفي عام /٦٤٧هـ-١٢٤٩هـ/، وعاش /٤٤/ سنة، وحكم /١٢/ سنة.

(٢) توفي عام /٦٥٨هـ - ١٢٦٠م/، وحكم سنة واحدة تقريباً.

(٣) ولد عام / ٦٢٥هـ- ١٢٢٨م/، وتوفي عام /٦٧٦هـ-١٢٧٧م/، وعاش / ٥١ /سنة تقريباً، وحكم /١٧/ سنة تقريباً.

بركة خان وشعبه من مغول القبجاق وحكام المماليك ضد مغول فارس، فقد نجح في استخدام المقاومة المسلحة والمقاومة السياسية بآن معاً.

٧-الملك المنصور، سيف الدين قلاوون[١]:

كان له شرف إلحاق هزيمة ساحقة قرب حمص بمغول فارس، ثم قضى على ثالث الممالك الصليبية في طرابلس، وحرَّر عدداً كبيراً من القلاع والحصون الصليبية، وسار على خُطا بيبرس في استخدام المقاومة بحديها السياسي والعسكري بشكل متوازن، حيث حرص على بقاء العلاقة القوية مع مغول البقجاق ونشر الإسلام بينهم.

٨-الملك الأشرف، خليل بن سيف الدين قلاوون[٢]:

كان له شرف القضاء على آخر مملكة صليبية في عكا، ثم تصفية الجيوب الصليبية المتناثرة بشكل نهائي.

●هؤلاء هم زعماء الصحوة من الحكام والعسكريين المجاهدين المدافعين عن الرسالة والرسول ﷺ والمسلمين، بين عامي /٤٩١هـ-١٠٩٧م/ و /٧٠٢هـ-١٣٠٣م/.

---

(١) توفي عام /٦٨٩هـ-١٢٩٠م/، وعاش / ٧٠ /سنة تقريباً، وحكم /١١/ سنة تقريباً.

(٢) ولد عام / ٦٦٦هـ- ١٢٦٨م/، وتوفي عام /٦٩٣هـ-١٢٩٤م/، وعاش / ٢٧ /سنة تقريباً، وحكم /٤/سنوات.

إضاءة

كان جهاد هؤلاء القادة وانتصارهم ثمرة جهود جماعية مخلصة، أنتجت تغييراً في الأمة، وأهّلتها لمواجهة هذا العدوان والانتصار عليه.

لقد شارك في هذا النضال حتى التحرير المجاهدون المخلصون من جميع أجيال تلك الحقبة، وإذا كنا نتحدث عن المشاهير منهم، فإن الله تعالى وحده يعلم أدق تفاصيل جهاد المجاهدين غير المشهورين وتضحياتهم، وما بذلوه من دماء وأرواح وآلام، وغالٍ ونفيس، حتى تحقق النصر المبين.

اللهم أنت وليُّهم فاجزهم عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

أهم أعمال الإصلاح والتجديد التي قام بها رجال الصحوة والنصر من الحكام والعسكريين المجاهدين:

أ-تنفيذ برنامج إصلاحي تعليمي وتربوي وعقائدي.

١-التشجيع على افتتاح عدد كبير من المساجد والمدارس.

٢-محاربة التعصب المذهبي، والاستفادة من كل علماء المذاهب الفقهية، في تعليم العلوم الشرعية.

٣-تشجيع التصوف السُّني، ودفعه للمساهمة في نشر التربية الروحية، وإصلاح النفوس، وتعميق أواصر الأخوة الإسلامية.

٤-رفع شأن العلماء وتشجيعهم ليشاركوا في جهاد السيف والقلم والتربية.

٥-العمل على إحياء السنة الصحيحة، ومحاربة البدَع والجهالات والخرافات.

٦-الحرص على تحكيم الشريعة، والنزول على حكمها.

ب- تنفيذ برنامج إصلاحي سياسي وإداري:

١-الالتزام بالشورى.

٢-تقديم المصلحة العامة على المصلحة الفردية.

٣-توفير الأمن، وحماية الحريات العامة.

٤-إقامة العدل.

٥-توحيد الجبهة الإسلامية في مصر وبلاد الشام، وتهيئة الرأي العام للجهاد ضد الصليبيين، بمساعدة العلماء.

٦-بناء جيش عقائدي قوي، يستطيع تنفيذ المهام الموكلة إليه، ويتقن فنون الحرب.

٧-الجمع بين سيف السياسة وسيف القوة العسكرية، واستخدامهما بشكل ناجح في تحقيق الأهداف.

ج- تنفيذ برنامج إصلاحي مالي واقتصادي:

١-محاربة الفساد المالي وإعلاء قيم الأمانة.

٢-تشجيع المزارعين والحرفيين والتجار، عن طريق إلغاء الضرائب غير الشرعية، التي أثقلت كاهلهم، والتي كانت تؤخذ لتملأ جيوب المتسلطين من الولاة والحكام.

٣-تعزيز الرعاية الاجتماعية، لمساعدة الفقراء والمساكين، من خلال إقامة دور الأيتام والملاجئ والخانات.

٤-تقديم الخدمات الضرورية للناس، كالجسور والقناطر والأسواق والطرق العامة والمخافر والحمامات...

د- تنفيذ برنامج إصلاحي عسكري:

١-نشر ثقافة الجهاد وعشق الشهادة في سبيل الله بين أفراد الجيش خاصة، وفي المجتمع عامة.

٢-إيقاد روح الجهاد والتضحية والاستشهاد، من خلال نشر مفاهيم التربية الروحية، وإقامة حلقات الذكر، وتنفيذ برامج تربوية وفكرية وعبادية، والاستعانة بكبار الفقهاء المتصوفين الذين سكنوا في المعسكرات ورافقوا الجنود في ساحات الجهاد، أمثال: ابن نجا الواعظ، وموفق الدين بن قدامة وأخيه محمد وغيرهم..

٣-العناية الفائقة في التدريب العسكري وتطوير أساليبه وفنونه.

٤-العناية بأُسر الشهداء، ورعايتهم.

٥-التأكيد على الجاهزية الدائمة للوحدات العسكرية، لاسيما على الثغور.

٦-إنشاء وحدات خاصة ذات كفاءة عسكرية عالية.

٧-العناية بالقوات البحرية، وصناعة الأساطيل.

٨-العناية بالصناعات الحربية البرية والبحرية.

٩-إنشاء وحدات استطلاع وإنذار مبكر.

١٠-العناية بالتحصينات والقلاع.

صحيح أن قادة الصحوة من الحكام لم يكونوا على مستوى واحد من المواهب والرؤية والقدرة وحُسن تنفيذ البرامج الإصلاحية، وأن الظروف المواتية والأحوال الداخلية المساعدة على الإصلاح والتجديد تتفاوت من زمان

لآخر، إلا أن لكل قائد منهم مساهمات نسبيَّة في إيقاظ الصحوة الإسلامية التي أثمرت النصر النهائي.

ولاريب أن الأكثر تميُّزاً بينهم كان الملك العادل نور الدين زنكي، والملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، والملك الظاهر بيبرس.

* * *

المبحث الثالث

الحروب الصليبية اللاحقة على جبهتي شمالي أفريقيا والأندلس، بعد انتهائها في بلاد الشام

المطلب الأول: امتدادات واستمرار الحروب الصليبية اللاحقة على جبهة شمالي أفريقيا وجبهة العثمانيين بأساليب عدّة:

أولاً: امتدادات الحروب الصليبية:

لم تكن أحوال ومخططات الصليبيين في مصر والشام، مشابهة لتلك الموجودة في الشمال الإفريقي القريب من أوروبا الصليبية.

* فإذا كانت الصليبية في مصر وبلاد الشام قد سُحقت وهُزمت واستؤصلت على نحو كامل، فإن هذا لم يحصل في شمال إفريقيا.

* **فمثلاً**: إن المعاهدة التي انتهت بموجبها الحرب الصليبية على تونس، رسَّخت موطئ قدم للنفوذ الصليبي ، والأنشطة التنصيرية في شمالي إفريقيا عامة، وفي تونس خاصة.

١-ففي الجانب الديني:

■ منحت الرهبان والقساوسة حقَّ إقامة الأديرة والكنائس والمقابر على أراضٍ يقدمها السلطان التونسي.

■ منحت الرهبان والقساوسة حقَّ الإقامة الدائمة على الأراضي الإسلامية، وحقَّ الوعظ الجهري، وهذا يعني أن باستطاعتهم الترويج للمسيحية داخل الكنائس وخارجها، ، مما يعطيهم الصلاحيات بالتبشير (التنصير) دون اعتراض من السلطان. وهذا ما كان يمارسه رهبان منظمتي الفرنسيسكان والدومينيكان بسبب حماقة السلطان وجهله، بينما أضفت المعاهدة الصفة الشرعية على هذا النشاط ليجعل من شمالي إفريقيا ميداناً لنشاطهم التنصيري العلني والمتحرر من كل قيد[١].

■ وأضعفت هذه المعاهدة موقف الدولة الحفصية، ومما زاد في ضعف هذه الدولة تلك الصراعات العنيفة على السُّلطة، بعد وفاة الملك المستنصر عام /٦٧٥هـ-١٢٧٧م/، فانقسمت إلى دولتين: شرقية مركزها "تونس"، وغربية مركزها "بجاية"[٢].

■ وكان الأمراء المتنافسون على السلطة في شمالي إفريقيا يستعينون بملوك أرغونة الصليبيين في الأندلس، للاستقواء بهم على خصومهم، إلى درجة إن

---

(١) للتوسع انظر: الحروب الصليبية في شمال إفريقية وأثرها الحضاري، د.ممدوح حسين، (ص/٣٥٠وما بعدها).

(٢) المصدر السابق، (ص/٤٥٦ وما بعدها).

بعضهم كان يوحي إلى ملوك أرغونة بأنه راغب في التنصر ليحمِّسه على مساعدته، كما فعل ابن اللحياني الذي تولى العرش عام /٧١١هـ-١٣١١م/، وكما فعل قبله ابن الوزير والي قسنطينة عام /٦٧٩هـ-١٢٨٠م/ الذي استنجد بملك أرغونة الصليبي "بيدرو الثالث" وادعى أنه راغب في التنصُّر، وأضاف إلى ذلك استكثاره من الجنود النصارى الصليبيين لحمايته[١].

▪ وانتهز ملك أرغونة الفرصة، فهاجم مدينة "القل" ثم مدينة "قسنطينة" عام /١٢٨٢م/ فنهبها ثم أحرقها، ثم توجه إلى "قسنطينة" فنهبها وأحرقها، ثم تحوَّل في أسطوله قبالة ساحل شمالي إفريقيا، وشنَّ غارات على جزرها، فاحتل جزيرة "جربة" التونسية لتكون قاعدة انطلاق للقوات الصليبية في شمالي إفريقيا، وكان ذلك في عام /٦٨٨هـ-١٢٨٩م/، ثم توجهت قواته لاحتلال مدينة "المهدية" ولكنها فشلت ورجعت خائبة[٢].

٢- وفي الجانب الاقتصادي:

ألزمت المعاهدة حاكم تونس بتأمين الطرق البحرية لتجارة الصليبيين، وحماية التجار الصليبيين وبضائعهم وأنفسهم وأموالهم..

كما ألزمته بدفع الأتاوات لملك صقلية سنوياً، وقدرها /١٢/أوقية من الذهب.. كما ألزمته بدفع غرامة كبيرة جداً لقادة الحملة الصليبية على تونس

---

(١) المصدر السابق، (ص/٤٣٢ وما بعدها و/٤٧٠ ومابعدها).

(٢) المصدر السابق، (ص/٤٧٣ وما بعدها).

بلغت عشرة ملايين وخمسمائة ألف درهم [1].

ثانياً: دعوات لحروب صليبية بأساليب مطوّرة، أنتجت حملات جديدة.

ومع أن الوجود الصليبي في بلاد الشام ومصر انتهى بهزيمة ساحقة، إلا أن جذور الحركة الصليبية في أوروبا بقيت موجودة تطلُّ برأسها كلما سنحت لها الفرصة.

* فقد ظهرت دعوات متتالية لشن حروب صليبية على بلاد الشام وشمالي إفريقيا، ليس الهدف منها احتلال بيت المقدس فقط، بل إخضاع المسلمين جميعهم وبلادهم ، والعمل على تنصيرهم.

■ وقد بدأ ظهور هذه الدعوات في الوقت الذي كانت فيه جبهة المقاومة الإسلامية في فلسطين تستعدُّ لتحرير عكا.. وكان دعاة الحروب الصليبية المطورة يقترحون أموراً عدة، ومنها:

١- الطرق التي يجب أن تسلكها هذه الحملات الصليبية..

٢- ومستوى القادة التي يجب أن يتولوا قيادتها..

٣- وطرق تغطية نفقات الحملات العسكرية..

٤- بل وطرق إعداد الجنود والقادة دينياً ومسلكياً وتدريبياً وعسكرياً..

■ وكان هؤلاء الدعاة الخبراء يرفعون تقاريرهم الواسعة والمفصلة إلى

(١) المصدر السابق، (ص/٣٣٥ وما بعدها).

البابوات والملوك والأمراء وكل مراكز التأثير والضغط، ويقومون بجولات واسعة في أنحاء أوروبا للتحريض على هذه الحملات، ويلقون المحاضرات والخطب، ويلتقون بالبابوات والملوك والقادة العسكريين ليقنعوهم بخططهم [1].

■ وكانت هذه الخطط تدعو إلى تطوير الحروب الصليبية على المسلمين لتتخذ أسلوباً جديداً قائماً على **نظرية السيوف الثلاثة**:

١- سيف الحملات العسكرية لإخضاع العالم الإسلامي بقوة السلاح..

٢- سيف التنصير القائم على إضعاف ارتباط المسلمين بعقيدتهم ثم تحويلهم نحو النصرانية [2]..

٣- سيف الحصار الاقتصادي؛ لإضعاف قدرة الدول الإسلامية على المواجهة العسكرية، وتسهيل خضوعها للحملات التنصيرية [3].

* وبعد سقوط عكا عام /٦٩٠هـ- ١٢٩٠م/، تعالت الدعوات لحروب صليبية جديدة، وفق منظورها الجديد ووفق مشاريع متكاملة.

١- ففي عام /٦٩٠هـ-١٢٩١م/ قدَّم راهب فرنسيسكاني يُدعى "فدنزيو" مشروعاً لحرب صليبية للبابا "نيقولا الرابع" حدد فيه الطريق المفضل للغزو، ومستوى الجيش ومعداته المطلوبة.

---

(١) للتوسع انظر: الحركة الصليبية، د.سعيد عاشور، مكتبة الأنجلو مصرية-القاهرة، الطبعة الأولى [١٩٦٣م]، (١١٩٢/٢ وما بعدها).

(٢) للتوسع انظر: الحروب الصليبية في شمال إفريقية وأثرها الحضاري، د.ممدوح حسين، (ص/٢٧٠ وما بعدها)، و (ص/٤٠٣ وما بعدها).

(٣) انظر: الحركة الصليبية، د.سعيد عاشور، (١١٩٩/٢ وما بعدها).

٢- وفي عام /٦٩١هـ-١٢٩٢م/ قدَّم داعٍ آخر من "نابلي" واسمه "ثاديوس" مشروعاً للبابا "نيقولا" وللملوك أوروبا يستحثهم على تخليص الأراضي المقدسة من المسلمين [١].

٣- وفي عام /٧٠٥هـ-١٣٠٥م/ وضع "رايموند لول"، والذي يعدُّ من أهم دعاة الحروب الصليبية في عصره، **مشروعاً دعا فيه إلى الجمع بين التنصير والعمل العسكري**، ودعا إلى تكوين جيش قوي بزعامة واحدة قوية على رأسها ملك، **ودعا إلى بدء الزحف من أسبانيا لطرد المسلمين منها**، ثم الزحف إلى المغرب، ثم إلى تونس، ثم إلى مصر، ثم إلى فلسطين، وجعل جزيرتي "مالطة" و"رودس" قاعدتين بحريتين للإمداد، والتنسيق بين الأسطول البحري والجيش البري أثناء الهجوم. وقد قدَّم "رايموند" مشروعه للبابا "كلمنت الخامس" وملك فرنسا "فيليب الرابع".

٤- وخلال أربع سنوات بعدها قُدمت مشاريع عدة للبابا والملك المذكورين. وفي عام /٧٠٨هـ-١٣٠٩م/ أعد الصليبيون مع ملك قبرص لحملة صليبية على دمياط في شهر ذي القعدة.

٥- وفي عام /٧٢١هـ-١٣٢١م/ أصدر أحد دعاة الحروب الصليبية والذي يدعى "مارينو سانودو" مشروعاً جديداً لحروب صليبية مطورة في كتابه "أحوال الأرض المقدسة"، ويتضمن مشروعه:

- الخطوة الأولى: إضعاف مصر اقتصادياً عن طريق فرض حصار اقتصادي عليها.

---

(١) المصدر السابق، (١١٩٣/٢).

- الخطوة الثانية: احتلال مصر عسكرياً بعد إضعافها اقتصادياً.
- الخطوة الثالثة: الاستيلاء على الأراضي المقدسة في فلسطين.

٦- وفي عام /٧٣٠هـ-١٣٣٠م/ أصدر البابا يوحنا الثاني والعشرون مرسوماً يبيح بموجبه لملك فرنسا "فيليب السادس" جمع ضريبة العشور بقصد الاستعداد لحرب صليبية جديدة، وأصدر مرسوماً ثانياً عام /١٣٣١م/ **يبيح للملك بيع صكوك الغفران للغرض نفسه**. وقدَّم "بركارد" أحد دعاة الحروب الصليبية للملك مشروعاً لحرب صليبية جديدة، ويتضمن المشروع:

- **نشر المذهب الكاثوليكي في الشرق.**
- إحلال السلام بين الأمم الأوروبية للتفرغ للحرب، كونه شرطاً أساسياً لنجاحها.
- إقامة قواعد بحرية في "كريت" و"قبرص" للدعم والإمداد.
- اتخاذ الطريق البري من شمال أوروبا باتجاه القسطنطينية، واحتلالها، ثم التوجه إلى فلسطين براً، وهو الطريق المفضل عنده.
- **ودعا إلى ضرورة التحالف مع المغول، لتطويق المسلمين من الشرق والغرب.**

٧- وفي عام /٧٥٥هـ-١٣٥٤م/ قامت مملكة جنوة بحملة صليبية **على طرابلس الغرب**[1].

٨- وفي عام /٧٦٤هـ-١٣٦٣م/ قُدِّم مشروعٌ لحملة صليبية جديدة لملك

(١) المصدر السابق، (١١٩٣/٢وما بعدها).

قبرص "بطرس لوزجتان" ، وفي عام /٧٦٧هـ-١٣٦٦م/ قام الملك بحملة صليبية **على الإسكندرية،** فنهب رجاله المدينة، وأحرقوا الدُّور، واعتدوا على النساء، وخربوا المساجد، وذبحوا الأطفال الرضع، وأخذوا الأسرى، واستولوا على النفائس، ثم فرَّ الملك مع جنوده راضين بما نهبوه وخربوه، **وقدَّم البابا التهنئة للملك بطرس، ولقبه بـ "الأسد الشجاع" ودعا ملوك أوروبا بدعمه بالسلاح والرجال**[١].

٩- وفي عام (٧٩٠هـ-١٣٨٨م) اشتركت ممالك صقلية وبيزا وجنوا بحملة صليبية **على تونس،** فاحتلوا جزيرة جربة وضموها إلى صقلية.

١٠- وفي عام /٧٩١هـ-١٣٨٩م/ قدَّم أحد دعاة الحروب الصليبية، وهو "فيليب دي ميزيير" مشروعاً لحملة صليبية لغزو بلاد الشام، تسلك طريقين، جيوش تسلك طريق شمالي إفريقيا، وجيوش تسلك طرقاً أخرى متعددة عبر أوروبا إلى القسطنطينية ثم إلى فلسطين جنوباً. وفي عام /٧٩٢هـ-١٣٩٠م/قامت حملة صليبية كبيرة بقيادة "لويس الثاني دي بورون" على **مدينة المهدية بتونس**[٢].

١١- وفي عام /٧٩٨هـ-١٣٩٦م/ قامت حملة صليبية كبيرة بدعوة من بابا روما "بونيفيس التاسع" وبابا أفنيون "بندكت الثالث عشر"[٣] وأصدرا

---

(١) المصدر السابق،(٢ /١٢٢٥).

(٢) المصدر السابق، (٢/١٢٤٠ وما بعدها).

(٣)كانت البابوية في تلك الأيام تمر بمرحلة الانشقاق الديني (من ١٣٧٨ إلى ١٤١٧م) فكان هناك بابا في روما وبابا آخر منافس في أفنيون، انظر الحركة الصليبية، عاشور، (٢/١٢٥٠).

.

مراسيم عام /١٣٩٤م-١٣٩٥م/ لإعلان الحرب الصليبية على العثمانيين، فتشكَّلت حملة صليبية ضخمة قوامها الفرنسيون والألمان والإنكليز والهنغاريون، وعدد كبير من أمراء الدوقيات وعدد كبير من المتطوعين من إيطاليا وأسبانيا وبوهيمية، فبلغ عدد جنود هذه الحملة الصليبية أكثر من مائة ألف جندي، والتقى الجمعان عند مدينة "نيقوبوليس"[(١)] عام /٧٩٨هـ-١٣٩٦م/ واستطاع جيش السلطان "بايزيد" إلحاقَ هزيمة نكراء بالصليبيين[(٢)].

١٢- وفي عام /٨٠٣هـ- ١٤٠١م/ هاجمت قوات قشتالة الصليبية مدينة "تطوان" المغربية واحتلتها، وأسرت مجموعة من أهلها ونقلتهم إلى أسبانيا.

١٣- وفي عام /٨١٨هـ-١٤١٥م/ هاجمت قوات البرتغال الصليبية مدينة "سبتة" المغربية واحتلتها[(٣)].

١٤- وفي عام /٨٣١هـ-١٤٢٨م/ كتب ملك الحبشة "إسحق" إلى ملوك أوروبا يدعوهم لمشاركته بحملة صليبية مزدوجة ضد دولة المماليك في مصر، بحيث تهاجم جيوشه براً من الجنوب، وتهاجم جيوش أوروبا من الشمال، وبدأت الإعدادات لهذه الحملة، ولكنها ما لبثت أن توقفت لصعوبة الظروف التي طرأت على الجبهة الأوروبية والأوضاع في الحبشة، ولبُعد المسافة بين الحبشة ومصر[(٤)].

---

(١) تقع على ضفاف نهر الدانوب.

(٢) المصدر السابق، (٢/١٢٥٠ وما بعدها).

(٣) تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، د.إسماعيل ياغي ومحمود شاكر، (٢/٢٣٢ وما بعدها).

(٤) الحركة الصليبية، د.سعيد عاشور، (٢/١٢١٠).

١٥- وفي عام /٨٤٨هـ-١٤٤٤م/ دعا البابا "أيوجنيوس الرابع" لحملة صليبية جديدة، اشتركت فيها صربيا وولاشيا والبوسنة وهنغاريا، وأرسل البابا أحد الكرادلة نائباً عنه في الحملة..، ودارت المعركة بين جيوشهم وجيوش السلطان العثماني مراد الثاني عند "فارنا" فألحق بهم هزيمة نكراء..

١٦- وأخطر المشروعات الصليبية بين أوروبا والحبشة تلك التي ألح عليها دعاة الحروب الصليبية طويلاً، **والتي تهدف إلى تجويع مصر عن طريق تحويل مجرى النيل في الحبشة**. وفي عام /٨٥٤هـ-١٤٥٠م/ أرسل "ألفونسو الخامس" ملك أرغونة في أسبانيا إلى ملك الحبشة، يطلب منه تحويل مجرى نهر النيل ومهاجمة مصر من الجنوب، في حين تقوم جيوشه بغزو فلسطين.

١٧-وفي عام /٨٦٨هـ-١٤٦٣م/ دعا البابا بيوس الثاني لحملة صليبية أخرى قادها بنفسه، فجمع عدة سفن وأبحر بها إلى "أنكونا"فانفض عنه بحارة سفنه فمات حزينا في "أنكونا" في العام نفسه[1].

١٨-وفي هذه المرحلة الزمنية اشتد الهجوم الصليبي على آخر معاقل المسلمين في الأندلس، فسقطت غرناطة في عام /٨٩٧هـ-١٤٩٢م/، وانتهى الوجود الإسلامي في الأندلس بعد بناء حضارة عمرها يقارب ثمانمائة سنة.

* وبعد سقوط الأندلس بيد الصليبيين الأسبان والبرتغاليين، انطلق هؤلاء الطرفان بنزعة صليبية عميقة وبدعم من البابا للسيطرة على الشمال الأفريقي المسلم، وباقي الدول الإسلامية وصولاً إلى الهند..

(١) المصدر السابق، (١٢٥٢/٢)..

وبهذا اتصلت الحروب الصليبية مع الحروب الاستعمارية واندمجتا، ثم انضمت باقي الدول الأوروبية إلى مسيرة الحروب الاستعمارية الصليبية، واستطاعت أوروبا أن تسيطر على العالم الإسلامي بالكامل..

وساعد على ذلك ضعف العالم الإسلامي وتمزقه وتخلفه، وتفوق أوروبا عسكرياً وسياسياً واقتصادياً،وإرادة صليبية عميقة الجذور لاستكمال العدوان على المسلمين ونشر التنصير، ورغبة استعمارية جامحة للسيطرة على العالم الإسلامي عسكرياً وسياسياً واقتصادياً وثقافياً..

وسنقدم دراسة واسعة ومفصلة عن العدوان الاستعماري والتنصيري على العالم الإسلامي في كتابنا القادم بمشيئة الله تعالى..

ثالثاً: اعتمدت الحملات الجديدة على توسيع النشاط التنصيري:

تؤكد المصادر التاريخية والقراءات الموضوعية لمشاريع الحملات الصليبية المقترحة، أن النشاط التنصيري كان أهم أهدافها، بل عدَّه بعض دعاة الحروب الصليبية عنصراً مساعداً على تحقيق النصر.

* فهذا الملك الفرنسي "لويس التاسع" وضع لنفسه هدفاً لا يحيد عنه ألا وهو تنصير مسلمي أفريقيا وإعادة بلادهم إلى الحظيرة المسيحية، وكان يطمع في تنصير سلطان تونس "المستنصر الحفصي" ورعيته في تونس وما حولها.

وقد قال لسفراء المستنصر: (أخبروا عني سيدكم بأنني شديد الرغبة في إنقاذ روحه حتى لو قضيت بعد ذلك ما بقي لي من عمر في سجون مسلمي

إفريقيا لا أرى فيها النور مقابل تعميد ملككم ورعيته تعميداً صادقاً)[1].

وقال لبطانته: (بمشيئة الله لنبحث كيف يمكن نشر الديانة المسيحية في تونس)[2].

إن احتلال تونس سيجعل مسلمي المغرب الأقصى بين فكي كماشة طرفها الشمالي صليبيو أسبانيا وطرفها الشرقي صليبيو أفريقيا. وسيجعل مسلمي بلاد الشام أيضاً بين فكي كماشة طرفها الأول صليبيو أفريقيا وطرفها الثاني صليبيو بلاد الشام وبيزنطة.

* وقد سبقت جهود لويس التاسع" جهوداً متعددة لنشر التنصير في شمالي إفريقيا ومنها الاهتمامات الشديدة لباباوات روما في هذا الموضوع..

فقد أرسل البابا "جريجوري السابع" في سنتي /٤٦٤هـ- ١٠٧٢م/ و/٤٦٩هـ-١٠٧٦م/ إلى مسيحيي (بونة) عنابة يحثهم فيها على دفع المسلمين إلى الدخول في المسيحية، كما دعا الأمير الحمادي الناصر بن علناس التي كانت عنابة تابعة لإمارته دعاه للدخول في المسيحية[3].

* وكان لنشاط المنصرين من رهبان منظمتي الفرنسيسكان والدومينيكان في شمالي إفريقيا دليل واضح على جهود التنصير في المنطقة، وقد بذلوا جهوداً

(١) الحروب الصليبية في شمال إفريقية، د.ممدوح حسين (ص/٢٧٤).
(٢) المصدر السابق، (ص/٢٧٠ وما بعدها).
(٣) المصدر السابق، (ص/٤٠٣ وما بعدها).

كبيرة فأسسوا المستشفيات والمدارس والكنائس في تونس وغيرها..وقد قدَّم البابوات الدعم المركز لهاتين المنظمتين وغيرهما من المنظمات التنصيرية. [1]

إضاء

مع كل هذه الجهود الكبيرة التي بُذلت لنشر التنصير في البلاد الإسلامية، إلا أن هذه الجهود باءت بالفشل الذريع، بل كانت حركة دخول النصارى في الإسلام أكبر بكثير من بعض الحالات النادرة لتنصر المسلمين..

يقول "برنجفيك" المؤرخ الغربي: (ومن الثابت أن ظاهرة التنصر أقل بكثير من الظاهرة المقابلة أي دخول النصارى في الإسلام) [2].

رابعاً: توسع النفوذ الصليبي في شمالي إفريقيا.

* والدليل على وجود امتدادات النفوذ الصليبي في شمالي إفريقيا، تلك الظاهرة العجيبة المتمثلة باتخاذ حرس خاص شخصي للسلاطين، من الجنود الصليبيين بامتيازات كبيرة وبصلاحيات خطيرة وواسعة.

ظهر هذا في آواخر عهد دولة المرابطين، ثم في دولة الموحدين، ثم في الدول الثلاث التي ورثت الدولة الموحدية في شمال إفريقيا. وقد برز هذا على نحو واضح في الدولة الحفصية في تونس، فكنت تجد قائداً نصرانياً وبصحبته العشرات أو المئات من أتباعه من الفرسان يعملون في خدمة السلطان!!..

---

(١) المصدر السابق، (ص/٤٠٦ وما بعدها، وص/٤١١وما بعدها).

(٢) المصدر السابق، (ص/٤٤٠).

* وكان ملوك أرغونة الصليبيون في الأندلس هم الذين يعينون بأنفسهم قادة هذه المجموعات المسلحة، بل يفرضون على السلطان أن يتولى هذا القائد النصراني السلطة الكاملة على جنوده فلا يتدخل في شؤونهم أحد، بما في ذلك دفع رواتبهم، بل يُعطى هذا القائد صلاحيات الحاكم والقاضي في كل خصومات النصارى المقيمين في بلاد السلطان، وأيضاً صلاحيات تعيين وإقالة الضباط في هذه المجموعات المسلحة دون الرجوع إلى السلطان، حتى أصبحت هذه المجموعات دولة داخل الدولة الحفصية!!..

وقد قدَّم السلاطين الحفصيون لهذه المجموعات المسلحة امتيازات كبيرة، ومنها: تخصيصهم بحي مستقل لسكنهم في العاصمة يديرون شؤونه بأنفسهم ولا يخضعون إلا لتعليمات قائدهم.

وكانوا يشاركون في المفاوضات، ويرسلهم السلطان سفراء له إلى الممالك الصليبية!! وتمادى هؤلاء حتى أصبحوا أداة ضغط في يد ملوك أرغونة على سلاطين بني حفص، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تعداه إلى أن أصبح القائد الصليبي يتدخل في شؤون الحكم وتولية السلطان أو خلعه حسب مصلحة مملكة أرغونة الصليبية في الأندلس، وكل هذا كان يجري بدعم من البابا[1].

(١) للتوسع انظر: الحروب الصليبية في شمال إفريقية، د.ممدوح حسين، (ص/٣٨٥ وما بعدها).

المطلب الثاني:استمرار الحروب الصليبية اللاحقة على جبهة الأندلس،بعد انتهائها في بلاد الشام.

أولاً: التركيز على استئصال الإسلام والمسلمين نهائياً من الأندلس.

ويلاحظ أن هذه الدعوات والمشاريع والخطط لشن حروب صليبية مطورة ركزت على ضرورة مهاجمة العالم الإسلامي من محاور عدة، وركزت بشكل خاص على المحور الذي يتجه إلى مملكة غرناطة[1] في الأندلس لإسقاطها على يد مملكتي قشتالة وأرغونة الصليبيتين. **وبعد طرد المسلمين من الأندلس** تتوجه الجيوش الصليبية نحو المغرب لإسقاط الممالك الإسلامية في الشمال الإفريقي وصولاً إلى تدمير دولة المماليك في مصر، ومنها إلى احتلال بيت المقدس الذي تجتمع فيه جيوش الحملات الصليبية من محاورها كافة [2].

والحقيقة أن هذه الدعوات لشنِّ حروب صليبية على مسلمي الأندلس لم تتوقف حتى تم إخراج المسلمين نهائياً من الأندلس في عام /٨٩٧هـ-١٤٩٢م/.

ثانياً: سقوط الأندلس:

١-مرحلة ماقبل سقوط غرناطة آخر معقل للمسلمين في الأندلس..

تكرر في هذه المرحلة ماشهدناه سابقاً من النصر عند التوحد، ومن الهزيمة عند التفرق والتمزق..

---

(١) وهي آخر الممالك الإسلامية المتبقية في الأندلس.

(٢) للتوسع انظر: الحركة الصليبية، د.سعيد عاشور، (١١٩٣/٢ وما بعدها).

● ففي عام/٦٧٣هـ-١٢٧٥م/ تحالف ابن الأحمر ملك غرناطة مع المنصور يعقوب سلطان بني مرين في المغرب، لصد الهجوم الصليبي على غرناطة، وفي عام (٦٧٤م) تجمعت قواتهما التي بلغت عشرة آلاف مقاتل، فألحقت الهزيمة بجيش ألفونسو العاشر ملك قشتالة الذي بلغ تسعين ألفاً، وقُتل من الصليبيين ستة آلاف، وقتل قائد جيشهم "دون نونيودي لارا"، وأُسر منهم سبعة آلاف وثمانمائة، وغنم المسلمون غنائم عظيمة.. **هكذا يكون النصر عندما تتوحد إرادات المسلمين، ويقدمون حب الجهاد على حب الدنيا** [(١)]..

● ولكن هذا الحال لم يدُم، فقد عادت الخيانات والصراعات تظهر من جديد، حرصاً من الحكام على الاحتفاظ بالحكم والخضوع لأهوائهم وشهواتهم، ولم يخجل هؤلاء الحكام والأمراء من الاستعانة بالصليبيين ضد خصومهم، بل فعلوا ذلك جهاراً!!..

* ففي عام (٦٧٧هـ-١٢٧٨م) تحالف ابن الأحمر ملك غرناطة مع ألفونسو العاشر ملك قشتالة لإخراج قوات المنصور سلطان بني مرين من الأندلس، فكان النصر حليف بني مرين [(٢)]..

* وفي عام (٦٧٨هـ-١٢٧٩م) انقلبت الآية، فتحالف ابن المنصور

---

(١) انظر: الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، لأحمد بن خالد السلاوي، (١٠/٢ وما بعدها)، والأنيس المطرب بروض القرطاس، علي بن أبي زرع الفاسي، (ص/٣١٣ وما بعدها)، والأندلس المصور، السويدان، (ص/٤٠٩ ومابعدها).

(٢) انظر: الاستقصا، للسلاوي، (٢١/٢ وما بعدها).

والي مالقة المريني، مع ملك قشتالة ضد ابن الأحمر، ولكن والده المنصور استدرك الأمر، ومنعه، ووبخه بشدة [(١)]..

* وفي عام (٦٩١هـ-١٢٩٢م) عاد ابن الأحمر ملك غرناطة إلى الخيانة، فتحالف مع قشتالة ضد بني مرين في الأندلس لإخراجهم من مدينة طريف، الثغر البحري الذي تتجمع فيه قواتهم، فسقطت المدينة بيد الصليبيين بمساعدة ابن الأحمر.!![(٢)]..

- وفي عام (٧٠١هـ-١٣٠٢م) توفي ملك غرناطة الفقيه محمد الثاني، فتصارع أبناؤه على الحكم، في حين أن الصليبيين كانوا ينقضُّون على مدن غرناطة للاستيلاء عليها.. ففي عام (٧٠٨هـ-١٣٠٨م)حاصروا مدينة المرية الساحلية، الثغر البحري المتبقي، وكذلك مدينة جبل طارق التي سقطت في أيدي الصليبيين عام (٧٠٩هـ) [(٣)].

- وفي عام (٧٤١هـ-١٣٤٠م) احتشدت ثلاثة جيوش صليبية بدعوة من البابا، جيش من الإنكليز، وجيش من قشتالة وأرغون، وجيش من البرتغال، ودارت معركة بينهم وبين ملك غرناطة ومعه جيش صغير، فانهزم المسلمون، واستشهد عدد من العلماء الأجلاء الذين كانوا يشاركون الجنود في القتال، ويحثونهم على الجهاد.. وحاصر الصليبيون مدن الجزيرة الخضراء لمدة

---

(١) المصدر السابق، (٢٤/٢)، والأنيس المطرب، لأبي زرع، (ص/٣٣٤).

(٢) الاستقصا، للسلاوي، (٤٢/٢)، والمغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، د. محمد عيسى الحريري، (ص/٢٢٧ وما بعدها) .

(٣) التاريخ المصور، للسويدان، (ص/٤٢٥).

ثلاث سنوات ونصف، حتى استسلمت عام (٧٤٣هـ) وتشتت أهلها[1].

● وشهدت غرناطة المسكينة من عام (٧٠١هـ-١٣٠٢م) إلى (٨٦٨هـ-١٤٦٤م) انقلابات واغتيالات لحكامها، فتوالى عليها أعداد كبيرة من الحكام والسلاطين.. [2] وكان الصليبيون قد انشغلوا عن غرناطة بصراعاتهم الداخلية أيضاً، وكان المسلمون الواقعون تحت حكم الصليبيين يعانون الظلم والاضطهاد والتعذيب والمذلة ما لا يحيط به الوصف.. وفيما يلي نماذج من القوانين التي طُبقت على المسلمين:

١- يجوز لأي نصراني أن يؤدب المسلم بالسياط بسبب أو بلا سبب، ولا يُسأل: لِمَ؟.

٢- لا يحق لأي مسلم أن يدخل بيت نصراني بأي حال من الأحوال، إلا الطبيب، والأطباء في ذاك الزمان مسلمون كلهم، لغلبة الجهل على النصارى بشكل عام.

٣- يلتزم المسلم بدفع غرامة نقدية فوراً إذا خالط النصارى سكناً أو عملاً وعليه أن يسكن المناطق الخاصة بالمسلمين.

٤- تلغى كل محكمة كانت تحكم بين المسلمين، وعليهم التحاكم بالمحاكم النصرانية.

(١) الاستقصا، للسلاوي، (١٠٧/٢ وما بعدها)، والأندلس، التاريخ المصور، للسويدان، (ص/٤٢٤ وما بعدها).

(٢) الاستقصا، للسلاوي، (١٦٢/٢ وما بعدها)، ومحاكم التفتيش، د.علي مظهر، (ص/١٥ وما بعدها).

٥- إذا قُبض على مسلم في طريق الهجرة أو غيرها، يصبح عبداً يباع ويشترى ويفقد حريته.

٦- لا يحق لمسلم أن يعارض أولاده إذا تنصروا، ويعذب عذاباً شديداً إذا مانع في ذلك.

٧- تلغى جميع الديون المستحقة للمسلمين دون استثناء، ولو استحق الدين في البيع.

٨- يُقتل كل مسلم يجهر بالشهادتين أو ينطق بها بين الناس.

٩- يجب على المسلمين أن يتحدثوا بلغة (الخميادو) وهي الأسبانية مكتوبة بالحروف العربية، ولا يجوز التكلم باللغة العربية.

١٠- لا يُسمون المسلمين، وإنما بالمدجنين[١].

● وفي عام (٨٦٧هـ-١٤٦٣م)سقط حصن جبل طارق بيد الصليبيين، فأصبح طريق الإمداد بين المغرب وغرناطة شديد الصعوبة، وحكام غرناطة لازالوا يتصارعون، لقد أعمتهم شهوة الحكم فهم لا يبصرون!!! [٢].

٢- مرحلة سقوط غرناطة وانتهاء الأندلس:

* بدأت عام /٨٨٤هـ-١٤٧٩م/ بعدما توحدت المملكتان الصليبيتان في أرغونة بقيادة ملكها "فرديناند الخامس" وقشتالة بقيادة ملكتها "إيزابيلا" بعد زواجهما.

---

(١) الأندلس، التاريخ المصور، للسويدان، (٤٤٥).

(٢) الاستقصا، للسلاوي، (٢/٢٧٣).

وفي هذه المرحلة استمر الصراع على حكم غرناطة بين الأمراء!!..، واستمر حصارها والهجوم عليها من قبل الصليبيين..

* ففي عام /٨٨٠هـ-١٤٧٥م/ نازع محمد بن سعد المدعو الزغل، أخاه السلطان أبا الحسن علي، على ملك غرناطة، ثم استولى الملك الصغير عبد الله على حكم أبيه أبي الحسن علي بن سعد، في حين قامت قوات فرديناند وإيزابيلا بهجوم على بعض ما تبقى من مدن وحصون غرناطة.

* وفي عام (٨٩٠هـ-١٤٨٥م) يتصارع الملك الصغير مع عمه محمد الزغل على حكم غرناطة فيقسمونها بينهما!!.. ثم يتقاتلان!! [(١)].

* ويتقدم فرديناند الخامس عام (٨٩٣هـ-١٤٨٨م) ليحاصر مدينة مالقة على ساحل البحر المتوسط، فلما اشتد الحصار قرر قائد الحصن وتجار المدينة أن يسلموها للصليبيين، فخرج مجاهد من أهل المدينة اسمه "حامد الزغبي" ورفض التسليم، ودعا إلى المقاومة، فانضم إليه مجموعة من المجاهدين، وأغراه بعض التجار بالمال مقابل تسليم المدينة حفاظاً على مصالحهم فرفض، وأرسل له الملك الصغير يأمره بالتسليم فرفض، واشتد هجوم جيش قشتالة عليهم فصمدوا، وعصف الجوع بهم، فجاءهم خبر من الزغل المتحكم بنصف غرناطة أن يصمدوا وأنه قادم لنجدتهم، فخشي الملك الصغير من انتصار عمه الزغل فأرسل جيشه لمنع المتطوعين وقوات عمه الزغل من الوصول إلى مالقة لإعانتها، ويتقاتل الملك الصغير مع النجدة الإسلامية

---

(١)المصدر السابق، (٢/٢٧٧).

لمدينة مالقة، بينما الصليبيون يشددون الخناق عليها، فما رأيكم بهؤلاء الحكام؟!!.. ويثور الشعب على الخائن، ويرسل ملك قشتالة ألف فارس لحمايته!!.. بينما صمد حامد الزغبي حتى أُسر، وسقطت مالقة، ودخل الصليبيون إليها فأعملوا بها القتل والنهب والأسر..

* وفي عام (٨٩٤هـ-١٤٨٩م) سقطت آخر مدينة على ساحل المتوسط وهي المرية، ثم سقطت مدينة بسطة بعد سنة، ولم يبق من الأندلس كلها إلا مدينة واحدة هي غرناطة[١] ..

* وفي عام (٨٩٥هـ-١٤٩٠م) باع الزغل المتحكم بنصف غرناطة ما تحت يده إلى الصليبيين مقابل ثلاثة ملايين دينار، وحصل على تكريم كبير من الأعداء[٢].

* وحاصر فرديناند الخامس وزوجته الملكة إزابيلا مدينة غرناطة وطالبا بتسليمها، وعرضا الهبات الكبيرة على أميرها وكبراء حاشيته، ولم يتخذ الملك الصغير أي استعدادات للدفاع عن المدينة.فهبَّ مجاهد من المدينة يدعى "موسى بن أبي الغسان" فأعلن الجهاد، وأبى أن تسلم المدينة للصليبيين، فالتف حوله مجموعة من المجاهدين والتف الشعب حولهم، فأصبح الملك الصغير معزولاً في قصره، وبايع المسلمون المجاهد موسى بن أبي الغسان على الموت في

(١) الأندلس، التاريخ المصور، للسويدان، (ص/٤٥٦ وما بعدها).

(٢)المصدر السابق، (ص/٤٦٦)، ومحاكم التفتيش، د.علي مظهر، (ص/١٧).

سبيل الله.[1] وبدأ المجاهد موسى عام (٨٩٥هـ-١٤٩٠م) يشكل مجموعات جهادية تهاجم جيش قشتالة، فقتل منهم وأسر.. ويظهر الخونة من جديد ليستكملوا مسيرة خيانتهم، فقد انضم الزغل الذي باع نصف بلاد المسلمين في غرناطة لملك قشتالة فرديناند، وتحالف معه ضد المجاهد موسى.

* وفي عام (٨٩٦هـ-١٤٩١م) اشتد الحصار على غرناطة من قبل جيش قشتالة والذي بلغ عدده أربعين ألف جندي مشاة وعشرة آلاف فارس. وشنَّ فرديناند الخامس وإيزابيلا الهجوم الشامل على غرناطة، ودمروا وأحرقوا كل ما في طريقهم، وبقي المجاهدون يقاومون رافضين الاستسلام[2].

* وفي عام (٨٩٧هـ-١٤٩١م) أرسل الملك الصغير أحد وزرائه للتفاوض مع فرديناند، وفي ٢١/محرم الموافق ٢٣/تشرين الأول تم التوقيع على الاستسلام[3] وخرج المجاهد موسى من غرناطة فلقي جماعة من الجنود القشتاليين فاحتدم القتال بينهم، فقتل معظمهم وحده، ثم أُصيب وجرح وبقي يقاتل وهو جريح، حتى استشهد..

* وفي (٢/ربيع الأول/٨٩٧هـ-٢/١/١٤٩٢م) دخل الملك فرديناند الخامس وزوجته الملكة إيزابيلا قصر الحمراء في غرناطة، **مؤشراً إلى انتهاء الحكم الإسلامي في الأندلس الذي دام ما يقارب ثمانية قرون..**

(١) الحركة الصليبية، د.عاشور، (٢/١٢٥٧).

(٢) الاستقصا، للسلاوي، (٢/٢٧٨)، والأندلس، التاريخ المصور، للسويدان، (ص/٤٧٢ وما بعدها).

(٣) الاستقصا، للسلاوي، (٢/٢٧٩).

الفاجعة

سقطت غرناطة وضاعت الأندلس، وحدثت الفاجعة، وحال حكام المسلمين في المشرق كحالهم في المغرب مشغولون بتثبيت كراسي حكمهم وصراعاتهم..

فالسلطان العثماني بيازيد الثاني مشغول بفتنة أولاده كركود وأحمد وسليم والحرب القائمة بينهم، وسلطان مصر قايتباي ليس بأحسن حال منه (١).

الاستئصال

ضاعت الأندلس واستمرت الفاجعة، وبدأ تسريع وتوسيع خطوات استئصال الوجود الإسلامي من الأندلس عقيدة وثقافة وبشراً!!..

٣- مرحلة تدمير الوجود الإسلامي واستئصاله من الأندلس:

- **الطرد والاستئصال الوجودي والديني:**

بعد احتلال غرناطة مباشرة تمَّ تحويل الجامع الكبير إلى كنيسة، وأقام الملك فرديناند الخامس القداس النصراني فيه.

وصدرت مجموعة مراسيم ملكية بهدف تدمير الوجود الإسلامي واستئصاله نهائيا من الأندلس..

---

(١) المصدر السابق، (٢/٢٨٠).

* ففي عام (٩٠٧هـ-١٥٠١م) صدر أمر ملكي بمنع بقاء أي مسلم في غرناطة، وكل من يخالف فجزاؤه الموت ومصادرة أملاكه.

* وأُجبر المسلمون على التنصر تحت وطأة التهديد والتعذيب والتنكيل ومصادرة الأموال وهتك الأعراض.. وحده الكاردينال "كمنيس" أرغم خمسين ألف مسلم على التنصر.

* وحتى المسلم الذي تنصر كان يُراقب ويُعدم لأقل شبهة.. فقد أصدر "ألفونسو مانريك" كبير المفتشين أوامره بإعدام كل شخص متنصر بالتعذيب والحرق إذا فعل أحد الأمور التالية:

- إذا مدح محمداً ﷺ أو الإسلام.
- إذا قال بأن يسوع رسول وليس بإله.
- إذا قال إن الله واحد وإن محمداً رسول الله..
- إذا مارس عاداتٍ وطقوساً إسلامية كلبس الثياب البيض يوم الجمعة، أو ختن أولاده أو سمَّاهم بأسماء عربية، أو صام رمضان أو تلا شيئاً من القرآن..وألزم المسيحيين بمراقبة المسلمين المتنصرين ، والتبليغ عن أي مخالفة لهذه التعليمات..

* وفي عام (٩٣٠هـ-١٥٢٤م) أصدر البابا مرسوماً يحرض فيه على التعجيل بإجبار المسلمين على اعتناق المسيحية الكاثوليكية ، وكل من لم يعتنق المسيحية يصبح عبداً مملوكاً ، وأمر البابا في مرسومه بالاستيلاء على جميع الجوامع وتحويلها إلى كنائس.. وتطبيقاً لمرسوم البابا أمر الملك فرديناند الخامس بإجبار المسلمين على التنصر، وتعميد أولادهم، والتطهر في الكنيسة

من الكفر.. وأمر بقتل كل متنصر يرجع عن مسيحيته ومصادرة أمواله.. [١]

* وفي عام (٩٣٢هـ-١٥٢٦م)صدر أمر أوجب خروج من بقي من المسلمين من أسبانيا..

* وقامت الكنيسة بأخذ أولاد المتنصرين من آبائهم، وعُهد بهم إلى الكنائس والمدارس، ليشبوا فيها على مبادئ الكنيسة بعيداً عن أهليهم. [٢]

* وفي عام (١٠١٨هـ-١٦٠٩م) تقرر طرد جميع المسلمين المتنصرين، لأن تنصرهم مشكوك فيه، ولأنهم أعداء أسبانيا حسب زعمهم، وجُمعت السفن في جزيرة ميورقة لنقلهم إلى شمالي أفريقيا وأُجبروا على المغادرة في ظرف ثلاثة أيام، وأًجبر المتنصر على المغادرة وترك زوجته النصرانية وأولاده.. وظلّت سفن النقل تروح وتجيء شهوراً عدة، وهي مشحونة بهم تلقيهم على مختلف شواطئ أفريقيا بكيفية تفتت الأكباد أسىً وحسرةً، وتذيب القلوب ألماً ولوعةً[٣].

* ودامت موجة التعذيب الوحشي بمن بقي من المسلمين نحو ثلاثمائة سنة، وقتل عشرات الألوف، وشُرد مَن شرد، حتى ثبت أن عدد من نُفي من مسلمي الأندلس عقب سقوط غرناطة بلغ **ثلاثة ملايين نسمة**[٤].

---

(١) الاستقصا، للسلاوي، (٢/٢٨٠ ومابعدها)، ومحاكم التفتيش، د.علي مظهر، (ص/٢٦ وما بعدها).

(٢) محاكم التفتيش، (ص/٣١ وما بعدها).

(٣) المصدر السابق، (ص/٤١ وما بعدها).

(٤) الحركة الصليبية، د.عاشور، (٢/١٢٥٧ وما بعدها).

- **محاكم التفتيش المقدسة:**

* وكانت محاكم التفتيش السيئة الذكر هي التي تقود حملات الاضطهاد والتعذيب واستئصال المسلمين من الأندلس. وكانت هذه المحاكم قد أُنشئت بمرسوم من البابا "جريجوريوس التاسع" عام (٧٣٣هـ-١٣٣٣م) لمحاكمة واضطهاد وتعذيب كل من يُتهم في دينه الكاثوليكي كالملحدين والزنادقة، وكل من كان على دين أو معتقد غيره، كالبروتستانت والمفكرين والأحرار والمسلمين .

(فصدرت الأوامر إلى كل الكنائس الكاثوليكية بتعيين كاهن خاص للبحث عما أشرنا إليهم آنفاً، وتقديمهم لمحكمة بابوية خاصة. وخُوِّل كاهن التفتيش الخاص أن يستعين بمن يراه لازماً لمعونته من الجواسيس، وكان يُطلق على تلك المحكمة الخاصة البابوية "الديوان المقدس" أو "التفتيش المقدس". ولم يكن يُعرف هؤلاء الجواسيس بل أُخفيت أسماؤهم عن الناس ووُعدوا بغفران خطاياهم، وأُحل لهم ارتكاب الجرائم مهما كان نوعها ومهما تعقب من عظائم الأمور. فكان المتهم الذي يحضر أمام المحكمة يُسأل ويقرر ما يعتقده صراحة عن الكنيسة وعن الدين المسيحي، فإذا أبى الإذعان دُفع به إلى معذبين يسومونه العذاب الأليم)...(ومع أن ذلك الديوان و تلك المحاكم كانت معروفة في فرنسا وإيطاليا وفي بلاد أخرى من أوروبا، إلا أنها لم تعمل بها مثل ما عملت بأسبانيا والبرتغال، ولم تمارس من الفظائع والأعمال البربرية الوحشية مثل ما مارست بجزيرة "إيبريا" حتى قدَّر بعضهم عدد ضحايا التفتيش بما لا يقل عن تسعة آلاف ألف (تسعة ملايين) من الناس أثناء المدة المحصورة بين سنة /١٣٣٣/و/١٨٣٥م/، حيث أُلغي من أسبانيا بعد أن لطخ كل

أرجائها بالدم المسفوك في سبيل نصرة الكثلكة والقضاء على مخالفيها)[1].

- **التعذيب والاضطهاد:**

* **السجون.**

كانت السجون مؤلفة من طبقات عدة، لا يدخلها النور مطلقاً، وغرف السجن ضيقة جداً تكاد لا تتسع لشخص واحد، وكانت جدرانها مطلية بالشحم، وهي في الحقيقة قبور للأحياء..

الطبقة الأولى من الغرف للمعذبين الأقل اتهاماً.

والوسطى للنساء اللاتي ينتهك الجلادون أعراضهن ليلاً ونهاراً..

والسفلى للمعذبين الأشد اتهاماً، وهي حفر لا باب لها يُلقى فيها السجين، فكان السجين لا يعرف الليل من النهار، وفي الطبقات السفلى كان السجين يتغوط ويتبول في سجنه الضيق جداً، ويعيش مع برازه وبوله، وكان أكثر السجناء يُصابون بالسل، بسبب الرطوبة، ويُحرم على السجين الكلام أو حتى السعال، وقلما يخرج السجين مهما كانت تهمته حياً من هذه السجون.

* **طرق التعذيب:**

وكان السجين يخضع لشتى أنواع العذاب، فيُضرب بسياط مثبت عليها كلاليب تمزق لحم الضحية وتخترق عظامه، وكان يُسكب الرصاص المنصهر أو الزيت أو الماء المغلي على السجين أثناء تعذيبه ليعترف بأسماء المسلمين

---

(١) محاكم التفتيش، د. علي مظهر.

الذين يكتمون إسلامهم[1]، ومن طرق التعذيب التي كانوا يتبعونها:

- ملء البطن بالماء عنوة حتى الاختناق.
- حرق القدمين بإلباسه حذاء حديدياً محمى على النار.
- تكسير العظام.
- قرض اللحم.
- تمزيق الأعضاء.
- سحب اللسان.
- الوأد والدفن والسجين على قيد الحياة.
- وأساليب أخرى تقشعر لها الأبدان، ولن أذكر التفاصيل إشفاقاً على مشاعر القارئ[2].

- **الإعدام حرقاً:**

وكان الحكم بالموت على السجين حرقاً، من أشهر الأحكام التي كان يجتمع الناس لرؤيتها، فقد كان ملك البرتغال وزوجته يجلسون في منصة مرتفعة ليتمتعوا برؤية مناظر التعذيب وحرق المسلمين وهم أحياء!!..

وكان الكاهن يتقدم الموكب حاملاً صليباً أسودَ رمز محاكم التفتيش المقدسة، ثم يمر المحكوم عليهم بالحرق بين جماهير الغوغاء، فيقذفونهم بالقاذورات والطين، ثم يجعلونهم على أكوام من الحطب، ويقف رئيس المحكمة

---

(١)المصدر السابق،(ص/٥٣ وما بعدها)

(٢) للتوسع انظر: محاكم التفتيش، د. علي مظهر،(ص/٨٤ إلى ١٣٢).

ويتلو قرار الحكم بإعدامهم حرقاً لأنهم استخفوا بالأحكام المقدسة للكنيسة الكاثوليكية، لذا وجب قطعهم وحرقهم بالنار عملاً بقول المسيح "من ليس معنا فهو علينا، وإن كل شجرة لا تثمر وجب قطعها وإلقاؤها في النار إن الذنب ذنبهم ودماؤهم على رؤوسهم".ثم تضرم فيهم النار فيعلو صراخهم وعويلهم، وتتصاعد روائح شيٍّ أجسادهم حتى تستحيل بقاياهم رماداً فينصرف الملك وحاشيته تشيعهم دعوات الشعب وبركات القساوسة [(١)]

لقد نسبوا أعمالهم الدنيئة والمجرمة لسيدنا عيسى عليه السلام وحاشاه مما نسبوه إليه فقد كان يدعو وجميع إخوانه من الأنبياء إلى المحبة والإخاء والسلام. [(٢)]

- **استئصال الثقافة الإسلامية:**

بعد سقوط غرناطة بعدة أعوام، أمر الكاردينال "كمنيس" بجمع الآثار الفكرية والدينية الإسلامية المتخصصة بالعلوم والآداب مما صنفه المسلمون وأودعوه المكتبات العظمى في الأندلس والمكتبات الخاصة في مختلف أنحاء الأندلس.

---

(١)المصدر السابق،(ص/ ٦٢ وما بعدها).

(٢) للتوسع انظر:

- تاريخ وفظائع ديوان التفتيش في البرتقال وأسبانيا، جرجي الحداد، طبع بسان باولو البرازيل، [١٩٢٣م].(البرتقال هي الاسم القديم للبرتغال عند المؤرخين المسلمين)
- ديوان التحقيق والمحاكمات الكبرى، محمد عبد الله عنان، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الأولى [١٣٤٨هـ-١٩٣٠م].
- محاكم التفتيش في أسبانيا والبرتغال، د.علي مظهر، الطبعة الأولى، [١٣٦٦هـ-١٩٤٧م].

وجمعت الكتب أكداساً مكدسةً في ساحات غرناطة، واحتفل بإحراقها في حفل من أعمال الإيمان، وبلغ ما أُحرق من الكتب في تلك المحنة **أكثر من مائة ألف كتاب**، وفقاً لأدق التقديرات وأكثرها اعتدالاً.. ومن الغريب أن هذا العمل الذي يُشين أي مجتمع متمدن يجد بين العلماء الإسبان المحدثين من يؤيده ويشيد به وبنتائجه في حماية سياسية التنصير الإسبانية، ويكفي أن نشير إلى رسالة المستشرق "سيمونيت" في هذا الموضوع وحماسته البالغة في الدفاع عن تصرف الكاردينال "كمينسي" واستمرت أسبانيا النصرانية في تعقبها للكتب العربية ومطاردتها ، ثم حظر استعمال اللغة العربية على العرب المتنصِّرين (المورسكيين) وفرضت عليهم اللغة القشتالية(١).

المطلب الثالث: هل انتهت الحروب الصليبية ؟..

إضاءة

إن ما مرّ معنا يؤكد بما لا ينتابه الشك، أن الحروب الصليبية مستمرة، ولم تنتهِ بهزيمة الحركة الصليبية في بلاد الشام ومصر، ولا بانتصارها في الأندلس، بل كان لها ذيول وامتدادات، واستمرت بأساليب عدة حتى عصرنا الحاضر.

● فبعد سقوط الأندلس بدأت مباشرة موجة حروب صليبية جديدة، وهي **موجة تنصير وموجة استعمار بلاد العالم الإسلامي**، وقد امتازت عن الحروب الصليبية السابقة بأمور عدة سوف نتحدث عنها في كتاب العدوان

---

(١) انظر: الآثار الأندلسية الباقية في أسبانية والبرتغال، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي – القاهرة، الطبعة الثانية، (١٤١٧هـ-١٩٩٧م)(ص/٤٣٠ وما بعدها).

التبشيري والاستعماري على الرسالة والرسول ﷺ والمسلمين بمشيئة الله تعالى..

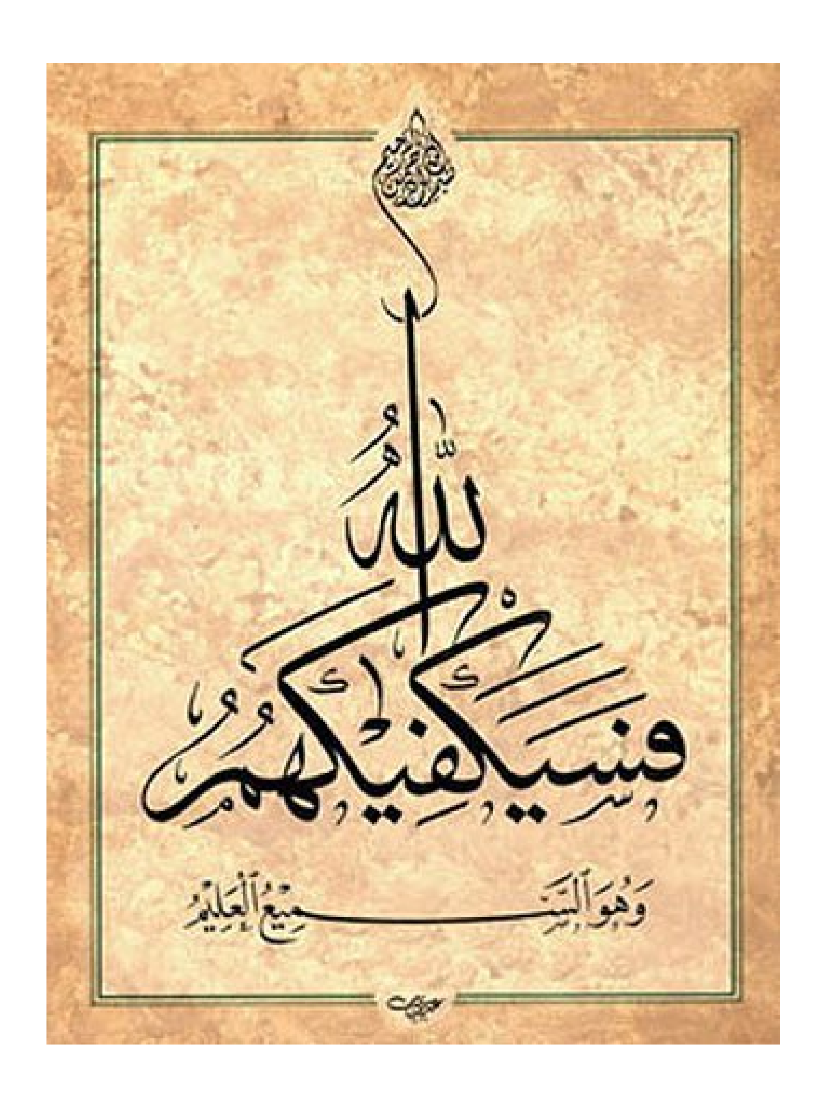
- وفي عصرنا الحاضر أعلنها "جورج بوش الابن" رئيس الولايات المتحدة الأمريكية صراحة أمام عدسات التلفاز عندما أشار إلى أن الحروب التي تخوضها بلاده في أفغانستان والعراق، هي حروب صليبية ألهمه الله بالقيام بها.

وعندما انتشرت مكنونات صدره وشكلت أزمة دبلوماسية وفضيحة سياسية، حاول أن يرقع الخرق لكنه اتسع عليه.. ﴿...قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة التوبة] .

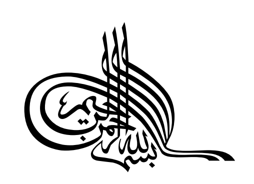
سؤال

هل يستيقظ المسلمون من سُباتهم؟!!.. ويقرؤوا الأحداث قراءة صحيحة؟!! فيعملوا على بناء صحوة إسلامية تنهض بالأمة من جديد عن طريق برامج تجديدية وإصلاحية وعلمية وتربوية واجتماعية وعسكرية واقتصادية وسياسية حتى تحقق أهدافها؟!!.

* * *

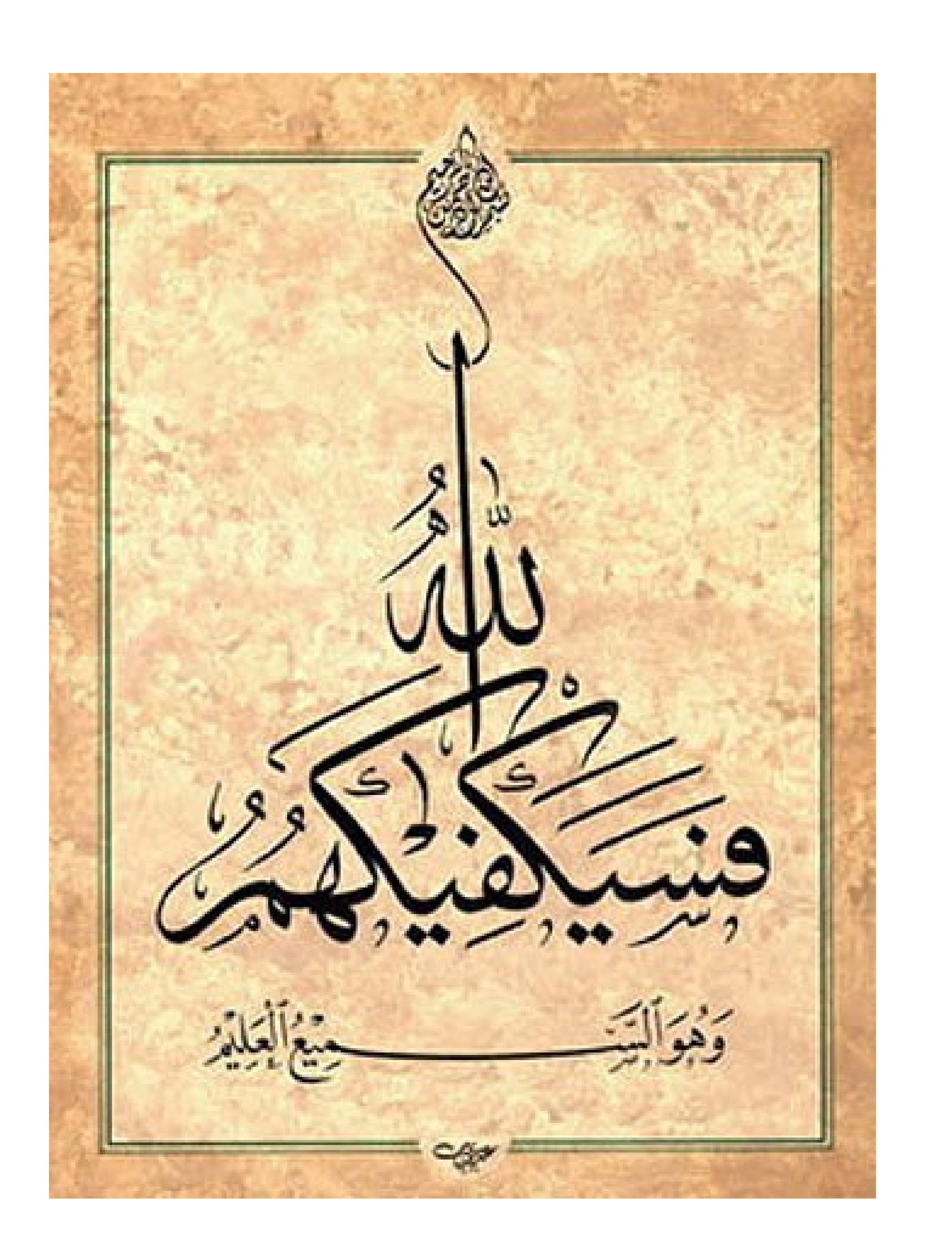

فسيكفيكهم الله
وهو السميع العليم





دور الحروب المغولية في العدوان على الرسالة والرسول ﷺ والمسلمين

من /٦١٦هـ- ٨٠٥ هـ / إلى /١٢١٩م- ١٤٠٤م/


فسيكفيكهم الله
وهو السميع العليم

تمهيد:

- انطلق المغول بقيادة "جنكيز خان" من مدينة " قرة قورم" في منغوليا في بداية (القرن السابع الهجري – الثالث عشر الميلادي) عام (٦١٦هـ– ١٢١٩م) ، بجيوش جرارة من " التتار" [١] لمهاجمة بلاد المسلمين ..

- ويلاحظ أن حروب المغول ضد المسلمين بدأت بعد /١٢٧/ سنة هجرية على بدء الحروب الصليبية المشهورة وقبل انتهائها ب /٨٦/ سنة هجرية، وبدأت الحروب المغولية متزامنة مع الحملة " الصليبية الخامسة " وسقوط " دمياط " في مصر عام /٦١٦هـ– ١٢١٩م/، واستمرت حروب المغول من الشرق، وحروب الصليبيين في الشرق والغرب مترافقة لمدة /١٨٩/ سنة هجرية.

- ثم انهارت الهجمة المغولية وتوقفت ، بينما استمرت الحروب الصليبية ولم تتوقف.

- كما يلاحظ أن الدوافع لهذه الحروب المغولية، القضاء على الدول أو إخضاعها تلبية لطموح أباطرتهم ببسط سلطان ملكهم على جميع سكان الأرض، انطلاقاً من زعمهم بأن الله أوكل إليهم حكمهم، والحقيقة أنهم يفعلون هذا إرضاء لشهوة الزعامة والملك، وجمع الغنائم ونهب الثروات[٢]

---

(١) المغول والتتار اندمج بعضهم في بعض حتى يصعب التمييز بينهما ، انظر تاريخ الإسلام ، د. حسن إبراهيم حسن ، (١٣٢/٤) .

(٢) انظر العصر المماليكي في مصر والشام ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، دار النهضة العربية ، =

بخلاف الدافع للحروب الصليبية المتمثل ببسط سلطان الصليبية المسيحية على بلاد المسلمين وتحويلها إلى المسيحية بالسيف والقضاء على الإسلام ..

● ويلاحظ أن الحروب المغولية لم تعمر ولم تستمر ، بينما نجد أن الحروب الصليبية النابعة من أهداف وأحقاد دينية أعلنت عام (٤٨٨هـ— ١٠٩٥م) ولكنها لم تتوقف إلى اليوم ، بل تطورت لتتخذ أساليب متعددة عسكرية وثقافية واقتصادية وسياسية ..

● ويلاحظ أن المغول القبجاق تأثروا بالإسلام فاعتنقوه وانتقلوا من جبهة أعدائه إلى جبهة أنصاره، بينما كانت لدى الصليبيين أهداف واضحة لتنصير المسلمين وهزيمة الإسلام انطلاقاً من عصبية وعداوة دينية وسياسية واستعلائية وإقصائية ..

إضاءة

أقام أعداء الإسلام تحالفاً دولياً لمحاربة المسلمين ، حيث تحالف الشرق المغولي مع الغرب الصليبي لتحقيق أهدافهم المتباينة ، ونفذوا طوقاً على شكل كماشة من الشرق والغرب..

فهاجمت جيوش المغول العالم الإسلامي من جهة الشرق حتى وصلت إلى " عين جالوت " قرب " بيسان " في فلسطين .. وهاجمت جيوش الغرب الصليبي العالم الإسلامي من جبهة الغرب في الأندلس وشمال أفريقيا وبلاد الشام.

● وعلى أرض فلسطين بدأت مسيرة التحرير من العدوان المغولي بقيادة

القاهرة ، الطبعة الثانية (١٩٧٦ م) . (ص / ٢٦) .

الملك المظفر قُطُز، ومن بعده الملك الظاهر بيبرس ، ومن بعده الملك المنصور قلاوون.. فتحققت هزيمة جيوش الشرق المغولي في عين جالوت عام (٦٥٨هـ– ١٢٦٠م) على يد الملك المظفر قطز، وتابع بيبرس تحرير بلاد الشام وما وراءها من قبضة المغول، واستكمل قلاوون مسيرة الدفاع عن بلاد الشام من هجمات المغول..

المبحث الأول

الصراعات وواقع جبهة المقاومة

المطلب الأول : الصراعات الداخلية تُغري الأعداء.

• قبل بدء الحروب المغولية، كان العالم الإسلامي منقسماً إلى دويلات كثيرة، انشغل أكثر حكامها بالتآمر على بعضهم والاقتتال فيما بينهم، بقصد التوسع والسطو على أملاك الآخرين، تلبية لشهوة الحكم التي أعمت بصائرهم، وصدتهم عن مصالح شعوبهم!!..

إضاءة

لم يفكر حكام المسلمين المتنازعين والمتقاتلين في إقامة حلف إسلامي يصد العدوان المغولي الجارف قبل أن يستفحل خطره، فضلاً عن صد التيار الصليبي الذي احتل عدداً من بلدان المسلمين، فصار المسلمون أمام جبهتين مغولية في الشرق وصليبية في الغرب..لقد غرقوا في نزاعاتهم وأهوائهم حتى سقطوا أذلاء صاغرين..

فالخلافة العباسية في بغداد، ضعيفة واهنة تقلصت إلى حدود ضيقة جداً، ولم يكن للخلفاء في بغداد حول ولا قوة ، وليس لهم من الحكم سوى أن يذكر اسمهم في دعاء خطبة الجمعة، ونقش أسمائهم على النقود[1] ومنح

---

(١) انظر : تاريخ الإسلام، د . حسن إبراهيم حسن، (١٧/٤) .

البركة للسلاطين المتغلبين أصحاب السلطة الحقيقية الذين يحكمون البلاد الإسلامية، وكان السلاطين المتغلبون على بغداد هم الذين ينصبون الخليفة أو يخلعونه أو يقتلونه أو يسملون عينيه أو يسجنونه أو ينفونه !!..

● وقد تحدثنا بإسهاب في الفصلين الأول والثاني عن واقع التمزق والصراعات التي كان يعيشها العالم الإسلامي .. وواقع الخلفاء والحكام والسلاطين وواقع جبهة المقاومة الإسلامية في غرب العالم الإسلامي ووسطه. وسنبحث الآن في واقع الجبهة الشرقية للعالم الإسلامي ..

المطلب الثاني: واقع الجبهة الشرقية للعالم الإسلامي قبل الغزو المغولي.

● كانت الدولة الخوارزمية [1] دولة المواجهة مع المغول، فقد امتدت إلى أقصى شمال شرق العالم الإسلامي، على التخوم المحاذية لدولة " الخطا "[2] ، وبلغت الدولة الخوارزمية أقصى اتساعها في عهد علاء الدين خوارزم شاه عام /٦١٤هـ/ الملك الخامس لهذه الدولة، أي بعد مئة سنة تقريباً على تأسيسها ، فصارت تمتد من بحر العرب جنوباً، إلى نهر السند في الهند إلى الصين ومنغوليا شرقاً، إلى فرغانه إلى نهر سيحون وبحيرة خوارزم إلى بحر قزوين إلى أذربيجان شمالاً..، وامتدت غرباً إلى قرب العراق..

---

(١) انظر: الخريطة رقم /١٤/ في فهرس الخرائط.

(٢) قبائل تركية وثنية هاجرت من شمال الصين إلى غربها في إقليم تركستان ، فأقاموا دولة انتهت باستيلاء المغول عليها عام (٦١٥ هـ – ١٢١٨ م) .

أي أنها كانت تشمل أجزاءً من إيران والهند وباكستان وأفغانستان وكازخستان وتركمانستان وقرغيستان وأوزباكستان وطاجيكستان وأذربيجان وتركيا[١] وكانت دولة " الخطا "حاجزاً يفصل بين المغول والدولة الخوارزمية ..

● أسس القائد " خوارزم شاه " الدولة الخوارزمية عام (٤٩٠هـ-١٠٩٧م)[٢] -مع انطلاقة الحروب الصليبية- عندما عينه السلطان السلجوقي " بركياروق " حاكماً لإقليم خوارزم ، وكان والده " نوشتكين "[٣] أحد الأتراك في بلاط " ملكشاه " والد "بركياروق "..

● وفي عام /٥٢١هـ-١١٢٧م/ توفي "خوارزم شاه" فخلفه ابنه " إتسز"[٤]، وفي حمأة الصراع بين الممالك الإسلامية تحالف السلطان " إتسز " الخوارزمي مع دولة " الخطا " ضد السلطان السلجوقي " سنجر " ابن ملكشاه، وقامت دولة " الخطا " باحتلال أراضي سنجر عام (٥٣٦هـ-١١٤٢م) ، وقام "إتسز بن خوارزم شاه " بالاستيلاء على خراسان ولكن " سنجر " استعادها ثانية عام (٥٣٧هـ) وامتد الصراع بين السلطانين حتى موتهما، واشترك في الصراع الجيوش والأدباء والشعراء الذين يمتلكون القوة الإعلامية في ذلك العصر !!..

---

(١) وكانت عاصمة هذه الدولة المترامية الأطراف مدينة "أورجندة" الواقعة في تركمانستان حالياً .

(٢) أي في العام نفسه الذي بدأت فيه الحروب الصليبية على بلاد الشام .

(٣) أسرة من أصول تركية .

(٤) انظر : تاريخ الإسلام، د . حسن إبراهيم حسن، (٩٥/٤) نقلاً عن صبح الأعشى للقلقشندي.

● وبعد وفاة " إتسز بن خوارزم شاه " عام (٥٥١هـ-١١٥٦م) استطاع ابنه السلطان "آيل أرسلان " طردَ السلاجقة من خراسان والاستيلاء عليها ..

● وفي عام (٥٦٨هـ– ١١٧٢م) توفي " آيل أرسلان " فاشتد الصراع بين ولديه على الحكم، فتحالف ابنه الأكبر "علاء الدين تُكُش" مع دولة "الخطا" الوثنية وأسقط أخاه "سلطان شاه محمود" وانتزع الملك منه ..[١] ثم تحالف "تكش" مع الخليفة العباسي "الناصر لدين الله" ضد السلطان السلجوقي الذي يحكم العراق "طغرلبك الحفيد"، فالتقى الجيشان الخوارزمي والسلجوقي عند مدينة "الري" جنوب بحر قزوين عام (٥٩٠هـ– ١١٩٣م)، فانتصر "تكش" على جيش "طغرلبك" الذي قتل في المعركة.. وبهذا النصر امتد سلطان الخوارزميين من خوارزم إلى حدود العراق[٢].

● وفي عام (٥٩٦هـ-١٢٠٠م) توفي السلطان الخوارزمي " تُكُش " فتولى الحكم بعده ابنه "علاء الدين خوارزم شاه"، وفي العام التالي بدأ صراع عنيف بين الدولتين الإسلاميتين الغورية بقيادة ملكها "شهاب الدين الغوري" والخوارزمية بقيادة ملكها "علاء الدين خوارزم شاه"، فاستولى الغوريون على الأقاليم الخراسانية من الخوارزميين..

● وفي عام (٦٠٢هـ-١٢٠٦م) استعاد "علاء الدين خوارزم شاه" ما

(١) انظر : الدولة الخوارزمية والمغول ، حافظ أحمد حمدي ، (ص/٢٦ وما بعدها) .

(٢) انظر: الكامل لابن الأثير، (٢٣٢/١٠).

أخذه الغوريون، بل استولى على جزء من مملكتهم، ولما جاء عام (٦١٢هـ-١٢١٥م) استولى "علاء الدين خوارزم شاه" على "غزنة"[(١)] عاصمة الغوريين، وقتل حاكمها[(٢)].

- وقد اكتشف رسائل في "غزنة" أرسلها الخليفة العباسي "الناصر لدين الله" إلى الغوريين، ليتآمر معهم على مهاجمة الدولة الخوارزمية، **بل إن الخليفة العباسي كان يتآمر مع غير المسلمين (دولة الخطا) على مهاجمة الخوارزميين، ويَعدُهم بتأييد سيطرتهم على بلاد المسلمين التي يحتلوها من الخوارزميين**[(٣)]. يؤكد ابن الأثير في كتابه "الكامل في التاريخ"[(٤)] وأبو الفدا في "المختصر في أخبار البشر" [(٥)] والمقريزي في "السلوك لمعرفة دول الملوك" [(٦)] **أن الخليفة "الناصر لدين الله" العباسي قد استعان بـ "جنكيز خان" للقضاء على الدولة الخوارزمية** للحيلولة دون سقوط بغداد بيد السلطان "علاء الدين خوارزم شاه" بل تحالف الخليفة أيضاً مع الباطنية الإسماعيلية لاغتيال أمراء الدولة الخوارزمية، فقتلوا

---

(١) من مدن أفغانستان.

(٢) انظر: الكامل لابن الأثير، (١٠/٣٦٦).

(٣) انظر: الدولة الخوارزمية، حافظ أحمد حمدي، (ص/٢٩ وما بعدها).

(٤) انظر: الكامل في التاريخ، لابن الأثير، (١٠/٤٠٢و٤٥٣).

(٥) انظر: المختصر في أخبار البشر، لأبي الفداء، (٣/١٤٢).

(٦) انظر: السلوك لمعرفة دول الملوك، للمقريزي، (١/٣٤١).

"أغلمش" نائبهم في العراق العجمي[1].

● هذه المؤامرات على الدولة الخوارزمية أضعفتها وجعلتها لقمة سائغة للمغول، ثم جعلت بغداد عاصمة الخلافة العباسية لقمة سائغة ابتلعها المغول بسرعة أكبر!!..

تعجب

والعجيب أن الخليفة العباسي بسبب غبائه السياسي والعسكري لم يكن يُدرك أن الدولة الخوارزمية كانت تمثل سدّاً منيعاً بين المغول والبلدان الإسلامية الأخرى، وخاصة العراق ودار الخلافة في بغداد، فإذا انهار السد بلغ الطوفان دار الخلافة وهذا ما حصل.. وكان الأجدر بالخليفة وباقي حكّام المسلمين أن يدعموا الدولة الخوارزمية بكل أسباب القوة والصمود حتى لا تنهار فيجتاحهم الطوفان، ولكنها علّة الأنانية وشهوة الحكم التي أعمتهم وأصمتهم، وركضهم وراء تحقيق المكاسب الشخصية ولو كان ذلك يهدد مصالح الأمة، وكل ذلك صرفهم عن واجبات توحيد الأمة في وجه أعدائها، **وكانت النتيجة أنهم سقطوا جميعاً.**

● وفي عام (٦١٤هـ) انتهى علاء الدين" من بسط سُلطانه على العراق العجمي حتى همذان[2] وفارس وأذربيجان.. وبهذا بلغت الدولة الخوارزمية أقصى اتساعها من حدود العراق غرباً إلى حدود الهند والصين شرقاً، ومن الشمال بحر قزوين إلى الخليج الإسلامي والمحيط الهندي جنوباً.

● قام السلطان "علاء الدين خوارزم شاه" بتقسيم مملكته إلى أربع

(١) انظر: الكامل في التاريخ، لابن الأثير،(٣٧١/١٠).

(٢) من مدن إيران.

ممالك، جعل على كل واحدة منها ولداً من أولاده الأربعة. [1]

● في أثناء ذلك استولى جنكيز خان على أراضي قبيلة "نعيمان" المغولية ففر زعيمها "كُشلي خان" إلى دولة "الخطا" في الغرب وبعد مدة استولى "كشلي" على حكم دولة "الخطا" فلاحق "جنكيز خان" خصمه "كشلي" فسير جيوشه للسيطرة على بلاده وإحضاره حياً أو ميتاً وذلك في عام (٦١٥هـ– ١٢١٨م) فقتل "كشلي" وأُرْسِلَ رأسه إلى "جنكيز خان" في عاصمة مملكته "قره قورم" ، وبهذا أصبح "جنكيز خان" وجيوشه المغولية على حدود الدولة الخوارزمية من جهة الشرق لايفصل بينهما أحد.

● ملك " جنكيز خان "بلاد الصين وما يليها من بلاد الترك [2] وبدأ علاقته مع الخوارزميين بعقد اتفاقية تجارية بينهما ليتفرغ لإخضاع ما تبقى من شرق آسيا ، ولكن السلطان الخوارزمي " علاء الدين " قتل التجار المبعوثين من " جنكيز خان "[3] في المرة الأولى والثانية ..، وكان تصرفاً أحمقاً يدل على جهله بقوة "جنكيز خان" وأطماعه ببلاد المسلمين، وبهذا فتح باباً واسعاً لتحل الكارثة الكبرى في العالم الإسلامي..

* * *

(١) انظر: الدولة الخوارزمية، حافظ أحمد حمدي، (ص/٣٥ وما بعدها).

(٢) المصدر السابق، (ص/١٢٨ ومابعدها).

(٣) انظر البداية والنهاية ، لابن كثير ، (٩٨/١٣) ، وانظر سيرة السلطان جلال الدين منكُبرتي ، لشهاب الدين محمد النسويِّ، (ص/٨٣ وما بعدها) .

المبحث الثاني

بدء الحروب المغولية على العالم الإسلامي

المطلب الأول: الاجتياح الأول بقيادة " جنكيز خان " .

كان جنكيز خان سفاحاً عنيفا قاتلاً بلا رحمة، استئصالياً يعمل على استئصال أعدائه حتى لا تقوم لهم قائمة من جديد ، فيقتل رجالهم، ويسبي نساءهم وأطفالهم، ويدمر مدنهم، ويستولي على أموالهم، ويحرق مزروعاتهم، ويأسر المَهَرة من أصحاب العلوم والحِرف ويأخذهم إلى عاصمته ليستفيد من خبراتهم في بناء قوة إمبراطوريته ..

هذا ما فعله مع المسلمين في عدوانه الشديد عليهم وعلى بلادهم لمدة ثماني سنوات متواصلة، بدأت عام (٦١٦هـ- ١٢١٩م) وانتهت بموته عام (٦٢٤هـ- ١٢٢٧م)..

فقد أغرى ضعف العالم الإسلامي الشديد وتفككه ، " جنكيز خان " لاجتياحه بجيوشه المغولية الجرارة .. **فالخلافة العباسية** لاحول لها ولا قوة، **ودولة السلاجقة** تمزقت إلى دويلات، **والدولة الخوارزمية** في صراع داخلي بين أبناء " علاء الدين خوارزم شاه " وصراع خارجي مع الدولة الغورية، **وبلاد**

الشام ومصر والحجاز واليمن تمزقت بالصراعات بين الأمراء الأيوبيين، وأما **الغرب الأقصى والأوسط** فالصراعات تمزقه حيث سقطت دولة الموحدين وظهرت دولة بني مرين، وأما **الأندلس** فقد انهارت فيها المقاومة الإسلامية أمام الصليبيين بعد هزيمة معركة العقاب عام (٦٠٩هـ– ١٢١٢م) ونفذ الصليبيون مذابح رهيبة في مدن المسلمين..

إضاءة

إن جميع الدويلات المفككة والمتصارعة في العالم الإسلامي، لم تفكر في صناعة جبهة موحدة ضد الغزو المغولي بل أوغلت في الصراعات الدامية التي أنهكتها وجعلتها عاجزة عن مساعدة الدولة الخوارزمية ضد هذا الغزو..

- أدرك " جنكيز خان " هذا الوضع فبدأ عام (٦١٥هـ– ١٢١٨م) بالاستعداد لاجتياح الدولة الخوارزمية، وفي عام (٦١٦هـ – ١٢١٩م)، بدأ اكتساحها، فاستولى على بلاد ما وراء نهر جيحون[1] ثم قسَّم الجيوش فوجهها إلى أربعة محاور:

الجيش الأول: " لاحق السلطان خوارزم شاه " باتجاه بحر قزوين، فألجأه إلى أحد جزره حيث مات عام (٦١٧هـ– ١٢٢٠م).

الجيش الثاني: اتجه إلى إقليم خراسان.

(١) نهر " جيحون " : يقع في جمهورية أوزباكستان ، ويسمى نهر " أموداريا " ، وعندما يقال بلاد ما وراء النهر ، فالمقصود هو هذا النهر نهر "جيحون " ، وأما نهر " سيحون " الذي يقع شرقه ، فهو أيضاً في جمهورية أوزباكستان ويسمى نهر " سرداريا " .

الجيش الثالث: اتجه إلى إقليم خوارزم.

الجيش الرابع: اتجه نحو إقليم غزنة.

واستطاع جنكيز خان أن يكتسح الدولة الخوارزمية خلال أربع سنوات انتهت عام (٦٢٠هـ– ١٢٢٣م)، بعد أن قتل العباد ودمر البلاد فأصبحت أثراً بعد عين ..

وقد تحدث "ابن الأثير" في كتابه "الكامل في التاريخ" عن هذه الفاجعة فقال :

(لقد بقيت عدة سنين مُعرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها، كارهاً لذِكرها، فأنا أقدم إليه رجلاً وأؤخر أخرى، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين، ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك، فياليت أمي لم تلدني، ويا ليتني متُّ قبل هذا وكنت نسياً منسياً. إلا أني حثني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها، وأنا متوقف، ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدي نفعاً، فنقول هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التي عقت الأيام والليالي عن مثلها، عمت الخلائق، وخصت المسلمين، فلو قال قائل: إن العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها) ... (وهؤلاء لم يبقوا على أحد بل قتلوا النساء والرجال والأطفال، وشقوا بطون الحوامل، وقتلوا الأجنة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم لهذه الحادثة، التي استطار شررها، وعمَّ ضررها، وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الريح) [1] .

---

(١) انظر: الكامل فبي التاريخ ، لابن الأثير (٣٩٩/١٠) .

- **وحشية المغول :**

* لقد كان المغول عند احتلالهم مدينة يدمرونها تدميراً شاملاً، واذا استسلم أهلها وطلبوا عقد صلح يخضعون بموجبه لحكم المغول مع دفع أموال طائلة لهم مقابل الأمان على أنفسهم وديارهم ، أظهر المغول لهم الموافقة، ثم إذا دخلوها نقضوا العهد على الأغلب ودمروها تدميراً..

كان المغول إذا دخلوا المدينة أخرجوا أهلها منها بثيابهم فقط، ثم يعذبونهم، ثم يفصلون أصحاب الحرف عنهم، فيأخذوا أصحاب الحرف لينتفعوا منهم في أعمالهم الحربية والعمرانية، ثم يجمعون أغنياء المدينة ويطلبون منهم إخراج كنوزهم المدفونة، ثم يفصلون الشباب عن باقي المدنيين ويأخذونهم أسرى ويضعونهم في مقدمة جيوشهم ويجبرونهم على حصار وقتال المدن الإسلامية معهم، وكانوا يأخذون الشابات والفتيان أسرى ليتملكونهم أو يبيعونهم، ثم يقتلون باقي السكان الذين لا يصلحون للسبي، ويفصلون رؤوسهم عن أجسادهم حتى لا ينجو أحد منهم بالاختباء بين الجثث ، ثم ينهبون المدينة ويدمرونها ويحرقونها ..

وكانوا يبقرون بطون القتلى ليستخرجوا منها ما ابتلعه بعضهم من الجواهر، بعد أن يجردوا المدينة وأهلها من الذهب والفضة وما غلا ثمنه .. وأخيراً فلا ينجو من سكان المدينة إلا من استطاع الهروب ..

هذه هي خططهم في التعامل مع أغلب المدن وكذلك مع السكان، وكان لا ينجو منهم استثناء إلا القليل .. وهذا ما حصل في بخارى، التي

حاصرها " جنكيز خان " وطلب من أهلها الاستسلام على أن يعطيهم الأمان، فلما استسلموا خان العهد فسلب كنوزها وأموالها، ثم أخذ أهل الحرف منهم وأرسلهم إلى بلاده، ثم سبى من سبى، وأسر من أسر، ليستخدمهم في محاصرة المدن الأخرى ويجعلهم في مقدمة جيوشه، ثم أباح المدينة لجنده فنهبوها ودمروها..

يقول "ابن كثير" في "البداية والنهاية": ((فاصطفى أموال تجارها وأحلها لجنده فقتلوا من أهلها خلقا لا يعلمهم إلا الله عزوجل، وأسروا الذرية والنساء، وفعلوا معهن الفواحش بحضرة أهليهن، فمن الناس من قاتل دون حريمه حتى قتل، ومنهم من أسر فعذب بأنواع العذاب، وكثر البكاء والضجيج بالبلد من النساء والأطفال والرجال، ثم ألقت التتار النار في دور بخارى ومدارسها ومساجدها فاحترقت حتى صارت بلاقع خاوية على عروشها))[1] ..

إضاءة

بالرغم من كل هذه الأخطار والفظائع التي كانت تحيق بالعالم الإسلامي، فإن حكام المسلمين لم يتوحدوا في وجه هذا الخطر الداهم، بل أوغلوا في الصراعات فيما بينهم جرياً وراء مصالحهم غير مبالين بمصير الأمة الإسلامية .. وكانت الصراعات تشمل المتنفذين من الولاة والعلماء والقضاة وأصحاب المذاهب..

---

(١) انظر: البداية والنهاية ، لابن كثير ، (٩٩/١٣) ، وانظر حملات الغزو المغولي للشرق ، لابن أبي الحديد ، (ص/٣١ وما بعدها) .

وإليك ما حصل في مدينة " الري "[١] عام (٦١٧هـ–١٢٢٠م) الواقعة شمال مدينة "قم" وجنوب بحر قزوين ..

((وصل المغول إلى مدينة الري وكانت الحالة الداخلية فيها خير معين لهم على الاستيلاء عليها، فقد اختلف أصحاب المذاهب الإسلامية الأربعة في تفسير بعض نصوص القرآن وانضم أصحاب المذهبين الحنفي والشافعي بعضهما إلى بعض ووقفوا في وجه أصحاب المذهبين الآخرين. وقد أراد قاضي القضاة الشافعي أن ينتقم من خصومه، ففتح بابين من أبواب المدينة للمغول فدخلوها، وقتلوا أعداء قاضي القضاة الذين كانوا يعدون نصف عدد سكان المدينة، فلما فرغوا من مهمتهم تحولوا إلى أصحاب المذهبين المناصرين لهم، فقتلوهم جميعاً بعد أن أعلنوا أنهم لا يستطيعون التعاون مع من خانوا إخوانهم في الدين)) [٢]..

وهذا ما حصل أيضاً في مدينة " مرو "[٣] حاضرة خراسان عام (٦١٨هـ– ١٢٢١م) فبدل أن يستعد ولاتها وحكامها للدفاع عنها ضد الهجوم المغولي ، وبدلاً ((من أن يتحدوا ويتكاتفوا ويقفوا في وجه هذا العدو القوي، انقسموا شيعاً وأحزاباً، وتنازعوا على حكم هذه المدينة، كل يريد أن يستأثر بالحكم لنفسه، كما نجد أن الطامعين في السلطة يلجئون إلى المغول

---

(١) مدينة الري من مدن إيران حالياً .

(٢) انظر : الدولة الخوارزمية والمغول ، حافظ أحمد حمدي ، (ص / ١٥٤) .

(٣) مدينة مرو في تركمانستان حالياً .

يستعينون بهم على أعدائهم من المنافسين، ويعدونهم الطاعة والولاء وإمدادهم بما يحتاجون إليه من غذاء وكساء إذا وصلوا إلى الحكم)) [1] .

ويتحدث "ابن الأثير" عن الفاجعة التي حلت بمدينتي "مرو" و "نيسابور" وأهلهما بعد محاصرتهما، فيقول: ((أرسل التتر إلى الأمير الذي بها متقدما على من فيها يقولون له : لا تهلك نفسك وأهل البلد، واخرج إلينا فنحن نجعلك أمير هذه البلدة، ونرحل عنك، فأرسل يطلب الأمان لنفسه ولأهل البلد، فأمنهم فخرج إليهم فخلع عليه ابن جنكيزخان واحترمه، وقال له: أريد أن تعرض على أصحابك حتى تنظر من يصلح لخدمتنا استخدمناه وأعطيناه إقطاعا ويكون معنا، فلما حضروا عنده وتمكن منهم قبض عليهم وعلى أميرهم وكتفوهم، فلما فرغ منهم، قال لهم: اكتبوا إلى تجار البلد ورؤسائه وأرباب الأموال في جريدة، واكتبوا إلى أرباب الصناعات والحرف في نسخة أخرى ، واعرضوا ذلك علينا، ففعلوا ما أمرهم ، فلما وقف على النسخ أمر أن يخرج أهل البلد منه بأهلهم ، فخرجوا كلهم ، ولم يبق فيه أحد، فجلس على كرسي من ذهب ، وأمر أن يحضر أولئك الأجناد الذين قبض عليهم ، فأحضروا وضربت رقابهم صبرا ، والناس ينظرون إليهم ويبكون . وأما العامة فإنهم قسموا الرجال والنساء والأطفال ، فكان يوماً مشهوداً من كثرة الصراخ والبكاء والعويل ، وأخذوا أرباب الأموال ، فضربوهم وعذبوهم بأنواع العقوبات في طلب الأموال، فربما مات أحدهم من شدة الضرب، ولم يكن

(١) المصدر السابق (ص/١٧٤) .

بقي له ما يفتدي به نفسه، ثم إنهم احرقوا البلد، وأحرقوا تربة السلطان سنجر، ونبشوا القبر طلباً للمال ، فبقوا كذلك ثلاثة أيام، فلما كان اليوم الرابع أمر بقتل أهل البلد كافة، وقال هؤلاء عصوا علينا فقتلوهم أجمعين، وأمر بإحصاء القتلى، فكانوا نحو **سبعمائة ألف قتيل**، فإنا لله وإنا إليه راجعون ممّا جرى على المسلمين ذلك اليوم، ثم ساروا إلى نيسابور فحصروها خمسة أيام، وبها جمعٌ صالحٌ من العسكر الإسلامي، فلم يكن لهم بالتتر قوة فملكوا المدينة، وأخرجوا أهلها إلى الصحراء، فقتلوهم وسبوا حريمهم وعاقبوا من اتهموه بمال كما فعلوا بمرو، وأقاموا خمسة عشر يوماً يخربون ويفتشون المنازل عن الأموال، وكانوا لما قتلوا أهل مرو قيل لهم إن قتلاهم سلم منهم كثير، ونجوا إلى بلاد الإسلام فأمروا بأهل نيسابور أن تقطع رؤوسهم لئلا يسلم من القتل أحد)) [1] .

* وهكذا استطاع " جنكيز خان " خلال عامين أن يسيطر على القسم الأكبر من الدولة الخوارزمية ويحدث فيها دماراً وقتلاً ونهباً لم يعرف التاريخ له مثيلاً ..

- ففي عام (٦١٦ هـ – ١٢١٩ م): دمر بخارى .
- وفي عام (٦١٧ هـ – ١٢٢٠ م): دمر سمرقند .
- ودمر عاصمة الدولة الخوارزمية "أورجندة " .

---

(١) انظر الكامل في التاريخ ، لابن الأثير ، (١٠/٤٢٠ وما بعدها) ، وانظر حملات الغزو المغولي للشرق ، لابن أبي الحديد ، (ص/٥١ وما بعدها) .

- واستولى على مازندران .
- واستولى على الري .
- واستولى على إقليم أذربيجان .
- واستولى على إقليم أرمينيا .
- واستولى على إقليم جورجيا (بلاد الكرج) .
- ودمر إقليم فرغانة .
- ودمر ترمذ .
- واستولى على بلخ .
- واستولى على إقليم الطالقان .
- ودمر مرو .
- ودمر نيسابور .
- واستولى على هرارة .
- ودمر خوارزم .
- ثم بعد سيطرته على القسم الشمالي من الدولة الخوارزمية من بلاد ما وراء النهر إلى الحدود العراقية، قرر " جنكيز خان " أن يتوجه إلى القسم الجنوبي من الدولة الخوارزمية (حالياً أفغانستان وباكستان) باتجاه مدينة " غرنة " التي تقع على بعد /١٥٠ كم/ تقريباً جنوب مدينة كابول ..

* وكان جلال الدين منكبرتي وريث الدولة الخوارزمية، قد هرب إلى جنوب البلاد واستقر في غرنة، فلما علم بتوجه جيوش " جنكيز خان " نحو غرنة جمع ستين ألفاً من بقايا الجيش الخوارزمي الهارب، واستطاع أن يتحالف

مع الأمير التركي " سيف الدين بغراق " وكان تحت قيادته ثلاثون ألف مقاتل، وانضم إليه أمير مدينة هراة ومعه فرقة من جيشه وكانت مدينة هراة قد استولى عليها المغول ..

تجمّع هذا الجيش تحت قيادة جلال الدين ودارت معركة بين جيشه وجيش المغول قرب مدينة غرنة، وبعد ثلاثة أيام من القتال المرير انهزم المغول باتجاه إقليم طالقان حيث مركز قيادة "جنكيز خان" ..

ثم التقى جيش جلال الدين بجيش "جنكيز خان" وعلى رأس الجيش أحد أولاده، وكانت المعركة في "كابول" في أفغانستان وانتصر جلال الدين مرة ثانية [١] ..

ولكن وبعد أن انتصر المسلمون عسكرياً، بدؤوا ينهزمون دينياً وأخلاقياً ، بدؤوا يتنازعون على الغنائم وكانت النتيجة أنه انفرط عقد التحالف ، بل وتقاتل المسلمون يسفك بعضهم دماء بعض ، وانشق الأمير التركي عائداً إلى بلاده ، لقد انهارت القيم الإسلامية فيهم فانهارت قوتهم وانهار الجيش ، تنازعوا على الدنيا ففشلوا !!.. [٢] وبينما هم في نزاعاتهم وفشلهم جاءهم " جنكيز خان " بنفسه .. فهرب " جلال الدين " بما تبقى من الجيش جنوباً ،

---

(١) الدولة الخوارزمية والمغول، (ص /١٥٤ وما بعدها) .

(٢) انظر قصة التتار من البداية إلى عين جالوت ، د. راغب السرجاني ، (ص/٥١ وما بعدها) ، وحملات الغزو المغولي للشرق، لابن أبي الحديد ، (ص/٥٤ وما بعدها)،وسيرة جلال الدين منكبرتي، للنسوي،(ص/١٠٨) .

فلحق به " جنكيز خان " ، وتابع جلال الدين الهروب حتى وصل إلى نهر السند على حدود الهند ، وأمام النهر التقى الجيشان عام (٦١٨هـ) ودارت معركة طاحنة لمدة ثلاثة أيام، ثم هرب " جلال الدين " عبر نهر السند مع أهله وحاشيته تاركاً المسلمين وبلادهم تحت سلطان سيف المغول وتنكيلهم[١] ، ورجع " جنكيز خان " ليدمر كل ما يجده في طريقه من مدن وقرى المسلمين فدخل غرنة فقتل أهلها وسبى نساءها ونهب أموالها وخربها وأحرقها وكذلك فعل في أريافها ((فأصبحت تلك الأعمال جميعها خالية من الأنيس خاوية على عروشها كأن لم تغنَ بالأمس)) [٢] .

* وبعد أن أنجز "جنكيز خان " هذه الفظائع خلال عامي (٦١٦هـ و ٦١٧هـ) زحفت جيوشه عام (٦١٨هـ– ١٢٢١م) لتتابع سلسلة الفظائع :

- فدمرت مدينة مراغة في أذربيجان .
- ودمرت مدينة همذان في إيران .
- ودمرت مدينة أردويل في إيران .
- ودمرت مدينة بيلقان في إيران .
- واجتاحت داغستان .
- واجتاحت الشيشان .

* ولما جاء عام (٦١٩هـ) كان " جنكيز خان " قد سيطر سيطرة

---

(١) انظر: النسوي ، (ص/١٥٨ وما بعدها) .

(٢) انظر : الكامل في التاريخ ، لابن الأثير (٤٢٣/١٠) .

كاملة على مساحة عظيمة من الأرض تشمل أراضي الدول المعاصرة التالية : كازاخستان – قرغيزستان – طاجيكستان – أوزبكستان – أفغانستان – تركمانستان – أذربيجان – أرمينيا – جورجيا – معظم باكستان – معظم إيران – أجزاء من شمال الهند ..

* ولما جاء عام (٦٢٠هـ– ١٢٢٣م) قرر " جنكيز خان " ترك هذه البلاد بعد تدميرها والعودة بما غنم إلى " قره قورم " عاصمة إمبراطوريته ، فوصلها عام (٦٢٢هـ) وبدأ بإخضاع القبائل المتمردة عليه ، وأعلن الحرب على إمبراطورية " سونج " في بلاد الصين ، وعندما قارب الموت قسَّم إمبراطوريته [(١)] على أبنائه الأربعة : "جوجي" و "جيغتاي" و " أجتاي " و " تولوي "[(٢)].

المطلب الثاني: استمرار الصراعات بين حكام المسلمين.

● وما إن قرر " جنكيز خان " مغادرة الدولة الخوارزمية المدمرة عام (٦٢٠هـ – ١٢٢٣م) وأصبح في أقصى شمالها الغربي، حتى بدأت تظهر على السطح الصراعات بين الأمراء الخوارزميين على الحكم[(٣)] ، فقد عاد غياث الدين بن السلطان علاء الدين محمد خوارزم (الذي مات في جزيرة

---

(١) انظر: الخريطة رقم /١٥/ في فهرس الخرائط.

(٢) انظر : الدولة الخوارزمية والمغول ، حافظ أحمد حموي ، (ص/١٩٤) .

(٣) كان للسلطان علاء الدين أربعة أولاد ، قتل منهم اثنان على يد المغول، وهرب غياث الدين إلى مازندران قرب بحر قزوين، وهرب جلال الدين إلى الهند .

في بحر قزوين) إلى استرداد سلطانه في جنوب غرب الدولة التي ولاه أبوه عليها ، بعد فراره من المغول إلى قلاع مدينة " مازندران "[1] في جنوب بحر قزوين ..

ولكن خاله " إيفان " اتفق مع أحد كبار القواد على شق عصا الطاعة والتمرد على الأمير غياث الدين، بتحريض من الخليفة العباسي " الناصر لدين الله " فنشأ صراع مسلح بين جيشيهما انتهى بانتصار غياث الدين عام ٦٢٠ هـ / فأصبح سيداً على العراق العجمي وخراسان بالإضافة إلى إقليم مازندران ، ثم بدأ بالاستيلاء على مدن فارس[2] ..

تعجب

العجيب من أمر خليفة العباسيين في بغداد " الناصر لدين الله " أن كل هذه الأحداث الخطيرة التي جرت في شرق العالم الإسلامي على يد المغول وقد أصبحوا على أبواب العراق، لم تحرك نخوته ولم توقظ أحاسيسه الدينية الميتة بل ولافطنته السياسية ومصلحته الشخصية..

فبدل أن يدعم غياث الدين الذي سيطر على الأراضي الفاصلة بين العراق والمغول من الشمال إلى الجنوب ، وبهذا أصبح يشكل سداً يحمي العراق من هجماتهم .. وبدل أن يقيم معه تحالفاً لمواجهة العدو المشترك ، ويدافع عن المسلمين .. قام بتحريض الخصوم عليه لا ليحمي دماء المسلمين

---

(١) وهي من مدن إيران حالياً .

(٢) انظر : الكامل في التاريخ ، لابن الأثير ، (٤٣٦/١٠ ومابعدها) .

بل ليساهم في سفك دماء المسلمين، ويوهن السد الذي يحول بينه وبين المغول خوفاً من أن يتجه غياث الدين إلى بغداد ليستولي عليها كما كان يأمل أبوه.. فتأمل !!..

إضاءة

لقد ابتليت الأمة الإسلامية بحكام ظلمة فاسدين مستبدين غير مؤهلين، من أمثال هذا الخليفة، يفتقرون إلى الحنكة السياسية والفهم الاستراتيجي، وتدبر العواقب، وفقه المآلات ولا يهتمون إلا بمصالحهم وأهوائهم، وهم بالإفساد أذكياء محنكون، وفي مواجهة أعداء الأمة أغبياء جاهلون ..

لا يستعدون لمواجهة أعداء الأمة ولا يأخذون بأسباب القوة، ويضيعون الفرص، ويهدرون الأموال، ولا يكترثون بمعاناة الشعوب، ولا يستثمرون الطاقات العظيمة في الأمة، بل يكبتونها ويحاربونها لأنهم يرون أن في كل موهبة خلاقة تهديداً لمكانتهم ومصالحهم ..

هم ضعفاء أذلاء أمام أعدائهم، وأقوياء جبارون على شعوبهم أو خصومهم، يهادنون الأعداء ويحاربون الأشقاء ..

هكذا كان الخليفة الناصر لدين الله !!

ولا أدري أي دين ينصره !!

أتعجب بعد هذا أن يجتاح المغول بغداد عاصمة الخلافة !!..

- وأما "جلال الدين منكبرتي الابن الثاني للسلطان "علاء الدين خوارزم " والذي فرَّ إلى الهند من المغول ، فقد عاد إلى الدولة الخوارزمية عام (٦٢٢هـ- ١٢٢٥م) واستولى على " غزنة " ثم توجه إلى إقليم كرمان الذي

أخضعه لسلطانه، ثم توجه إلى أتابكية فارس فخضعت له، ثم توجه إلى مدينة أصفهان التي قدمت له فروض الطاعة والولاء ..

ثم توجه لملاقاة أخيه غياث الدين عند مدينة " الري " فتحارب الجيشان وهُزم غياث الدين وهرب، ثم ما لبث أن عاد ليكون أميراً تحت سلطان أخيه.

وهكذا استعاد جلال الدين السيطرة على مملكة أبيه ما عدا إقليم ما وراء النهر، الذي بقي تحت سلطان المغول[1] .. ولكن الدولة الخوارزمية كانت مفككة، ولم تكن خاضعة بالمطلق للسلطان الجديد "جلال الدين منكبرتي"، إذ استقل كل أمير بمنطقته وأصبح لا يعترف بالسلطان إلا بتبعية اسميَّة ..

ومع كل ذلك قرَّر جلال الدين أن يفتح صفحة صراع جديدة مع أكبر خصوم الدولة الخوارزمية وهو الخليفة العباسي الناصر لدين الله فتوجه جلال الدين إلى إقليم خوزستان المجاور لمدينة البصرة والواقع تحت سيطرة الخليفة عام (٦٢٢هـ-١٢٢٥م)، فجرت مواجهات بين جيشه وجيش الخليفة انهزم في بعضها وانتصر في بعضها الآخر، وأخيراً قرر أن يهادن الخليفة وينصرف إلى أذربيجان وجورجيا في شمالي الدولة الخوارزمية، فاستولى على جورجيا على مرحلتين في عام (٦٢٣هـ- ١٢٢٦م)[2] .

- ورغم الخطر المغولي والصليبي الداهم استمرت الصراعات بين حكام

---

(١) المصدر السابق ، (١٠ /٤٤٣) .

(٢) انظر : الدولة الخوارزمية والمغول ، (ص/٢٠٥ وما بعدها) .

المسلمين[1] في مصر وبلاد الشام، فأولاد الملك العادل الأيوبي يتصارعون على النفوذ، ويتحالف ابنه الملك الأعظم عيسى حاكم دمشق مع جلال الدين منكبرتي الخوارزمي ضد أخويه الملك الكامل حاكم مصر والملك الأشرف حاكم الجزيرة الفراتية والموصل وأعجب هذا التحالف "جلال الدين" لأنه يساهم في توسيع سلطانه ويشكل حلفاً ضد خليفة بغداد، وقام "جلال الدين" عام (٦٢٣هـ- ١٢٢٦م) بمهاجمة مدينة "خلاط"[2] الواقعة في أعالي نهري دجلة والفرات وهي من أملاك الملك الأشرف الأيوبي ففشل في الاستيلاء عليها[3]، إلا أنه عاد إلى مهاجمتها عام (٦٢٧هـ-١٢٣٠م) واستولى عليها فنهبت المدينة وقتل كثير من أهلها "وهم مسلمون" بعد أن عُذبوا بأنواع العذاب ليُخرجوا ما لديهم من أموال للاستيلاء عليها، ثم قام جنوده بسبي النساء واسترقاق الأطفال[4] ..

- وكان السلطان "جلال الدين" يتزوج على الأغلب بنات وزوجات الحكام الذين ينتصر عليهم أو يصالحهم، فتزوج ببنت الملك الأشرف التي كانت من جملة الأسرى، وقد بلغ عدد اللاتي تزوج بهن العشرات !!..[5]

---

(١) الحكام يتقاتلون ويتآمرون على بعضهم، وبلاد المسلمين ينهبها ويدمرها المغول في الشرق والصليبيون في الغرب، فتأمل !!..

(٢) خلاط: مدينة في شرق تركيا حالياً .

(٣) انظر: الكامل في التاريخ، لابن الأثير ، (٤٦٧/١٠) .

(٤) انظر: الدولة الخوارزمية ، (ص/٢١٢) ، وانظر : النسوي ، (ص/٢٩٩ وما بعدها) .

(٥) انظر: النسوي ، (ص/٣٠٣ و ٣٢٢) .

● واستمرت الصراعات بين حكام المسلمين ففي العام نفسه تشكل حلف من الملك الأشرف الأيوبي حاكم الجزيرة وحاكم دمشق أيضاً [١]،ومن أمراء الموصل وما بين نهري الفرات ودجلة، ومن علاء الدين كيقباذ سلطان الروم السلاجقة.. وسارت جيوشهم إلى مدينة "خلاط" فواجهت جيش "جلال الدين منكبرتي" فأنزلت به هزيمة منكرة وفر إلى أذربيجان، وعاد الملك الأشرف ليبسط سلطانه على المدينة من جديد [٢]..

يقول ابن الأثير واصفاً حال الملوك والحكام الفاسدين، وتخاذلهم عن الجهاد، وابتعادهم عن الدين، وظلمهم للرعية ، والصراعات فيما بينهم على الدنيا ولهوها وزينتها: ((**فما نرى في ملوك الإسلام من له رغبة في الجهاد ولا في الدين بل كان كل منهم مقبلاً على لهوه ولعبه وظلم رعيته وهذا أخوف عندي من العدو**)) [٣] ..

● وكانت الخيانة ضد الأمة الإسلامية تظهر باستمرار من الإسماعيليين الذين تحصنوا بقلعة "ألموت" والقلاع الحصينة التي حولها جنوب بحر قزوين حتى حدود خراسان، وكانوا يتحالفون مع المغول ضد الدولة الخوارزمية ويحرضونهم على مهاجمتها والاستيلاء عليها، كما يتحالفون مع الصليبيين ضد الزنكيين والأيوبيين والمماليك في بلاد الشام ومصر، وينفذون عمليات

---

(١) بعد أن استولى عليها بعد وفاة أخيه الملك المعظم عيسى .

(٢) الدولة الخوارزمية (ص/٢١٤) .

(٣) انظر : الكامل في التاريخ ، لابن الأثير (٤٩١/١٠) .

اغتيال القادة المسلمين التي لم ينج منها إلا صلاح الدين الأيوبي بسبب الدروع التي كان يلبسها، وكانوا يستقبلون المتمردين على الحكام الذين يلجؤون إلى حصونهم ويقدمون لهم الحماية والدعم ..

* * *

المبحث الثالث

عودة الحرب المغولية ثانية

المطلب الأول: الاجتياح الثاني بقيادة " أجتاي بن جنكيز خان ":

بعد موت "جنكيز خان" عام (٦٢٤هـ-١٢٢٧م) ، اجتمع قادة المغول في عاصمتهم "قره قورم" وانتخبوا ابنه "أجتاي" خاقاناً [1] جديداً لهم في عام (٦٢٦هـ-١٢٢٩م) .

- **وفي هذا العام سقطت القدس مرة ثانية بيد الصليبيين** بسبب خيانة وتخاذل السلطان "الكامل الأيوبي" ابن أخ الناصر "صلاح الدين الأيوبي"، فقد وعد الكامل إمبراطور ألمانيا، وكان صديقاً له، أنه إذا جاء إلى فلسطين ودعمه ضد خصومه من إخوته وأبناء عمومته فسيعطيه بيت المقدس وبعض المدن التي حررها صلاح الدين الأيوبي !!.

فتأمل أحوال هؤلاء الحكام الخونة !!..

---

(١) الخاقان : هو رئيس الرؤساء وملك الملوك ..

● وفي عام (٦٢٨هـ-١٢٣١م) قرر زعيم المغول الجديد الاستيلاء على الدولة الخوارزمية مرة ثانية، فانطلقت جيوشه كالإعصار واجتاحت أراضي الدولة حتى وصلت إلى غربها، فاستولوا على الري وهمذان وما وراءهما، وفرَّ جلال الدين إلى أذربيجان، فلاحقته الجيوش المغولية ثم فرَّ إلى العراق العجمي، فلاحقته ثم لجأ هذا السلطان الخوارزمي الشريد إلى جبال كردستان، فقتله هناك شخص كردي بحربة، وكان ذلك في منتصف شوال عام (٦٢٨هـ-١٥/٨/١٢٣١م) [1] .

هكذا كان " جلال الدين " حاكما استبدادياً غير مؤهل، يهتم بمصالحه وأهوائه وملذاته، ولا يهتم بمعيشة شعبه وحمايته، شغله الشاغل الاحتفاظ بملكه وتوريثه لأبنائه، وأما الشعوب فهي مقهورة، وهي من جملة أملاكه يفعل بها ما يشاء، ويضحي بها ليعيش... كان "جلال الدين" يسفك دماء المسلمين ويفعل في مدنهم التي لا ترغب بحكمه كما كان يفعل المغول قتلاً وتشريداً ونهباً وتخريباً وسبياً وأسراً.. كان هذا السلطان مغرماً بالنساء والخمر والموسيقى، غبياً في السياسة، وحشاً قاتلاً عندما يتمكن من خصومه، ضعيفاً واهناً أمام أعداء الأمة، أنانياً يهرب لينجو بنفسه ولا يأبه بجنده ولا حتى بحريمه ..

يقول فيه ابن الأثير : (كان جلال الدين سيئ السيرة قبيح التدبير لملكه،

(١) انظر: سيرة جلال الدين منكبرتي، للنسوي، (ص/٣٨٢) .

لم يترك أحداً من الملوك المجاورين إلا وعاداه، ونازعه الملك وأساء مجاورته)[1].

- وفي العام نفسه (٦٢٨هـ) تابع المغول زحفهم غرباً فاستولوا على ديار بكر وماردين وسنجار، وشمالاً فاستولوا على أذربيجان وآران ..

حقيقة

مع أن الكوارث تحيط بالمسلمين من كل جانب ، تجد أقواماً من المسلمين أعمى التعصب والجهل بحقائق الإسلام عيونهم وقلوبهم وعقولهم، فما زالوا متفرقين متناحرين بعدما جاءهم العلم بغياً بينهم، فأصابهم الله تعالى بعذاب عظيم في الدنيا قبل الآخرة .

فلقد اشتد الصراع بين الشافعية والحنفية الساكنين في مدينة أصبهان لدرجة أن بعض الشافعية ذهبوا عام (٦٣٣هـ– ١٢٣٦م) إلى من يجاورهم من التتار ليستنصروا بهم على إخوانهم من الأحناف ، وقالوا لهم : ((اقصدوا البلد حتى نسلمه إليكم، فنُقِل ذلك إلى " أجتاي " قاآن (الخاقان) بن " جنكيز خان " بعد وفاة أبيه، والمُلك يومئذ منوط بتدبيره. فأرسل جيوشاً من المدينة المستجدة التي بنوها وسموها "قراحرم". فعبرت "جيحون" مغربةً، وانضم إليها قوم ممن أرسلهم "جرماغون" على هيئة المدد لهم، فنزلوا على أصبهان في سنة ثلاث وثلاثين المذكورة وحصروها. فاختلف سيفا الشافعية والحنفية في المدينة، حتى قُتل كثير منهم، وفتحت أبواب المدينة. وفتحها الشافعية على عهد بينهم وبين التتار أن يقتلوا الحنفية، ويعفوا عن الشافعية.

(١) انظر: الكامل في التاريخ ، (٤٩٠/١٠) .

فلما دخلوا البلد بدؤوا بالشافعية، فقتلوهم قتلاً ذريعاً، ولم يقفوا على العهد الذي عهدوه لهم. ثم قتلوا الحنفية، ثم قتلوا سائر الناس. وسبوا النساء، وشقوا بطون الحبالى، ونهبوا الأموال، وصادروا الأغنياء، ثم أضرموا النار فأحرقوا أصبهان، حتى صارت تلولاً من الرماد))[1].

- وفي عام (٦٣٤هـ-١٢٣٧م) توجه التتار إلى إقليم "أربل" فاستولوا عليه، ثم زحفوا إلى الشمال فاستولوا على سامراء، وكذلك استولوا على جورجيا ومعظم أرمينيا ..

المطلب الثاني : التحالف الصليبي المغولي ضد العالم الإسلامي.

- في عام (٦٣٩هـ- ١٢٤١م) توفي " أجتاي بن جنكيز " خاقان المغول ، وانتخب " كيوك بن أجتاي " خاقاناً جديداً عام (٦٤٤هـ) ، لكنه ما لبث أن توفي بعد سنتين ، فانتخب " مانجوخان بن تولوي بن جنكيز " خاقاناً جديداً في عام (٦٤٨هـ- ١٢٥٠م)

- بدأ "مانجو خان" بالتخطيط لاجتياح إيران والعراق والشام ومصر وممالك السلاجقة، فكلف أخاه الأصغر "هولاكو" بهذه المهمة [2]، فاجتاح إيران وحصون الإسماعيلية ثم أمره بالتوجه إلى العراق لإسقاط الخلافة العباسية في بغداد .

---

(١) انظر: حملات الغزو المغولي للشرق، ابن أبي الحديد المدائني ، (ص/٥٧) .

(٢) انظر: العصر المماليكي في مصر والشام، د . سعيد عاشور ، (ص/٢٧) .

● وتنبَّه الصليبيون إلى خطورة ظهور قوة المغول الكاسحة وخاصة بعد أن قاد "باجو بن جوجي" حملة عسكرية في عام (٦٣٤هـ-١٢٣٧م) على أوروبا اكتسحت فيها جيوش المغول حوض نهر الفولغا الروسي، ثم وصلت إلى موسكو فدمرتها، ثم احتلت أوكرانيا ودمرت عاصمتها "كييف"، ثم احتلت بولندا والمجر ، ثم احتلت سلوفاكيا وكرواتيا حتى وصلت إلى حدود ألمانيا والنمسا وإيطاليا في عام (٦٣٩هـ-١٢٤١م) [١].

● فزع الغرب الصليبي من هذا الإعصار المغولي الذي اجتاح ما يقارب نصف أوروبا ..

وفي عام (٦٤١هـ- ١٢٤٣م) تربع "أنوسنت الرابع " على عرش البابوية في روما ، وفي حزيران عام (٦٤٣هـ) عقد مجمعاً كنسياً في مدينة ليون لمعالجة خطر المغول الذي بات يهدد مصير القارة المسيحية [٢]، وأرسل البابا قبل انعقاد المؤتمر بثلاثة أشهر مجموعة من المبشرين بالدين المسيحي بقيادة "جون دي بلانو كاربيني" بقصد إدخال المغول بالمسيحية إضافة لدراسة واستطلاع أوضاعهم..

عاد "جون" يحمل رسالة وديَّة إلى البابا في عام (٦٤٥هـ-١٢٤٧م) ولكنه أخفق في إقناع الخاقان "كيوك" بدخول المسيحية، مع أنه كان متسامحاً

---

(١) انظر: العلاقات بين المغول وأوروبا، د. عادل محمد هلال ، (ص/٣٥ وما بعدها)، وقصة التتار من البداية إلى عين جالوت، د.راغب السرجاني، (ص/٩٨ وما بعدها) .

(٢) انظر: العلاقات بين المغول و أوروبا ، د. عادل محمد هلال ، (ص/٥٦ وما بعدها) .

جداً مع المسيحيين، وفي بلاطه عدد غير قليل منهم[١] .

ومع ذلك فإن البابا لم ييأس، بل أرسل سفارة أُخرى عام (٦٤٥هـ) إلى قائد القوات المغولية في مدينة "تبريز" في إقليم فارس للتحالف على مهاجمة العالم الإسلامي، فرحب بهم ولكن لم يُظهر خطوات عملية بالاتجاه المطلوب[٢].

- وأرسل الخان الأعظم " كيوك " في عام (٦٤٦هـ-١٢٤٨م) شخصين من المغول إلى الملك "لويس التاسع" وهو في قبرص أثناء استعداده لقيادة الحملة الصليبية السابعة على مصر .. وقد عرضا عليه رغبة الخان الأعظم في محالفته واستعداده لمساعدته على تحقيق هدفه الأسمى استخلاص بيت المقدس من المسلمين[٣].
- أكرم الملك "لويس" رسل الخان الأعظم، واستقبلهما بحفاوة بالغة، وأرسل معهما بعثة من قبله يرأسها "لونجيجيمو" وزودها برسائل وهدايا إلى "كيوك" خاقان المغول، ورحب بإقامة تحالف بين جيوش المغول والصليبيين لمهاجمة البلدان الإسلامية، وإضافة إلى ذلك كان يطمع الملك لويس بتنصير المغول..، ولكن السفارة فشلت بسبب موت الخاقان ..

---

(١) انظر: الدولة الخوارزمية والمغول ، حافظ أحمد حمدي ، (ص/٢٧٩ وما بعدها) .

(٢) انظر: قصة التتار ، د. راغب السرجاني ، (ص/٩٦) .

(٣) انظر: جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين ، د. عبد الله سعيد محمد الغامدي ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، السعودية (١٤٠٧ هـ)، (ص/١٥٢ وما بعدها) .

وفي عام (٦٤٦هـ– ١٢٤٨م) فشلت الحملة الصليبية السابعة التي قام بها "لويس التاسع" على دمياط وانهزم منها إلى عكا ، وبعد أربعة أعوام (٦٥٠هـ –١٢٥٢م) قرر الراهب الفرنسيسكاني "وليم روبروك" السفر إلى المغول للتبشير بالمسيحية، فأرسل الملك لويس معه رسالة إلى خاقان المغول الجديد "مانجو خان" يدعوه فيها لإقامة تحالف بين المغول وأوروبا للإطباق على المسلمين عدوهما المشترك، كما يدعوه للدخول في المسيحية..

وفشلت بعثة " وليم روبروك " كما فشلت البعثات التي سبقتها، لأن قادة المغول أصروا على خضوع البابا وملوك أوروبا المسيحيين لإمرة سيد العالم خاقان المغول الأكبر، وتقديم الطاعة والولاء وإرسال الجزية[1].

- وكان ملك أرمينية "هيثوم" وأمير أنطاكية "بوهيمند" متحالفين مع "مانجوخان" ويرسلان إليه الجزية، ويدعوانه لإقامة حملة مشتركة ضد المسلمين، ووجد "مانجوخان" في دعوة الصليبيين له لإقامة تحالف بينهم بهدف الاستيلاء على العالم الإسلامي، فرصة سانحة، حيث يستطيع المغول الاستيلاء على دار الخلافة في بغداد ..

وأراد الصليبيون من هذا التحالف الاستيلاء على بيت المقدس في فلسطين، إضافة لدفع خطر المغول عن بلادهم ..[2] ولذلك أعلن

---

(١) انظر: العلاقات بين المغول و أوروبا ، د. عادل محمد هلال ، (ص/٧١ وما بعدها) .

(٢) انظر : الدولة الخوارزمية والمغول، حافظ أحمد حمدي، (ص/٢٧١وما بعدها)، والعلاقات بين المغول و أوروبا ، د.عادل محمد هلال، (ص/٩٧ وما بعدها) .

"مانجوخان" أنه سيرسل "هولاكو" ليقضي على الخلافة الإسلامية في بغداد، ويعيد بيت المقدس للمسيحيين ..

وأرسل "هولاكو" إلى المسيحيين في بلاد الشام رسالة جاء فيها: (لدينا أعداد كبيرة من المسيحيين بين عشائرنا، وقد جئنا بقوتنا وسلطاننا معلنين ضرورة تحرير جميع المسيحيين من العبودية ومن الضرائب التي فرضها عليهم المسلمون، ومعلنين ضرورة معاملة المسيحيين معاملة تليق بهم فلا يُعتدى عليهم ولا على تجارتهم، ونحن نصرح بأننا سنعيد بناء الكنائس التي خربها المسلمون) [1].

ومما زاد في حماسة "هولاكو" للتحالف مع الصليبيين وعطفه على المسيحيين وتوطيد أواصر الصداقة بينه وبين زعمائهم أن زوجته المسيحية "طقز خاتون" كانت تحمسه وتحضه على ذلك، إضافة إلى ظهور تحالف بين الملك الظاهر بيبرس وبين "بركة خان" زعيم القبيلة الذهبية المغولية الذي دخل في الإسلام مع قبيلته ، أيضاً تزوج "أبغا خان" ابن "هولاكو" ابنة إمبراطور بيزنطة المسيحية الأرثوذوكسية "ميخائيل باليولوجوس".. وكان هولاكو يراسل ملوك أوروبا وأمراءها الكاثوليك سعياً وراء إقامة تحالف معهم ضد المسلمين في الشرق والعمل على طردهم من بيت المقدس[2] .

* * *

(١) انظر: الدولة الخوارزمية والمغول، (ص/٢٧٢) .

(٢) المصدر السابق، (ص/٢٨٩) .

المبحث الرابع
عودة الحرب المغولية للمرة الثالثة

المطلب الأول: الاجتياح الثالث بقيادة "هولاكو بن تولوي بن جنكيز خان":

كان "هولاكو خان" سفاحاً قاتلاً من طراز جده، معادياً بشدة للمسلمين، ومتفرغاً للعدوان عليهم وقتلهم وتدمير بلادهم وسبي نسائهم وأطفالهم، وسخر كل طاقاته ومواهبه الإجرامية للقضاء على المسلمين ودولهم واقتصادهم ومقدراتهم.. فقد استمر بالعدوان الشديد على المسلمين، وفق مخططات مدروسة ومنهاج محدد لمدة تسع سنوات متواصلة كان العدوان فيها عنيفاً وكثيفاً يكاد لا يتوقف، بدأ عام (٦٥٤هـ-١٢٥٦م) وانتهى بموته عام (٦٦٣هـ-١٢٦٥م)

- وصل "هولاكو" قادماً من "قره قورم" إلى سمرقند عام (٦٥٣هـ-١٢٥٥م) مزوداً بالمهام الموكلة إليه من أخيه الأكبر "مانجوخان" خاقان المغول، ثم عبر نهر جيحون عام (٦٥٤هـ) إلى خراسان ثم توجه إلى إقليم

فارس حيث التقى "بأرغون" حاكمه المغولي، وجعل هولاكو من إقليم فارس قاعدة انطلاق لحروبه التي خطط لها بدقة ..

- ففي عام (٦٥٤هـ-١٢٥٦م) انطلق هولاكو للاستيلاء على معاقل الإسماعيليين في "آلموت" وماحولها، فدمرها تدميراً شاملاً، وقتل كل من ينتمي إليهم [١]، وبهذا أنهى مهمته الأولى ..

وقبل أن يتوجه إلى بغداد للقضاء على الخلافة الإسلامية وهي مهمته الثانية، سارع بعض الحكام المسلمين الأذلاء إلى لقائه والترحيب به والتحالف معه وقدموا له الطاعة والولاء والهدايا ليحافظوا على حكمهم وإقطاعاتهم، ومن هؤلاء بدر الدين لؤلؤ أمير الموصل، وقلج أرسلان الرابع، وكيكاوس الثاني سلطانا سلاجقة الروم في تركيا. وأمراء حلب وحمص ودمشق الأيوبيين [٢]!!.

انظر إلى أي مستوى من المهانة وصل هؤلاء الحكام والأمراء !!..

المطلب الثاني: الاستيلاء على بغداد.

- **الاستعدادات السياسية :**

أنجز "مانجو خان" خاقان المغول الأكبر إقامة التحالفات مع ملوك أرمينيا وجورجيا وأنطاكية.. واشترى بعض الخونة في بغداد مثل الوزير "مؤيد الدين العلقمي" و "ماكيكا" بطريرك بغداد.. حيث قام مؤيد بإقناع الخليفة

---

(١) انظر : جامع التواريخ ، رشيد الدين الهمذاني ، (٢٤٣/١ وما بعدها) .

(٢) انظر :المصدر السابق، (٢٤٠/١) .

"المستنصر" بخفض ميزانية الجيش وخفض عدده من /١٠٠/ ألف جندي إلى /١٠/ آلاف جندي فقط، وخفض رواتبهم، بحجة عدم استثارة هولاكو، والحقيقة حتى لا يبقى هناك جيش يدافع عن بغداد.

يقول ابن كثير : (وجيوش بغداد في غاية القلة ونهاية الذلة، لا يبلغون عشرة آلاف فارس، وهم وبقية الجيش، كلهم قد صرفوا عن إقطاعاتهم حتى استعطى كثير منهم في الأسواق وأبواب المساجد، وأنشد فيهم الشعراء قصائد يرثون لهم ويحزنون على الإسلام وأهله، وذلك كله عن آراء الوزير ابن العلقمي) [١] . وأقام " هولاكو " قائد الجبهة العسكرية المكلفة باجتياح الخلافة العباسية علاقات تبعية مع بعض أمراء المسلمين !!..

وهكذا أصبحت الخلافة العباسية في بغداد جاهزة للسقوط، فالإمارات

الإسلامية المحيطة بها من الموصل التي يحكمها بدر الدين لؤلؤ، إلى بلاد الشام التي يحكمها بقايا الأسرة الأيوبية، إلى تركيا التي يحكمها السلاجقة، جميعها تحالفت مع هولاكو **بل أرسل بعضهم وحدات عسكرية لتقاتل معه المسلمين في بغداد** وعلى رأسهم أمير الموصل الذي انضم بنفسه وجنده إلى جيش هولاكو، وكذلك الناصر يوسف أمير دمشق الذي أرسل ابنه على رأس فرقة من جنوده ..

---

(١) انظر : البداية والنهاية، لابن كثير ، (١٣/٢٣٤).

إضاءة

أليس التاريخ يعيد نفسه ؟!!! .

ألم تقاتل بعض القوات العربية المسلمين في العراق إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الصليبيين عامي (1991م و2003 م) ؟!!! ..

ألم تتعاون أجهزة الاستخبارات في هذه الدول مع أجهزة استخبارات دول التحالف التي تقودها الصليبية الأمريكية المتعاونة مع الصهيونية ؟!!! .

نحن لانبرر هنا أفعال الحكام الطغاة، لكننا لانستطيع أيضاً تبرير التحالف مع القوى الصليبية والخضوع لمشيئتها..

- **الاستعدادات العسكرية :**

قام "هولاكو" قائد الجبهة العسكرية بالتحضيرات اللازمة للمعركة الفاصلة، ومنها :

– السيطرة الكاملة على محاور الإمدادات، ومحاور حركة القوات المغولية من منغوليا إلى العراق.

– صناعة العربات الضخمة لنقل معدات حصار بغداد الثقيلة..

– جمع المعلومات الاستخباراتية الدقيقة عن واقع الخلافة العباسية سياسياً وعسكرياً واقتصادياً واجتماعياً..

– شنَّ حرباً نفسية لإحداث انهيار معنوي في جبهة المسلمين، فلا يستطيعون المقاومة.

– استدعى "هولاكو" إمدادات عسكرية إضافية :

- من "باجو" قائد جيش المغول على جبهة الفولغا الروسية ..
- ومن "هيثوم" ملك أرمينية المتحالف معه، فجاءه بنفسه على رأس فرقة عسكرية من جنده ..
- ومن ملك جورجيا الذي أرسل فرقة عسكرية من جنده ..

– **وأعجب العجب** أن يرسل الناصر يوسف أمير دمشق ابنه العزيز مع فرقة صغيرة ليكون في جيش "هولاكو"، وكذلك أن يرسل بدر الدين لؤلؤ أمير الموصل فرقة عسكرية لمساعدة هولاكو يقودها بنفسه !!..

نعم.. لمساعدة هولاكو الذي سيحتل بغداد ويسقط الخلافة ويقتل الخليفة..، ويستبيح دماء المسلمين وأعراضهم.. وثمن هذه الخيانة الكبرى الحفاظ على حكم إمارة تافهة وزعامة حقيرة!!..

- **بدء الاجتياح :**

استكملت الاستعدادات وأصبحت الطريق سالكة إلى بغداد بدون أي مقاومة.. ففي عام (٦٥٥هـ-١٢٥٧م) عقد "هولاكو" مجلس حرب مع أركانه في مدينة همذان في فارس على بعد /٤٥٠ كم/ تقريباً من بغداد ..

ووضعت خطة الزحف إلى بغداد ..

– الجيش الأول : بقيادة "هولاكو" وسيهاجم بغداد من الجبهة الشرقية .

– الجيش الثاني: بقيادة "كتبغا " – من ألمع قواد الجيش– وسيهاجم بغداد من جبهة الجنوب الشرقي .

– الجيش الثالث: بقيادة "باجو" وسيهاجم بغداد من الجبهة الغربية ..

- وأحكمت الخطة المسارات والحركة ليقطع الجيش الأول والثاني /٤٥٠/كم تقريباً من فارس، ويقطع الجيش الثالث /١٠٠٠/كم تقريباً من تخوم أوروبا، ثم ليصلوا في وقت واحد إلى بغداد ..

كما أحكمت الخطة سرية التحرك ومنع تسرب الأخبار إلى بغداد لتحقيق المفاجأة في الهجوم .. وقد حصل كل ذلك ولم يعلم الخليفة بوصول جيش المغول إلى بغداد إلا بعد أن صاروا على مسافة /٥٠/كم منها فقط .. وهكذا اجتمعت استعدادات الأعداء مع تفريط الخليفة وخيانة الأمراء لإسقاط الخلافة واحتلال بغداد (١).

وأما حال الشعب فلم يكن أحسن من حال حكامه المفرطين أو الخونة.

- بعض المتدينين أمضوا أوقاتهم لا يفكرون بالجهاد ولا يحثون الناس على الجهاد ، ولم تكن هموم الأمة ومستقبلها والأخطار المحيطة بها مما يهتمون به ويشغل بالهم، بل هم مشغولون باختلافاتهم ومنازعاتهم المذهبية والطائفية..

- وبقية الناس غارقون في معاشهم وشهواتهم وملذاتهم ...

- ومنهم الغارقون في الحرام الذين أدمنوا شرب الخمر وفعل الزنا والربا وباقي المهلكات..

(١) للتوسع انظر: قصة التتار من البداية إلى عين جالوت، د. راغب سرجاني ، (ص/١٠١ وما بعدها) .

موت الضمائر

لم يتحرك أي إحساس في هؤلاء الناس عندما اجتاح التتار البلاد الإسلامية الشرقية من الدولة الخوارزمية حتى مشارف العراق ونفذوا فيها أبشع المذابح ..

لم يتحركوا من أجل نصرة إخوانهم والدفاع عن المسلمات اللاتي قتلن أو اغتصبن أو سبين !!..

لم يتحركوا من أجل المساجد التي أحرقت والبيوت التي دمرت والأموال التي سرقت..

لم يتحركوا من أجل الأطفال الذين يتموا والنساء اللاتي رملت..

لقد ظنوا أن الطوفان لن يطالهم فتخاذلوا واستكانوا ورضوا بالذل والهوان..

سلموا أمرهم لقيادة لا تملك الكفاءة في الدفاع عن الأمة..

لم تستعد بل لم تفكر بالاستعداد..

لم توحد طاقات الأمة لمواجهة الأعداء..

لم ترب الأمة على ثقافة الجهاد وحب الاستشهاد ..

لم تحارب الفساد والمفسدين..

لم تقف في وجه الإباحية والإباحيين.

لم تختر الوزراء الصالحين، ولا المستشارين الأكفاء المؤتمنين، ولا القادة العسكريين المجاهدين.. بل كان بعض الخونة يعملون في دار الخلافة..

وأما باقي الإمارات الإسلامية في تركيا ومصر وبلاد الشام ،فقد خان بعض قادتها الأمة الإسلامية وتحالفوا مع المغول حفاظاً على ملكهم التافه !!..

- واستمر البعض الآخر في الصراع فيما بينهم على مُلْك بئيس في مصر وما حولها فكانت جيوش المغيث بن العادل تزحف على مصر للاستيلاء على حكمها من السلطان المعز إيبك، في حين كان "هولاكو" يزحف نحو بغداد لاحتلالها وإسقاط الخلافة الإسلامية ..

- وفي (٢/محرم/٦٥٦هـ) الموافق لـ (كانون أول/١٢٥٨م) بدأت جيوش "هولاكو" تحيط ببغداد من جميع الجهات وتفرض عليها حصاراً خانقاً ..

- وبدأ "هولاكو" بنصب المنجنيقات حول أسوار بغداد ..

وجمع الخليفة المستشارين وعلى رأسهم رئيس وزرائه الخائن "مؤيد الدين العلقمي" فأشار ومن معه على الخليفة أنه لا يقاوم ويقبل بالمفاوضات والسلام (أي بالاستسلام) وخرج على هذا الرأي اثنان من المجاهدين وهما "مجاهد الدين إيبك" و"سليمان شاه"، فأشارا بضرورة المقاومة وعدم الاستسلام .. ولكن للأسف مقومات الجهاد غير متوفرة، لقد فرط بها الخليفة ومعاونوه وأهملوها فلما دعت الحاجة إليها لم يجدوا شيئاً، ووجدوا وعد الله بالمتخاذلين والمفرطين، لقد ضيعوا فرصهم فضاعوا، ومن ضيع أوامر الله هلك.. ومع ذلك خرج المجاهد "مجاهد الدين أيبك " على رأس فرقة ضعيفة من عسكر الخليفة، ولكن أنى لهذه القوة الصغيرة أن تواجه جيش المغول العرمرم، فقد حوصرت من المغول شمالي بغداد وأبيد معظمها [١]، وذلك في (١٩/محرم ٦٥٦هـ) [٢] وبعد هذا لم يجد الخليفة الضعيف مخرجاً إلا سبيل المفاوضات.. فأرسل الخليفة للمفاوضات العلقمي الخائن والبطريرك الخائن "ماكيكا " وكلاهما متحالفان مع المغول مسبقاً [٣].

---

(١) انظر : الحوادث الجامعة، لابن الفوطي ، (ص/٢٢٣) .

(٢) أو في (10/محرم) كما ذكر د. حسن إبراهيم حسن في كتاب تاريخ الإسلام، (4/158)..

(٣) وقد ذكر د. حسن إبراهيم حسن في كتابه تاريخ الإسلام، أن الخليفة أرسل شرف الدين بن الجوزي إلى "هولاكو" برسالة هدده فيها ودعاه للعودة إلى بلاده .. (٤/١٥٥) ، ثم عرض =

أليس عجباً أن لا يصحو الخليفة من سكرته ويظل يعتمد على حاشية خائنة، ولا يملك القدرة على انتقاء الكفاءات المخلصة من حوله ؟!!..

والحقيقة: إنه لم تكن هناك مفاوضات، بل توزيع للأدوار بين الأعداء والخونة من أجل احتلال بغداد وإسقاط الخلافة، مقابل وعود زائفة للخونة، الذين يستخدمهم الأعداء، فإذا حصل المطلوب، ألقوا بهم في مزابل التاريخ..

إذ كيف يأمن العاقل ممن خان أهله وأمته ؟!!..

- **كانت المرحلة الأولى الطلب من الخليفة :**

- تسليم " هولاكو " كل من ينادي بالمقاومة والجهاد ..
- وتسليم الأسلحة .
- وتدمير الحصون .
- وردم الخنادق حول بغداد، مقابل :

السلام بين الدولتين .

وبقاء الخليفة حاكماً صورياً .

وإعطاء الأمان لأهل بغداد .

- ومع ذلك فإن "هولاكو" لم ينتظر الرد، بل بدأ بالهجوم على بغداد في (٢٢/محرم/٦٥٦هـ-١٢٥٨م) فراح يرشقها بقاذفات الحجارة واللهب لمدة أربعة أيام، حتى انهارت الأسوار الشرقية لبغداد ..

عليه في رسالة أخرى دفع الجزية له (١٥٧/٤)، وذكر أيضاً أن المؤرخين اختلفوا في دور ابن العلقمي في سقوط بغداد، (٦١/٤ وما بعدها) .

وهنا يقرر الخليفة ان يفاوض "هولاكو" بنفسه فخرج إليه في (٤/صفر/٦٥٦هـ- ١٠/شباط/١٢٥٨م) ولكن "هولاكو" اشترط أن يأتي الخليفة ومعه كبار قومه من الوزراء والأمراء والعلماء والأعيان ..

استجاب الخليفة الذليل لأوامر "هولاكو" فجلب معه /٧٠٠/ من أعيان بغداد وأمرائها ووزرائها [١].

وفي طريقه إلى خيمة "هولاكو" استوقفهم الحرس الإمبراطوري المغولي، فأذنوا لسبعة عشر رجلاً فقط بالدخول على "هولاكو" وأخذوا البقية فقتلوهم عن بكرة أبيهم !! [٢].

وأما الخليفة فقيد بالسلاسل والأغلال وقتل أمام عينيه ولداه وأسر الثالث، كما أسر أخوات الخليفة الثلاث ..[٣] ثم طُلب من الخليفة استدعاء أسماء معينة ممن بقي من علماء المسلمين، فلما وصلوا مع نسائهم وأولادهم ذبحوا، وسبي النساء والأطفال ..

وهكذا سلم الخليفة بيده قيادات ووجهاء المسلمين لهولاكو فذبحهم، ولم يبق لبغداد من يقود الدفاع عنها!!..

- وفي (٧/صفر/٦٥٦هـ) صدرت أوامر "هولاكو" لجنوده بالهجوم على

(١) وحسب جامع التواريخ ، لرشيد الدين الهمذاني، بلغ العدد "ثلاثة ألاف " (١/٢٩٠ وما بعدها) .

(٢) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير (١٣/٢٣٤ ومابعدها) .

(٣) انظر: المصدر السابق، (١٣/٢٣٦) .

بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية واستباحتها أربعين يوماً ..

- فقتلوا الرجال والنساء والشيوخ والأطفال الرضع ..
- ونهبوا الدور ثم أحرقوها ..
- وأحرقوا ودمروا المساجد والجوامع وقتلوا من لجأ إليها ..[1]
- ودمروا مكتبة بغداد أشهر وأعظم مكتبة في عصرها على مستوى العالم ، وكانت تضم بين جنباتها ملايين الكتب والمخطوطات في كافة العلوم والفنون والمعارف الإنسانية .. وقاموا بإلقاء كتبها في نهر دجلة حتى تلونت مياهه بلون المداد الأسود الذي سطرت به الكتب ، والذي حصل في مكتبة بغداد حصل في مكتبة قرطبة العظيمة قبل عشرين سنة عام (٦٣٦هـ) على يد الصليبيين في الأندلس، ولكن لايوجد من يعتبر..

إضاءة

الأمة الممزقة التي لا تستفيد من تجاربها ، والتي يحكمها أمراء متخاذلون أو خونة ، تخسر معاركها باستمرار..

- لقد أحرقت عاصمة الخلافة ودمرت وأبيد عدد عظيم من أهلها !!.. وكان القتلى كالتلال ..

وفي ٩/ صفر، دخل هولاكو قصر الخلافة، وأحضر الخليفة وأمره أن يدل على كنوزه وأمواله، وأن يسلمها لأحد رجاله ، وكانت أموال وكنوز عظيمة

---

(١) انظر: السلوك، للمقريزي، (٤٩٩/١)، والبداية والنهاية ، لابن كثير ، (٢٣٥/١٣) ، وجامع التواريخ ، لرشيد الدين الهمذاني ، (٢٩١/١) .

جمعها الخلفاء على مدى مئات السنين ..[1] .

وفي (١٤/صفر/٦٥٦هـ- ٢٠/شباط/١٢٥٨م)، سيق الخليفة المهزوم إلى حتفه، فقتل رفساً بالأقدام حتى الموت !![2].

ثم نودي بالأمان فخرج الناس من تحت الأرض ممن اختفوا في المقابر والآبار والزواريب كأنهم الموتى قد نبشت قبورهم، فلم يَعرفوا بعضهم..، ثم انتشر الوباء فحصدهم بمنجله حصداً سريعاً [3].

وقد اختلف المؤرخون في عدد القتلى فقدرها السبكي بـ /٩٠٠/ ألف، وذهب ابن كثير إلى أنها بلغت مليوناً وثمانمائة ألف، وذكر المقريزي في السلوك أنها بلغت مليونين من القتلى[4] . (وبسقوط بغداد زالت الدولة العباسية وزالت الخلافة التي عاش في ظلها العالم الإسلامي زهاء خمسة قرون. ولم تعد بغداد مركز الإسلام، ومَعين الثروة والرخاء، وكعبة العلماء)[5].

المطلب الثالث: بعض مواقف المقاومين، ومواقف المتخاذلين .

((انتهت قصة بغداد، وخرج التتار منها بعد أربعين يوماً من القتل

---

(١) انظر : جامع التواريخ ، لرشيد الدين الهمذاني ، (٢٩٢/١) .

(٢) انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير ، (٢٣٤/١٣).

(٣) انظر :المصدر السابق، (٢٣٦/١٣) .

(٤) انظر : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تقي الدين أحمد بن على العبيدي المقريزي (ت : ٨٤٥ هـ) ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى (١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م) . (٤٩٩/١) .

(٥) انظر: تاريخ الإسلام، د. حسن إبراهيم حسن، (١٦١/٤ وما بعدها) .

والتدمير، وبدأ الجميع: التتار والمسلمون والنصارى، يرتبون أوراقهم من جديد على ضوء النتائج التي تمت في بغداد. أما هولاكو فقد انسحب من بغداد إلى همدان بفارس، ثم توجه إلى قلعة "شها" على شاطئ بحيرة "أورمية" (في الشمال الغربي لإيران الآن) وفي هذه القلعة وضع الكنوز الهائلة التي نهبها من قصور العباسيين، ومن بيت مال المسلمين، ومن بيوت التجار وأصحاب رؤوس الأموال.

وبالطبع ترك هولاكو حامية تترية حول بغداد، وبدأ يفكر بجدية في الخطوة التالية.. والخطوة التالية بعد العراق —لا شك_ أنها ستكون سورية (الشام) فبدأ هولاكو في دراسة الموقف في هذه المنطقة.

وبينما هو يقوم بهذه الدراسة، ويحدد نقاط الضعف والقوة في هذه المناطق الإسلامية، بدأ بعض الأمراء المسلمين يؤكدون على خضوعهم للتتار.. وبدأت الوفود الإسلامية الرسمية تتوالى على زعيم التتار تطلب عقد الأحلاف والمعاهدات مع الصديق الجديد، رجل الحرب والسلام هولاكو. ومع أن دماء المليون مسلم الذين قتلوا في بغداد لم تجف بعد، إلا أن هؤلاء الأمراء لم يجدوا أي غضاضة في أن يتحالفوا مع هولاكو؛ فالفجوة كما يقولون هائلة بينهم وبين هولاكو، والأفضل في اعتباراتهم أن يفوزوا بأي شيء أفضل من لا شيء، أو على الأقل يحيدون جانبه، ويأمنون شره ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [سورة النساء:٧٢].

لاشك أن هؤلاء الأمراء كانوا سعداء جداً بأنهم لم يشتركوا مع العباسيين

في الدفاع عن بغداد، ولا شك أنهم كانوا يظهرون أمام شعوبهم بمظهر الحكماء الذين جنَّبوا شعوبهم ويلات الحروب.. ولا شك أن خطبهم كانت قوية ونارية وحماسية..!! ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة المنافقون:٤].

ولا شك أن هناك أيضاً من العلماء الوصوليين من يؤيدون خطواتهم، ويباركون تحركاتهم ويحضون شعوبهم على اتباعهم والرضا بأفعالهم.

تضليل

لا شك أن هؤلاء العلماء كانوا يضربون لهم الأمثال من السنة النبوية المطهرة فيقولون لهم مثلاً: لقد عاهد رسول اللّه ﷺ المشركين في صلح الحديبية فلماذا لا نعاهد نحن التتار الآن؟!!..ولقد عاهد الرسول ﷺ اليهود في المدينة المنورة، فلماذا لا نعاهد نحن التتار في بغداد؟!!.. وهكذا..!!

ثم إن التتار يريدون السلام معنا، والله ﷻ يقول في كتابه: ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾ [سورة الأنفال:٦١].

والتتار جنحوا معنا للسلم!!..

أتردون مخالفة شرعية؟!!..

أتريدون سفك الدماء؟!!..

أتريدون تخريب الديار؟!!..

أتريدون تدمير الاقتصاد؟!!..

تضليل

إن الحكمة –كل الحكمة - ما فعله أميرنا بالتصالح والتحالف والتعاهد مع التتار. لنبدأ صفحة جديدة من الحب لكل البشرية!!..، أليس هذا مافعله السادات وزبانيته مع الإسرائيليين؟!!..

سبحان الله!!.. ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [سورة آل عمران:٧٨].

جاء هؤلاء الأمراء، وقلوبهم تدق، وأنفاسهم تتسارع.

هل سيقبل سيدهم هولاكو أن يتحالف معهم؟!!..

وجاء الزعماء الأشاوس يجددون العهد مع "الصديق" هولاكو..

- الأمير بدر الدين لؤلؤ أمير الموصل.
- الأمير كيكاوس الثاني والأمير قلج أرسلان الرابع من منطقة الأناضول (وسط وغرب تركيا).
- الأمير الأشرف الأيوبي أمير حمص.
- الأمير الناصر يوسف (حفيد صلاح الدين الأيوبي) أمير حلب ودمشق.

وهؤلاء الأمراء يمثلون معظم شمالي العراق وأرض الشام وتركيا.. إذن لقد حلت المشاكل أمام هولاكو.. لقد فتحت بلاد المسلمين أبوابها له دون أن

يتكلف قتالاً)[1].

– وكان على رأس أولئك المتخاذلين الخائنين..، "بدر الدين لؤلؤ" أمير الموصل، الذي ما فتئ يتذلل للمغول ويعلن ولاءه المطلق لهم، ويتحالف معهم ويناصرهم في عدوانهم على المسلمين مقابل إبقائه في إمارته التافهة!!..

– فقد ناصر المغول وفسح لهم الدخول عبر أراضي إمارته وسخر لهم الأدلاء أثناء توجه جيوشهم نحو بغداد !!..

– وأرسل قواته لتشاركهم بالهجوم على بغداد !!..

– وأرسل قواته لتشاركهم في فتح قلعة أربل الحصينة !!..

– وحمل ما في خزائنه من الأموال والجواهر بنفسه، وذهب بها إلى هولاكو في جبال همذان !!..

– وأرسل ابنه على رأس فرقة من جيشه، لينضم إلى جيش هولاكو من أجل فتح بلاد الشام!![2].

– وأما السلطان السلجوقي "عز الدين كيكاوس" فقد قدم المساعدة لجيوش "هولاكو" التي دمرت البلاد والعباد، ولم يكتف بهذا الذل بل صنع حذاءً ملكياً فاخراً ونقش عليه صورته ثم قدمه إلى هولاكو، بعد أن قبل الأرض أمامه وقال: (إن أملي أن يشرف الملك رأس هذا العبد بوضع قدمه

---

(١) انظر: قصة التتار من البداية إلى عين جالوت، د. راغب السرجاني، (ص/١٧١ وما بعدها)

(٢) انظر: جامع التواريخ، رشيد الدين الهمذاني، (١/٢٩٨ وما بعدها) .

المباركة عليها) !![1].

وأما الملك الناصر يوسف الأيوبي ملك دمشق وحلب فقد أرسل ابنه العزيز يحمل الهدايا والتحف ويعلن الخضوع والولاء، ومع ذلك احتقر هولاكو هذا الخضوع وطالبه بخضوع أكبر، فأصر على خروجه بنفسه إليه لتقديم الولاء والطاعة ومعه قوة قوامها عشرون ألف فارس، وأرسل له رسالة تهديد ووعيد إن لم يفعل وأمره بالمسارعة إليه[2].

– وأما الملك الأشرف موسى الأيوبي أمير حمص، فقد سارع إلى حلب بعد سقوطها، ليقدم ولاءه وخضوعه وطاعته لهولاكو حفاظاً على ملكه!!.. فكافأه هولاكو وأبقاه أميراً عليها !!..

– إلا أن أميراً أيوبياً واحداً قرر عدم الخضوع والاستسلام "لهولاكو"، إنه الأمير "الكامل محمد الأيوبي " أمير منطقة "ميا فارقين" [3].. فقد أرسل له المغول رسولاً يدعوه للخضوع والاستسلام والطاعة، ويتوعدونه بالهلاك والدمار في حال عصيانه، إلا أنه رد عليهم قائلاً: (إنني لن أنخدع بكلامكم المعسول، ولن أخشى جيش المغول، وسأضرب بالسيف ما دمت حياً) [4].. واتخذ "الكامل" استعدادات الجهاد انتصاراً لدينه الذي يأبى منه الذلة، وبذل ما بوسعه لصد التتار عن بلاده وبلاد المسلمين التي وراءها، والذين استسلم

(١) انظر: المصدر السابق، (٣٠١/١) .
(٢) انظر : السلوك للمقريزي (٥٠٠/١) .
(٣) تقع حالياً شرقي تركيا .
(٤) انظر : جامع التواريخ ، لرشيد الدين الهمذاني، (٣١٩/١) .

أمراؤها "لهولاكو" وعقدوا معه معاهدات تحالف !!..

غباء

وما علموا أن هذا الملك الرخيص الذي يرغبون بالحفاظ عليه، عن طريق الذل للأعداء، لن يبقى لهم وسيجتاحهم "هولاكو" (النظام العالمي الجديد) بعد أن ينتهي من أمر المقاومين (الإرهابيين)

لقد كانت حظوظ "الكامل" بالصمود ضعيفة لأنه محاصر من الشرق من مملكة "أرمينيا" المتحالفة مع التتار، ومن الشمال الشرقي من مملكة "جورجيا" المتحالفة أيضاً مع التتار، ومن الغرب والجنوب الغربي والجنوب الشرقي من الأمراء المسلمين المتخاذلين العملاء المتحالفين مع التتار ..

حقيقة

بما أن الاجتياح شبه مؤكد للمقاومين والمتخاذلين على حد سواء ، فلتكن الشهادة حظك وأنت تقاوم، خير لك من الموت ذليلاً معذباً قتيلاً وأنت مستسلم خاضع ..

 المطلب الرابع: اجتياح بلاد الشام.

- **حصار " ميا فارقين "** :

في (رجب/٦٥٦هـ-١٢٥٨م) سار جيش "هولاكو" يقوده الأمير "يشموت" وأمراء آخرون نحو "ميا فارقين"، وفتح "بدر الدين لؤلؤ" أمير الموصل العميل أراضي إمارته لعبور جيش التتار ، ووصل جيش التتار إلى "ميا فارقين" فحاصرها وجاء الإمداد من جيوش "جورجيا " و" أرمينيا " لتساعده

على الحصار من الجبهة الشرقية [1] .

وانتظر " الكامل " أن تتحرك نحوه الأمراء المسلمين ليهبوا للدفاع عن ثغر "ميا فارقين" الذي لو انهار فسيجتاحهم الطوفان بكل تأكيد ...

ولكن !!..

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

لقد التزم الأمراء المتخاذلون أوامر هولاكو (**النظام العالمي الجديد، كما قال د. سرجاني**) فلم يسمحوا بمرور السلاح والغذاء ولا الدواء إلى المجاهدين !!.

سؤال

أليس التاريخ يعيد نفسه ؟!!..كما حدث في غزة والعراق وسورية وليبيا والسودان. أليس بعض الحكام العملاء تخلوا عن فلسطين والفلسطينيين مقابل الحفاظ على عروشهم ؟!!..

واشتد الحصار على "ميا فارقين" وأهلها (حتى أكلوا من عدم الأقوات (انعدام وجود الطعام) جلود النعال التي تلبس في الرجلين)[2].

- وخلال هذا الوضع الكارثي يسابق الأمير "الناصر يوسف" أمير دمشق وحلب إلى الطلب من "هولاكو" لمساعدته على مهاجمة مصر ليستولي عليها من المماليك، وليضمها إلى مملكته، ويتعهد بإرسال ابنه "العزيز" على رأس جيش ليساعد التتار على احتلال مصر!!..

(١) انظر : الحوادث الجامعة، لابن الفوطي ، (ص/٣٤٠) .

(٢) انظر : السلوك لمعرفة دول الملوك ، للمقريزي ، (١/٥٠٥) .

انظر إلى أي مستوى من الانحطاط والذلة وصل هؤلاء ؟!!..

ومع كل هذا الاستسلام والخضوع والذلة استكبر "هولاكو" ورفض رسالة "الناصر" وأرسل له رسالة يطالبه بالخضوع التام لإرادته والطاعة الكاملة لأوامره [١]، فهو الذي يقرر متى يهاجم مصر والشام، ولا يسمح لأحد أن يتملكها بوجوده، فهي له بلا قيد ولا شرط !!..

إضاءة

التاريخ يعيد نفسه !!.. لقد هرب تجار الشام إلى مصر بثرواتهم لما علموا باقتراب التتار منها .. هكذا الحكام المتخاذلون، والتجار الفاجرون، لا يهتمون إلا بمصالحهم فقط ..وأما الشعوب فليس لها إلا الله تعالى والمجاهدون المقاومون المخلصون ..

- ولما رأى الناصر أمير حلب ودمشق أن كرسي حكمه سيزول أمام غطرسة "هولاكو"، لم يجد حلاً إلا أن يعلن الجهاد !!.[٢]

خداع

أعلن الجهاد لا في سبيل الله ولكن ليضحي بشعبه من أجل بقاء حكمه !!..

- كيف يجاهد مَن تحالف مع " لويس التاسع " ملك فرنسا ليناصره مقابل أن يُسلمه بيت المقدس ؟!!..

- كيف يجاهد من أرسل ولده للقتال إلى جانب التتار في هجومهم

---

(١) انظر :المصدر السابق، (٥٠٦/١) .

(٢) قصة التتار من البداية إلى عين جالوت ، د. راغب السرجاني (ص/١٨١ وما بعدها) .

على بغداد وقتلهم لمليون مسلم فيها ؟!!..

- كيف يجاهد من خذل "الكامل محمد" أمير "ميا فارقين" وتركه والمسلمين لمواجه التتار وحصارهم ولم يساعدهم لا عسكرياً ولا حتى بالمؤن والغذاء ؟!!.

- كيف يجاهد من طلب من "هولاكو" التحالف معه لغزو مصر ؟!!..

- استمر حصار "ميا فارقين" سنة ونصف ولم ينجدها أحد، ولم تتحرك نخوة الأمراء المتخاذلين بما فيهم الأمير "الناصر" الذي أعلن الجهاد للحفاظ على كرسي حكمه، ولو كان صادقاً لانضم إلى الأمير المجاهد "الكامل محمد" أمير "ميا فارقين" وشكل معه جبهة واحدة تدافع عن "ميافارقين " وعن حلب ودمشق، ولكنها أهواء الحكام المتخاذلين!!..

- وخلال سنة ونصف تقريباً من (رجب/ ٦٥٦هـ إلى محرم ٦٥٨هـ) ترك "هولاكو" حصار "ميا فارقين" للأمير "يشموت" ورفاقه، وتحرك خلالها بنفسه على رأس جيش عرمرم لاجتياح بلاد الشام ..

- انطلق من همذان في إيران إلى أربل شمالي العراق، ثم سيطر على الموصل الموالية له، وعبر دجلة ثم توجه إلى "نصيبين" جنوب شرقي تركيا فاجتاحها، وبعدها تحرك غرباً فاجتاح "حران "و " الرَّها " و " البيرة " ..[١]

---

(١) المصدر السابق ، (ص/١٨٦ وما بعدها) .

 المطلب الخامس: حصار حلب والاستيلاء عليها.

- وبعد اجتياح " البيرة" عبر هولاكو بجيشه نهر الفرات متجهاً نحو حلب فوصلها في (صفر /٦٥٨هـ-١٢٦٠م) وفرض عليها حصاراً خانقاً من كل الجهات، وبدأ بقصفها بالمنجنيق.. أما أميرها "الناصر يوسف" فبقي في دمشق على رأس قوة ضعيفة، وترك مدينة حلب لمصيرها، فهب مجاهد صادق هو "توران شاه" عم الناصر ورفض الاستسلام للتتار وقاد المقاومة فيها .

- وخدع "هولاكو" أهل حلب المحاصرين، ووعدهم بإعطاء الأمان لهم إذا سلموا حلب بدون مقاومة، رفض قائد المقاومين التسليم ولكن عامة الناس أصابهم الإحباط والضعف ففتحوا الأبواب "لهولاكو" في (٩/صفر/٦٥٨هـ – ١٢٦٠م) .. وما إن دخل الجيش مدينة حلب، حتى أصدر "هولاكو" أمراً باستباحتها وقتل من فيها باستثناء النصارى!!.. ارتكب التتار المذابح المروعة بحق أهل حلب ودمروا المدينة عن بكرة أبيها، ثم حاصر "هولاكو" المقاومين في قلعة حلب وعلى رأسهم قائدهم "توران شاه"، وظلَّ يقصفها لمدة شهر تقريباً، ثم اجتاحها وقتل كل من فيها، وأخذ الشيخ الكبير "توران شاه" أسيراً [(١)].

- قام "هولاكو" بتنصيب الخائن "الأشرف الأيوبي" أمير حمص المتحالف معه، أميراً صورياً على حلب، ثم اتجه بجيشه غرباً إلى حصن "حارم" فذبح كل من فيه بعد عدة أيام من المقاومة ..

---

(١) البداية والنهاية ، لابن كثير ، (١٣/٢٥٣).

– ثم اتجه إلى إمارة أنطاكية ليجتمع مع حليفه "بوهيمند" وباقي حلفائه "هيثوم" ملك أرمينية وأميري السلاجقة قلج أرسلان الرابع وكيكاوس الثاني .. وقد منح "هولاكو" مكافآت لملوك النصارى على حساب ملوك المسلمين الذين لا يملكون مع ذلتهم إلا أن ينفذوا أوامر "هولاكو" ..

– فقد أمر "هولاكو" أميري السلاجقة أن يعيدا قلاعاً ومدناً كانوا استولوا عليها سابقاً إلى ملك أرمينية!! مكافأة له، وعبَّر "هيثوم" عن ابتهاجه بإحراق الجامع الكبير في حلب بنفسه انتقاماً من المسلمين ..

– وأمر "هولاكو" بإعطاء "بوهيمند" مدينة اللاذقية ليضمها إلى مملكته، مكافأة له، وجميع الأراضي التي كان المسلمون قد حرروها سابقاً من إمارته [(١)].

– وعين بطريركاً يونانياً جديداً أرثوذكسياً بدلاً من البطريرك السابق الكاثوليكي، وما بين المذهبين صراعات عميقة وعنيفة ،!!..[(٢)] ولكن..

إضاءة

لا يستطيع أحد الاعتراض على "هولاكو" (صاحب النظام العالمي الجديد)، حتى ولو تدخل في القضايا الدينية..

– بعد ذلك بدأ هولاكو يخطط للتوجه نحو دمشق ، مروراً بحماه وحمص ، وجاءه أهل حماة بغير طلب منه ليسلموا إليه مفاتيح مدينتهم ، فقبلها منهم وأعطاهم الأمان..

---

(١) انظر: المغول في التاريخ ، د. فؤاد عبد المعطي الصياد ، (١/٢٩٤ وما بعدها) .

(٢) قصة التتار من البداية إلى عين جالوت ، د. راغب السرجاني (ص/١٩٢ وما بعدها) .

- وأما الأمير الخائن " الأشرف الأيوبي الذي "استسلم " لهولاكو " استسلاماً مطلقاً فقد ولاه هولاكو على حمص كما اختاره نائباً عنه لبلاد الشام [١] مكافأةً له على خيانته!!..

- وفي أواخر جمادى الأولى /٦٥٨هـ/ سقطت مدينة "ميا فارقين " واستبيحت بعد حصار دام سنة ونصف، فاستباحها "يشموت" بن هولاكو فقتل نساءها وأطفالها ورجالها، وأحرقها ودمر كل شيء فيها، وأسر أميرها المجاهد " الكامل محمد " وأخذه هدية إلى أبيه "هولاكو" ، قام " هولاكو" بتعذيب الأسير المجاهد فقطعه قطعاً وهو حي وأجبره أن يأكل من لحمه، وبقي يعذبه حتى فاضت روحه الطاهرة تحت التعذيب، ثم قطع رأسه وأمر أن يطاف به في بلاد الشام حتى استقر معلقاً على باب الفراديس في دمشق [٢].

المطلب السادس: سقوط دمشق .

- بعد إسقاط بغداد عاصمة الخلافة العباسية، جاء الدور على دمشق عاصمة الخلافة الأموية، هرب أميرها المتخاذل "الناصر يوسف" وقواده وجنوده إلى جنوب فلسطين وتركوا المدينة لا حامي لها.. انهارت معنويات أهل دمشق، وتفرقوا في البراري والجبال وكأن القيامة قد قامت، وصادف ذلك أيام الشتاء ذات البرد الشديد، فمات كثير منهم ونهب آخرون [٣]..

---

(١) انظر: المغول في التاريخ ، د. فؤاد عبد المعطي الصياد ، (ص/٢٩٥) .

(٢) انظر: البداية والنهاية ،لابن كثير (٢٤٩/١٣).

(٣) انظر: السلوك، للمقريزي ، (٥١١/١) .

- خرج أعيان دمشق فسلموا مفاتيحها لقائد جيش التتار "كتبغا نوين" الذي عينه "هولاكو" نائباً عنه؛ لأنه اضطر للعودة إلى عاصمة المغول "قره قورم" بسبب وفاة شقيقه الخاقان الأكبر "مانجو خان" عام (١٢٥٩هـ)، وكان في نيته أن يكتفي بما تم من فتح، ولا يترك خلفاً له يكمل برنامجه في الاستيلاء على فلسطين ومصر، غير أن إلحاح المسيحيين الشرقيين وفي مقدمتهم " هيثوم " ملك أرمينية جعل هولاكو يوافق على أن يترك قائده "كتبغا" وتحت إمرته عشرة آلاف مقاتل لإتمام هذا المشروع. كما عهد هولاكو إلى هذا القائد بإدارة شؤون الحكم في سورية. وقد عُرف عن القائد المغولي "كتبغا " أنه كان يُكنُّ أحسن النوايا للمسيحيين، لا لأنه كان يدين بالمسيحية فقط، بل لأنه فيما يبدو قد فهم المصلحة من قيام حلف صليبي مغولي، وعندما تقدم جيشه إلى دمشق، كان يعاونه جيش هيثوم الأول الأرمني، وجيش بوهيمند السادس الصليبي، وقد طلبا من كتبغا إغلاق مساجد دمشق وتحويل بعضها إلى كنائس ففعل ذلك ضارباً بعرض الحائط استعطافات المسلمين، بل وطاف كتبغا يرافقه هيثوم وبوهيمند شوارع دمشق علانية تجبراً وعتياً ..[١]

- لقد احتل المغول والصليبيون دمشق أعرق مدن بلاد الشام ودرتها ضمن تحالف مغولي صليبي، في أواخر صفر عام (٦٥٨هـ- ١٢٦٠م) [٢]،

---

(١) العلاقات بين المغول وأوروبا، د. عادل محمد هلال، (ص/١٠٠) .

(٢) انظر: المغول، السيد الباز العريني ، (ص/٢٤٨) .

وترك التتار سكان دمشق، إلا أنهم قتلوا كل من تحصن في قلعتها مقاوماً لهم[1]. يقول "ستيفن رنسيمان " في كتابه "تاريخ الحروب الصليبية": (بسقوط المدن (الثلاث) الكبيرة: بغداد وحلب ودمشق، تراءى كأن الإسلام في غرب آسيا حان أجله، ففي دمشق وفي سائر الجهات غرب آسيا، لم يكن للفتح المغولي من معنى سوى انتعاش المسيحيين المحليين. وإذا كان "كتبغا" نفسه مسيحياً، لم يُخْفِ عواطفه، فأضحى المسلمون بداخل سورية لأول مرة منذ القرن السابع (الميلادي) يعتبرون أقلية مغلوبة على أمرها)[2] .

مأساة

سقطت أعظم المدن الإسلامية قاطبة خلال سنتين فقط !!.. بغداد عاصمة العباسيين، ودمشق عاصمة الأمويين.. وسقطت أيضاً لبنان وفلسطين التي توغلت فيها جيوش "كتبغا " حتى غزة

- وبدأ "كتبغا " الإعداد لغزو مصر فأصبحت الهدف التالي بعد بلاد الشام.

 المطلب السابع: توجه المغول لاستهداف مصر.

- بقيت مصر القلعة الإسلامية الأخيرة في وجه المغول وطموحاتهم باجتياح ما تبقى من العالم الإسلامي وخاصة في شمال أفريقيا ..

ولكن مصر...

---

(١) انظر: جامع التواريخ، للهمذاني ، (٣٠٧/١ وما بعدها) .

(٢) انظر: تاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رنسيمان ، (٥٢٨/٣) .

تعاني من عدم الاستقرار الداخلي بسبب الصراع على الحكم ..

وتعاني من التردي الاقتصادي نتيجة لعدم الاستقرار السياسي ..

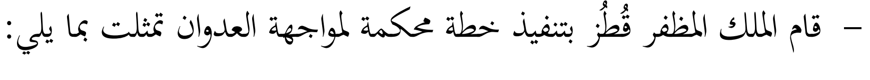
وتعاني من الضعف العسكري للسبب نفسه..

وقد اجتمع أعداء كثر على مصر، فلم تتوقف الهجمات الصليبية عليها من ممالكها في فلسطين أو من أوروبا مباشرة ..

ولم تتوقف محاولات الأمراء الأيوبيين في بلاد الشام لمهاجمة مصر بقصد استعادة حكمهم لها ..

وأضيف إلى ذلك المطامع المغولية في مصر، فقد أصبحوا على أبوابها في غزة.

- في هذه الظروف حالكة السواد، بدأت تظهر في مصر ملامح قيادة إسلامية مجاهدة ومخلصة ومؤهلة .. فلقد وصل إلى سدة الحكم فيها الملك المظفر قطز -وهو من المماليك- بعد مقتل الملك المعز عز الدين أيبك وشجرة الدر، وذلك في (٢٤/ذي القعدة/٦٥٧هـ-١٢٥٩م) [(١)]،وكما مر معنا في الفصل الثاني فإن الملك المظفر قُطُز تحرك بسرعة لأخذ زمام المبادرة والاستعداد لمواجهة الاجتياح المغولي ..



المطلب الثامن: الاستعدادت لمواجهة العدوان.

- قام الملك المظفر قُطُز بتنفيذ خطة محكمة لمواجهة العدوان تمثلت بما يلي:

١- توحيد الجبهة الداخلية .

---

(١) انظر : السلوك، للمقريزي ، (٥٠٧/١) .

٢- تهيئة الشعب للجهاد ضد العدوان المغولي.

٣- إعادة هيكلة الجيش ودعمه مادياً ومعنوياً، وذلك لبناء جيش قوي متماسك هدفه الجهاد للدفاع عن الأرض الإسلامية، وليس الدفاع عن الحكام لتثبيت سلطتهم على الشعوب المقهورة..

٤- جمع الأمراء والقيادات وحثها على الجهاد معه ضد المغول، وترك لهم أن يُنصِّبوا بعد النصر من شاؤوا لحكم البلاد [١]، **وهذه بادرة فريدة لم يعتد عليها الأمراء والحكام !!..، وهو مثال راق كم نحن بحاجة إليه ..**

٥- عفا عن القيادات العسكرية التي فرت خارج البلاد في عهد الملك "المعز أيبك"، واستقطبها وأعادها مكرمة إلى مصر وضمها إلى قيادات الجيش للاستفادة من خبراتها ومواهبها في قيادة المعارك ..

وكان على رأس القيادات التي أعادها القائد "ركن الدين بيبرس" [٢]،فأكرمه وأحسن استقباله وجعله أميراً على مقدمة الجيوش ..[٣]

٦- ثم انتقل الملك المظفر "قُطُز" لإصلاح العلاقات الخارجية مع الممالك الإسلامية في بلاد الشام، مع كل ما يعلم من أحوالهم الخسيسة وتآمرهم مع الصليبيين والمغول على المسلمين في مصر، ومع ذلك سعى لإصلاح الأوضاع بقدر ما يستطيع، لضرورات وحدة مصر وبلاد الشام لمواجهة العدوان المغولي والصليبي .

---

(١) المصدر السابق ، (٥٠٨/١) .

(٢) الذي سيصبح ملكاً، ومن أعظم المجاهدين الذين دحروا الصليبيين والمغول .

(٣) انظر: البداية والنهاية ، لابن كثير ، (٢٥٥/١٣)، وانظر : السلوك ، للمقريزي ، (٥٠٩/١).

فقد أرسل رسالة فريدة من نوعها إلى "الناصر يوسف" أمير دمشق وحلب قبل سقوطها يعرض عليه توحيد مصر والشام، بحيث يكون "الناصر" ملكاً على الدولة الجديدة وتعهد "قُطُز" أن يكون تابعاً له !!..[(١)]

والعجيب أن الأمير المخذول "الناصر" لم يرض بهذا العرض وآثر الفرقة على الوحدة، فاجتاحه المغول وفرَّ إلى الصحراء جنوب الأردن، ثم قتل على يد التتار..[(٢)] وأما جيشه الشامي فانشق عنه والتحق بالجيش المصري.. ولم يستجب من الأمراء إلا أمير حماه " المنصور" الذي التحق مع جنده بجيش الملك المظفر "قُطُز" في مصر ..

أما الأمير الأشرف أمير حمص وحلب بعد سقوطها وكذلك الملك السعيد "حسن بن عبد العزيز" أمير بانياس، فقد انضما إلى التتار لمساعدتهم على اجتياح ما تبقى من بلاد المسلمين !!..

فتأمل أوضاع هؤلاء الحكام المخذولين الذين ابتلي المسلمون بهم !!..[(٣)]

٧- جمع قادة الجيش وحثَّهم على الجهاد في سبيل الله وقال لهم : (يا أمراء المسلمين! لكم زمان تأكلون أموال بيت المال، وأنتم للغزاة كارهون، وأنا متوجه فمن اختار الجهاد يصحبني) وكان قدوة لهم في التضحية فقال: (أنا ألقى التتار بنفسي) [(٤)].

---

(١) انظر: السلوك لمعرفة دول الملوك، للمقريزي ، (١/٥٠٨) .

(٢) انظر: البداية والنهاية ، لابن كثير ، (٥٥٢/١٣) .

(٣) قصة التتار، (ص/٢٥٤ وما بعدها) .

(٤) انظر : السلوك، للمقريزي ، (١/٥١٥) .

جهاد العلماء

انضم علماء الصحوة إلى الملك المظفر "قُطُز" يساعدونه على تأهيل الشعب للجهاد، والإنفاق على تجهيز الجيش، والإصلاح الداخلي..

ولما كان الإنفاق على الجيش يتطلب فرض ضرائب على الشعب لهذا القصد، فقد أفتى الشيخ العز بن عبد السلام بجواز ذلك بشروط ، فقال : (إذا لم يبق في بيت المال شيء ثم أنفقتم أموال الحوائض المذهبة وغيرها من الفضة والزينة وتساويتم أنتم والعامة في الملابس سوى آلات الحرب بحيث لم يبق للجندي سوى فرسه التي يركبها ساغ للحاكم حينئذ أخذ شيء من أموال الناس في دفع الأعداء عنهم لأنه إذا دهم العدو البلاد وجب على الناس كافة دفعهم بأموالهم وأنفسهم)[١].

(وأن تبيعوا ما لكم من الممتلكات والآلات (يقصد الحكام والقادة)، ويقتصر كل منكم على فرسه وسلاحه، وتتساووا في ذلك أنتم والعامة، وأما أخذ أموال العامة مع بقاء ما في قادة الجند من الأموال والآلات الفاخرة فلا).

والأمر الملفت للنظر أن الملك المظفر "قُطُز" وقادة جنده وأمرائه ووزرائه استجابوا لفتوى الشيخ فباعوا كل ما عندهم وأنفقوه على تجهيز الجيش !![٢]

٨- قام الملك المظفر بوضع خطة عسكرية لم يسبقه إليها أحد من ملوك

(١) انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير ، (٢٥٠/١٣)، السلوك لمعرفة دول الملوك ، للمقريزي ، (٥٠٧/١) .

(٢) قصة التتار، (ص/٢٨٢ وما بعدها) .

المسلمين في قتال المغول.. فقد كانوا يعتمدون على تقوية حصونهم، وإغلاقها على أنفسهم، ثم الدفاع عنها.. وهذا يجعلهم صيداً مؤكداً للمغول، الذين يقابلونهم بأعداد كبيرة، وبمعدات حصار متقدمة من المنجنيقات وهادمات الأسوار، وبتوفير كل ما يحتاجونه لحصار طويل يقطع عن المسلمين الغذاء والماء ويضطرهم للاستسلام مقهورين ..

المطلب التاسع: خطة الملك المظفر للمعركة .

أما الملك المظفر "قُطُز" فقد جعل خطته تعتمد على أمور عدة ومنها :

الأول: الأخذ بقاعدة الهجوم خير وسيلة للدفاع ..

الثاني: جعل المعركة خارج أرض الدولة ..

الثالث: اختيار أرض المعركة وفرضها على الخصم ..

الرابع: أرسل قوة طليعة (وحدات خاصة) لجس نبض العدو، واكتشاف قدراته، وجعله غير قادر على تحديد قوة جيش المسلمين، وتحديد الاتجاه الرئيس لعملياته ..

الخامس: إرسال عيون الاستخبارات على مسار حركة الجيش المعادي ، لتزويد القيادة بتحركاته، وتوجهاته، وقدراته ..

السادس: اختار شهر آب لبدء المعركة، وفيه تكون الحرارة في أعلى مستوياتها، مما يسبب إرهاق جنود المغول، لأنهم سكان المناطق الباردة في منغوليا.

- أنجز الملك المظفر " قطز " هذه الاستعدادات خلال ثمانية أشهر فقط من توليه الحكم .. من ٢٤/ ذي القعدة / ٦٥٧هـ/ إلى رجب / ٦٥٨هـ/

- وعقد "قُطُز" معاهدة هدنة مع مملكة عكا الصليبية حتى لا يبقى ظهر جيشه مكشوفاً لاحتمالات مهاجمة الصليبيين له ووقوعه بين فكي كماشه بين التتار والصليبيين.. وهذه المعاهدة تبين مدى الحنكة السياسة والعسكرية والاستراتيجية التي يتمتع بها الملك المظفر "قُطُز" [١].

- وبعد أن تجمع الجيش بمعسكراته في منطقة الصالحية شرق القاهرة، انطلق "قُطُز" على رأس جيشه متجهاً إلى فلسطين في النصف الأول من شهر شعبان عام (٦٥٨هـ)، الذي يوافق شهر تموز عام ١٢٦٠م، وسلك الجيش الطريق الصحراوية المحاذية لشاطئ البحر ..

- وأمر "قُطُز" الأمير "ركن الدين بيبرس" أن يتقدم في طليعة عسكرية ليعرف أخبار التتار، فسار ببيرس إلى غزة وبها جموع من التتار (حامية عسكرية)، فقاتلهم فانسحبوا، ودخل غزة وملكها بالقوة [٢].

المطلب العاشر: معركة الحسم في عين جالوت وبدء انهيار العدوان المغولي.

- وصل الملك المظفر "قُطُز" إلى غزة المحررة، وأقام فيها يوماً ثم اتجه بجيشه نحو عكا على الطريق الساحلي فعسكر قريباً منها، وأتاه الفرنج الصليبيون منها وعرضوا عليه المساعدة فرفض، وطالبهم الوفاء بمعاهدة الصلح وإلا قاتلهم قبل التتار ..

(١) المصدر السابق ، (ص/٢٩٢ وما بعدها) .
(٢) انظر : السلوك ، للمقريزي ، (١/٥١٥) .

- وجمع الملك المظفر أمراء الجيش وحضهم على جهاد التتار، وحثهم على استنقاذ الشام من قبضتهم نصرة للإسلام والمسلمين، وحذرهم عقوبة الله، فضجوا بالبكاء وتحالفوا على الاجتهاد في قتال التتار ودفعهم عن البلاد.

- وأرسل الملك المظفر طليعة قتالية بقيادة الأمير "ركن الدين بيبرس" فسار حتى لقي طليعة جيش التتار وجرى بينهم قتال فكُسرت طليعة التتار وانهزمت[1].

- واتجه جيش التتار بقيادة كتبغا من معسكراته في البقاع اللبناني متجهاً جنوباً إلى فلسطين، يرافقه الخائن "الأشرف الأيوبي" أمير حمص، لمحاربة جيش المسلمين بقيادة الملك المظفر "قُطُز" ..

- أسرع الملك المظفر إلى سهل عين جالوت الذي يقع بين مدينتي نابلس وبيسان في فلسطين، ويبعد عن منطقة معركة حطين التاريخية (٦٥ كم) تقريباً نحو جنوبها.. وعندما وصل في (٢٤/رمضان/ ٦٥٨هـ-١٢٦٠م) قام بوضع خطته القتالية ووزع قواته وفقها وجعل الأمير ركن الدين بيبرس في مقدمة الجيش وجعله مع جزء من الجيش في السهل وأخفى بقية الجيش خلف التلال والآكام .. والتحق المتطوعون الفلسطينيون من أهل القرى والمدن بجيش الملك المظفر لأنهم وجدوا فيه القائد الصالح الخبير .

- وفي صباح يوم الجمعة (٢٥/رمضان/٦٥٨هـ- ٣/٩/١٢٦٠م) بدأت المعركة فقد وصل جيش التتار بقيادة "كتبغا" إلى شمالي السهل فأشار

---

(١) انظر : السلوك ، للمقريزي ، (٥١٦/١) .

"قُطُز" إلى بعض جنوده خلف التلال بالنزول إلى السهل كتيبة كتيبة بألوانها المتنوعة ، فألقى الله تعالى الرعب في قلب "كتبغا" وصار يسأل عن هذه الكتائب ومن يقودها .. وكلف الملك المظفر فرقة موسيقية عسكرية لتعطي إشارات الهجوم والالتفاف والتوقف والتراجع والتقدم .. وأمر "كتبغا" جيشه بالهجوم فانطلق جيشه كالطوفان باتجاه المسلمين، فلما اقتربوا انطلق الأمير بيبرس مع جنده بقوة يطلبون إحدى الحسنيين، إما النصر وإما الشهادة.. واحتدم الصراع وثبت المسلمون على قلتهم فهم الطليعة فقط، ثم بدأ بيبرس بالتراجع حسب خطة مسبقة وذلك لسحب جيش المغول إلى عمق سهل عين جالوت ، ووقع كتبغا وجيشه في المصيدة.. وعندها انقض الملك المظفر "قُطُز" وجيشه على جيش المغول وأحاط بهم من كل اتجاه.. واشتعلت حرب ضارية، واستطاع التتار أن يدفعوا ميسرة جيش المسلمين للتراجع وكثر الشهداء .

إخلاص

لما عاين الملك المظفر المشهد ، ألقى بخوذته على الأرض وصرخ بأعلى صوته وإسلاماه، وانقضَّ بنفسه على المغول يقاتل في ميسرة جيش المسلمين ورأى الجنود قائدهم يقاتل بنفسه أمامهم ويثخن في قتل المغول، والتهب الجنود حماسة وأصيب فرس الملك المظفر بسهم فقتل فترجل وتابع قتاله [1].

- وبدأت ملامح النصر للمسلمين، وقتل "كتبغا " قائد المغول، وأسر الخائن الملك السعيد حسن " بن العزيز" وكان مع التتر ثم قتل، فخارت قواهم

(١) انظر : المصدر السابق، (٥١٦/١) .

وبدؤوا يلوذون بالفرار، والمسلمون خلفهم يقتلون فريقاً ويأسرون فريقاً.. وفرت جموع منهم إلى "بيسان" فأعادوا تنظيم أنفسهم وتبعهم المسلمون فجرت معركة ثانية على أرض بيسان وكاد المغول أن يتغلبوا على المسلمين، ولكن الملك المظفر عاد لصيحاته **وإسلاماه** ... ثلاث مرات ... وبدأ يلتجيء إلى الله بالدعاء طالباً منه النصر والتأييد قائلاً : (يا الله انصر عبدك قُطُز على التتار) [1] وعادت ملامح النصر من جديد تشد من أزر المسلمين فقويت معنوياتهم وقاتلوا قتالاً ضارياً انتهى بهزيمة المغول هزيمة ساحقة فلاذوا بالفرار لا يلوون على شيء، والمسلمون وراءهم يقتلون يأسرون... وأبيد جيش المغول، وانتصر المسلمون انتصاراً عظيماً، وانكسرت شوكة المغول، وبدأت شمسهم بالأفول في منتصف يوم الجمعة المباركة عام (٦٥٨هـ-١٢٦٠م)..

المطلب الحادي عشر: القائد و الجيش اللذان يستحقان النصر.

لقد تحقق كل هذا على يد الملك المجاهد الصالح الشجاع الورع " قطز " .. فنزل عن فرسه ومرغ وجهه على الأرض وقبلها وصلى ركعتين شكراً لله متذللاً بين يدي خالقه ومولاه [2].

هكذا يكون القادة المخلصون الورعون ..

(١) انظر: المصدر السابق، (٥١٧/١) .

(٢) انظر: المصدر السابق،(٥١٧/١) .

إضاءة

هؤلاء هم القادة الذين يستحقون النصر ..
الذين يأخذون بالأسباب بأعلى المستويات ويتقون الله في أنفسهم وأمتهم ..
إن الله لا ينصر المتفرعنين، والطغاة المستبدين الظالمين، والمتخاذلين اللاهين الغارقين بالشهوات والأهواء..

إن العاقبة والفوز والفلاح للمتقين الحذرين المستعدين المضحين .. يقول تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ [سورة محمد].

يقول ابن تغري بردي في كتابه النجوم الزاهرة، عن الملك المظفر قطز : (كان بطلاً شجاعاً مقداماً، حازماً حسن التدبير، يرجع إلى دين وإسلام وخير، وله اليد البيضاء في جهاد التتار) [(١)].

المطلب الثاني عشر: كتب الله تعالى لفلسطين أن تكون أرض التحرير من الصليبيين والمغول والصهاينة..

حقيقة

شاء الله تعالى أن تكون المعركة الكبرى لتحرير بلاد الشام من المغول على أرض فلسطين في عين جالوت، كما شاء أن تكون المعركة الكبرى لتحرير بلاد الشام من الصليبيين على أرض فلسطين في بيت المقدس !!.. وستنطلق المعركة الأعظم للتحرير من رجس الصهاينة على أرض فلسطين.

(١) انظر: النجوم الزاهرة ، لابن تغري بردي، (٧/ ٧٨) .

كما وعد رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح، **بقوله**: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهودَ، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهود من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبدالله، هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود» [1].

المطلب الثالث عشر: نتائج معركة عين جالوت.

لا شك بأن معركة عين جالوت من أهم المعارك في التاريخ الإسلامي، لما كان لها من نتائج انعكست على العالم الإسلامي أولاً.. وعلى باقي العالم ثانياً.

١- بعد معركة عين جالوت انكسرت شوكة المغول، وأدى ذلك إلى تحرير بلاد الشام من قبضتهم، وبدد أحلامهم في السيطرة على بلاد الشام ومصر إلى الأبد.

٢- أدت معركة عين جالوت إلى توحيد مصر مع بلاد الشام، ونتج عن ذلك دولة إسلامية قوية يحسب لها ألف حساب، وعادت للمسلمين هيبتهم في العالم .

٣- أدى ظهور الدولة القوية الموحدة بعد عين جالوت، إلى بدء تطهير سواحل بلاد الشام من الممالك الصليبية المتبقية، وإلحاق الهزيمة النهائية بالصليبيين.

٤- كما أدى ذلك إلى بدء انحسار المد المغولي عن الشرق الإسلامي، ثم

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه"برقم [٢٩٢٢] (ص/١١٧١).

إلحاق الهزيمة النهائية بالمغول بعد حين..

٥- أدى الانتصار في عين جالوت إلى إحياء صحوة إسلامية جهادية افتقدها العالم الإسلامي لفترة طويلة، وإلى عودة الناس إلى الله تعالى ..

٦- بعد عين جالوت عادت ثقة المسلمين بأنفسهم وعقيدتهم، وكسروا الإحباط الشديد الذي لازمهم لفترة طويلة، واتّقد فيهم الأمل بالنصر من جديد .

إضاءة

أسقطت عين جالوت الممالك الصغيرة والملوك الصغار الأقزام، اللاهثين وراء المناصب والمال والأهواء والسلطة وبهارج الدنيا وتوسيع الملك وتوريثه للأبناء، والذين عاشوا حياتهم يحيكون المؤامرات على بعضهم ويتقاتلون من أجل متاع وضيع ، ويهددون دماء المسلمين ويضحون بهم في سبيل ملكهم وهم يتمتعون بالمال والنساء والشراب في قصورهم، كما عاشوا حياتهم يعملون ضد الوحدة الإسلامية حتى لا يضيع سلطانهم الرخيص، ولو أدى ذلك إلى هلاك الأمة الإسلامية ..، ولم يتوانوا يوماً عن الخيانة في سبيل الحفاظ على ملكهم، وقد ضربوا أسوأ الأمثال في الذلة والهوان أمام أعدائهم.. فكانوا يقبلون الأرض بين أقدام سلاطين أعدائهم، ويرجون قبولهم عبيداً وخدماً ليكسبوا رضاءهم ويبقوا في سلطانهم .. ما أرخص هؤلاء الذين رخصت شعوبهم عليهم وأذلوها ، فأذاقهم الله تعالى الخزي والذل في الدنيا قبل الآخرة!!.

٧- لو انتصر المغول في عين جالوت ودخلوا مصر فلا يوجد وراءها دولة قوية تستطيع أن تقف في وجه اكتساح المغول لشمال أفريقيا، وهذا يفتح الباب أمامهم لمهاجمة أوروبا واكتساحها من الغرب، لا سيما أنهم اكتسحوا

أجزاء كبيرة منها من الشرق، ووصلت جيوشهم إلى حدود ألمانيا...

٨- الانتصار في عين جالوت وقى مصر من التدمير الذي لحق بحواضر العالم الإسلامي في الشرق، وحافظ على تراثها العمراني والعلمي والحضاري .

٩- أدى توحيد بلاد الشام مع مصر تحت قيادة مؤهلة إلى الاستقرار والأمن، ودفع ذلك عجلة النمو الاقتصادي في البلاد، وفتح الباب لعلاقات تجارية ناجحة وخاصة مع جنوب أوروبا..

١٠- الانتصار في عين جالوت وثَّق العلاقة بين حكام مصر وبين حكام المغول المسلمين وفي مقدمتهم "بركة خان" سلطان القبيلة المغولية الذهبية، وأدى ذلك إلى تحالف متين بينهما ضد "هولاكو" ومغول فارس في إيران، وقد ساعد ذلك على انتشار الإسلام على نطاق واسع بين المغول، كما أدى ذلك إلى إضعاف العنصر المسيحي تبعاً لإضعاف سلطان "هولاكو".

١١- دفع الانتصار الشعوب للتمسك بقيادتها المجاهدة الصالحة الخبيرة في الشأن السياسي والعسكري ..

المطلب الرابع عشر: لماذا انتصر الملك المظفر، بينما انهزم الخليفة العباسي المستعصم.

من المعلوم :

- إن الملك المظفر لم يكن له من الشرعية ما كان للخليفة المستعصم ..
- وكان مركز الملك المظفر في العالم الإسلامي صغيراً جداً لا يقارن بمركز الخليفة المستعصم السياسي والروحي ..
- وكانت القدرات المالية التي يستطيع أن يتصرف بها الملك المظفر أقل

بكثير من القدرات المالية والكنوز الضخمة التي كانت بحوزة الخليفة ..

- وكان الخليفة يستطيع أن يعلن الجهاد المقدس في طول العالم الإسلامي وعرضه للدفاع عن بغداد ومكة والمدينة، ولم يكن الملك المظفر يستطيع ذلك ..

ومع ذلك انتصر الملك المظفر قطز نصراً ساحقاً .. وانهزم الخليفة المستعصم هزيمة ساحقة ..

ولنا أن نسأل :

- ما هي الأسباب التي أدت إلى ذلك ؟!!..
- وماهي الدروس والعبر التي يجب أن نستخلصها من ذلك ؟..

أولاً : انتصار الملك المظفر قطز :

١- لأنه كان مؤهلاً إيمانياً على نحو متميز، وكانت عبوديته لله ظاهرة في كل أعماله وفي تفاصيل حياته.. انظر إلى تذلُّله بين يدي لله تعالى عندما انتصر، فقد ذكر المقريزي أنه نزل عن فرسه ومرغ وجهه على الأرض وقبلها، ثم صلى ركعتين شكراً لله تعالى.. وقبل النصر عندما شاهد تراجع جيشه أمام سطوة جيش المغول، ألقى بخوذته على الأرض وصرخ بأعلى صوته "وا إسلاماه".

ثم في بيسان أيضاً عندما أعاد المغول تنظيم أنفسهم وجمعوا قواهم وكادوا أن يهزموا المسلمين، عاد لصيحاته "وا إسلاماه" ثلاث مرات، والتجأ إلى الله بالدعاء "يا الله، انصر عبدك قطز على التتار.. انصر عبدك." إنه الانكسار على باب العبودية لله وهو الذي يجلب معونة الله تعالى وتأييده لعباده الصالحين .

٢- ولأنه كان مؤهلاً سياسياً فقد استطاع أن يوحد الجبهة الداخلية وعمل على الاستفادة من مكانة العلماء في المجتمع الإسلامي، وهيأ الشعب لتحمل مسؤولياته في الجهاد، كما عمل على إصلاح العلاقات الخارجية مع الممالك الإسلامية في بلاد الشام.. وسعى لتوثيق العلاقات مع "بركة خان" زعيم مغول القبجاق، وعمل على إقامة تحالف معه ضد "هولاكو"، وعقد هدنة مع صليبيي عكا ليحمي ظهر جيشه ..

٣- ولأنه كان مؤهلاً عسكرياً، فكان قائداً عسكرياً محنكاً، وابتكر قواعد جديدة كما ذكرنا لمواجهة التوحش المغولي، وأعاد هيكلة الجيش، وانتخب لقيادة أجنحته قياداتٍ ذات كفاءة عالية، وأذكى روح الجهاد في قادته وجنوده، وأعد للمعركة إعداداً واسعاً ودقيقاً ..

٤- ولأنه كان قدوة صالحة، فإذا أمر بالجهاد كان أول المجاهدين، وكان يخاطب قواده فيقول : (أنا ألقى التتار بنفسي) .. وإذا أمر ببذل المال لبناء قوة الجيش كان أول الباذلين .

إضاءة

كان زاهداً بالملك وبهارج الدنيا ، فقد حث قادة جيشه على الإخلاص في الجهاد حتى يتحقق النصر على المغول، وترك لهم بعدها أن يختاروا من يشاؤون لحكم البلاد ، وعرض على ملك دمشق وحلب توحيد بلاد الشام مع مصر ضد المغول، مقابل أن يجعله ملكاً على الدولة الموحدة ، وأن يعمل المظفر "قطز" خادماً تحت قيادته وتابعاً له..

٥- ولأنه كان غير مستبد في حكمه، كان يشاور القادة والعلماء وأهل

الرأي، ويحترم رأيهم وخبرتهم ..

٦- ولأنه كان متواضعاً من غير ضعف وحازماً من غير ظلم وبطش، كان الجميع يطمع بإنصافه ويحسب ألف حساب لغضبه إذا انتهكت الحقوق..

٧- ولأنه كان متفائلاً بالنصر ويفيض بالتفاؤل على قادته وشعبه..

٨- ولأنه كان محبوباً لشعبه، لأنه كان خادماً لشعبه، مضحياً من أجله ومخلصاً له، يؤثره على نفسه ..

حقيقة

فرق كبير بين القائد الذي يضحي بنفسه من أجل شعبه ، وبين القائد الذي يضحي بشعبه من أجل نفسه !!...

يقول ابن كثير عنه: (كان شجاعاً بطلاً، كثير الخير، ناصحاً للإسلام وأهله، وكان الناس يحبونه، ويدعون له كثيراً)[١].

٩- ولأنه كان فارساً شجاعاً مقداماً لا يخاف الأعداء، ولا يتهيب من جهادهم.. يقول الإمام الذهبي في وصفه: (كان فارساً شجاعاً، سائساً، ديِّناً، محبَّباً إلى الرعية)[٢].

١٠-ولأنه كان حكيماً راشداً غير متهور، يضع الأشياء في مواضعها، فلم يجمع على جيشه عدوين بآن واحد، لقد هادن الصليبيين والتفت للمغول فلما قضى عليهم، عاد والتفت إلى الصليبيين وهزمهم هزائم منكرة ..

(١) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير (٢٥٥/١٣) .

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي ، (٤٣ /٢١٣) .

بعد هذا كله هل علمتم لماذا نصره الله تعالى ؟..

ثانياً: وهزم الخليفة المستنصر:

١- لأنه لم يكن مؤهلاً إيمانياً على نحو متميز، ولم تظهر عبوديته الصادقة لله تعالى في أعمال حياته وتفاصيلها..

٢- ولأنه لم يكن مؤهلاً سياسياً، فلم يتخذ إجراءات لتوحيد الجبهة الداخلية والخارجية ، ولم يقم بتوثيق العلاقات مع الممالك الإسلامية والتنسيق معها لإقامة جبهة إسلامية موحدة في وجه المغول .. وارتكب أخطاء فاحشة بتعيينه المؤيد بن العلقمي الوزير الأول في دار الخلافة، فكان وزيراً فاسداً وعميلاً للمغول ومتحالفاً معهم على إسقاط الخلافة ..

٣- ولأنه لم يكن مؤهلاً عسكرياً، فلم يتخذ الاستعدادات العسكرية اللازمة لمواجهة العدوان المغولي، بل كان متهاوناً على نحو ملفت ..

٤- ولأنه لم يكن قدوة صالحة لشعبه وجنوده ، فلم يفكر بأن يكون على رأس جيشه يجاهد ويضحي أمامه ليكون قدوة وأسوة ..

٥- ولأنه لم يكن زاهداً بالملك بل كان متمسكاً ببهارج الحياة و زينتها ، وعنده من الأموال و الكنوز ما يصعب حصره، وقد سلمها " لهولاكو" عندما دخل قصر الخلافة، فكانت كميتها عظيمة جداً[1] ولم يقم بإنفاق شيء من هذه الأموال والكنوز الطائلة على بناء الجيش ، بل فعل العكس

(١) انظر: جامع التواريخ ، لرشيد الدين الهمذاني ، (١/٢٩٢).

كما ذكرنا !!..

٦- ولأنه كان ضعيفاً، غير متيقظ، ولم يكن صاحب همَّة، ولم يكن شجاعاً مقداماً.. يقول قطب الدين اليونيني في وصفه: (ولكنه لم يكن في حزم أبيه، وتيقظه، وعُلوِّ هِمتِه وإقدامِه، وإنما قدَّموه على عمه... (للخلافة) لما يعلمون (يقصد المتنفذين الذين حوله) من لينه وانقياده وضعف رأيه ليستبدوا بالأمور) [1].

٧-ولأنه لم يكن حكيماً راشداً، ولم يكن يضع الأشياء في مواضعها وفي وقتها المناسب ، فلم يخطط ولم يستعد ..

يقول الذهبي عن أعمال العلقمي وخضوع الخليفة لآرائه: (فأهلك الحرث والنسل، وحسَّن له [للخليفة]جمعَ الأموال، وأن يقتصر على بعض العساكر، فقطع أكثرهم)[2]..

والعجيب.. أن يجعل منه مسؤول المفاوضات مع هولاكو إضافة إلى بطريرك بغداد والذي هو بدوره كان يعمل على إسقاط الخلافة وكان عميلاً للمغول ومتحالفاً معهم!!..

والأغرب من ذلك أنه بسبب عدم أهليته قام بتقليص عدد جنود الجيش من مئة ألف إلى عشرة آلاف فقط !!.. بل قام بخفض رواتب الجنود المتبقين حتى كانوا يتسولون في بغداد لتأمين معيشتهم !!..

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ،للذهبي ، (٤٣/ ١٨١).

(٢) انظر: المصدر السابق، (٤٣/ ١٨١) .

ولم يقم بإعلان الجهاد المقدس ولو فعل لتجمع مئات الألوف من المقاتلين من شتى أنحاء العالم الإسلامي للدفاع عن دولة الخلافة..

ولم يقم بإذكاء روح الجهاد في الأمة ، ولم يرب جيشه على حب الجهاد والاستشهاد، فكان جيش مراسم وتسلط على العباد وإخضاعهم ، وليس جيش جهاد !!

ولم يقم بتدريب الجيش على فنون القتال التي تؤهله لمواجهة جيوش المغول !!.

ولم يقم باختيار القيادات ذات الكفاءة العالية في القتال والجهاد ، لأن الخلفاء كانوا يخافون من القادة العسكريين الأكفاء الأقوياء على سلطانهم ..

ولم يقم بوضع الخطط العسكرية المناسبة لمواجهة جيوش المغول وطريقتهم في القتال .. بل اكتفى أن يبقى في قصوره ومع كنوزه في بغداد ، لأنه لم يكن يتوقع النهاية المخزية التي سينتهي إليها ..

وكان في قصره مئات الجواري .. يقول الإمام الذهبي في وصفه : (وكان يلعب بالحمَّام، وفيه حرص وتوانٍ) [(١)] ويقول ابن كثير في وصفه: (ولكن كان فيه لين، وعدم تيقظ ، ومحبة للمال وجمعه ..)[(٢)].

بعد هذا كله، هل علمتم لماذا انهزم الخليفة المستعصم ؟!!

ولماذا انتصر الملك المظفر قطز ؟..

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ،للذهبي (١٨١/٤٣).

(٢) انظر: البداية والنهاية ،لابن كثير ، (٢٠٥/١٣).



المطلب الخامس عشر: من سنن الله تعالى في النصر والهزيمة.



سينتصر المؤمنون على الكافرين :

إذا عمل المؤمنون بشروط الإيمان والإسلام كاملة من غير نقص أو ضعف أو تدليس..

وإذا أعد المؤمنون مايستطيعون من مقومات القوة والنصر، سلاحاً وإعداداً واستعداداً وتخطيطاً وحذراً واستطلاعاً ودراسةً وتحليلاً ..

وإذا بوأ المؤمنون قيادتهم، لقائد مؤمن عادل مؤهل حكيم ذي كفاءة عالية .

وسينهزم المؤمنون أمام الكافرين :

إذا أخلوا بشروط الإيمان والإسلام وضيعوها..، وكانت استعداداتهم أضعف من استعدادات الكافرين، فالنصر عندئذ حليف الأكثر تخطيطاً واستعداداً..

وسينهزمون إذا كانت دولتهم دولة الظلم والاستبداد والتعدي على حقوق العباد.

- هذه بعض سنن الله في النصر والهزيمة ..
- فهل نتعظ من دروس التاريخ ؟!!.
- هل نعمل بالعبر والخبرات المستفادة ؟!!.

حقيقة

من يريد النصر حقاً عليه أن يسير ويعمل حسب سنن اللّه في النصر ..،ويتجنب سنن اللّه في الهزيمة ..

* * *

المبحث الخامس

بدء مسيرة تحرير بلاد الشام من المغول

بعد النصر العظيم في عين جالوت بدأت الاستعدادات لتحرير دمشق وحمص وحلب والجزيرة من المغول.. لم يرد الملك المظفر أن يترك الفرصة للمغول لاسترداد أنفاسهم وتلقي الدعم من عواصمهم في "قره قورم" و "خوارزم" و "فارس" وجنوب روسيا.. بل عمل على اغتنام فرصة تدمير جيشهم في بلاد الشام، لتطهيرها مما بقي من قواتهم وأذنابهم .

بدأ بإرسال رسالة لأهل دمشق يزف إليهم النصر العظيم على المغول، ليشد من معنوياتهم وأزرهم، وليكسر من معنويات الحامية المغولية التترية المسيطرة على دمشق .. وصلت رسالة الملك المظفر وأخبار النصر إلى أهل دمشق بين يومي (٢٧و٢٨ رمضان عام (٦٥٨هـ – ١٢٦٠م)، فثاروا وهاجموا الحامية التترية فقتل من قتل منهم وهرب من هرب، فتبعهم المسلمون من دمشق يقتلون فيهم ويحررون الأسرى من أيديهم [(١)].

ثم التفتوا إلى عملائهم وأذنابهم فقتلوا منهم، وفرَّ منهم،

---

(١) انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير ، (٢٥٦/١٣) .

وعوقب الباقون[1].

ثم أرسل الملك المظفر الأمير جمال الدين المحمدي الصالحي إلى دمشق فنظم أمور الناس ونشر الأمن بينهم .. وفي آخر رمضان وصل الملك المظفر إلى ظاهر دمشق فخيم هناك وأقام إلى ٢/شوال، ثم دخل دمشق ففرح الناس به فرحاً شديداً، ودعوا له دعاء كثيراً [2]. وشهد الناس عيد الفطر بفرحة عظيمة لم يشهدوا مثيلاً لها منذ أربعين سنة. ثم أرسل الملك المظفر الأمير ركن الدين بيبرس إلى حمص وحماه وحلب فحررها من المغول.

وبهذا تحررت جميع بلاد الشام من الفرات إلى حد مصر من المغول[3].

وظهرت دولة إسلامية واحدة مجاهدة من الفرات إلى مصر إلى أواسط ليبية ، تحت قيادة مخلصة واحدة .

وخلال خمسة أسابيع قام الملك المظفر بتنظيم أمور بلاد الشام فقسمها إلى ولايات وولى على كل ولاية أميراً يدير شؤونها، ويبني قوتها، ويرعى مصالح الناس .

ثم بدأ الملك المظفر يُعد العدة لعودته إلى مصر في (٢٦/شوال/٦٥٨هـ-١٢٦٠م) فهي مركز الدولة الإسلامية، وتحتاج إلى جهود كبيرة لبناء قوتها .

وفي (١٦/ذي القعدة/٦٥٨هـ- ١٢٦٠م) وأثناء عودة الملك المظفر

---

(١) انظر : السلوك للمقريزي ، (٥١٧/١) .

(٢) انظر: البداية والنهاية ، لابن كثير ، (٢٥٧/١٣) .

(٣) انظر: السلوك للمقريزي ، (٥١٨/١) .

"قطز" إلى مصر قتل فكانت مدة حكمه سنتين تقريباً، واستلم الملك من بعده الملك "الظاهر بيبرس".

المطلب الأول: أهم إنجازات بطل المقاومة الملك المظفر قطز.

وهكذا استطاع الملك المظفر بإخلاصه وجهاده وتقواه وحنكته السياسية والعسكرية ، وخلال أحد عشر شهراً فقط من توليه الحكم ، أن يحقق إنجازات عظيمة غيرت مجرى التاريخ ومنها :

إيقاف الإعصار المغولي الذي اجتاح العالم الإسلامي لمدة ٤١ سنة تقريباً.

دحر المغول ، وتحرير بلاد الشام من قبضتهم.

توحيد جبهة المقاومة الإسلامية من جديد ، وتوفير ما تحتاجه من عوامل القوة والصمود .

المطلب الثاني : العلاقات مع المغول بعد تحرير بلاد الشام.

بعد تحرير بلاد الشام من المغول، ظهر اتجاهان في العلاقة معهم:

الاتجاه الأول: استمرار الأعمال العدائية.

حيث استمر القتال والعدوان والمناوشات والمعارك في أماكن متعددة وخاصة بين مغول فارس والمسلمين .

الاتجاه الثاني: توسع دخول المغول في الإسلام، وخاصة بين مغول القبجاق والقبيلة الذهبية.

فقد توسع دخول المغول في الإسلام ، وزاد التعاون مع مغول القبجاق وزعيمهم "بركة خان" الذي أسلم وقومه عام (٦٥٠هـ – ١٢٥٢م) [١] [٢] وبالمقابل توسعت دائرة الصراع بين مغول القبجاق المسلمين ومغول فارس الكافرين .

ظاهرة عجيبة : وظهر مع توسع دخول المغول في الإسلام، ملوك وسلاطين مغول دخلوا في الإسلام، لكنهم قادوا الاعتداءات الوحشية على بلدان العالم الإسلامي مثل أسلافهم من ملوك المغول الكافرين بل كان بعضهم أشد وحشية من الكافرين ويقف على رأسهم "تيمور لنك" !!.

واندثرت إمبراطورية المغول الأولى التي أسسها " جنكيز خان " بعد مرور مئة وعشرين سنة تقريباً على بداية زحفه على العالم الإسلامي، ثم خمد بركانهم لمدة خمس وثلاثين سنة تقريباً، ليتفجر من جديد على يد "تيمور لنك" الذي أسس الإمبراطورية الثانية للتتار، والتي دامت ستة وثلاثين عاماً ، ثم تمزقت بعد موته عام (٨٠٧هـ – ١٤٠٥م).

تسلسل الأحداث:

أولاً : الأحداث في تتمة عصر الملك " هولاكو خان " :

ففي أوائل عام (٦٥٩هـ – ١٢٦١م)، وبعد مقتل الملك المظفر قطز استغل

(١) قسم " جنكيز خان " إمبراطوريته الواسعة على أولاده الأربعة قبل موته ، وكانت الأجزاء الواقعة قرب بحر قزوين وفي حوض نهر الفولغا من نصيب ابنه " جوجي " ، الذي أقام دولة مغول القبجاق أو القبيلة الذهبية ، نسبة إلى اللون الذهبي الذي اشتهرت به مخيماتها.

(٢) انظر: العصر المماليكي في مصر والشام ، د. سعيد عاشور ، (ص/٢٣٤) .

"هولاكو" الفرصة وحاول أن يستعيد شيئاً من هيبته ، فدخلت فرقة من جيشه إلى شمالي سورية فاستهدفت حلب وما حولها ونهبتها ، ثم حاولت مهاجمة حمص وكان عدد الجنود حوالي /٦٠٠٠/ مقاتل، فتصدى لهم أميرها الملك الأشرف والملك المنصور ملك حماه، ووقعت معركة بينهم في (٥/ محرم /٦٥٩هـ/١٢٦١م) في الرستن، فأفنوا التتار قتلاً وأسراً [١]، وفرَّ الباقون .

وفي عام (٦٦٠هـ– ١٢٦٢م) شرع الملك الظاهر بيبرس بتجهيز الخليفة العباسي في القاهرة المستنصر بالله، [٢][٣] لاسترداد بغداد وإرجاع الخلافة إليها، ويذكر ابن عبد الظاهر في كتابه الروض الزاهر : (أن الظاهر بيبرس أنفق على هذا المشروع "ألف ألف دينار وستين ألف دينار عيناً) [٤]. وتوجه الخليفة المستنصر نحو العراق وتجمع معه عدداً من المقاتلين من العرب والمماليك والتركمان ولكن كان عددهم قليلاً ، فلما وصل بالقرب من الأنبار عسكر هناك فما لبث أن جاء جيش المغول بقيادة زعيمهم في العراق "قرا بغا" الذي استخلفه هولاكو عليها والتقى الجيشان في العشر الأواخر من محرم/٦٦٠هـ، ودارت بين الطرفين معركة انتهت بانتصار المغول على

(١) انظر : السلوك ، للمقريزي ، (٥٢٥/١) .

(٢) الذي وصل إلى القاهرة عام (659هـ) ، ونصبه الملك الظاهر بيبرس خليفة للمسلمين ولقبه بالمستنصر بالله.

(٣) انظر :المصدر السابق، (٥٢٨/١ وما بعدها) .

(٤) انظر : الروض الزاهر ، لابن عبد الظاهر ، (ص/١١٢) .

العباسيين ، وقتل الخليفة المستنصر بالله [١] .

وفي عام (٦٦٠هـ – ١٢٦٢م) بعث بركة خان ملك التتار القبجاق عشرين ألف فارس إلى بلاد إمبراطور القسطنطينية فأغاروا عليها من كل النواحي، فطلب الإمبراطور البيزنطي الهدنة ، فاشترط بركة خان تسليم السلطان عز الدين كيكاووس سلطان سلاجقة الروم الذي لجأ إليه بعد انكساره أمام أخيه ركن الدين قلج أرسلان، فوافق على تسليمه مع أمواله مقابل الهدنة، وبقي كيكاووس عند بركة خان، وعندما مات بركة خان بقي كيكاووس عند ابنه السلطان منكوتمر [٢].

وفي (رمضان ٦٦٠هـ – ١٢٦٢م) اتخذ الملك الظاهر بيبرس إجراءات احترازية في بلاد الشام وخاصة في شمالها خوفاً من هجوم مفاجئ للمغول .

وفي السنة نفسها (خرجت الكشافة [٣] من دمشق وغيرها، فظفروا بكثير من التتار يريدون القدوم إلى مصر مستأمنين، وقد كان الملك "بركة" قد بعثهم نجدة إلى "هولاكو" فلما وقع بينهما كتب يستدعيهم إليه، ويأمرهم إن تعذَّر عليهم اللحاق به أن يصيروا إلى عساكر مصر وكان سبب عداوة "بركة" و "هولاكو" أن وقعة كانت بينهما قاتل فيها "هولاكو" وكسر عسكره وتمزقوا في البلاد، وصار هولاكو إلى قلعة بوسط بحيرة أذربيجان محصوراً بها) [٤].

---

(١) انظر : السلوك ، للمقريزي ، (٥٤١/١) .

(٢) انظر : ذيل مرآة الزمان ، لليونيني ، (٣٦٧/١) .

(٣) وحدات استطلاع .

(٤) انظر : السلوك ، للمقريزي ، (٥٤٤/١) .

وأمر الملك الظاهر بإكرام الوافدين من المغول من طرف "بركة خان"، واستقبلهم بنفسه في القاهرة وبنى لهم بيوتاً خاصة بهم وكانوا مئتي فارس مع أهليهم، فحسنت حالهم ودخلوا في الإسلام[١].

وفي السنة نفسها هاجم مغول فارس مدينة الموصل، ونهبوا المدينة وقتلوا الرجال وأسروا النساء والذرية، وهدموا المباني وتركوها بلاقع ورحلوا بأميرها ثم قتلوه وهم في طريقهم إلى هولاكو، كما جرت معركة في السنة نفسها بين أمير حلب شمس الدين آقوش وبين المغول قرب سنجار فهزموه[٢].

وفي عام (٦٦٠هـ– ١٢٦٢م) أيضاً، قرر هولاكو تصفية الحساب مع ابن عمه "بركة خان" سلطان القبيلة الذهبية "القبجاق" الذي اعتنق الإسلام وقومه، وصار يدافع عن المسلمين، فقد حزن "بركة خان" لما فعله "هولاكو" في الشرق الإسلامي وخاصة في بغداد، وصمم على الانتقام من هولاكو حتى سنحت له الفرصة، وكان يقول في هذا الصدد: (لقد جدَّ هولاكو في هلاك المسلمين، وسوَّى البلاد الإسلامية في الأرض، وقتل خليفة بغداد دون استشارة أحد، فإذا أيدني الله الخالد فسوف أطالب بدماء الأبرياء).

(ولقد أعد " بركة خان " جيشاً تعداده ٣٠٠٠٠ جندي لمحاربة هولاكو، وسار هذا الجيش من القبجاق قاصداً إيران، فعبر "دربند" القوقازية التي تمثل الحدود الفاصلة بين المملكتين ثم ذهب إلى شروان، فلما سمع هولاكو هذا

---

(١) انظر: المصدر السابق، (1/544وما بعدها).

(٢) انظر: المصدر السابق ، (١/٥٤٥) .

النبأ، قدم بجيشه إلى "شماخى" في شوال سنة (٦٦٠هـ) والتحم بجيش بركة وهزمه. ومن هناك تحرك إلى "دربند" وأرسل ابنه "آباقا" على رأس جيش كبير إلى مملكة "بركة"،فأغاروا على منازل الأهالي ونهبوا أموالهم، ولكن سرعان ما نظم بركة صفوفه وانقض على جيش آباقا عند نهر "ترك" وانتصر عليه في جمادى الأولى سنة (٦٦١هـ) فلما وصلت أخبار هذا الانكسار إلى "هولاكو خان" — وكان في تبريز– تأثر تأثراً شديداً وأسرع يستعد لمحو آثار هذه الهزيمة)[١].

وفي عام (٦٦١هـ— ١٢٦٣م) أرسل بيبرس رسالة ورسلاً إلى بركة خان يستميله ويحثه على الجهاد، ووصف له قوة جيش المسلمين وكثرتهم وعدة أجناسهم وولائهم، وحرضه على هلاكو وهون أمره وقبح فعله[٢].

وفي (١١/رجب/ ٦٦١هـ) ووصل إلى الديار المصرية رسولان من عند الملك بركة خان يحملان رسالة منه ومضمونها: (أنت تعلم أني محب لهذا الدين، وهولاكو قد تعدى على المسلمين واستولى على بلادهم، وقد رأيت أن تقصده من جهتك وأقصده من جهتي، ونصدمه صدمة واحدة فنقتله أو نطرده عن البلاد، ومتى كان واحدة من هاتين أعطيتك ما كان في يده من البلاد التي استولى عليها)[٣].

وأكرم الملك الظاهر بيبرس رسل الملك بركة خان وزودهم برسالة جوابية

---

(١) انظر: المغول في التاريخ ، فؤاد عبد المعطي الصياد ، (ص/٣٢٢ وما بعدها) .

(٢) انظر:السلوك للمقريزي، (١/٥٤٩) .

(٣) انظر: ذيل مرآة الزمان ، لليونيني ، (١/٢٣٣) ، و البداية والنهاية ، لابن كثير ، (١٣/ ٢٧٦) .

وهدية للملك بركة، وزود الرسل بعدد حربية، وأمر بالدعاء للملك بركة خان على المنابر في مكة والمدينة والقدس ومصر وغيرها[١].

وكتب بيبرس إلى ملك شيراز وأهل تلك الديار، يستحثهم على قتال هولاكو ملك التتار، وقد وردت الأخبار بانتصار الملك بركة خان على هولاكو عدة مرات[٢].

وفي السنة نفسها جرت معارك عنيفة بين "بركة خان" و "هولاكو" (ومع كل واحد جيوش كثيرة فاقتتلوا فهزم الله هولاكو هزيمة فظيعة وقتل أكثر أصحابه وغرق أكثر من بقي وهرب هو في شرذمة يسيرة ولله الحمد)[٣].

وفي (٦/ذي الحجة/٦٦١هـ– ١٢٦٣م) وصلت مجموعة من المستأمنين من التتار فاستقبلهم الملك الظاهر وأكرمهم، ثم قدمت بعدهم طائفتان أخريان، فاحتفل بهم وأمر عليهم أمراءهم ودعاهم إلى الإسلام فأسلموا [٤].

وفي (٤/ربيع الثاني/٦٦٣هـ- ١٢٦٥م) هاجم مغول فارس مدينة البيرة بتحريض من الصليبيين في بلاد الشام حيث أطمعوهم بأن عساكر المسلمين متفرقة في الإقطاعات، فاستجابوا لذلك وهاجموا البيرة [٥]، عند ذلك أرسل بيبرس أربعة آلاف فارس من بلاد الشام، ونصب التتار على البيرة سبعة عشر

(١) انظر: السلوك، للمقريزي، (١/٥٥٨وما بعدها) .

(٢) انظر: السلوك، للمقريزي،(١/٥٥٠) .

(٣) انظر: البداية والنهاية ، لابن كثير ، (٢٧٧/١٣) .

(٤) انظر:السلوك، للمقريزي، (٥٦١/١) .

(٥) انظر: ذيل مرآة الزمان ، لليونيني ، (٢٧٧/١) .

منجنيقاً، ووصل الملك المنصور صاحب حماه بالعساكر مع مجموعة من الأمراء فلما شاهدهم التتار هربوا ورموا منجنيقاتهم، وأمر الملك الظاهر بعمارة ما خرب من البيرة وحمل الأسلحة إليها من مصر والشام ، وزودها بما تحتاجه إذا حوصرت لمدة عشر سنين [١].

وفي (١٩/ربيع الثاني/٦٦٣هـ– ١٢٦٥م) توفي "هولاكو" وكان وقتئذ في الثامنة والأربعين من عمره[٢]، بعد أن ارتكب بحق المسلمين أبشع الجرائم التي يندى لها جبين التاريخ، واستلم الملك من بعده ابنه " أبغا خان " [٣].

ثانياً : الأحداث في عصر الملك " أبغا بن هولاكو خان ":

استمر "أبغا" في حربه على المسلمين وبلادهم ما يقارب سبعة عشر عاماً، من عام (٦٦٣هـ– ١٢٦٥م) إلى وفاته عام (٦٨٠هـ– ١٢٨٢م) ، وكان أبغا مسيحياً نسطورياً، تزوج من ابنة إمبراطور بيزنطة "ميخائيل" وحرص على أن يدعم علاقاته بالقوى المسيحية في الشرق والغرب للانتقام من المسلمين في بلاد الشام ومصر بسبب هزيمة عين جالوت [٤].

ففي عام (٦٦٤هـ– ١٢٦٦م)، جاءت رسل الملك "أبغا بن هولاكو" يطلب الصلح [٥] خدعة للمسلمين وقائدهم الملك الظاهر بيبرس .

---

(١) انظر : السلوك ، للمقريزي ، (١٨/٢) .
(٢) انظر : المغول في التاريخ ، فؤاد عبد المعطي الصياد ، (ص/٣٢٤) .
(٣) انظر : المغول في التاريخ، للصياد، (ص/٣٢٤) .
(٤) انظر : العصر المماليكي في مصر والشام ، د. سعيد عاشور ، (ص/٤٣) .
(٥) انظر : السلوك للمقريزي ، (٣٨/٢) .

وفي (١٧/جمادى الآخرة/٦٦٥هـ) هاجم التتار مدينة الرحبة شمالي سورية، فتصدى لهم أهلها فهزموهم وقتلوا وأسروا كثيراً منهم [١].

وفي عام (٦٦٥هـ– ١٢٦٧م) توفي الملك "بركة خان– طغان–" وخلفه ابنه "منكوتمر بن بركة خان بن باتو بن جوجي خان بن جنكيز خان" على مملكة القبجاق ، وأرسل الملك الظاهر له برسالة تعزية بوفاة والده "بركة خان" ، وحرضه فيها على محاربة " أبغا " بن هولاكو وخليفته على مغول فارس[٢]، وفي السنة نفسها التقى جيشا "منكوتمر" مع "أبغا بن هولاكو" فانهزم منكوتمر هزيمة منكرة ، وهرب منكوتمر إلى بلاده ، ورجع أبغا بعد أن كسب كسباً عظيماً [٣].

وفي عام (٦٦٧هـ- ١٢٦٩م) أرسل "أبغا" رسولاً إلى الملك الظاهر يعرض عليه الصلح بين دولتيهما خديعة [٤].

وتوسعت الخلافات والصراعات بين القادة والأمراء في معسكر أبغا بن هولاكو، كما جرت صراعات بين أبغا و خصومه خاصةً منكوتمر خليفة بركة خان ، ففي عام (٦٦٧هـ) انشق "باكودر " على أبغا ودعا للانضمام إلى منكوتمر خليفة بركة خان ، وفي العام نفسه هاجم "برق" جيش "تبشير" أخو أبغا فكسره واستأصل رجاله ، فبعث "تبشير" إلى أخيه أبغا يستصرخه ، فجهز أبغا جيشاً لمهاجمة "برق".

---

(١) انظر: المصدر السابق ، (٢/٤٣) .

(٢) انظر: المصدر السابق ، (٢/٤٥ وما بعدها) .

(٣) انظر : ذيل مرآة الزمان ، لليونيني ، (1/296).

(٤) انظر : السلوك ، للمقريزي، (٢/٥٥ وما بعدها)، وتاريخ الإسلام، للذهبي، (٤٩/٤٢) .

وفي عام (٦٦٨هـ) التقى الجيشان فانهزم "برق" هزيمة منكرة .

وفي عام (٦٦٩هـ– ١٢٧١م) هزم منكوتمر قائد المغول المسلمين وخليفة بركة خان ، أبغا بن هولاكو قائد مغول فارس الكافرين هزيمة منكرة [١].

وفي عام (٦٧٠هـ) جهز " أبغا بن هولاكو" جيشاً لمهاجمة بلاد حلب ، فاستنفر الملك الظاهر بيبرس أهل دمشق وكان موجوداً فيهاً وبعث إلى عساكر مصر فخرجوا إليه، فلما وصل الخبر إلى التتار ولّوا هاربين ، ووزع الملك الظاهر وحدات قتالية متعددة لتمشيط شمال بلاد الشام من المغول [٢].

وفي السنة نفسها جاءت الرسل من قبل "منكوتمر" خليفة بركة خان بكتاب إلى الملك الظاهر، بجميع ما كان في أيدي المسلمين، من البلاد التي استولى عليها هولاكو وطلبوا منه أن يعينهم على استرجاعها واستئصال شأفة أتباعه من المغول [٣] .

وفي ربيع الأول عام (٦٧١هـ– ١٢٧٢م) نزلت فرقة من المغول على مدينة "البيرة" وفرقة أخرى على معابر الفرات وقطعوا طرق الإمدادات فأرسل الملك الظاهر بيبرس أمامه وحدات من الجيش بقيادة بعض الأمراء، ولحق بهم ومعه مراكب مفصلة محمولة، وجد في السير حتى وصل إلى الفرات، فوجد التتار على الشط فألقى المراكب التي حملها من دمشق في الفرات وشحنها

(١) انظر: ذيل مرآة الزمان، لليونيني، (٣١٥/١ وما بعدها)، وتاريخ الإسلام،للذهبي، (٤٦/٤٩ وما بعدها)

(٢) انظر : ذيل مرآة الزمان، لليونيني، (٣٣٤/١)، والنجوم الزاهرة (١٤٠/٧ ومابعدها) .

(٣)انظر : ذيل مرآة الزمان، (٣٣٦/١)، وتاريخ الإسلام، للذهبي ، (٤٩ /٦٥) .

بالمقاتلين، واصطدمت وحدة من الجيش بالتتار ففرقتهم ومزقتهم، وانتصر المسلمون وصلى الملك الظاهر ركعتين شكراً لله في منازل العدو، ونشر العسكر في كل اتجاه، فقتلوا وأسروا عدداً كبيراً [١].

وفي عام (٦٧٤هـ– ١٢٧٥م) أمر " أبغا" أمراءه ببلاد الروم بالهجوم على قلعة البيرة، فوصلوا إليها في ثامن جمادى الآخرة وعددهم ثلاثون ألفاً، ومعهم عسكر من ماردين وميافارقين والموصل والعراق وسلاجقة الروم، ونصبوا المنجنيقات حولها وبدؤوا في قصفها، وخرج أهل البيرة في الليل وهاجموا الجيش فقتلوا الكثير وأحرقوا المنجنيقات وعادوا..ولما يأس المغول من احتلال القلعة انسحبوا بعد تسعة أيام مخذولين[٢].

وفي عام (٦٧٥هـ– ١٢٧٦م) قرر مجموعة من أمراء سلاجقة الروم التمرد على سلطة المغول في الأناضول، والاتصال مع الملك الظاهر بيبرس للتحالف معه، والطلب منه لإرسال عسكره إلى بلادهم ، ولما قامت هذه الانتفاضة ، تفرق العسكر السلجوقي ينهبون المغول ويقتلونهم[٣].

وفي (عشرين/رمضان/٦٧٥هـ- ١٢٧٧م) خرج الملك الظاهر من مصر متجهاً إلى دمشق ومنها إلى حلب، وأرسل وحدات عسكرية لحفظ معابر الفرات من هجمات المغول ، وتوجهت قوة مغولية مع حلفائها من عرب

(١) انظر : السلوك، للمقريزي، (٨٢/٢) ، وتاريخ الإسلام، للذهبي، (٦/٥٠) .
(٢) انظر : تاريخ الإسلام، للذهبي ، (١٧/٥٠) .
(٣) انظر : ذيل مرآة الزمان، (٤٠٣/١ وما بعدها) .

خفاجة من العراق لمواجهة جيش بيبرس، فتصدى لهم نائب حلب وهزمهم ، وتحرك الملك المظفر متجهاً إلى الأناضول فسيطر على كل المسالك المؤدية إلى بلاد الروم، وقدم فرقة من جيشه أمامه للاستطلاع، فعثرت على كتيبة من المغول عددها ثلاثة آلاف فارس فقاتلوهم وهزموهم وأسروا منهم، ثم وردت أخبار إلى بيبرس بأن جيش المغول تجمع عند نهر جيحان لملاقاته، فقدم بجيشه وصعد على جبال تشرف على صحراء "أَبُلُسْتَيْن" فشاهد المغول موزعين على إحدى عشرة كتيبة، في كل كتيبة ألف فارس، فلما تقدم جيش المغول انصبت عليهم خيول المسلمين من الجبل انصباب السيل، وجرت معركة طاحنة قادها بيبرس بنفسه، وكان في مقدمة المجاهدين الذين قاتلوا قتالاً شديداً فأثخنوا القتل في المغول، فخارت قوى المغول وانهزموا ووقع عدد كبير منهم في الأسر، ثم توجه السلطان إلى قيصرية ففتحها ودانت له القلاع التي مر بها [(١)].

وتعد هزيمة المغول في **معركة " أَبُلُسْتَيْن"** التي خاضها الملك الظاهر بيبرس من أكبر هزائمهم بعد هزيمتهم في عين جالوت.

وبعد سنة تقريباً من هذه المعركة توفي الملك **الظاهر بيبرس** في المحرم من سنة (٦٧٦هـ– ١٢٧٧م) [(٢)]، بعد أن دمر آمال المغول بالعودة إلى بلاد الشام، وحطم قوة الصليبيين وقطَّع أوصالهم، وحاصرهم في جزر برية تحيط بهم عساكر المسلمين من الجهات جميعها.

---

(١)انظر : ذيل مرآة الزمان، (٤٠٨/١ وما بعدها)، والنجوم الزاهرة، (١٥٠/٧ ومابعدها) .

(٢) انظر : النجوم الزاهرة ، (١٥٦/٧) .

وفي عام (٦٧٨هـ– ١٢٧٩م)، تولى الملك المنصور سيف الدين قلاوون الحكم في مصر وبلاد الشام .

وفي عام (٦٧٩هـ– ١٢٨٠م) اغتنم المغول الصراعات بين أمراء بلاد الشام والسلطان قلاوون، فجهز "أبغا بن هولاكو" جيشاً من ثلاث فرق قاصداً بلاد الشام، ووصل الجيش إلى حلب في (٢١/جمادى الآخرة/٦٧٩هـ) فدخلوها بدون مقاومة لخلوها من العسكر، فقتلوا ونهبوا وأحرقوا الجوامع والمدارس ودار السلطنة وارتكبوا الفظائع وأقاموا بها يومين ثم رحلوا إلى بلادهم بما حملوا من أسلاب المسلمين[1].

وفي عام (٦٨٠هـ– ١٢٨١م) وبعد أن أغارت فرقة من عساكر حلب على بلاد الروم، تحرك "أبغا بن هولاكو" على رأس جيش كبير من المغول والكرج والروم والأرمن وغيرهم إلى بلاد حماه، فأفسدوا في ضواحيها ثم توجه نحو حمص لملاقاة الجيش الإسلامي الذي احتشد فيها، وكان عدد جيش المغول مئة ألف أو يزيدون، وجيش المسلمين حوالي نصفهم عدداً ، ودارت معركة عنيفة بين الطرفين لم يقع مثلها منذ سنتين، وانكسرت ميسرة جيش المسلمين، وثبت الملك سيف الدين قلاوون في جمع قليل بالقلب ثباتاً عظيماً، وتحمس المسلمون وحملوا على المغول فكسروهم كسرة عظيمة، وانهزم جيش المغول لا يلوي على شيء وجرح قائده "منكوتمر بن هولاكو" الذي هرب بدوره، وأرسل السلطان قلاوون وحدات تلحق بالمغول الهاربين، فقتلت

---

(١) انظر : السلوك في معرفة دول الملوك، للمقريزي، (٣٥/٢ وما بعدها).

وأسرت أعداداً كبيرة منهم [١].

وفي نهاية عام (٦٨٠هـ – ١٢٨١م) توفي " أبغا بن هولاكو" وخلفه في الملك في مطلع السنة التالية، أخوه " أحمد تكدار بن هولاكو" ، وكان اسمه "تكدار" أسلم في حياة أبيه وحسن إسلامه، ولما تولى الملك أرسل إلى بغداد تعليماته بإظهار شعائر الإسلام وإعلاء كلمة الدين [٢].

ثالثاً : الأحداث في عصر الملك " أحمد تكدار بن هولاكو خان ":

كان معارضاً لعدوان أبيه على العالم الإسلامي، وسعى للإصلاح بين دولته ودولة المماليك، وإقامة السلام وإخماد الفتن، خلال مدة حكمه التي امتدت لمدة سنتين تقريباً من عام (٦٨١هـ) إلى عام (٦٨٣هـ) .

ففي (رجب/٦٨١هـ) أرسل الخان "أحمد تكدار بن هولاكو " رسالة إلى السلطان سيف الدين قلاوون، ورد فيها أنه قد أسلم، وأنه أمر ببناء المساجد والمدارس والأوقاف، وأمر بتجهيز الحجاج، وطلب في رسالته اجتماع الكلمة وإخماد الفتنة والحرب، وإقرار السلم بين الدولتين المملوكية والمغولية .. فأجابه السلطان بتهنئته بالإسلام، والرضا بالصلح، وأعاد الرسل إليه بعد أن اهتم بأمرهم غاية الاهتمام [٣].

وانسجم موقف "أحمد تكدار" مع موقف مغول القبجاق المناصر

(١) انظر : النجوم الزاهرة، (٢٥٨/٧ وما بعدها)، والسلوك، للمقريزي، (٢٤٥/٢ وما بعدها) .

(٢) انظر : ذيل مرآة الزمان ، لليونيني ، (٤٣/٢ وما بعدها) .

(٣) انظر : النجوم الزاهرة ، (٣٣٢/٧ وما بعدها)، والسلوك، للمقريزي، (١٥٧/٢ وما بعدها).

للمسلمين، ففي عام (٦٨٢هـ) وصلت رسل من "تدان منكو خان" ملك مغول القبجاق الجديد، شقيق منكوتمر وابن أخ بركة خان، يؤكد فيها إسلامه ويطلب علم الخلافة وعلم السلطنة ليقاتل بهما أعداء الدين(١).

هذا الموقف الجماعي الذي شكل جبهة عظيمة ضد أعداء الإسلام، لم يعجب المغول الحاقدين المعادين ، فبدؤوا يخططون للتخلص من الملك "أحمد تكدار" الذي حول دولة مغول فارس من دولة معادية للمسلمين تاريخياً إلى دولة مسالمة .

وبدأ أعداء الملك يجمعون قواهم ويتربصون وينتظرون الفرصة المناسبة للانقضاض عليه ، ولاحت لهم الفرصة ، ففي عام (٦٨٣هـ– ١٢٨٤م) تمرد أرغون ابن "أبغا" على عمه الخان "أحمد تكدار بن هولاكو " فسار السلطان إليه بجيش وهزمه وأسره ، وكانت المغول قد تغيرت على السلطان أحمد، لأنه دخل في دين الإسلام وألزمهم باعتناقه ، فثاروا عليه وأخرجوا أرغون من الاعتقال وقتلوا السلطان أحمد، وأقاموا أرغون مكانه (٢).

رابعاً: الأحداث في عصر الملك " أرغون بن أبغا بن هولاكو خان ":

سار أرغون بن أبغا على نهج أبيه المعادي بشدة للإسلام، ومارس عدوانه على المسلمين لمدة تقارب سبع سنوات، من عام (٦٨٣هـ– ١٢٨٤م) إلى

(١) السلوك، للمقريزي، (١٧٤/٢ وما بعدها) .

(٢) انظر : تاريخ مختصر الدول، لابن العبري، (١٨٨/١)، وذيل مرآة الزمان ، قطب الدين موسى بن محمد اليونيني ، السنوات (٦٩٧ – ٧١١ هـ) ، دراسة وتحقيق د. حمزة عباس ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ، الطبعة الأولى [١٤٢٨هـ– ٢٠٠٧م]، (٨٤/٢) .

عام (٦٩٠هـ– ١٢٩١م) ، وقد تبنى " أرغون " منذ توليه الحكم سياسة عدائية للإسلام واضطهد المسلمين وطردهم من بلاطه ومن المناصب المالية والقضائية ، وساهم وزيره سعد الدولة اليهودي في الكيد والتآمر على الإسلام والمسلمين . وعمل "أرغون" على إحياء الحلف الصليبي المغولي، فأرسل إلى الباباوات وملوك الغرب يدعوهم للتحالف معه ضد المسلمين، وفتح لهم باب التجارة في أراضي دولته ليضعف تجارة المماليك مع الغرب، ويوهن من قوتهم، بل أعلن عن استعداده للدخول في النصرانية [(١)] .

وفي عام (٦٩٠هـ– ١٢٩١م) مات أرغون من شراب فيه سُم، فأقام المغول مكانه "كيختو"، ثم قتلوه بعد سنة، وملكوا بعده "بيدرا"[(٢)] .

خامساً: الأحداث في عصر الملك " قازان محمود بن أرغون بن أبغا بن هولاكو خان":

العجيب أن هذا السلطان قتل الملك "بيدرا خان" ثم تولى الملك بعده عام (٦٩٤ هـ–١٢٩٥م)، ثم دخل في الإسلام ودخل معه عدد كبير من تتار فارس، وكان إسلامه على يد **الشيخ الكبير المحدث صدر الدين إبراهيم بن حَمُّويَة الجويني**، وبتدبير من وزيره نوروز التركي الذي كان

(١) انظر : العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى، طبعة القاهرة ، (ص/١٢٦ وما بعدها) .

(٢) انظر : البداية والنهاية ، (٣٨٢/١٣) ، وتاريخ الإسلام للذهبي ، (٤٠٠/٥١) .

مسلماً حسن الإسلام[1]. لقد تسبب إسلامه في انتشار الإسلام في بلاد فارس، وعودة مكانة الإسلام إلى تلك البلاد، ولقد أظهر "قازان"حماسة كبيرة لبناء المساجد وإقامة الشعائر، ولكنه أصر على التمسك بسياسة أسلافه التوسعية، فاستباح دماء المسلمين في بلادهم واعتدى عليهم، كما اعتدى عليهم آباؤه من قبل بدءاً من " جنكيز خان" ومروراً بـ "هولاكو " حفيده ثم "أبغا بن هولاكو" ثم "أرغون بن أبغا" !، والأعجب من ذلك أنه بدء عدوانه على المسلمين واستباح دماءهم وأعراضهم ، وهو يدعي بأنه مسلم جاء ليخلص المسلمين من حكامهم الطغاة العصاة المخالفين للإسلام!، وهو في هذا لا يختلف عن أعداء المسلمين الذين يقاتلونهم عداوة، أو حكام المسلمين الذين يتصارعون في سبيل الحكم وتوسيع مناطق نفوذهم ولو أدى ذلك إلى انتهاك حرمات المسلمين وسفك دمائهم واستباحة أموالهم وأعراضهم ياللعار!.

وهذا ما وصفهم به الشيخ تقي الدين [2].

إضاء

إن ادعاء الإسلام، ثم مخالفة أحكامه جهاراً عياناً، وخاصة استباحة الدماء والحرمات، بذريعة إقامة حكم الله، لا يمكن وصف من يتصفون بهذا إلا أنهم خوارج عصرهم.

استمر عدوان "قازان" على المسلمين وبلدانهم قرابة تسع سنوات من عام

(١) انظر : تاريخ الإسلام ، للذهبي ، (٣٧/٥٢) .

(٢) انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير ، (٢٨/١٤).

(٦٩٤هـ) إلى عام (٧٠٣هـ)، وكانت هذه السنوات أصعب سنوات الصراع بين المماليك والمغول، بل ذروتها ، ومثلت أيضاً ذروة الأوضاع المعيشية الصعبة في بلاد الشام.

ففي عام (٦٩٩هـ– ١٢٩٩م) توجه " قازان " ملك تتار فارس على رأس جيش عدده " ستون ألفاً " قاصداً بلاد الشام ، والعجيب أنه يظهر الإسلام !!.

وفي (٢٧/ربيع الأول /٦٩٩ هـ – ١٢٩٩م) اجتمعت جيوش بلاد الشام ومصر بوادي الخزندار قرب حمص بقيادة الملك الناصر محمد بن قلاوون، وحضر الناس لقراءة "البخاري" بدمشق ويدعون ويبتهلون!. وكان جيش التتار ثلاثة أضعاف جيش مصر والشام الذي مالبث أن انهزم أمام التتار، وهرب الأمراء مذعورين وغيروا ثيابهم ومظهرهم، وشرع الناس في الهرب إلى مصر[١].

وبدأ بعض الناس يتخاذلون ويذكرون عن التتار خيراً، وأن ملكهم مسلم، وأنه بعد انتهاء المعركة لم يقتلوا أحداً، حتى تجرأ البعض ليقول إن عسكر هؤلاء خير من عسكرنا !.

إضاءة

لا تستغرب!، ففي زماننا هذا هناك من العرب من يقول بأن الجيش الإسرائيلي خير لنا من جيوشنا !، وإذا احتل الجيش الأمريكي بلادنا وحكمنا ، خير لنا من أن نبقى تحت حكم جيوشنا !، وقد عمي هؤلاء عما حصل ويحصل في فلسطين والعراق وأفغانستان!.

---

(١) انظر : تاريخ الإسلام للذهبي ، (٥٢/٧٠ وما بعدها) ، والنجوم الزاهرة ، لابن تغري بردى ، (٨/٩٧ وما بعدها) .

وبسبب فقدان الأمن وعدم وجود جيش يحمي الناس ويدافع عنهم، انتشر النهب والشر والهرج في دمشق وغلت أسعار المواد الغذائية، وفي (٢/ربيع الثاني/ ٦٩٩هـ– ١٣٠٠م) اجتمع عدد من أعيان دمشق وتحدثوا في المصلحة وتشاوروا في طلب الأمان من "قازان"، فخرج الشيخ تقي الدين، وابن جماعة، وعز الدين وشرف الدين ابنا القلانسي، والفارقي، وغيرهم، وأخذوا معهم هدايا للأكل، وتوجهوا إلى النبك حيث يقيم قازان[١]، ووصل بعد عدة أيام إلى ظاهر مدينة دمشق جماعة من التتار ومعهم فرمان من الملك قازان بالأمان، ونادوا في البلد: افتحوا حوانيتكم، وطمنوا قلوبكم، وادعوا للملك محمود قازان، وجاء كبراء البلد فذكروا أنهم التقوا "قازان" بالنبك فوقف لهم وأكل مما قدموا له، وقال لهم: قد بعثنا لكم الأمان قبل أن تجيئوا، وذكروا أن الملك ينزل بالمرج، ودعي الناس للحضور إلى الجامع الكبير لسماع فرمان الملك "قازان" وحضر الأعيان في مقصورة الخطابة، كما حضر عدد كبير من الناس لسماع "كتاب قازان"، وهو: ((بقوة الله تعالى. ليعلم أمراء التومان والألف والمائة وعموم عساكرنا من المغول والتازيكا والأرمن والكرج وغيرهم ممن هو داخل تحت طاعتنا. إن الله لما نور قلوبنا بنور الإسلام وهدانا إلى ملة النبي ﷺ ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الزمر] . ولما سمعنا أن

(١) انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير ، (٩/١٤ ومابعدها)، وتاريخ الإسلام للذهبي ، (٧٣/٥٢).

حكام مصر والشام خارجون عن طرائق الدين، غير متمسكين بأحكام الإسلام، ناقضون لعهودهم، حالفون بالأيمان الفاجرة، ليس لديهم وفاء ولا ذمام، ولا لأمورهم التئام ولا انتظام. وكان أحدهم إذا تولى ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [سورة البقرة]. وشاع أن شعارهم الحيف على الرعية، ومد الأيدي الباغية إلى حريمهم وأموالهم، والتخطي عن جادة العدل والإنصاف، وارتكابهم الجور والاعتساف، حملتنا الحمية الدينية والحفيظة الإسلامية على أن توجهنا إلى تلك البلاد لإزالة هذا العدوان، مستصحبين الجم الغفير من العساكر، ونذرنا على أنفسنا إن وفقنا الله تعالى بحوله وقوته لفتح تلك البلاد أن نزيل العدوان والفساد، وبسط العدل في العباد، ممتثلين الأمر المطاع الإلهي ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ ... ﴾ الآية [سورة النحل:٩٠]. وإجابة إلى ما ندب إليه الرسول ﷺ: « المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم، وما وَلُّوا »(١). وحيث كانت طويتنا مشتملة على هذه المقاصد الحميدة، والنذور الأكيدة، من الله علينا بتبلج تباشير النصر المبين، وأتم علينا فقهرنا العدو الطاغية، والجيوش الباغية، فرقناهم أيدي سبأ، ومزقناهم كل ممزق، حتى جاء الحق وزهق الباطل، فازدادت صدورنا انشراحاً للإسلام، وقويت نفوسنا بحقيقة الأحكام، منخرطين في زمرة

(١) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" برقم [٤٤٨٤] (١٠/٣٣٦)، وهو صحيح.

من حبب إليهم الإيمان، فوجب علينا رعاية تلك العهود الموثقة، والنذور المؤكدة، فصدرت مراسمنا العالية أن لا يتعرض أحد من العساكر المذكورة على اختلاف طبقاتها بدمشق وأعمالها وسائر البلاد الشامية، وأن يكفوا أظفار التعدي عن أنفسهم وأموالهم وحريمهم وأطفالهم، ولا يحوموا حول حماهم بوجه من الوجوه، حتى يشتغلوا بصدور مشروحة، وآمال معسوحة، بعمارة البلاد، وبما هو كل واحد بصدده من تجارة وزراعة، وكان في هذا الهرج العظيم وكثرة العساكر تعرض بعض نفر يسير إلى بعض الرعايا وأسرهم، فقتلنا منهم ليعتبر الباقون، ويقطعوا أطماعهم عن النهب والأسر، وليعلموا أنا لا نسامح بعد هذا الأمر البليغ البتة، وأن لا يتعرضوا لأحد من أهل الأديان من اليهود والنصارى والصابئة ، فإنهم إنما يبذلون الجزية لتكون أموالهم كأموالنا، ودماؤهم كدمائنا، لأنهم من جملة الرعايا ، قال ﷺ: « الإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عنهم»[(1)]، فسبيل القضاة والخطباء والمشايخ والعلماء والشرفاء والأكابر وعامة الرعايا الاستبشار بهذا النصر الهني، والفتح السني، وأخذ الحظ الوافر من الفرح والسرور، مقبلين على الدعاء لهذه الدولة القاهرة، والمملكة الظاهرة،ونثر شيء من الذهب والفضة بالمقصورة[(2)]، (وكتب في

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٣٩٨] (ص/١٧٩)، بلفظ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ-قَالَ وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ - وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ».

(٢) انظر : تاريخ الإسلام ، للذهبي، (٧٥/٥٢ وما بعدها)، والنجوم الزاهرة (١٠١/٨ وما بعدها).

خامس ربيع الآخر).



لاحظوا الاستخفاف بعقول الناس:

١- أعطى لنفسه ذريعة دينية لمهاجمة بلاد المسلمين.

٢- وصف خصومه من حكام المسلمين، خارجين عن الدين، مفسدين في الأرض، باغين، جائرين، ظالمين.

٣- يدعي أن حميته الدينية دفعته لإزالة هذا الظلم عن المسلمين، وبسبب طويته الحميدة منَّ الله عليه بالنصر.

٤- وأعلن أنه أصدر أوامره للعساكر بألا يتعرضوا للناس وأموالهم وحريمهم وأطفالهم،

أليس التاريخ يعيد نفسه؟!

أليس جورج بوش الابن أعطى لنفسه ذريعة دينية، وأعلن أن الله ألهمه شن حرب صليبية على أفغانستان والعراق؟

ألم يقل بأن الشعب العراقي يستحق حكاماً راقين ؟

ألم يعد الشعب العراقي بالحياة المرفهة، وأن العراق سيصبح سويسرا الشرق الأوسط؟

ولكن الواقع كان عكس ذلك تماماً!.

لقد نُهبت البلاد وقتل العباد ودمرت الأوطان، وظهرت العوانية، وأصحاب النفوس المريضة الذين أرهقوا الناس وأذلوهم، وهذا مافعله قازان تماماً، فملة الأعداء واحدة.

ولنترك الوقائع تتحدث :

(في عاشر ربيع الآخر (٦٩٩هـ) قرب الجيش (التتاري) من الغوطة ووقع العبث والفساد، وقتلوا جماعة من أهل البر، ونهبوا بقايا من في الضياع، وقدم قبجق وبكتمر في طائفة فنزلوا بالميدان، وتكلموا مع متولي القلعة علم الدين أرجواش المنصوري، وراسلوه في تسليم القلعة، وأشاروا عليه بذلك. فلم يقبل وصمم. وكانت خيرة. ثم أمروا أعيان البلد بالمشي إليه من الغد، فاجتمعوا به وسألوه، وقالوا: هذا فيه حقن لدماء المسلمين. فلم يلتفت عليهم، وقد حصن

القلعة وهيأ جميع أمورها وسترها وطلع إليها جماعة كبيرة من البلد) [1].

وأما سلطان مصر وبلاد الشام الملك الناصر محمد بن قلاوون فترك دمشق لمصيرها وذهب بعد هزيمته في حمص إلى القاهرة !، وكان " بولاي " أحد قادة جيش قازان قد ذهب إلى غزة على رأس "عشرة آلاف" مقاتل ، فخربها وسبى النساء والأطفال ونهبها [2].

وأما في دمشق، ففي (١٣/ربيع الثاني/عام٦٩٩هـ– ١٣٠٠م) دخل التتار إلى بيوت الناس، يأخذون الخيل ويخطفون ويؤذون الناس، ثم شرعت التتار بنهب الصالحية وعبثوا بها وأفسدوها ، وسرقوا قمحها وغلالها وذخائرها وقماشها، وقلعوا شبابيكها، وكسروا وخربوا، وأخذوا بسط الجامع، وسبوا الحريم والأطفال، وباعوا المسروقات بأبخس الأثمان، ثم فعلوا "بداريا" و "المزة" ما فعلوه بالصالحية، وكذلك في المدن والبلدات ومنها القدس ونابلس والبقاع وغيرها.

ثم وضع التتار الضرائب الكبيرة على سكان دمشق، وجبوا منهم الأموال العظيمة ونهبوا من أهلها أكثر من عشرة آلاف فرس وسائر الحمير، وضج الناس، وكثرت العوانية، وظهرت النفوس الخبيثة، وهلك ناس كثير في هذه المصادرة وافتقروا وركبهم الدين وأخذ قازان أكثر من ثلاثة ملايين وستمائة ألف دينار، هذا غير ما وصل إلى كبار القوم والعوانية[3].

---

(١) انظر:البداية والنهاية، لابن كثير، (١٠/١٤ وما بعدها)، وتاريخ الإسلام ، للذهبي ، (٧٩/٥٢ وما بعدها).

(٢) انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي، (٨٠/٥٢).

(٣)انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، (١٠/١٤ ومابعدها)، وتاريخ الإسلام، للذهبي (٧٩/٥٢ =

وفي بداية شهر جمادى الأولى/٦٩٩هـ، بدأ التتار حصار قلعة دمشق التي يقود الدفاع عنها القائد علم الدين أرجواش المنصوري، ووضع التتار المنجنيقات في صحن الجامع الأموي بدمشق، وبدؤوا بقصف القلعة، ثم قاموا بإخراج سكان الأحياء المحيطة بالقلعة ليدخلوها ويشددوا الحصار على القلعة، ثم دخلوها ونهبوها وقطعوا الماء عنها، وأحرق التتار وحلفاؤهم من الكرج (جورجيا) والأرمن بعض هذه الأحياء كما أحرقوا جامع العقيبة والمدرسة الصاحبية وغير ذلك، وشرب المغول الخمر في الجامع الأموي ، وأحضروا النساء إليهم ليلاً، ونجسوه بالبول والنجاسات.

وكان "قازان" قد رحل شمالاً ، تاركاً نائباً عنه "خطلو شاه" في ستين الفاً من الجيش، ثم خرج النائب أيضاً بعد عشرة أيام تقريباً ، وبقي مجموعات من عسكر التتار [١]، كما بقي أحد كبار قادة الجيش التتري " بولاي " مع عسكره في مخيمه، الذي ما لبث أن رحل إلى بلاده في أوائل (شهر رجب/ ٦٩٩هـ) ومعه عدد من الأسرى[٢].

وفي أوائل صفر /٧٠٠هـ– ١٣٠٠م/ وردت أخبار بقصد المغول بلاد الشام وأنهم عازمون على دخول مصر ، فانزعج الناس وازدادوا ضعفاً على ضعفهم، وطاشت عقولهم، وشرعوا بالهرب من دمشق، وجلس الشيخ تقي

وما بعدها) .

(١) انظر: البداية والنهاية ، لابن كثير ، (١١/١٤ ومابعدها)، وتاريخ الإسلام، للذهبي، (٨٥/٥٢ وما بعدها).

(٢) انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي، (٩٣/٥٢).

الدين بمجلسه في جامع دمشق، وحرض الناس على الجهاد، ونهى عن الفرار، وأوجب جهاد التتار حتماً في هذه الكرة [1]، بعدما ظهرت حقيقة ادعائهم للإسلام من غير تقيد بأحكامه، وينطبق عليهم ماينطبق على الخوارج .

وفي أوائل (ربيع الثاني/٧٠٠هـ- ١٣٠٠م) أغار التتار على البيرة ثم على حلب فهرب أهلها، وخرج الناس من دمشق هائمين على وجوههم، خوفاً من عودة التتار .

وفي أوائل (جمادى الأولى/٧٠٠هـ) خرج العلماء يشدون من أزر قادة العسكر الإسلامي ويحمسونهم للدفاع عن المسلمين، ويسكنونهم ويثبتونهم، فاستجابوا إليهم [2].

وسافر الشيخ تقي الدين إلى مصر فلم يجد السلطان الناصر محمد بن قلاوون، فاستحث الأمراء على تجهيز العساكر إلى الشام إن كان لهم حاجة به، وقال لهم : إن كنتم أعرضتم عن الشام وحمايته، أقمنا له سلطاناً يحوطه ويحميه، ولم يزل بهم حتى جردت العساكر إلى الشام، وقال لهم: لو قُدر أنكم لستم حكام الشام ولا ملوكه واستنصركم أهله لوجب عليكم النصر، فكيف وأنتم حكامه وسلاطينه وهم رعاياكم وأنتم مسؤولون عنهم ؟![3]، ولكن " قازان " خرج من حلب وعبر الفرات إلى بلاده، وترك أعداداً من التتار وقد أصابهم

---

(١) انظر: البداية والنهاية ، لابن كثير ، (١٤/١٧).

(٢) انظر: تاريخ الإسلام ، للذهبي ، (52/99 وما بعدها) ، والبداية والنهاية ، لابن كثير ، (١٤/١٨).

(٣) انظر: البداية والنهاية ، لابن كثير ، (١٤/ ١٨ ومابعدها).

الوهن والضعف والمرض بسبب البرد والثلوج فرجعوا إلى بلادهم مكسورين[1].

وفي (١٥/ذي الحجة / ٧٠٠هـ- ١٣٠١م)، وصل رسل من " قازان" إلى الملك الناصر بن محمد قلاوون، برسالة تتضمن اقتراح الصلح بين الدولتين، وأن الله ﷻ جعل الطرفين أهل ملة واحدة، وهما مطالبان بوقف الحروب لإصلاح حال الرعايا ، لأن الحروب أوقفت معايش الناس، ومنعت السكان من القرار في أوطانها ، وسوف نسأل عن هذا ونحاسب عليه عند الله!، فرد الملك الناصر بن محمد برسالة جوابية، أشار فيها إلى جرائم القتل والنهب والتخريب التي قام بها جيش المغول في دمشق والصالحية وبلاد أخرى للمسلمين، وأكد بأن هذه الأفعال لا تصدر عن مسلم يؤمن بالله تعالى، وأخبره بأن هذه الأعمال إذا كانت بعلمك ورضاك، فوا خيبتك في دنياك وآخرتك، وعن قليل يؤذن بخراب عمرك وبلادك وهلاك جيشك، وإذا لم تكن هذه الأعمال بعلمك فاستدرك مافات، وأوقع بالفاعلين أعظم النكال ولنتأكد من صحة دعواك، ورجع الرسل بالرد في (٣/صفر/٧٠١هـ) [2].

ولكن بعد أيام وصل إلى السلطان الناصر بن محمد قلاوون بأن "قازان" قد عزم على مهاجمة بلاد الشام، وأن مقدمة جيوشه بلغت الفرات، وأن إرساله للرسل وطلب الصلح كان خديعة،فشرع السلطان في تجهيز الجيش

---

(١) انظر:تاريخ الإسلام ، للذهبي ، (52/١٠٣)، والنجوم الزاهرة ،لابن تغري بردي ، (٨/١٠٧).

(٢) انظر : النجوم الزاهرة ،لابن تغري بردي ، (٨/١١٠ ومابعدها) .

والخروج إلى البلاد الشامية.

وفي (رجب / ٧٠٢هـ) تواترت الأخبار بنزول قازان على الفرات، ووصول عسكره إلى الرحبة، وإرساله لقائد جنده "قطلو شاه" على رأس جيش بلغ تعداده (ثمانين ألف جندي) لمهاجمة الشام .

وفي أوائل شعبان (٧٠٢هـ– ١٣٠٣م) أقبل الناس من حلب وحماة إلى دمشق هاربين خوفاً من التتار، وتوجهت فرقة من جيش التتار إلى القريتين فأوقعوا بالتركمان وأسروا منهم، فتوجه عدد من الأمراء مع عسكرهم فقاتلوهم وكسروهم واستنقذوا التركمان وحريمهم وأولادهم من بين أيديهم وكان عددهم ستة آلاف أسير، وعاد من انهزم ونجا من التتار إلى "قلطو شاه" وأسر من جيشه حوالي (١٨٠) أسيراً، فأسرع "قلطو شاه" بسيره إلى حماه في (منتصف شعبان) بكل جيشه، فانسحبت الفرق الإسلامية إلى دمشق بانتظار قدوم السلطان، ثم انسحبوا جنوباً، وبعد يوم وصلت طلائع جيش التتار إلى دمشق ونزلوا بالغوطة، ثم توجهوا نحو الجنوب لملاقاة عساكر المسلمين، و((قد تكلم الناس في كيفية قتال هؤلاء التتر من أي قبيل هو فإنهم يظهرون الإسلام وليسوا بغاة على الإمام فإنهم لم يكونوا في طاعته في وقت ثم خالفوه. فقال الشيخ تقي الدين: "هؤلاء من جنس الخوارج الذين خرجوا على علي ومعاوية ورأوا أنهم أحق بالأمر منهما، وهؤلاء يزعمون أنهم أحق بإقامة الحق من المسلمين، ويعيبون على المسلمين ما هم متلبِّسون به من المعاصي والظلم، وهم متلبِّسون بما هو أعظم منه بأضعاف مضاعفة" ، فتفطَّن العلماء والناس لذلك، وكان يقول للناس:"إذا رأيتموني من ذلك

الجانب وعلى رأسي مصحف فاقتلوني" فتشجع الناس في قتال التتار وقويت قلوبهم ونياتهم))، وخرج الشيخ تقي الدين ومعه جماعة ليشارك بالقتال بنفسه ومن معه، وأفتى الناس بالفطر أثناء القتال وأفطر معهم [(١)].

وتجمع الجيش الإسلامي في مرج الصفر قرب "شقحب" [(٢)]، تحت قيادة الملك الناصر محمد بن قلاوون، فتوجه إليهم "قلطو شاه" على رأس خمسين ألف جندي واصطف الجيشان في (٢/رمضان/٧٠٢هـ– ١٣٠٣م) وتقدم جيش المسلمين باتجاه التتار ودارت رحى معركة طاحنة لمدة يومين ختمت بنصر ساحق للمسلمين، واستمرت فرق جيش المسلمين بملاحقة فلول التتار الذين تخطفهم المسلمون أينما اتجهوا قتلاً وأسراً، وقضي على أكثر الجيش المغولي.

ودخل الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى دمشق واحتفل الناس بالنصر، وصلى صلاة العيد معهم، ثم رجع إلى القاهرة بتاريخ (٢٣/شوال/٧٠٢هـ)، وقد زينت القاهرة احتفالاً بالنصر الكبير[(٣)].

وفي (٤/شوال/٧٠٣هـ– ١٣٠٤م) مات محمود "قازان" سلطان مغول فارس، وقام بالملك بعده أخوه "خَرْبَنْدا محمد بن أرغون"[(٤)].

---

(١) انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير ، (٢٨/١٤ ومابعدها).

(٢) شقحب: من قرى حوران تقع على مسافة (٣٥) كم تقريباً جنوبي دمشق ، قريباً من بلدة غباغب .

(٣)انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، (٢٩/١٤ ومابعدها)، والسلوك، للمقريزي، (٣٥٦/٢ ومابعدها).

(٤) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، (٣٤/١٤)، والنجوم الزاهرة، لابن تغري بردي ، (١٣٤/٨).

سادساً : الأحداث في عصر الملك " خَرْبَنْدا محمد بن أرغون بن أبغا بن هولاكو خان " :

دخل في الإسلام ، ولقب بالملك غياث الدين ، وبعد تسلمه الحكم كتب إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون يطلب الصلح وإخماد الفتنة حتى تنعم البلاد بالأمن، وذكر أنه لم يكن موافقاً على غزو أخيه "قازان" بلاد الشام، وأن قازان لم يكن عاقلاً عندما تسبب في خراب البلاد[١].

وخلال فترة حكمه التي دامت (ثلاثة عشر عاماً) من (٧٠٣هـ) إلى (٧١٦هـ)، لم يقع بينه وبين بلاد الشام إلا مناوشة صغيرة عند مدينة الرحبة عام (٧١٠ هـ– ١٣١٠م) انتهت بالصلح[٢].

وفي رمضان عام (٧١٦هـ–١٣١٦م) توفي "خَرْبَنْدا محمد بن أرغون" سلطان مغول فارس وملك العراق وإيران والروم (تركيا) وأذربيجان وأرمينية وديار بكر، واستلم الملك من بعده ابنه "بوسعيد بن خربندا " [٣].

سابعاً : الأحداث في عصر الملك " بوسعيد بن خَرْبَنْدا بن أرغون بن أبغا بن هولاكو":

لم يرتكب خلال مدة حكمه التي دامت تسعة عشر عاماً من عام (٧١٧هـ) إلى (٧٣٦ هـ)، أي عدوان على البلاد الإسلامية .

---

(١) انظر: السلوك، للمقريزي، (٣٧٣/٢)، والنجوم الزاهرة ،لابن تغري بردي ، (١٣٤/٨) .

(٢) انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير ، (٧٥/١٤) .

(٣) انظر : النجوم الزاهرة ،لابن تغري بردي ، (9/169 ومابعدها).

واستطاع في عصره أن يقيم الصلح ويخمد الفتن بين دولته ودولة المماليك في بلاد الشام ومصر، وأن يوقف نهائياً العدوان المغولي الذي استمر نحو أربع وتسعين عاماً تقريباً من عام (٦١٦هـ إلى ٧١٠هـ)، والذي كان يتوسع ويكبر كما كان في عهدي "جنكيز خان وهولاكو خان" ، وأحياناً يكون أقل توسعاً كما في عهد " أرغون ".

وكان " بوسعيد " من خيار ملوك التتار وأحسنهم طريقة وأثبتهم على السنة وأقومهم بها، وكان مهاباً كريماً عاقلاً فاضلاً مشكور السيرة، وقد توفي في (١٢/ربيع الثاني/٧٣٦هـ-١٣٣٥م) ثم من بعده لم يقم للتتار قائمة بل اختلفوا وتفرقوا أشتاتاً[١]، حتى ظهر تيمور لنك بعد (٣٥) سنة تقريباً.

ثامناً : الأحداث في عصر الملك " تيمور لنك ":

نشأته :

يقال بأن ولادته كانت عام (٧٣٦هـ- ١٣٣٦م) في "كش" جنوب "سمرقند" في أوزبكستان، ابتدأ حياته سارقاً وأصيب في رجله أثناء إحدى سرقاته فعاش أعرجَ، وتعني كلمة "تيمور" بالأوزبكية والتركية : الحديد ، وتعني كلمة " لنك " الأعرج ،ولم يكن من عائلة ملكية، واختلف المؤرخون بنسبته إلى المغول، لكنه ادعى أنه من نسل "جغتاي بن جنكيز خان"

(١) انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير ، (٢٠١/١٤) ، والنجوم الزاهرة ،لابن تغري بردي ، (٢٢٦/٩) .

وأنه يريد إعادة مجد دولة المغول بعدما تمزقت[1]،وكان يجمع بينه وبين المغول الجنسية والمجاورة والمصاهرة فقد تزوج ابنة أحد ملوكهم "قمر الدين".

أظهر الإسلام والتشيع، ولكنه كان من أكابر المجرمين والطغاة الذين ظهروا عبر التاريخ، وقد فاق "جنكيز خان" بإجرامه وطغيانه .

وذُكر عنه أن السُبحة كانت ملازمة ليده كما قال إبراهيم المعمار :

قد بُلينا بأمير ، ظلم الناس وسبح فهو كالجزار فيهم، يذكر الله ويذبح.

وقد أفتى الشيخ البرازي من فقهاء الحنفية بكفره وكان معاصراً له [2].

ووصف ابن عماد الحنبلي أهداف "تيمور لنك" وأغراضه بأنها أغراض كفرية [3].

ووصفه "ابن عرب شاه" بالظلوم الكفار [4].

بدأ بتكوين قوة من المجرمين والسراق وقطاع الطريق وتمكن من جمع الأموال والسلاح والخيول، من غاراته على البلدات والقلاع الصغيرة، وقربه أحد الملوك وجعله وزيراً لابنه فلما تمكن انقلب عليه، وزاد من قوته بالاحتيال والمكر والدهاء.

---

(١) يشير ابن تغري بردي ، أن نسبه يتصل بجغتاي بن جنكيز خان ، انظر النجوم الزاهرة ، (٣/٤٠٤) .

(٢) انظر : الأعلام ، للزركلي ، (٧/٤٥) .

(٣) انظر : شذرات الذهب ، (٧/٤٣) .

(٤) انظر : عجائب المقدور في نوائب تيمور، لابن عرب شاه ، (ص/١٠٩) .

بدء ظهوره :

وظهر أمره في بلاد ما وراء النهر عام (٧٧١هـ– ١٣٧٠م) عندما قَتل السلطان حسين ملك المغول هناك، واستولى على الملك بالقهر والغلبة، وجعل من سمرقند عاصمة ملكه، وكانت مدة حكمه ست وثلاثين سنة، وكانت وفاته سنة (٨٠٧هـ– ١٤٠٥م)، عن عمر يناهز (٧١) عاماً[١].

وبعد قتله السلطان حسين، غضب "توقتامش خان" سلطان مغول القبجاق المسلم، المتحالف مع سلطان المماليك بمصر وبلاد الشام، وسار بجيشه لملاقاة تيمورلنك ، فتلاقيا في أطراف تركستان، فانهزم جيش "توقتامش خان" وسيطر تيمور لنك على المنطقة وضمها إلى سلطانه [٢].

بدء توسع دائرة ملكه بمهاجمة الممالك الأسيوية :

وعندما استقر ملكه في ما وراء النهر، بدأ بتجميع جيش أغلبه من المغول والتركمان، ثم بدأ بالتوسع بمهاجمة الممالك المجاورة له [٣].

فتوجه إلى خوارزم[٤]، وهاجمها عدة مرات بدءاً من عام (٧٧٣هـ– ١٣٧٢م) إلى أن استولى عليها عام (٧٨١هـ– ١٣٧٩م) .

---

(١) انظر :المصدر السابق، (ص/٤٩ وما بعدها)، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ، (٢٠١/١٢ ومابعدها).

(٢) انظر :المصدرين السابقين، (ص/٥٨)، و(٢٠٤/١٢) .

(٣) انظر : الخريطة رقم /١٦/ في فهرس الخرائط .

(٤) تقع خوارزم في أوزبكستان حالياً .

وفي أثناء ذلك هاجم خراسان [١] مرات عدة، إلى أن ملكها عام (٧٨٤هـ- ١٣٨٢م) .

وزحف على ولايات سجستان[٢]، فطلب أهلها الأمان والصلح فأجابهم إلى ذلك على أن يسلموه جميع ما عندهم من السلاح حتى غدت مدنهم فارغة منه، فلما تحقق ذلك وضع السيف في رقابهم فلم يبق منهم إلا الذين غابوا أو اختبؤوا ، ثم خرب المدينة فلم يُبق بها شجراً ولا مدراً، ومحاها فلم يبن لها عين ولا أثر[٣].

إضاءة

من الغباء أن تصدق الأعداء، فشيمة العدو أن يكذب ويحتال ويخدع ويخون..فكن دائماً على حذر، واحتط لكل طارىء.

وفي عام (٧٨٦هـ- ١٣٨٤م) اتجه إلى مازندران وكيلان وبلاد الري في إيران فأخضعها، ثم توجهت جيوشه إلى أذربيجان عام (٧٨٩هـ- ١٣٨٧م) فهاجم تبريز وملكها [٤].

ثم توجه إلى أصبهان عام (٧٨٩هـ- ١٣٨٧م) فاستسلم له أهلها ودفعوا له الأموال ولكن جنده استطالوا على حرمات الناس، فانتقم الناس ليلاً من عسكره المنتشرين في المدينة فقتلوا منهم ستة آلاف ولما بلغ تيمورلنك ذلك،

---

(١) تقع خراسان في إيران حالياً .

(٢) تقع سجستان في أفغانستان حالياً .

(٣) عجائب المقدور، لابن عرب شاه، (ص/٦٦ وما بعدها) .

(٤) النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، (12/204).

أمر بالدماء أن تسفك وبالحرمات أن تهتك، وبالأرواح أن تسلب ،وبالأموال أن تنهب، وبالعمارات أن تخرب، وبالزروع أن تحرق، وأن لا يسلم شيء من البشر والحجر والشجر، حتى بلغ عدد القتلى **ست مئة ألف!**.

وجمع عسكره في ظاهر المدينة ما يقارب سبعين ألفاً من الرؤوس الآدمية، ثم بنوا منها ثمان وعشرين برجاً [(١)].

ثم توجه إلى شيراز في "إيران" عام (٧٩٥هـ- ١٣٩٣م)، فقاومه أميرها "شاه منصور" مقاومة بطولية حتى كاد أن يقتل "تيمور لنك"، إلا أن قلة قواته لم تمكنه من الصمود أمام السيل العرمرم لجيش "تيمور" فانهزم، واستطاع "تيمور" الاستيلاء على شيراز بعد أن قَتل أميرها المقاوم في معارك طاحنة.. وجاءه بعد ذلك ملوك وأمراء ولايات عراق العجم طائعين خاضعين [(٢)].

ثم هاجم الممالك المجاورة له في تركستان ثم عاد إلى بلاد خراسان وفارس فاستقبله الملوك والأمراء والسلاطين والوزراء خاضعين طائعين.

واجتمع هؤلاء يوماً في خيمته، وفكر أحدهم باغتياله فوافقه بعضهم وامتنع البعض الآخر، فأوجس"تيمور" منهم ريبة ، وبعد أيام دعاهم لمجلسه وكان عددهم سبعة عشر ملكاً، فأمر بقتلهم في ساعة واحدة، ثم استولى على بلادهم وقتل أولادهم وأحفادهم، واستأصل أصلهم وفرعهم وأهلك حرثهم ونسلهم، وولى على البلاد أبناءه وأحفاده وأمراءه، لأنه يعرف بأنه لا

---

(١) عجائب المقدور، (ص/٩٨ وما بعدها) .

(٢) المصدر السابق ، (ص/٨٨ وما بعدها) ، والسلوك، للمقريزي، (٣٣٨/٥)، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ، (٣٩/١٢ و ٢٠٥) .

بقاء لملكه في تلك البلاد إلا باستئصال أصول وفروع الأسر الحاكمة فيها[1] .

إضاءة

الخضوع والاستسلام للأعداء لايعني النجاة، ولكن يعني تأخير بطشهم للوقت الذي يناسبهم، فيقتل المتخاذلون الخائنون المستسلمون أذلاء محتقرين، ويستشهد المجاهدون أعزاء محترمين.

الاستيلاء على العراق وعاصمته بغداد :

وعندما دانت له الممالك من حدود الصين إلى العراق توجه عام (٧٩٥هـ-١٣٩٣م) إلى بغداد، ففاجأها ولم ينتبه أهل بغداد إلا وهو أمام أسوارها، ففر ملكها السلطان "أحمد جلاير" وهو مغولي من نسل أرغون بن هولاكو، وكان ظالماً لرعيته، وكان سلطانه يمتد على العراق وأذربيجان، وكان قد استعد للفرار سابقاً حيث هرَّب أمواله وكنوزه وعائلته إلى قلعة النجاة الواقعة في شمال أذربيجان.

وبعد مدة هاجمها جيش تيمور لنك وسلب الأموال وسبى النساء والأطفال وقتل الرجال، واستطاع السلطان أحمد بن أويس جلاير أن يفر إلى حلب ثم منها إلى مصر واستقبله سلطان مصر استقبالاً حافلاً[2].

واستولى "تيمور لنك" على بغداد ومكث فيها مدة شهرين، وارتكب جنوده أعمال قتل وتعذيب وسلب أموال وقتل تيمور لنك من أعيان بغداد وعلمائها وتجارها /٧٠٠/ نفس، ونقل أرباب الحرف والفنون إلى سمرقند،

---

(١) انظر : عجائب المقدور ، (ص/١٠٤ وما بعدها) .

(٢) انظر : السلوك ، للمقريزي ، (٣٣٩/٥ و ٣٤٧) .

ونفى بعض سكان بغداد إلى مدن أسيا الوسطى وخوارزم وأذربيجان، وبلغ عدد القتلى /٣٠٠٠/ قتيل وهو عدد ضئيل جداً إذا قورن بعدد ضحايا الحروب التيمورية على المدن الأخرى(١).

وفي عام (٧٩٦هـ–١٣٩٤م) اتجه شمالاً نحو مدينة تكريت فحاصرها وخدع أميرها بأنه سيمنحه الأمان فنزل إليه، فدفنه تحت الردم حياً وسبى النساء والأطفال وقتل الرجال وأقام أبراجاً من رؤوسهم،ثم توجه شمالاً نحو الموصل فدمرها.

ثم توجه شمالاً إلى ماردين، وكان أمير ماردين الملك الظاهر مجد الدين عيسى قد أرسل سابقاً في عام (٧٩٥هـ)، يُعلم السلطان الظاهر برقوق في مصر بأن تيمور لنك استولى على تبريز، ولكن مماليك مصر لم يهتموا بالأمر ولم يتخذوا الإجراءات والاستعدادات اللازمة للدفاع عن العراق وبلاد الشام (٢)، بل كان الملك الظاهر سيف الدين برقوق لا يجد حرجاً أن يقضي أوقاتاً طويلة في التنزه والصيد، وبلاد المسلمين يتهددها الموت والدمار من كل جانب(٣).

وقرر صاحب ماردين أن ينزل إلى "تيمور لنك" ويظهر له الانقياد وأمر أصحابه أن يتحصنوا بالقلعة ولا يسلموها ولو هددهم بقتل أميرهم.

---

(١) انظر : عجائب المقدور ، (ص/١١٦ وما بعدها) ، السلوك، للمقريزي، (٥/٣٣٩ وما بعدها).

(٢)انظر : المختار من بدائع الزهور ، لابن إياس (١/٢٢٧)، السلوك، للمقريزي، (٥/٣٣٨ ومابعدها).

(٣)انظر: السلوك، للمقريزي، (5/338) و (5/345).

فألقى تيمور القبض على صاحب ماردين وطلب منه تسليم القلعة، فقال: القلعة عند أربابها وأنا لا أملك إلا نفسي.

فأمر تيمور جنده بمهاجمة ماردين، فأحلوا بالمدينة الدمار وبأهلها الهلاك وتحصن من استطاع بالقلعة التي استعصت على "تيمور"، فتركها مؤقتاً، وتوجه جنوده إلى آمد فاستباحوها، والتجأ الناس إلى الجامع، فقتلوا منهم (٢٠٠٠) شخص ثم رحلوا وتركوها بلاقع، ثم استولى على "ميا فارقين"[(١)].

العودة إلى بلاده لإخضاع مغول القبجاق:

ثم رحل إلى بلاد "دشت القبجاق"[(٢)]، التي يحكمها الخان "توقتامش" رأس حربة الملوك والسلاطين المغول المقاومين "لتيمورلنك"، وكان قد حاربه وناجزه في بلاد تركستان سابقاً.

وكان "توقتامش" قد حاول أن ينشئ حلفاً مع مماليك مصر للوقوف في وجه أطماع "تيمورلنك" فأرسل وفداً إلى السلطان الظاهر "برقوق" عام

---

(١) انظر : عجائب المقدور، (ص/١٢٤ وما بعدها) .

(٢) دشت : تعني بالفارسية البرية، وبلاد القبجاق هي بلاد المغول المسلمين، وهي بلاد واسعة الأرجاء تقع شمال بحر قزوين والبحر الأسود وتمتد شرقاً حتى بلاد الصين وغرباً تتعدى نهر الفولغا ، وبلاد القبجاق: هي بلاد السلطان بركة خان الذي كان أول سلاطين المغول دخولاً في الإسلام ، وأسلم معه قومه ، وجعل مدينة "سراي" الواقعة على نهر الفولغا، عاصمة إسلامية عظيمة، واستدعى علماء المسلمين من الآفاق ليعلموا المغول أحكام الإسلام ومنهاجه وآدابه، وأفاض عليهم من بحر الهبات، وأقام حرمة العلم والعلماء، وعظم شعائر الله تعالى.

انظر: عجائب المقدور، لابن عربْشاه، (ص/134وما بعدها).

/٧٩٦هـ-١٣٩٤م/، ولكن المماليك لم يعطوا الأمر ما يستحق من الاهتمام[١].

ووصل "تيمور" عام (٧٩٧هـ- ١٣٩٥م) إلى تلك البلاد بجيوش جرارة، ليثأر من "توقتامش" ويستولي على بلاده.

وأعد " توقتامش " ما استطاع من القوة لمواجهة طوفان " تيمور "، ولكن أحد أمرائه انشق عنه وانسحب مع جنده فأضعف جيش المقاومة، ومع ذلك صبر "توقتامش" وثبت ونظم جيشه ،واصطدم الجيشان اصطداماً مروعاً، ثلاثة أيام متواصلة واخترق "توقتامش" الصفوف، وظهر مع وحدة من جنده وراء خطوط قوات "تيمور" محاولاً الوصول إليه ولكنه لم ينجح، واستحال ميدان المعركة إلى بحر من الدماء.

وبعد قتال ضار انهزم "توقتامش" وجيشه، واستولى "تيمور" على ممالك "الدشت القبجاق" وأباح النهب والأسر والقتل لجنوده، ودمر العاصمة "سراي" عن بكرة أبيها وأحرقها بعد أن بناها "بركة خان" عاصمة لمغول القبجاق المسلمين ومضى على عمرانها /٦٣/ سنة ، ثم لملم تيمور ما نهبه ورجع به إلى عاصمته سمرقند[٢].

وفرَّ "توقتامش" إلى غابات البلغار شمالاً قرب نهر "كاما " أحد روافد الفولغا في مقاطعة قازان حالياً.

وفي عام (٧٩٩هـ- ١٣٩٧م) عاد "توقتامش" إلى "سراي" عاصمة القبجاق

(١) انظر : السلوك، للمقريزي، (٥/ ٣٥٦) .

(٢) انظر: عجائب المقدور، لابن عربْشاه، (ص/ 141 وما بعدها) .

وجمع حوله بعض قواته ، لكن لم يلبث أن بدأ الصراع بينه وبين من أقامهم تيمور حكاماً في تلك البلاد قبل انسحابه وكان أبرزهم الأمير "ايدكو" و"قتلغ تيمور" الذي أقامه خاناً على بلاد القبجاق مكان "توقتامش"، وانتهى الصراع إلى تمزيق بلاد القبجاق ومقتل "توقتامش" ، وتمدد الروس باتجاه المنطقة [1].

وبعد بسط سيطرته على بلاد القبجاق، رجع عام (٧٩٨هـ– ١٣٩٦م) إلى همذان لكنه لم ينس قلعة ماردين واستعصاءها عليه.

فبدأ يرسم خطة ماكرة، واستدعى صاحب ماردين المسجون لديه، فتلقاه تيمور بالاحترام واعتنقه، وقبله واعتذر إليه واستضافه ستة أيام ، وخلع عليه خلع الملوك العظام، وأعطاه عطاء جزيلاً.. وجعل تحت سلطانه ديار بكر إلى حدود أذربيجان وأرمينية، ووعده بأن يكون جميع حكام هذه البلاد تحت طاعته، ثم أمره بالرجوع إلى مملكته في ماردين.

وهكذا استطاع إخضاع ماردين وملكها الظاهر مجد الدين عيسى بالسياسة، عندما عجز عن إخضاعها بالحرب[2].

إضاءة

أحياناً يدرك بحسن السياسة مالا يدرك بالقوة..

محاولة التحرش ببلاد الشام :

بعد إخضاعه لمدينة "الرها" أرسل رسالة تهديد ووعيد لحاكم قيصرية

---

(١) انظر: المصدر السابق، (ص/ 147 وما بعدها) .

(٢) انظر: المصدر السابق، (ص/١٣٠ وما بعدها) .

وسيواس وتوقات [١] ،"القاضي برهان الدين أحمد"، فقتل القاضي برهان رسل تيمورلنك وأرسل رسالة إلى السلطان الظاهر برقوق سلطان المماليك في مصر وبلاد الشام، ورسالة أخرى للسلطان العثماني "أبي يزيد بن مراد بن عثمان" حاكم ممالك الروم[٢]، ودعاهما لمناصرته ضد"تيمورلنك"، فاستحسن السلطان أبي يزيد قتله لرسل "تيمور لنك"، ووعده إذا هاجمه تيمور بإرسال جيش عرمرم لمساعدته[٣].

وكان السلطان بايزيد يحذر الملك "الظاهر برقوق" من الغفلة عن أمر "تيمور لنك" ويدعوه للتحالف للوقوف في وجه أطماعه[٤] .

وأرسل "تيمور لنك" رسالة تهديد عنيفة للملك الظاهر برقوق يطالبه بالخضوع، فرد عليه برسالة أشد عنفاً، وعندما رأى "تيمور" هذه المواقف الصعبة تردد وتوجه إلى الهند[٥] .

غزو الهند :

ففي عام (800هـ- 1397م) غزا "تيمور لنك" مملكة الهند الإسلامية بعد موت ملكها "فيروز شاه" عام (790هـ) وكان من عظماء ملوك

---

(١) هذه المدن جنوب تركيا حالياً .

(٢) آسيا الوسطى و تركيا حالياً .

(٣) انظر : المصدر السابق ، (ص/152) .

(٤) انظر : المختار من بدائع الزهور ، لابن إياس ، (١/٢٦٠) .

(٥) انظر :عجائب المقدور، (ص/١٥٥ وما بعدها) ، والسلوك ، للمقريزي (٥/٣٤٩ وما بعدها) .

المسلمين، إلا أن الصراع على خلافته أضعف البلاد وجعلها لقمة سائغة لـ "تيمور لنك" وأولاده وأحفاده وأمرائه.

وأسرع تيمور في السير نحو المدينة "ملتان" وهي من مدن البنجاب، ودارت معركة هائلة استخدمت فيها الأفيال وانتهت بهزيمة الهنود، وفي طريقه نحو العاصمة دلهي خاض معارك عدة وأخضع المدن حتى وصل إلى دلهي، فحاصرها وأخضعها، وأباحها للقتل والتدمير والسبي والأسر، ونهبها وأخذ ذخائرها إلى عاصمته سمرقند (١).

التوجه مرة أخرى إلى بلاد الشام :

وفي عام (١80هـ– 1399م) توفي الملك الظاهر سيف الدين برقوق سلطان المماليك الشراكسة في مصر وبلاد الشام ، والقاضي برهان الدين أحمد ملك سيواس وقيصرية ، فاغتنم "تيمورلنك" الفرصة فرجع سريعاً من الهند إلى سمرقند وأعد العدة للتوجه إلى بلاد الشام .

ومع أن الخطر الشديد يهدد الأمة وإعصار " تيمور " المدمر على أبواب بلاد الشام، اشتد الصراع بين الأمراء والسلاطين يريد كل منهم أن يستأثر بالحكم ، وقامت المعارك الطاحنة بينهم والعدو يدق الأبواب ، فتأمل !.

فقد تمرد نائب الشام "تنم" وجمع عسكراً عظيماً قاصداً البلاد المصرية

(١) انظر: عجائب المقدور، لابن عربْشاه ، (ص/ 162 وما بعدها)، والسلوك، للمقريزي، (٥/٤١٠)، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ، (١٢/٢٠٦ ومابعدها) .

للسيطرة عليها، وأيده أمراء حلب وحماة وصفد وطرابلس، واصطدم الجيش المصري والشامي وانكسر "تنم" وقبض عليه ثم قتل[١].

وفي العام نفسه وقعت الصراعات في مصر بين الأمراء المماليك أثناء غياب الملك فرج بن الملك الظاهر برقوق في بلاد الشام لمعالجة فتنة نائبها "تنم" فاشتد الصراع بين فريقين يتزعم الأول الأمير ايتمش ويتزعم الفريق الثاني الأمير يشبك.

وأما تيمور فكان يخطط ويحضر لاكتساح بلاد الشام، ففي بداية عام (802هـ- 1399م) خرج من سمرقند بجيش عظيم قاصداً بلاد الشام، ومرَّ بخراسان ثم توجه إلى بلاد الكرج "أرمينيا" فأخضعها وقتل ونهب وسبى، ثم توجه إلى مقصده الأهم مملكة "سيواس" التي قتل أميرها رسله سابقاً، وجاء وقت القصاص، وكان حاكمها بعد مقتل القاضي برهان الدين أحمد، الأمير سلمان بن السلطان بايزيد بن عثمان، الذي فر منها وذهب إلى والده في استانبول.

فوصل إليها " تيمور " بجيشه العرمرم في (ذي الحجة/802هـ - 1400م) فحاصرها ثمانية عشر يوماً ثم استولى عليها في (5/محرم/803 هـ) بعد أن أعطى الأمان لأهلها، وكالعادة خان العهد وعتا وتجبر وتكبر، وعاث فيها فساداً ونهباً وتدميراً وجمع ثلاثة آلاف من مقاتليها فحفر لهم نفقاً في الأرض وطمهم بالتراب وهم أحياء، ثم وضع السيف في أهل البلد وأخربها حتى محا رسومها[٢].

---

(١) انظر : المختار من بدائع الزهور، لابن إياس ، (١/٢٧٩ وما بعدها)، وعجائب المقدور، (ص/١٩٢) .

(٢) انظر: عجائب المقدور ، لابن عربْشاه ، (ص/ 193 وما بعدها)، والسلوك، للمقريزي،
=

الاستيلاء على حلب :

ثم وجه سهامه نحو ممالك الشام، بجيوش طامة جمعها من المغول والترك والهنود والفرس، والأوباش والنهاب والهمج، وبلغ خبره البلاد الشامية والديار المصرية، فأوعز السلطان الناصر فرج بن برقوق، بتوجه أمراء بلاد الشام مع جنودهم إلى حلب لدفع "تيمور لنك"،ولكنه لم يحرك الجيوش المصرية، وقام تيمور في طريقه إلى حلب بإخضاع مدن بهنسا وملطية وقلعة الروم وعين تاب فقاوم بعض الأمراء وفر بعضهم واستسلم البعض الآخر.

ومن عنتاب أرسل رسالة للأمراء المجتمعين في حلب طالبهم بالطاعة والاستسلام، وأنذرهم بالتهديد والوعيد، فكان جوابهم أن قتلوا رسوله واستعدوا لمقارعته[1].

وحاول "تيمور" أن يشق صفوف الأمراء في حلب، فاستخدم الحيلة والدهاء، فوعد أمير حلب "دمرداش" بأن يبقيه في إمارته إن ألقى القبض على أمير الشام "سودون"، فلم تنجح حيلته[2].

إضاءة

الاحتيال سمة من سمات الأعداء فلا تأمنهم.

(٣٧/٦)، والنجوم الزاهرة، (٢٠٨/١٢).

(١) انظر: عجائب المقدور ، لابن عربْشاه ، (ص/ 194 وما بعدها)، والمختار من بدائع الزهور، لابن إياس ، (٢٨٤/١ وما بعدها).

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ، (١٧٧/١٢) .

ولما بلغ العلماء في دمشق اقتراب "تيمور" من حلب ، قاموا في أوائل صفر (٨٠٣هـ) يحرضون الناس على القتال والمقاومة والدفاع عن مدينتهم، وتليت عند أبواب دمشق وفي شوارعها فتوى قاضي القضاة بوجوب قتال تيمور وأخذ الاستعدادات للدفاع عن دمشق، ومضى نائب قلعة دمشق في اتخاذ إجراءات الدفاع عن القلعة [(١)].

وفي أوائل ربيع الأول عام (٨٠٣هـ-١٤٠٠م) ، خرج الأمراء بعساكرهم إلى ظاهر مدينة حلب، ونظموا صفوفهم ولكن أعدادهم كانت قليلة جداً بالمقارنة مع جيش تيمور الذي سد الفضاء .. وكان حال هؤلاء الأمراء كما قال المقريزي: ((الأهواء مختلفة والآراء مغلولة، والعزائم محلولة)) [(٢)].

فلما اصطدم الجيشان لم يستطع عساكر الأمراء من الصمود ففروا إلى حلب، وركب أصحاب تيمور أقفيتهم، فهلك تحت حوافر الخيل من الناس عدد لا يدخل تحت الحصر، فإن أهل حلب خرجوا مع الجيش حتى النساء والصبيان، وازدحم الناس في دخولهم من أبواب المدينة، وداس بعضهم بعضاً، حتى صارت الجثث طول قامة، والناس تمشي فوقها[(٣)]، وتحصن الأمراء في قلعة حلب ودخل معهم كثير من الناس.

واقتحم عساكر تيمور مدينة حلب في الحال وأشعلوا فيها النيران وأخذوا في

---

(١) انظر: عجائب المقدور ، لابن عربْشاه ، (ص/ 234) .

(٢) انظر: السلوك للمقريزي ، (٤١/٦) .

(٣) انظر : المصدر السابق، (٤١/٦) .

الأسر والنهب والقتل فهرب سائر نساء البلد والأطفال إلى جامع حلب وبقية المساجد، فمال أصحاب تيمور عليهن وربطوهن بالحبال أسرى، ثم وضعوا السيف في الأطفال فقتلوهم بأسرهم، وشرعوا في تلك الأفعال القبيحة على عادتهم، وصارت الأبكار تفض من غير تستُّر، والمخدرات يفسق فيهن من غير احتشام، بل يأخذ التتري الواحدة ويعلوها في المسجد والجامع بحضرة الجم الغفير من أصحابه ومن أهل حلب فيراها أبوها وأخوها وزوجها وولدها ولا يقدر أن يدفع عنها لقلة مقدرته ولشغله بنفسه بما هو فيه من العقوبة والعذاب، ثم ينزل عنها الواحد فيقوم لها آخر وهي مكشوفة العورة.

ثم بذلوا السيف في عامة حلب وأجنادها حتى امتلأت الجوامع والطرقات بالقتلى وجافت حلب واستمر هذا من ضحوة نهار السبت إلى أثناء يوم الثلاثاء رابع عشر ربيع الأول.

هذا والقلعة في أشد ما يكون من الحصار والقتال وقد نقبها عسكر تيمور من عدة أماكن وردم خندقها ولم يبق إلا أن تؤخذ ،ثم سيقت إليه نساء حلب سبايا وأحضرت إليه الأموال والجواهر والآلات الفاخرة ففرقها على أمرائه وأخصائه .

واستمر النهب والسبي والقتل بحلب في كل يوم مع قطع الأشجار وهدم البيوت وإحراق المساجد وجافت حلب وظواهرها من القتلى بحيث صارت الأرض منهم فراشاً لا يجد الشخص مكاناً يمشي عليه إلا وتحت رجليه رمة قتيل .

وعمل تيمور من رؤوس المسلمين منابر عدة مرتفعة من الأرض نحو عشرة أذرع في دور عشرين ذراعاً حسب ما فيها من رؤوس بني آدم فكان زيادة على

عشرين ألف رأس ولما بنيت جعلت الوجوه بارزة يراها من يمر بها [1] .

الاستيلاء على دمشق :

وفي أوائل (ربيع الآخر عام ٨٠٣هـ- ١٤٠٠م) خرج "تيمور" من حلب متجهاً نحو دمشق، فاستولى ابنه على حماه وفعل فيها ما فعلوه بحلب، واستولى على حمص لكنه لم يدمرها .

فلما وصل الخبر إلى دمشق هرب نائب الأمير، فرده الناس رداً قبيحاً، وأخذ بعض السكان يغادر المدينة خفية، فاتجه بعضهم إلى الجبال أو إلى المناطق الوعرة في جنوب دمشق، ووصل بعضهم إلى القدس وبعضهم إلى مصر، فخرج شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني وطائفة من العلماء، إلى شوارع القاهرة يحثون الناس على الجهاد ويدعونهم إلى النفير.

وأخيراً استيقظ سلطان المماليك في مصر وبلاد الشام الملك الناصر فرج بن برقوق، فأمر بتجهيز الجيش المصري للتوجه من أجل الدفاع عن دمشق، وكان الملك الناصر صغير السن، وكلما طرقته أخبار الهجوم على بلاد الشام يتغافل عنها ويتشاغل بشرب الراح وحب الملاح حتى سحق تيمور العباد واحتل البلاد وعمم فيها الفساد[2]، وبعد طول انتظار وصل السلطان "فرج" مع العساكر المصرية إلى دمشق في أوائل جمادى الأولى عام (٨٠٣هـ).

---

(١) النجوم الزاهرة (١٧٧/١٢ ومابعدها)، والسلوك، للمقريزي (٤١/٦ ومابعدها)، وعجائب المقدور (ص/٢٠٤ وما بعدها).

(٢) انظر: المختار من بدائع الزهور (٢٨٥/١) .

ووصلت طلائع جيش "تيمور" إلى قطنا وداريا وما حولهما متقدمة من البقاع اللبناني واستعد الجيشان وحفروا الخنادق ، وبدأت المناوشات، وبدأ يخرج من المدينة وحدات قتالية للإغارة على وحدات من جيش تيمور ، وفي تلك الأثناء كان الأطفال والنساء يمشون في الطرقات يجأرون إلى الله تعالى يطلبون النصر والمدد .

وفي (١٢/جمادى الآخرة) ، ظهر فجأة الخلاف بين أمراء العساكر المصرية، فانسحب بعض أمراء المماليك السلطانية وتوجهوا إلى مصر، ليسلطنوا لاجين الجركسي ويخلعوا السلطان فرج بن برقوق، فاشتد الخلاف بين أمراء الجيش المصري وعادوا إلى ما كانوا عليه من التشاحن في الوظائف والإقطاعات والتحكم في الدولة ، وتركوا أمر تيمور وغفلوا عن الخطوب والأخطار الداهمة "وحسبنا الله ونعم الوكيل".

وركب بعض أمراء الجيش وأخذوا السلطان "فرج"، وأسرعوا بالعودة إلى مصر في (٢١/جمادى الآخرة/ ٨٠٣هـ- ٨/كانون الثاني/١٤٠١م) من غير أن يعلم أحد بذلك وتركوا العساكر والرعية من المسلمين غنماً بلا راعٍ، كما تركوا دمشق وأهلها فريسة لتيمور وجيشه الطاغي!. وأما تيمور فأخذ ببذل جهوده لأخذ دمشق، سواء عن طريق الحيل والدهاء أم عن طريق القوة الطاغية، وتمزق الجيش المصري، وانطلق العسكر متشرذمين في الآفاق لا يلوون على شيء يطلبون النجاة لأنفسهم وألقوا سلاحهم تخفيفاً على

خيولهم باحثين عن النجاة ، حتى أصبحت الأرض مفروشة بسلاحهم ![1].

ويتحدث ابن عربْشاه عن حالهم فيقول:

فخشعت أصواتهم، وسكنت حركاتهم، فجعلوا يتهافتون، وفيما بينهم يتخافتون، وطما الشرُّ واضطرب، وقال الناس: السلطان هرب، فانقصم ظهر الناس، وأيقنوا حلول الباس[2]، وتفاقمت الهموم، وتعاظمت الغموم، وتقطعت بهم الأسباب، وشمل الخلائق أنواع العذاب، وضاقت الحيل كالصدور، وتخبَّطت الأوامر والأمور.

ثم إن تيمور حمد ربه، ورحل من مكانه ونزل القبة، وألقى عصاه، ونام مستريحاً على قفاه، ونادى بمعنى ما قلت:

الحمد لله نلنا ما نؤمله والضد أدبر والمأمول قد حصلا

وحفر الخنادق حوله، وبثَّ في الأطراف رجله[3] ،وخيله وأرسل الطلب وراء من هرب، وصار كلما أتى بأحد من أجناد الرجال، أمر بإلقائه بين يدي تلك الأفيال، فتفعل معه الأفيال في تلك الفلاة ، ما تفعله المواشي يوم القيامة في مانع الزكاة.

فأما السلطان (برقوق) فإنه لم يصبه من أحد ضيم لأنه نشز نشوز الغيم وانساب انسياب الأيم، وتوجه على وادي التيم، فانتشرت شياطين تيمور في

(١) انظر : النجوم الزاهرة ، (١٨٨/١٢ ومابعدها) .

(٢) أي البأس والشدة .

(٣) أي رجاله .

الأرض، وملأت الطول والعرض، ووصلت طراشتهم إلى أطراف البلاد وضواحيها، وعامة القرى ونواحيها، وجعلوا من كل حدب ينسلون في مشارق الأرض ومغاربها التي بارك الله فيها.

وتقدَّموا إلى المدينة، وكانت كما ذكر بالأهبة حصينة، وبأنواع الاستعداد مكينة، مسدولة الحجاب، مغلَّقة الأبواب، فتمنَّع أهلها عليهم، ولم يسلِّموها إليهم، رجاء أن يشموا من النجدة الأرج ويمنَّ الله عليهم بعد هذه الشدة بفرج، فاستمروا على ذلك نحواً من يومين ثم استيقنوا من رجائهم الخيبة[1].

ويقول ابن إياس:

وأما ماكان من أمر أهل دمشق مع تمرلنك بعد خروج السلطان منها فإنه خرج إلى الشام في ليلة الجمعة حادي عشرى جمادى الأولى من السنة المذكورة، فأصبح الناس في يوم السبت مائجين في بعضهم، وغلقوا أبواب المدينة وركبوا على الأسوار، وصاروا يترامون بالنشاب على عسكر تيمورلنك، وصار أهل دمشق يسحبون بعضهم بعضاً على القتال، فكان بينهم في أول يوم واقعة عظيمة، فقُتل في ذلك من عسكر تيمورلنك نحو ألفي إنسان. فلما كان يوم الأحد أرسل تيمورلنك يطلب من أعيان دمشق رجلاً من عقلائهم حتى يمشي بينه وبين أهل دمشق في الصلح. فلما أتى قاصداً تيمورلنك بهذه الرسالة اشتور أهل دمشق فيمن يرسلونه إلى تيمورلنك، فوقع الاختيار أن يرسلوا إليه القاضي تقي الدين بن مفلح الحنبلي، فإنه كان إنساناً طَلْق

---

(١) انظر: عجائب المقدور ، لابن عربْشاه ، (ص/ 247 وما بعدها) .

اللسان يعرف بالتركي وباللسان العجمي، فأرخوه من أعلى السور بسرياق ومعه خمس أنفس من أعيان دمشق، فغاب عند تيمورلنك ساعة، ثم رجع من عنده فأخبر بأن تيمورلنك تلطَّف معه في القول وقال له: "هذه بلد فيها الأنبياء، وقد أعتقتها لهم" ، وذكر عنه أنه قد زار قبر أم حبيبة إحدى أزواج رسول الله ﷺ فلما زاره، قال: "يا أهل الشام، مثل هذا القبر يكون بلا قبة، أنا إن شاء الله تعالى أبني عليه قبة"، وذكر عنه أنه كثيراً ما كان في مجلسه يذكر الله تعالى، ويستغفر من ذنوبه، وأن السبحة لا تزال في يده دائماً كما قال إبراهيم المعمار:

قد بُلينا بأمير ظلم الناس وسبَّح

فهو كالجزار فيهم يذكر الله ويذبح

وشرح ابن مفلح عن تيمورلنك محاسن كثيرة، وجعل يخذل أهل الشام عن قتال تيمورلنك، ويرغبهم في طاعته... فصار أهل البلد فرقتين ، فرقة ترى ما رآه ابن مفلح، وفرقة ترى محاربته، ولم تسمع قول ابن مفلح. وكان أكثر أهل البلد يرون مخالفة ابن مفلح، ولم يرجعوا عن قتال تيمولنك وهم الجم الغفير من أهل دمشق. فباتوا على ذلك ليلة الاثنين، فلما أصبح يوم الاثنين غلب رأي ابن مفلح وأصحابه على تلك الطائفة المخالفة لذلك ، ثم إن ابن مفلح قصد أن يفتح باب النصر الذي بدمشق، فمنعه من ذلك نائب قلعة دمشق، وقال لهم: "إن فعلتم ذلك أحرقت البلد جميعها".

إضاءة

لايصلح البسطاء أو الأغبياء لمفاوضة الأعداء.

ثم إن ابن مفلح أخذ أعيان أهل دمشق من العلماء والقضاة والمشايخ وتوجهوا إلى تيمورلنك من أعلى السور بسرياقات، فلما توجهوا إلى تيمورلنك باتوا في وطاقة تلك الليلة وأضافهم، فلما أصبحوا رجعوا إلى دمشق وعلى أيديهم مثال من عند تيمورلنك مكتوب فيه تسعة أسطر يذكر فيها أماناً لأهل دمشق، فقرئ ذلك المرسوم على أهل دمشق في جامع بني أمية، ففرح أهل دمشق بذلك وفتحوا باب المدينة وهو الباب المسمى بالصغير، فحصل لهم طمأنينة وما يعلم بالقلوب إلا الله، وقد قيل في المعنى :

لقد ضرني من كنت أرجو به نفعا   وقد ساءني أفعاله خلتها أفعى

إذا ما بدا لي ضاحكاً زدت خيفة   وفي ضحكة الأفعى فلا تأمن اللسعا

فلما فتحوا باب دمشق دخل إلى المدينة أمير من أمراء تيمورلنك وجلس على الباب وأظهر أنه يحفظ المدينة من أذى عسكرهم[1].

إضاءة

كلما انبسط العدو في وجهك وأظهر المودة واللطف..فازدد حذراً.. وتأهب للقادم ..فوراء الأكمة ماوراءها..ولا تغريك رقصة العقرب..فوراء رقصته لدغة قاتلة.

وفرض تيمور على أهالي دمشق دفع مبالغ كبيرة، فأرهقهم ذلك وارتفعت الأسعار، وأغلقت الأسواق، وعز وجود الأقوات، وتعطلت الجمعة والجماعة، وأخذت عساكر تيمور ما كان في جامع بني أمية من البسط والحصر،

(١) انظر : المختار من بدائع الزهور ، (١/٢٨٨ وما بعدها) .

وصاروا يلعبون في الجامع بالطنابير والكعاب، ثم منعوا الصلاة في المسجد، واستولوا على أموال وسلاح المصريين الذين انسحبوا، ثم أمر تيمور أهالي دمشق أن يخرجوا إليه جميع ما لديهم من الخيل والبغال والحمير والجمال، ثم طلب أن يُخرجوا إليه جميع ما لديهم من سلاح[1].

ورفض أمير القلعة " أزدار " تسليمها، فحاصرها "تيمور" شهراً تقريباً وهاجمها بكل قوته، فقاوم أهل القلعة وصمدوا صموداً عظيماً، وقتلوا من المهاجمين أعداداً كبيرة، ولكن المدافعين عجزوا عن مقاومة الهجوم الكبير، واضطروا أخيراً للاستسلام بسبب قلة عددهم ومددهم، أمام جيش "تيمور" العرمرم[2].

ثم قسم "تيمور" أحياء دمشق بين أمرائه ،فساروا إليها بمماليكهم وحواشيهم ونزل كل أمير في قسمه، وطلب من فيه، وطالبهم بالأموال، فحينئذ حل بأهل دمشق من البلاء مالا يوصف وأجرى عليهم أنواع العذاب من الضرب والعصر والإحراق بالنار، والتعليق منكوساً، وغم الأنف بخرقة فيها تراب ناعم، كلما تنفس دخل في أنفه حتى تكاد نفسه تزهق، فكان الرجل إذا أشرف على الهلاك يخلى عنه حتى يستريح، ثم تعاد عليه العقوبة أنواعاً، فكان المعاقب يحسد رفيقه الذي هلك تحت العقوبة على الموت، ويقول: ليتني أموت وأستريح مما أنا فيه، ومع هذا تؤخذ نساؤه وبناته وأولاده الذكور، وتقسم جميعهم على أصحاب ذلك الأمير، فيشاهد الرجل المعذب

(١) انظر : السلوك ، للمقريزي ، (٥١/٦ وما بعدها) .

(٢) انظر : النجوم الزاهرة ، (١٩٣/١٢) .

امرأته أو بنته وهي توطأ، وولده وهو يلاط به، فيصرخ هو من ألم العذاب، والبنت والولد يصرخان من إزالة البكارة واللواط، وكل ذلك من غير تستر في النهار بحضرة الملأ من الناس. ورأى أهل دمشق أنواعاً من العذاب لم يسمع بمثلها، منها أنهم كانوا يأخذون الرجل فتشد رأسه بحبل ويلوونه حتى يغوص في رأسه ومنهم من كان يضع الحبل بكتفي الرجل ويلويه بعصاه حتى تنخلع الكتفان ومنهم من كان يربط إبهام يدي المعذب من وراء ظهره ثم يلقيه على ظهره ويذر في منخريه الرماد مسحوقاً، فيقر على ما عنده شيئاً بعد شيء، حتى إذا فرغ ما عنده لا يصدقه صاحبه على ذلك، فلا يزال يكرر عليه العذاب حتى يموت، ويعاقب ميتاً مخافة أن يتماوت. ومنهم من كان يعلق المعذب بإبهام يديه في سقف الدار ويشعل النار تحته، ويطول تعليقه، فربما يسقط فيها، فيسحب من النار ويلقوه على الأرض حتى يفيق، ثم يعلقه ثانياً.

واستمر هذا البلاء والعذاب بأهل دمشق تسعة عشر يوماً، آخرها يوم الثلاثاء ثامن عشرين شهر رجب من سنة ثلاث وثمانمائة، فهلك في هذه المدة بدمشق بالعقوبة والجوع خلق لا يعلم عددهم إلا الله تعالى.

فلما علمت أمراء تيمور أنه لم يبق بالمدينة شيء خرجوا إلى تيمور، فسألهم:هل بقي لكم تعلق في دمشق؟ فقالوا: لا؛ فأنعم عند ذلك بمدينة دمشق على أتباع الأمراء، فدخلوها يوم الأربعاء آخر رجب، ومعهم سيوف مسلولة مشهورة وهم مشاة، فنهبوا ما قدروا عليه من آلات الدور وغيرها، وسبوا نساء دمشق بأجمعهن، وساقوا الأولاد والرجال، وتركوا من الصغار من عمره خمس سنين فما دونها، وساقوا الجميع مربوطين في الحبال.

ثم طرحوا النار في المنازل والدور والمساجد، وكان يوم عاصف الريح، فعم الحريق جميع البلد حتى صار لهيب النار يكاد أن يرتفع إلى السحاب، وعملت النار في البلد ثلاثة أيام بلياليها آخرها يوم الجمعة. وكان تيمور – لعنه الله – سار من دمشق في يوم السبت ثالث شهر شعبان بعد ما أقام على دمشق ثمانين يوماً، وقد احترقت كلها وسقطت سقوف جامع بني أمية من الحريق، وزالت أبوابه وتفطر رخامه، ولم يبق غير جدره قائمة. وذهبت مساجد دمشق ودورها وقياسرها وحماماتها وصارت أطلالاً بالية ورسوماً خالية، ولم يبق بها دابة تدبُّ، إلا أطفال يتجاوز عددهم آلاف، فيهم من مات، وفيهم من سيموت من الجوع[١].

وقبل أن يرحل الطاغية عن دمشق، أصدر أوامره بجمع من تبقى من أطفال دمشق الذين أُسر أهلهم ، فكانوا ما بين ابن خمس سنين إلى شهر وشهرين فركب تيمورلنك وأتى إلى ذلك المكان الذي هم به خارجاً عن المدينة، فلما أتى إليهم وقف ساعة وهو ينظر إليهم ويتأملهم، ثم قال للعسكر: "سوقوا عليهم بالخيل".. فساقوا بالخيل فماتوا أجمعين، وكانوا نحو عشرة آلاف طفل، فلما رجع لامه أمراؤه على ذلك، فقال: "ما نزل على قلبي فيهم رحمة" فكان تيمورلنك يقول: "أنا غضب الله في أرضه يسلطني على من يشاء من خلقه "[٢].

(١) انظر : النجوم الزاهرة ، (١٢/١٩٤ ومابعدها) ، وعجائب المقدور ، (ص/280 وما بعدها)، والسلوك ، (6/53 وما بعدها).

(٢) انظر : المختار من بدائع الزهور ، (1/291 وما بعدها) .

إضاءة

لاتتأمل من الأعداء مراعاة حقوق الإنسان..المسلمون الصادقون وحدهم الذين يراعون حقوق الإنسان في سلمهم وحربهم..والتاريخ شاهد..

وخرج تيمور في (٣ /شعبان/ ٨٠٣هـ - ١٤٠١م) ومعه جيشه من دمشق محملاً بالغنائم العظيمة التي عجزت دوابهم عن حملها ، فاستولوا على جميع الدواب من دمشق، وجلبوا أعداداً كبيرة من الدواب من "سيواس" وما حولها في آسيا الوسطى، ومع ذلك فقد فاقت هذه الغنائم قدرتهم على حملها ، فأخذوا يلقون بعضها على الطريق .

(وأضحت القفار والبراري والجبال والصحاري من الأمتعة والأقمشة، كأنها أسواق الدهشة، وكأن الأرض فتحت خزائنها، وأظهرت من المعادن والفلزات كامنها).

وكانت محنة بلاد الشام على أيدي " تيمور لنك " تفوق المحنة التي حملت في هذه البلاد على يد " هولاكو ".

وكان عدد القتلى كبيراً لدرجة يصعب إحصاؤه، ويقدر المقريزي عدد من هلك من أهالي البلاد في حلب وحماه ودمشق وغيرها من مدن الشام في (محنة تيمور لنك) من الجوع والقتل والحريق بعشرات آلاف الآلاف (بالملايين)، عدا عمن فرض عليه الأسر، وسيق مع الجيوش الغازية إلى ما وراء النهر، فيهم أصحاب المهن والحرف وأرباب الفضل وكل ماهر في فن

من الفنون بارع[1].



دمرت ونهبت أهم مدن بلاد الشام من حلب حتى دمشق ، بسبب غفلة الحكام وأهوائهم، وعدم أهليتهم للقيادة ..

فلم يستعدوا الاستعداد اللازم ..

ولم يدرسوا أحوال عدوهم وإمكانياته وحقيقة أهدافه. .

ولم يمتلكوا زمام المبادرة ، بل كانت أعمالهم ردات فعل بدون تخطيط بعيد المدى وكانت سياستهم تتسم بالسذاجة والعشوائية والارتجال..

ويقابل ذلك جيش يمتلك إرادة القتال .

أمراء قادة ملتزمون بقائدهم يسمعون ويطيعون .

قائد عسكري وسياسي محنّك ومحتال ومخادع .

جيش عرمرم يفوق جيش المماليك قوة وعدداً ، وهو أضخم وأكثر تنظيماً من جيش هولاكو ، وبينما كانت دولة هولاكو حدودها بلاد العجم، فإن دولة تيمور لنك امتدت من حدود الصين إلى حدود مصر.

وبعد خروجه من دمشق المدمرة في (٣/شعبان/٨٠٣هـ) توجه نحو حلب، وعند مروره من أرياف حمص وحماه استكمل عمليات التدمير والنهب التي نفذها أثناء توجهه إلى دمشق، ووصل إلى الجبول في ضواحي حلب الشرقية منتصف رمضان، فأخذ غنائمه التي أودعها في قلعتها ثم أمر بإحراق حلب

(١) انظر : السلوك، للمقريزي، (6/٦٩ ومابعدها)، وعجائب المقدور ، (ص/ 289 وما بعدها)

وتخريب ما تبقى من دورها، ثم توجه إلى الرها فنهبها مرة أخرى، ثم سار إلى ماردين وحاصر قلعتها عشرة أيام فلما استعصت عليه هدم مسجد مدينة ماردين وسوقها ودمر أبنيتها وأسوارها.

العودة إلى بغداد وتدميرها مرة ثانية:

ثم انحدر نحو بغداد في (آخر رمضان/ ٨٠٣هـ)، فخرب نصيبين، ثم دخل الموصل، ووضع عليها أميراً، ثم أشاع أنه سيقصد بلاده، ليوهم السلطان أحمد جلاير حاكم بغداد بأنه لن يقصده، ولكنه في الواقع أرسل جيشاً من عشرين ألف مقاتل بقيادة أمير زاده رستم لمهاجمة بغداد ..

فهرب السلطان أحمد لاجئاً إلى السلطان بيازيد بن عثمان في تركيا، واستناب نائباً في بغداد يدعى فرج ، وأوصاه أن لا يقاوم "تيمور" وأن يسلم بغداد له طوعاً ، فلما وصل "رستم" حفيد تيمور رفض فرج أن يسلم له المدينة وأصر على المقاومة والقتال، فلما بلغ الخبر تيمور توجه بكامل قوته إلى بغداد غاضباً، فانهزم جيش بغداد أمام طوفانه بعد حصار دام أربعين يوماً من (١٦/شوال إلى ٢٧/ ذو القعدة عام ٨٠٣هـ-تموز/١٤٠١م)، وتم له احتلالها كاملة يوم الأضحى١٠/ ذي الحجة، وألزم تيمور كل عسكري من عساكره أن يأتيه برأسين من رؤوس أهل بغداد، فجلبوا له جبالاً من الرؤوس فبنى منها مئة وعشرين مأذنة، وكان الجندي الذي لا يجد من أهل بغداد من يذبحه ويأخذ رأسه، يقطع رؤوس من معه من أهل الشام وغيرها، أو كل من

يصادفه في الطريق، وكان عدد القتلى من أهل بغداد أكثر من تسعين ألف نفس[(١)] وهذا العدد المذكور سوى من قتل غرقاً أو حرقاً أو في أيام الحصار.

ولكثرة الدماء وروائح الجثث فسد هواء المدينة فانسحب تيمور إلى خارجها من معسكره هناك، وأرسل قوات إلى مدينتي الحلة والنجف لاستكمال المذبحة المروعة.. وبعد انتهاء المذبحة ونهب الأموال وأخذ السبايا، توجه إلى بلاد الكرج واستقر في منتجعه المفضل قراباغ في آخر (ربيع الثاني عام ٨٠٤هـ- تشرين الثاني/ ١٤٠١م)[(٢)].

ومن قراباغ أرسل رسالة إلى السلطان العثماني بيازيد يطالبه بإخراج السلطان أحمد وحليفه "قرا يوسف" وإلا توجه إليه بجيوشه وأنزل فيه وببلاده ما أنزله بغيره، فرد السلطان العثماني بجواب خشن عنيف.

فسار تيمور إليه بجيش جرار، وجمع السلطان بيازيد عساكره وكان في حصار القسطنطينية فتركها وتوجه ليلقى تيمور خارج "سيواس"، وكان في جيش بيازيد طائفة من التتار، فاغتنم تيمور خروجهم في جيش بيازيد وأرسل إليهم: نحن جنس واحد، وهؤلاء تركمان ندفعهم من بيننا، ويكون الملك لكم ، فانخدعوا له، فاستجابوا له و واعدوه خذلان بيازيد عند التقاء الجيوش[(٣)].

(١) وذكر ابن تغري بردي أن العدد جاوز مئة ألف نفس.

(٢) انظر : عجائب المقدور و (ص/296 وما بعدها) ، والنجوم الزاهرة ، (٢٠٨/١٢ وما بعدها).

(٣) بعد انتهاء الحرب توجه تيمور إلى "سيواس"، وخدع هؤلاء التتار بدعوتهم للتجمع مع أهليهم =

وقام تيمور بتغيير خط سيره حتى لا يلتقي مع بيازيد حول سيواس، وتوغل في أراضي بيازيد، فلم يشعر ابن عثمان إلا وقد نهبت بلاده، وظهرت قوات تيمور وراءه في ضواحي أنقرة، فرجع بيازيد وتوجه نحو أنقرة وقد أنهكت عساكره ورواحلهم، وزاد من بلائه انشقاق طائفة التتار من جيشه، ثم رجوع ابنه سليمان مع عسكره تاركاً أباه في خمسة آلاف جندي أحاط بهم تيمور وكسرهم وأخذ بيازيد أسيراً، وقد وقعت معركة أنقرة هذه في (أواخر/ذي الحجة/٨٠٤هـ- تموز/١٤٠٢م) [(١)].

وبعد انتهاء المعركة انتشرت قواته في أراضي بني عثمان (آسيا الوسطى) فنهبها ودمرها وسبى نساءها واستخلص أموالها ونفائسها واستقصاها في جميع آفاقها،وانبث جنوده في كل مكان فجزوا الرؤوس، وحرقوا الأكباد، وشوهوا الوجوه، وعذبوا الناس، وأراقوا الدماء، واستحلوا الفروج[(٢)].

وأموالهم وسلاحهم هناك ليقيم لهم مملكة خاصة بهم ، لما قدموه من خدمات ومناصرة ..، فلما تجمعوا أوحى إليهم أنه لا قوة لكم ولا بقاء إلا بأمور عدة ومنها :
أن يكون لكم زعيم يقودكم، وأن يكون لكم قوة وسلاح يكفيكم ويقيكم ..،ثم طلب منهم أن يجمعوا سلاحهم وخيولهم وعتادهم ليحصيها لهم ثم ليكمل لهم ما نقص منه ..،فلما صارت بين يديه ، سلب منهم مخالبهم وأنيابهم، ثم أمر باعتقالهم جميعاً .. ثم قتل غالبيتهم، ومن لم يقتل أجبر على العودة مع جيشه إلى سمرقند وهناك فرقهم على بلادهم الأصلية فتمزقوا..
انظر: عجائب المقدور،(ص/352).

(١) انظر : انظر عجائب المقدور ، (ص/307 وما بعدها) ، والنجوم الزاهرة ، (٢٠٩/١٢ ومابعدها) .

(٢) انظر: عجائب المقدور، (ص/344).

ثم قام " تيمور لنك " بتفتيت دولة بيازيد إلى إمارات ووضع على كل إمارة منفصلة سلطاناً خاضعاً له، حتى لا تقوم لدولة بني عثمان قائمة[١].

ثم اتجه إلى بلاد الكرج عام (٨٠٥هـ- ١٤٠٣م)، وأثناء انسحابه مر على مدن قيصرية وسيواس و أرزنجان وغيرها فدمرها ونهبها، ولم يبق من سكان تلك البلاد بعد انسحاب القوات الغازية إلا ربعهم أو ثلثهم[٢].

وكان من نتائج معركة أنقرة وهزيمة السلطان العثماني بيازيد، تراجع عمليات فتح القسطنطينية، فبعد أن أصبح فتحها قاب قوسين أو أدنى اضطر السلطان لترك حصارها والتفت إلى مواجهة تيمورلنك، مما أعطى الإمبراطورية البيزنطية التي كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة مدة إضافية من الحياة امتدت زهاء خمسين عاماً آخر ، إلى أن فتحها السلطان محمد الفاتح [٣].

وفي رمضان عام (٨٠٦هـ- آذار ١٤٠٤م) ، اتجه إلى بلاده في ما وراء النهر بعد غياب دام خمس سنوات، أخضع فيها بلاد العراق وبلاد الشام والروم (آسيا الوسطى) والكرج (أرمينية)، وأجبرها على دفع الجزية والأتاوة[٤].

وفي جمادى الآخرة عام (٨٠٧هـ- تشرين الثاني ١٤٠٤م) قرر مهاجمة بلاد الصين وإخضاعها، وبعد مدة من مسيرة الجيوش بدأت درجة الحرارة بالانخفاض

---

(١)انظر : المصدر السابق ، (ص/342) .

(٢) انظر : المصدر السابق ، (ص/357) .

(٣) انظر : المصدر السابق ، (ص/333) .

(٤) انظر : المصدر السابق ، (ص/368) .

إلى حد كبير وتساقطت الثلوج بغزارة وتجمدت مياه الأنهار، لكنه أصر على متابعة السير، فهلك عدد كبير من الجنود، من شدة البرد والتجمد، فانحل عقد نظامهم وانفرط، وهو مع ذلك لا يلتفت إلى من مات أو هلك.

ولما حل شعبان/٨٠٧هـ، سقط " تيمور " مريضاً وبدأت أعراض الحمى الشديدة تظهر عليه، حتى مات في "أترار" عام (١٧/شعبان/٨٠٧ هـ – ١٨/شباط/١٤٠٥ م)[١].

وبموت "تيمور لنك" بدأ الصراع على خلافته، وانتهت بعده غزوات المغول على العراق وبلاد الشام إلى غير رجعة.

وإذا كان "جنكيز خان" المؤسس لإمبراطورية المغول الأولى، فإن "تيمورلنك" هو المؤسس لإمبراطورية المغول الثانية، والأكثر دموية من جنكيز خان.

* * * *

(١) انظر : المصدر السابق ، (ص/386 وما بعدها)، والنجوم الزاهرة ، (١٢/٢١١).



المبحث السادس
المدافعون عن الرسالة والرسول ﷺ والمسلمين وصُنّاع الصحوة والنصر، ضد الحروب المغولية

المطلب الأول : دور صُنّاع الصحوة والنصر من العلماء العاملين .

استمرت الحروب المغولية (١٨٩) عاماً هجرياً تقريباً، كانت تثور وتخمد، بدأها "جنكيز خان" عام (٦١٦هـ- ١٢١٩م) ، وختمها " تيمورلنك" عام (٨٠٥هـ- ١٤٠٣م). وخلال هذه السنوات الطافحة بالطامات العظام، التي دمرت العالم الإسلامي وأهلكت الحرث والنسل، **هبَّ صناع الصحوة والنصر من العلماء في أرجاء العالم الإسلامي كافة:**

* يحافظون على تمسك المسلمين بالإسلام الصحيح .
* ويتعهدون المسلمين بالتعليم والإرشاد والتربية والتزكية .
* ويقاومون العدوان المغولي.
* ويحرضون الأمة الإسلامية على الجهاد، ومقاومة المعتدين .
* ويشاركون المجاهدين في القتال ..
* ويحثون الحكام على تحمل مسؤولياتهم ..
* ويقدمون للمجاهدين المشورة والنصيحة ..

* ويصدعون بالحق أمام الأمراء الطغاة والمتخاذلين .

* ويصلحون ما بين أمراء المسلمين ..

* ويعملون على توحيد جهود المجاهدين للوقوف صفاً واحداً في وجه المعتدين..

إنجاز

كان من أعظم إنجازاتهم، أن نشروا الإسلام بين المغول، فأسلم على أيديهم عدد من ملوك المغول مع رعاياهم ولم تنته الحروب المغولية إلا ودخل أغلب المغول في الإسلام!!.

إضاءة

هذا أمر لم تشهده الصراعات بين الأمم على مدى التاريخ، إنه لمن المدهش حقاً أن تستطيع الأمم المغلوبة إدخال الأمم الغالبة في عقائدها ، بل وتجعلها تحمل راية الجهاد معها!!..

وفي حين انهزمت جيوش السلاطين، انتصرت جيوش العلماء والدعاة المخلصين!!..، ولما هرب الملوك، أقبل علماء الصحوة يقتحمون القلوب!!.

* بل استطاع علماء الصحوة أن يوجهوا سلاطين المغول الذين دخلوا في الإسلام، وفي مقدمتهم خان مغول القبجاق "بركة خان "، لمحاربة سلاطين المغول غير المسلمين ..

* ودفعوهم إلى التحالف مع سلاطين المماليك في مصر ، وسلاطين بني عثمان في آسيا الوسطى، ضد " هولاكو " سلطان مغول فارس ..

إنجاز

استطاعوا بهذا وغيره انتشال الأمة من حالة الانهيار والإحباط واليأس والاستسلام، ثم الدفع بها نحو الصحوة واليقظة والمقاومة، مما أدى بالمحصلة إلى تحقيق النصر وانحسار العدوان المغولي نهائياً ..، واستطاعت الأمة الإسلامية في النهاية كسب الصراع عسكرياً، بل كسب الصراع عقائدياً، فقد ابتلعت المغول وحولتهم إلى الإسلام، وجعلت منهم جيوش الدفاع عن الإسلام والمسلمين .

هذه إنجازات صناع الصحوة والنصر من العلماء العاملين والمجاهدين المخلصين ..

أولاً: أشهر العلماء الذين جاهدوا بالدعوة إلى الله بين صفوف المغول فأدخلوهم في الإسلام :

١-الشيخ سيف الدين البَاخَرْزِي :

* الإمام الرباني القدوة، شيخ خراسان نزيل بخارى .. عاش (٧٣) عاماً، ولد عام (٥٨٦هـ) وتوفي عام (٦٥٩هـ)، أرسله شيخه أحمد أبو الجناب الخيوقي الصوفي الملقب **"بنجم الدين الكبرا"** عندما هوجمت خوارزم إلى بخارى، ليقوم بواجب البلاغ والدعوة إلى الإسلام ..

* يقول الإمام الذهبي في وصف الشيخ الباخرزي : (كان إماماً محدثاً، ورعاً زاهداً ، تقياً أثرياً ، منقطع القرين ، بعيد الصيت ، له وقع في القلوب، ومهابة في النفوس، ...).

وذكره ابن الفوطي في "معجم الألقاب" فقال فيه: هو المحدث الحافظ الزاهد الواعظ، كان شيخاً بهياً عارفاً، تقياً فصيحاً، كلماته كالدُّر ..

وهو صوفي أخذ الطريق عن الشيخ أبي الجناب الخِيْوَقي، قال عنه الشيخ منهاج الدين النسفي: كانت طريقته عارية عن التكلف، كان في علمه وفضله كالبحر الزاخر، وفي الحقيقة مفخر الأوائل والأواخر، له الجلالة والوجاهة، انتشر صيته بين المسلمين والكفار .. ولما خرب التتار بخارى وغيرها، وهرب خوارزم شاه، قَدِم الشيخ سيف الدين إلى بخارى وقد احترقت وما بها موضع ينزل به، فتكلم بها، وجمع إليه الناس، ثم أقام، ووعظ وفسر، فحاربه حاسدوه ..!!

ووقع هيبة الباخَرزي في قلوب الكفار، وكان "بايقو" أخو قآن"الخان الأعظم" ، ظالماً غاشماً سفاكاً، قتل أهل ترمذ ... فحرضوه على الباخرزي، ... فطلبه إلى سمرقند مقيداً، فقال: (أي الباخرزي) إني سأرى بعد هذا الذل عزاً ..

ثم مات "بايقو"، فأطلقوا الشيخ، وأسلم على يده جماعة.. ورجع إلى بخارى، وأسلم على يده أمير، وصار بواباً للشيخ ..

وعرف الشيخ بين التتار "بأُلُغْ شيخ " (يعني الشيخ الكبير) وبذلك يعرفه " هولاكو" .. وقد بعث إليه "بركة " (خان القبجاق والقبيلة الذهبية) رسولاً ليأخذ له العهد بالإسلام وكان أخوه "باتو" كافراً ظلوماً، وكان مع كفره يحب الشيخ، فلما عرف أن أخاه بركة خان صار مريداً للشيخ فرح ..

وأستأذن بركة خان الشيخ من أجل زيارته فأذن له فجاءه من مسافة بعيدة من بلغار إلى بخارى، **فوصل بعد العشاء في الثلوج، فما استأذن للدخول على الشيخ حتى أصبح وهو مقيم تلك الليلة على باب الشيخ وهو يصلي،** ثم دخل فقبل رجل الشيخ، ثم صلى وأسلم جماعة من أمرائه،

وأخذ الشيخ عليهم العهد، وكتب لهم الأوراد والدعوات، ثم أمره بالرجوع، فلم تطب نفسه للرجوع، فقال له الشيخ: أشتهي (أرغب) أن تكون في سلطانك. وكان عنده ستون زوجة فأمره الشيخ باتخاذ أربع وفراق الباقيات ، ففعل ، ورجع وأظهر شعار الملة، وأسلم معه جماعة، وأخذوا في نشر تعاليم الإسلام، ومات بركة خان في سنة خمس وستين وست مئة [1]..

إضاءة

عندما يكون الملوك والسلاطين على أبواب العلماء الربانيين المجاهدين يداً واحدة، يكون النصر قريباً.

* وكان الشيخ سيف الدين الباخرزي قد أرسل عدداً من كبار تلامذته إلى أمراء المغول ليدعوهم إلى الإسلام ويعرفوهم بمبادئه وقيمه وأنه رسالة الله تعالى إلى العالمين.. وقد اجتمع أحد كبار التلامذة المقربين من الشيخ بالسلطان "بركة خان"، فدعاه إلى الإسلام، وبين له محاسنه، وكان لقاءً ذا تأثير روحي كبير ، فأسلم "بركة خان" على يده عام (٦٥٢هـ– ١٢٥٤م) (ثم زار الشيخ الباخرزي وأخذ العهد عليه) والتزم بالإسلام وأظهر شعائره، وفتح بلاده للعلماء والدعاة وبرَّهم وأكرمهم وعظمهم ، وفتح المدارس بنواحي مملكته، وأسلم بإسلامه أكثر قومه، وبنى المساجد [2]، واتخذ الأئمة في قصره، وأصبح له رابطه محبة عارمة مع شيخه الشيخ سيف الدين الباخرزي .. فكان لا يصبر على فراقه.. وكان شديد الأدب في حضرته..

---

(١) للتوسع انظر : سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، (٢٣/ ٣٦٣ وما بعدها) .

(٢) انظر : عقد الجمان ، للعييني ، (٩١/١) .

وهـــذا الســـلطان العظـــيم هـــو أول مـــن دخـــل في الإســـلام مـــن سلاطين المغول..

تحالف

أقام "بركة خان" بتوجيه من شيخه تحالفاً قوياً مع المماليك ومع السلطان بايازيد بن عثمان ضد "هولاكو" ابن عمه الذي كان يُكنُ عداءً شديداً للمسلمين ويتحالف مع الصليبيين ..

* وعنـدما تـوفي "بركـة خـان" عـام (٦٦٥هـ– ١٢٦٦م)، تـولى الحكـم بعده ابن أخيه "منكوتمر"، فكان على نهجه وطريقته، ثم تولى الحكم من بعده أخـوه "تـدان منكوخـان" عـام (٦٨٢هـ–١٢٨٣م) الـذي تحـالف بقـوة مـع المماليك في مصر، ورفع راية الإسلام في جهاده، وطلب من الخليفة العباسي أن يُعدَّه تابعاً لدولة الخلافة، ليجاهد تحت رايتها [١]..

وفي عـام (٧١٢هـ– ١٣١٣م) تـولى حكـم بـلاد القبجـاق السـلطان "أزبك خان" فسار على خطى أسلافه ليستمر انتشار الإسلام في تلك البلاد .. وكان "أزبك خان" جيد الإسلام شجاعاً عابداً [٢]..

إضاءة

شكل دخول السلطان "بركة خان" وأتباعه في الإسلام، منعطفاً شديد التأثير على مجريات الصراع مع المغول، وساهم ذلك في حسم الصراع لصالح المسلمين ..

ومن هنا يتضح أهمية دور الشيخ سيف الدين الباخرزي وتلامذته في نشر تعاليم الإسلام في صفوف المغول.. لقد حقق إنجازاً استراتيجياً عظيماً، تعجز عنه دول بكامل طاقتها ..

---

(١)انظر : السلوك ، للمقريزي ، (١٧٤/٢ وما بعدها) .

(٢) انظر : الدرر الكامنة ، لابن حجر ، (٣٧٦/١) .

* وكان للشيخ سيف الدين الباخرزي دور آخر في إيقاف توسيع دائرة العدوان المغولي فقد كان يعمل لمنع احتلال المغول للعراق وإسقاط الخلافة الإسلامية في بغداد . فكان يهول على ملوك التتار مهاجمة العراق ، ويضخم من قوة الخليفة وجيشه، ويزرع الخوف في نفوسهم من الإقدام على ذلك ..

ويتحدث الإمام الذهبي عن جهوده هذه فيقول: (فكان يمنع التتار من قصد بغداد، ويفخم أمر الخليفة) [(١)].

* رحم الله الشيخ سيف الدين الباخرزي، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء على هذا الإنجاز العظيم

٢-الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله :

* الملقب بكمال الدين، أسلم على يديه "أحمد تكدار خان" الخليفة الثاني "لهولاكو" بعد موته ..

تحدث عنه اليونيني في مرآة الزمان فقال : (كان ملكاً شهماً خبيراً بأمور الرعايا، سالكاً أحسن المسالك، متبعاً دين الإسلام، لا يصدر عنه إلا ما يوافق الشريعة النبوية (صلوات الله وسلامه على صاحبها) وانقياده إليها، واعتماده عليها في جميع حركاته بطريق الشيخ عبد الرحمن).

* وكان للشيخ عبد الرحمن تأثير قوي عليه، فإنه كان قد أقبل عليه وانقاد إليه، وامتثل ما يأمره به، فكان يأمره بمصالحة المسلمين والدخول في طاعتهم، والعمل على مايرضيهم، وأن يكونوا كلهم شيء واحد، ولم يزل به

---

(١)انظر : سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، (٣٦٥/٢٣) .

على ذلك إلى أن أجاب إلى مصالحة الملك المنصور "سيف الدين قلاوون" وكان للشيخ عبد الرحمن عند السلطان "أحمد تكدار خان" مكانه عظيمة يقصر عنها الوصف ، فقد كان يأتي إلى شيخه لزيارته، وإذا شاهده من بعد ترجل، فإذا وصل إليه قبل يده ، وقعد بين يديه، وامتثل جميع ما يشير به، وكان معظم ما يصدر من الملك أحمد من الأفعال الجميلة، والمبالغة في الميل إلى المسلمين بطريقه (بسببه) ..

* توفي الشيخ عبد الرحمن عام (٦٨٣هـ- ١٢٨٤م) بعد مقتل السلطان "أحمد تكدار" على يد ابن أخيه "أرغون بن أبغا بن هولاكو" [(١)].

وبموت السلطان " أحمد تكدار " ثم موت الشيخ عبد الرحمن، مات مشروع الشيخ عبد الرحمن الهادف إلى وقف العدوان المغولي على المسلمين، من خلال إقامة الصلح أولاً مع دولة المماليك، ثم إقامة تعاون مشترك لصالح العالم الإسلامي ..

إضاءة

رحم الله الشيخ عبد الرحمن فقد كان أول العلماء، الذين فتحوا باباً واسعاً لإدخال سلاطين مغول فارس في الإسلام، فكان السلطان "أحمد تكدار" أول الداخلين ثم تبعه عدد من السلاطين ومنهم السلطان "قازان"، والسلطان "محمد خربندا"، والسلطان "بوسعيد" .

(١) انظر : ذيل مرآة الزمان ، لليونيني ، (٨٤/٢ وما بعدها) .

٣-الشيخ صدر الدين إبراهيم بن محمد بن حموية الجويني :

* حكم مغول فارس بعد مقتل السلطان "أحمد تكدار" حاكم وثني هو "آرغون بن أبغا ابن هولاكو خان" وكان شديد العداء للمسلمين، ثم استلم الحكم من بعده ابنه "قازان" وتسمى بمحمود على يد الإمام الكبير المحدث الخراساني الصوفي، الشيخ "صدر الدين"، وذلك عام (٦٩٤هـ– ١٢٩٥م) وكان الشيخ صدر الدين ذا تأثير بالغ على الأمير "نوروز" نائب قازان، وهو من أكابر أمراء المغول، فدخل في الإسلام، وكان ذا همة عالية، وعبادة وله أذكار وتطوعات، وصدق في إسلامه، وأسلم على يديه خلق كثير من التتار..

* واجتمع الشيخ صدر الدين "بنوروز" وأمره أن يستميل قازان إلى دين الإسلام، فاجتمع نوروز بقازان وتحدث معه عن الإسلام، وبين له محاسنه، وما يحصل له من البركة واستجلاب الرعية والتجار، ولم يزل به حتى وافق على ذلك، ثم اتفق مع الشيخ صدر الدين ونوروز على الذهاب إلى قازان، فتلقاهم بالإكرام والقبول وأعلن دخوله في الإسلام، وبإسلامه أسلم عدد كبير من جنده وعساكره ، وفشا الإسلام في تتار فارس.

* وأقام الشيخ "صدر الدين" عند قازان يعلمه شرائع الإسلام ..

إضاءة

أصبح الإسلام من ذلك العهد دين الدولة المغولية في فارس والعراق، ودخل خلفاء قازان الذين توارثوا الحكم من بعده في الإسلام [1]

---

(١) انظر: دور العلماء المسلمين في حركة الجهاد الإسلامي ضد المغول،عبد الله الشهري، (ص/151وما بعدها).

ولكن قازان رغم إعلانه للإسلام مشى على خطى الوثنيين من سلاطين المغول وخاصة هولاكو، وكان عنده رغبة عارمة بالتوسع والسيطرة على الممالك التي حوله، فهاجم بلاد الشام مرات عدة، الأولى: عام (٦٩٩هـ- ١٢٩٩م) والثانية: عام (٧٠٠هـ- ١٣٠٠ م) والثالثة: عام (٧٠٢هـ- ١٣٠٣م)، وارتكب من الفظائع مثل أسلافه الوثنيين !!.. ولكنَّ خلفاؤه "خربندا محمد بن آرغون" و "بوسعيد بن خربندا" أوقفوا العدوان وتصالحوا مع جوارهم من المسلمين..

* رحم الله الشيخ " صدر الدين " فقد أثمرت جهوده بتحويل دولة مغول فارس التي أسسها هولاكو إلى الإسلام ..

ثانياً: أشهر العلماء الذين جاهدوا ضد المغول واختاروا أن يموتوا شهداء وأن لا يموتوا أذلاء:

بدأ الغزو المغولي يجتاح المدن الإسلامية فيما وراء النهر عام (٦١٦هـ) وكان مفاجئاً لسكان تلك المدن، فالحكام الخوارزميون لم يتخذوا الاستعدادات الكافية للدفاع عن البلاد، ولم يستنفروا طاقات السكان، ولم يحصنوا المدن التحصين اللازم للصمود أمام الغزو المغولي الكاسح ..

إضاءة

كان هؤلاء الحكام يتعاملون مع التهديدات بالغزو باستخفاف وغرور، ولا يقومون بما يمليه عليهم الواجب لحماية رعاياهم وبلادهم، ولم يكونوا يمتلكون الحنكة السياسية اللازمة، وقد حذر العلماء هؤلاء الحكام، ونبهوهم إلى ضرورة استنفار طاقات المسلمين في كل البلاد، وأخذ الاستعدادات العسكرية ووضع الخطط الناجحة، وإعلان الجهاد بالنفس والمال .. هذا ما فعله الشيخ الفقيه الفاضل "الشهاب الحوفي" مع "خوارزم شاه" سلطان بلاد خوارزم الشاسعة ولكن السلطان لم يأخذ برأيه وأخذ برأي أمرائه[1] ..

فلما وقعت الواقعة هرب الحكام وعسكرهم وأصبحت المدن الإسلامية بلا حماية أمام جيوش المغول الجرارة ..

- **الدفاع عن بخارى :**

ففي نهاية عام (٦١٦هـ– ١٢١٩م) وصل المغول إلى بخارى فحاصروها بعد هروب أكثر عسكرها ، فهب العلماء للدفاع عن السكان الأبرياء، واستنفدوا كا ما هو ممكن لحماية الناس من الهلاك ..

فقد خرج **القاضي بدر الدين بن قاضي خان،** وكان إماماً كبيراً من أهل الاجتهاد، من المدينة المحاصرة وتوجه إلى المغول، وتحمل المخاطر، وطلب الأمان لسكان المدينة، ليحميهم من مذبحة مؤكدة، واستطاع أن يحصل على الأمان من المغول للأهالي ولكن جنكيز خان غدر بأهل بخارى فاستباحها

---

(١) انظر : الكامل في التاريخ ، لابن الأثير (٤٠٢/١٠) .

بأموالها ونسائها وأطفالها وخرب دورها وأحرقها..

فوقف العلماء بما يملكون في وجه الإعصار المغولي، وآثروا القتال حتى الموت، ولا يروا ما يفعل المغول من هتك أعراض المسلمات، وقتل المسلمين .

هذا ما فعله القاضي الفقيه بدر الدين قاضي خان وإخوانه من العلماء..

فلم يزالوا يقاتلوا حتى استشهدوا .. رحمهم الله تعالى ..

فلما رأى العساكر الذين التجؤوا إلى القلعة ولم يهربوا من بخارى، جهاد العلماء وتضحياتهم، قرروا أن يقاتلوا ويدافعوا عن القلعة حتى آخر رمق فيهم، فصمدوا ومانعوا اثني عشر يوماً، فلما اقتحمها عليهم المغول، قاتلوا حتى استشهدوا عن آخرهم [1].

- **الدفاع عن نيسابور :**

وفي أوائل عام (٦١٨هـ– ١٢٢١م) هاجم المغول مدينة نيسابور ، وكان **الشيخ القاسم بن عبد الله بن عمر بن أحمد شهاب الدين الصغَّار** – فقيه خراسان ومفتيها ومحدثها – في مقدمة المجاهدين المدافعين عن المدينة، وكان يحرض أهلها على تحصينها والتزود بالأسلحة الفردية والجماعية، وتخزين الطعام الكافي لحصار طويل ..

فلما داهم المغول المدينة بعد الحصار، تصدى العالم المجاهد مع أهل نيسابور للغزاة ، وآثر أن يموت شهيداً على أن يموت ذليلاً ..

ومن العلماء الشهداء المدافعين عن نيسابور، **الشيخ إبراهيم بن علي**

---

(١) انظر : المصدر السابق ، (١٠/٤٠٤ وما بعدها) .

السلمي الفقيه، والإمام نظام الدين الحصيري من أكابر العلماء في زمنه..

لقد شارك هؤلاء العلماء في الجهاد وكانوا في طليعة المجاهدين، وبذلوا أرواحهم للذود عن الإسلام والمسلمين[١].

- **الدفاع عن خوارزم :**

وفي ربيع الأول عام (٦١٨هـ–١٢٢١م) حاصر المغول خوارزم، وكثفوا استعداداتهم لعلمهم بأهمية المدينة، وسعتها، وكثرة سكانها، فهي عاصمة خراسان وأعظم مدنها .. وكان في المدينة كبير علماء خوارزم **الشيخ أحمد بن عمر بن محمد الخوارزمي المتصوف الكبير المشهور بنجم الدين الكبرا**، الذي وصفه الذهبي فقال: " الشيخ، الإمام، القدوة، المحدث، الشهيد، شيخ خراسان، ... الصوفي..، قال ابن نقطة : وهو شافعي، إمام في السنة ... " [٢] وقال عنه ابن قاضي شهبة : "كان ملجأ للغرباء، عظيم الجاه، لا يخاف في الله لومة لائم"[٣] .

فقام الشيخ يجمع الناس ويحثهم على الجهاد، والاستعداد للدفاع عن المدينة .. وأمر بعض العلماء من تلامذته بالخروج من المدينة قبل المعركة ، والتوجه إلى مدن حددها لهم ليقوموا بواجب توعية الناس وتعليمهم، وليكونوا مرجعاً لهم عند الشدائد، وكان من هؤلاء التلامذة الشيخ سيف الدين الباخرزي الذي أسلم على يده سلطان مغول القبيلة الذهبية بركة خان وكان

---

(١) انظر : دور العلماء المسلمين في حركة الجهاد الإسلامي ضد المغول ، عبد الله فراج الشهري ، (ص/٤٩ وما بعدها) .

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، (١١٦/٤٢).

(٣) انظر: الأعلام ، للزركلي، (١٨٥/١).

ذلك فتحاً عظيماً للإسلام كما مر معنا ..

وعندما بدأ هجوم المغول على المدينة، توجه الشيخ نجم الدين الكبرا إلى أبواب مدينة خوارزم مع تلامذته والمجاهدون من أبنائها، فقاتل قتالاً مشهوداً، ومازال صامداً حتى رفعه الله شهيداً وقد تجاوز الثمانين من عمره رحمه الله تعالى[1].

وقد استشهد معه أعداد كبيرة من العلماء .. وعلى أبواب سائر المدن الإسلامية التي اجتاحها المغول، استشهد الآلاف من علماء الأمة الإسلامية من المشهورين أو غير المشهورين ..

ويشير الإمام الذهبي إلى أن عدد الشهداء من العلماء في المعارك التي شنها "قازان" ملك مغول فارس على بلاد الشام وحدها في عام (٦٩٩هـ) بلغ مائة ونيف وتسعين نفساً[2] .

إضاءة

ما سبق ليس إلا أمثلة لبعض العلماء الذين ساهموا في قيادة حركة الجهاد ضد المغول، وقاموا بإيقاد روح الجهاد بين المسلمين، ودفعوهم لأن يموتوا شهداء، لا أن يموتوا أذلاء، وحثوهم على الصبر والصمود والمقاومة وعدم الاستسلام ..

ولم يكن هؤلاء العلماء يأمرون الناس بالجهاد وهم قاعدون، بل كانوا في أول صفوف المجاهدين بل كانوا قادة الجهاد..

---

(١) انظر: عقد الجمان، للعيني ، (٩١/١).

(٢) انظر: تذكرة الحفاظ، للذهبي، (١٨٧/٤) .

ثالثاً: أشهر العلماء الذين عملوا على توحيد كلمة حكام المسلمين، وحرضوا على الجهاد، وحذروا من خطر المغول:

إضاءة

قام العلماء بجهود كبيرة لتوحيد كلمة حكام المسلمين، ليقفوا صفاً واحداً أمام العدوان المغولي، وكذلك عملوا على إصلاح ما بينهم من منازعات وصراعات، لا تخرج عن دائرة التمسك بالحكم وتوسيع دائرة النفوذ والتكالب على الدنيا وبهارجها وشهواتها.

ولكن هذه الجهود لم تؤت أكلها ولم تحقق أهدافها ، بل ذهبت أدراج الرياح بسبب أطماع أولئك الحكام، وركضهم وراء مصالحهم وأنانياتهم على حساب مصالح الأمة ..

فالحكام الذين لا يستجيبون لتوجيهات ربهم جل وعز﴿ ...وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦ ﴾ [سورة الأنفال] كيف يستجيبون لنداء علمائهم؟!!..

إضاءة

الذين لا يستجيبون ستذهب ريحهم، وقد ذهبت ..
تنازعوا فضعفوا وتمزقوا وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم من مغانم فرحون، فأتاهم الطوفان من حيث لم يحتسبوا ، فقضى عليهم وعلى بلادهم، وكأنهم لم يغنوا بالأمس، وأصبحوا ذكرى للذاكرين.

ومع أن هؤلاء العلماء حذروا الحكام من الخطر المغولي القادم ، إلا أن تحذيراتهم ذهبت مع الريح، ونتيجة ذلك دفعت الأمة الإسلامية ثمناً باهظاً

بسبب تخاذل الحكام، لقد اجتاح المغول العالم الإسلامي فدمروه تدميراً شاملاً وقتلوا الملايين، وسبوا الملايين من النساء والأطفال، واتخذوا من الرجال مرتزقة وعبيداً يقاتلون إخوانهم المسلمين وينفذون الصدمة الأولى في المعارك وورائهم جيوش المغول تجني ثمرات الصدام لتسحق ما تبقى من المسلمين ..

ومن أشهر العلماء الذين عملوا على توحيد الصف، وحذروا الحكام من خطر المغول، وحرضوا على الجهاد :

١- الشيخ محي الدين يوسف أبو المحاسن بن الجوزي :

هو ابن علامة عصره في التاريخ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي .. كان الشيخ محي الدين يوسف أستاذ دار الخلافة في عصر الخليفة العباسي المستعصم، وقتل شهيداً مع أولاده الثلاثة يوم دخول هولاكو بغداد [(١)]

في عصره كان الصراع عنيفاً بين سلاطين الدولة الخوارزمية والخليفة العباسي المستنصر ومن بعده المستعصم، في حين أن المغول مزقوا الدولة الخوارزمية في اجتياحهم الأول ووصلوا إلى حدود العراق !!.. ثم عاد السلطان جلال الدين منكبرتي ليجمع الفتات بعد عام (٦٢٠هـ)..

قام الشيخ محي الدين بن الجوزي ببذل جهودٍ كبيرة للإصلاح بين جلال الدين منكبرتي سلطان خوارزم الضعيف أمام المغول، القوي الشرس مع الخلافة العباسية والتي كانت أيضاً لا تألو جهداً لإسقاطه، حتى أن الخليفة المستنصر تآمر مع المغول ضده !!..

---

(١) انظر : الأعلام ، للزركلي ، (٢٣٦/٨) .

في هذه الأجواء العاصفة سافر الشيخ محي الدين أكثر من ألف كيلومتر ليلتقي السلطان جلال الدين في مدينة خلاط شرق تركيا وجنوب أرمينية.. ولما اجتمع معه حثه على إصلاح ذات البين، وحذره من الخطر المغولي الذي لن يستثني أحداً، ودعاه إلى توحيد الصفوف لمواجهة هذا العدو الذي بدأ يجتاح بلاد المسلمين بلداً بلداً، وكان موقف الشيخ قوياً صريحاً جريئاً واضحاً.

كما أن الشيخ محي الدين كان قد تحدث قبل هذا مع الخليفة المستنصر، ولكن جهوده لرأب الصدع وتوحيد الكلمة فشلت أمام مطامع الحكام و أنانياتهم ، مع وجود الأخطار المحدقة بالجميع .. هؤلاء الحكام لم يستجيبوا لله ورسوله عندما ناداهم يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة الأنفال]

فكيف يستجيبون لابن الجوزي ؟!!..

إضاءة

الذين لا تنفعهم العبر الصارخة في وجوههم، وهم يشهدونها كل يوم، لن تنفعهم الكلمات لأن قلوبهم وأحاسيسهم قد ماتت ..

وفي عام (٦٢٩هـ– ١٢٣١م) عمل على الإصلاح بين الملك الكامل الأيوبي وأمير الموصل وإربل ، ونجح هذه المرة في إزالة الخلاف وتمت المصالحة بينهما.

وفي عام (٦٣٥هـ– ١٢٣٧م) اشتد الصراع بين أمراء البيت الأيوبي على الملك في مصر وبلاد الشام ، وصار كل واحد منهم يطمع في أملاك الآخرين ليضمها إليه وينصب نفسه سلطاناً على مصر وبلاد الشام .. فقد توجه الملك الكامل من مصر إلى دمشق وحاصرها وكان يملكها الصالح إسماعيل واستطاع ابن الجوزي أن يصلح بينهما على أن يمتلك الكامل دمشق بينما يمتلك الصالح إسماعيل بعلبك والبقاع [١] .

وفي عام (٦٣٧هـ– ١٢٣٩م) وبعد وفاة الملك الكامل الأيوبي اشتد النزاع بين ولديه الملك الصالح أيوب والملك العادل فعمل ابن الجوزي في الإصلاح بين الأخوين ولكن جهوده باءت بالفشل[٢].

٢- الشيخ شهاب الدين السهروردي :

هو عمر بن محمد بن عموية، أبو حفص شهاب الدين السهروردي (٥٣٩-٦٣٢هـ)، من كبار الصوفية، شيخ شيوخ بغداد، صاحب كتاب عوارف المعارف [٣] .

اشتد الصراع في عصره بين سلطان خوارزم "علاء الدين خوارزم شاه" وبين الخليفة العباسي (الناصر) ..

والمغول أصبحوا على أبواب الدولة الخوارزمية !!..

---

(١) انظر: السلوك، للمقريزي، (٣٧٩/١) .

(٢) انظر: المصدر السابق، (٣٩٥/١ وما بعدها) .

(٣) انظر: الأعلام ، للزركلي ، (٦٢/٥) .

كان "علاء الدين خوارزم شاه" يطمع بالاستيلاء على بغداد فخرج بجيشه يقصدها إلى أن وصل إلى همذان عام (٦١٤هـ- ١٢١٧هـ)، في وقت كان الصليبيون يتدفقون على عكا ويهاجمون المسلمين فيما حولها ..

وكان " الناصر " يعمل على الإطاحة بعلاء الدين بخوارزم شاه وتمليك البلاد للموالين له ..

رحل السهروردي إلى همذان للإصلاح بين الحاكمين، ودفع مفسدة الصراع العسكري بينهما وحماية الأمة الإسلامية من ويلات الاقتتال [1]. إلا أن تمسك الحاكمين بمواقفهما ومطامعهما وأهوائهما، أفسد جهود السهروردي، وأغرى المغول باجتياح دولة خوارزم ومن وراءها من الدول الإسلامية، وقتل المغول كلاً من الحاكمين المتصارعين خوارزم شاه والمستنصر خليفة بغداد فيما بعد !!..

٣- القاضي كمال الدين موسى بن يونس قاضي الموصل ، والقاضي عماد الدين السكري :

فقد استطاعا تقريب وجهات النظر بين سلطان مغول فارس ، "بوسعيد خربندا" وبين سلطان مصر وبلاد الشام الملك الناصر محمد بن قلاوون، وإقامة الصلح بينهما وتوحيد الجهود لمواجهة أعداء الأمة وجهادهم ..

وقد تم توقيع معاهدة الصلح بينهما عام (٧٢٣هـ- ١٣٢٢م) [2].

---

(١) انظر: البداية والنهاية ، لابن كثير ، (١٨٥/٩) .

(٢) انظر: السلوك، للمقريزي، (3/63).

٤- الشيخ نجم الدين عبد الله محمد بن الحسين البادرائي :

ففي عام (٦٤٦هـ- ١٢٤٨م) نشب صراع بين الحلبيين الذين استولوا على حمص، وبين السلطان نجم الدين أيوب سلطان الشام ومصر ..

فجهز السلطان جيشاً واتجه نحو حمص لإخراج الحلبيين منها، واتجه الشيخ البادرائي إلى الطرفين قادماً ممن بغداد، وبذل جهود حثيثة للصلح بينهما فتم الصلح ورجع العسكر من الطرفين من حيث أتوا، وحقن الله تعالى به دماء المسلمين[١] .

وفي عام (٦٤٨هـ- ١٢٥٠م) قُتل توران شاه آخر سلاطين بني أيوب، فنشب صراع عنيف بين أمراء بني أيوب في بلاد الشام وبين المماليك في مصر الذين قتلوا توران شاه، ودارت حرب طاحنة بين جيش الشاميين وجيش المصريين في غزة.. في حين أن جيوش المغول اجتاحت شرق العالم الإسلامي بكامله واقتربت من حدود العراق، وقد دمر المغول البلاد وقتلوا وسبوا العباد ..

وبقي الصراع قائماً بين الأيوبيين في بلاد الشام والمماليك في مصر حتى عام (٦٥١ هـ- ١٢٥٣م) حيث بذل الفقيه المحدث الشيخ نجم الدين البادرائي جهوداً جبارة للإصلاح بين الملك المعز صاحب مصر من المماليك والناصر يوسف صاحب دمشق من الأيوبيين، فأثمرت جهوده التي بذلها

(١) انظر: السلوك، للمقريزي، (١/٤٣٣ وما بعدها) .

خلال سنتين (٦٥٠هـ و ٦٥١هـ)، وأقام الصلح بينهما [١].

ثم تكرر الصراع بينهما عام (٦٥٣هـ- ١٢٥٥م) فتدخل الشيخ نجم الدين مرة أخرى واستطاع أن يُنهي الصراع بعد الاستعانة بعدد من وجوه الفقهاء الذين بذلوا جهداً جماعياً حتى تحقق الصلح [٢].

٥- سلطان العلماء الشيخ عز الدين بن عبد السلام :

ترأس اجتماعاً للعلماء والأعيان دعا إليه نائب السلطنة في مصر الأمير "سيف الدين قطز" للتشاور بشأن الاجتياح المغولي لشمال بلاد الشام، وبدء توجه هولاكو نحو دمشق، ولدراسة سبل توحيد جهود المصريين والشاميين لصد العدوان المغولي على بلاد الشام ..

فقد اجتمع الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وقاضي القضاة بدر الدين حسن السنجاري، وعدد من القضاة الأعيان والأمراء في مصر، والشيخ كمال الدين عمر ابن العديم من علماء بلاد الشام ..

وخلص هذا الاجتماع إلى قرارات مهمة، ومنها :

- خلع الملك المنصور لصغر سنه وضعفه ، وتولية قطز ليقوم بأمر الجهاد لكفاءته ..
- الاستجابة لطلب سلطان بلاد الشام الملك الناصر الأيوبي ، لتشكيل جبهة موحدة مع الجيش الشامي لمجاهدة التتار ..

---

(١) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، (١٨٤/١٣)، والسلوك، للمقريزي، (٤٧٩/١) .

(٢) انظر: السلوك، للمقريزي، (٤٨٩/١) .

- أن يؤخذ من مال الناس ما يدفع به العدو، عند خلو بيت المال، بشرط تقديم الأمراء ما لديهم من الأموال المكنوزة لديهم أولاً، حتى يتساووا مع العامة ..

وهذه القرارات هي خلاصة الفتوى التي أفتى بها الشيخ عز الدين بن عبد السلام .. يقول ابن إلياس في " بدائع الزهور " : (فلما تكامل ذلك المجلس من الأمراء وأعيان الدولة والقضاة ومشايخ العلماء قام مدع في ذلك المجلس وذكر هيئة سؤال في أمر هولاكو واستيلائه على البلاد ووصوله إلى حلب، وأن بيت المال خالٍ من الأموال، وقد وصل العدو، وطمع في أخذ البلاد، والسلطان صغير السن، وضاعت مصالح الرعية، وأن الوقت محتاج إلى إقامة سلطان كبير تخشاه الناس ويدفع العدو، وأن بيت المال محتاج إلى المساعدة بشيء من أموال الرعية لإقامة الجند وتجهيزهم للسفر وما يعينهم على ذلك.. فأجاب الشيخ عز الدين بن عبد السلام رضي الله عنه في ذلك المجلس وقال: "إذا طرق العدو البلاد وجب على الناس قتاله، وجاز للسلطان أن يأخذ من أموال التجار وأعيان البلد ما يستعين به على تجهيزه العسكر لدفع العدو... لكن بشرط ألا يبقى في بيت المال شيء من السلاح والسروج والذهب والفضة والكبابيش الزركش وأسقاط السيوف الفضة وغير ذلك، وأن كلا من الجند يقتصر على فرسه ورمحه وسلاحه، ويساوي في ذلك بقية العامة في وقت القتال، وأما أخذ أموال التجار والرعية مع موجود ما في بيت المال من السلاح والقماش، فلا يجوز، لأنه من باب أخذ أموال الرعية بغير حق" ثم إن الأمراء تكلموا مع القضاة في إقامة سلطان كبير لدفع العدو، فوقع الاختيار

من الأمراء والقضاة على خلع الملك المنصور علي ابن الملك المعز أيبك التركماني، وأن يسلطنوا الأتابكي "قطز" فعند ذلك خلعوا الملك المنصور علي من السلطنة وولوا الأتابكي قطز) [(١)].

وبعد ذلك أرسل هولاكو رسالة تهديد ووعيد شديدة للملك المظفر قطز، فاستشار الشيخ عز الدين بن عبد السلام، فحثه على الخروج إلى الشام لملاقاته وأكد له بأن النصر سيتحقق بمشيئة الله تعالى .. وقد أفاد هذا التحريض على الجهاد، فتحمس الناس وارتفعت المعنويات، وانعكس ذلك على السلطان وأمراء الجند، فبدأ يُعد العدة للخروج إلى معركة عين جالوت .. وقد قام الشيخ عز الدين بتأليف كتاب عن أحكام الجهاد وفضائله للسلطان قطز وجيشه ليطلعهم على ثقافة الجهاد في الإسلام وعلو مقامه، وأجر من يدعو إليه، والأعظم من ذلك أجر السلطان الذي يقود هذا بفعله فيجند الأجناد ويباشر الجهاد..[(٢)] وانطلق الملك المظفر قطز عام (٦٥٨هـ-١٢٦٠م) إلى عين جالوت وخاض معركة الجهاد ضد المغول، فانهزم المغول أمام المسلمين هزيمة منكرة وقتل قائدهم وأسر ابنه، وتمزق جيشهم شر ممزق، واستطاع المسلمون طردهم من جميع بلاد الشام.. إن النصر في عين جالوت غير مجرى تاريخ الصراع مع المغول، وكان للعلماء الأثر البارز في تحقيق النصر.

---

(١) انظر : المختار من بدائع الزهور، لابن إلياس، (٧٨/١ وما بعدها)، والسلوك للمقريزي، (٥٠٧/١) .

(٢) انظر : العز بن عبد السلام ، أحكام الجهاد وفضائله ، تحقيق د. نزيه حماد ، دار الوفاء ، الطبعة الأولى (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م) ، (ص/٥٥) .

إضاءة

من هذه الأمثلة وغيرها يتبين عظم الدور الذي قام به العلماء، لدرء الخطر عن الأمة الإسلامية وإصلاح حالها وتوحيد كلمتها في وجه أعدائها .. فقد استطاعوا مرات عدة حماية الأمة من ويلات الحروب، واستنزاف طاقاتها البشرية والاقتصادية والعسكرية ..

فالصراعات الداخلية تضعف جبهة المقاومة، وتغري الأعداء، وتجعل البلاد لقمة سائغة لهم، يستنزفون خيراتها، ويهددون كرامة أبنائها، ويذلون كبرياءها..

كما قام علماء الصحوة بتحذير الحكام من خطر المغول القادم، وحثوهم على الاستعداد وإعلان النفير العام، وطلبوا من المسلمين التدرب على حمل السلاح والرماية..

إضاءة

بذل العلماء جهوداً عظيمة من أجل إحياء روح الجهاد في الحكام والمحكومين، لاسيما بعد انهيار الحالة المعنوية عند الناس، وغلبة اليأس والقنوط عند عامتهم، واستيلاء الخوف والفزع من التتار، والاعتقاد باستحالة مواجهتهم والانتصار عليهم.. فكان جهد العلماء في إحياء روح الجهاد في الأمة، يساوي إعادة إحيائها بعد موتها وبعثها من جديد[1] ..

(١) انظر: الحوادث الجامعة، لابن الفوطي ، (ص/٥٤) .

حقيقة

لا يخلو كل زمان من حكام سوء ومثلهم من علماء السوء، الذين يتقربون من الطغاة حفاظاً على مصالحهم، ويبررون للطغاة طغيانهم، ويسكتون عن الحق، بل ويزينون الباطل ويظهرونه.. بل ظهر فئة من العلماء كانوا يرافقون سلاطين المغول الطغاة، ويقدمون لهم المشورة، ويصحبونهم في حروبهم على من جاورهم من المسلمين!!.

إضاءة

لا يخلو كل زمان أيضاً من علماء بسطاء دراويش يستخدمهم حكام السوء لتحقيق مصالحهم الخسيسة، فيستخفون عقولهم، ويظهرون لهم غير ما يبطنون، فيصدقونهم وينقادون لهم وهم ساهون غافلون ..

المطلب الثاني : دور صُنّاع الصحوة والنصر من الحكام والعسكريين والمجاهدين :

لا يمكن أن يتحقق النصر إلا إذا توافر في الأمة الحكام المجاهدون المخلصون، والعلماء المجاهدون الناصحون، واستعداد للتضحية من جميع طبقات الأمة ، والاستعدادات المادية والمعنوية المناسبة لحجم وأهمية الصراع ..

إضاءة

إن تهيئة الأمة للتضحية، وتنمية الوعي بين أفرادها هي مسؤولية الحكام والعلماء والخبراء .. وإن أخذ الاستعدادات المناسبة، مسؤولية الحكام والعلماء والخبراء أيضاً .

والملاحظ أنه بعد مرور /٤٢/ عاماً على بدء الاجتياح المغولي للمشرق الإسلامي، وصلت جيوش المغول بقيادة هولاكو إلى بوابة مصر في غزة عام (٦٥٨هـ-١٢٦٠م) ..

وخلال هذه المدة لم تظهر أي قيادة عسكرية تمتلك الكفاءة لوقف هذا الزحف المغولي.. وبقي المغول يكتسحون العالم الإسلامي بلداً إثر بلد حتى وصلوا إلى حدود مصر، التي يحكمها سلطان جديد، هو الملك المظفر قطز الذي لم يمض على توليه الحكم سوى سنة وبضعة أشهر (سنة وعشرة أشهر تقريباً) ..

أهم قادة الصحوة والنصر على المغول من الحكام المجاهدين:

١-الملك المظفر قطز:

إنه الملك المظفر قطز الذي استجاب لدعوة علماء المسلمين بحمل راية الجهاد والتصدي للمغول، فخرج بجيشه من مصر بعد أخذ الاستعدادات اللازمة حتى وصل إلى عين جالوت، وقاد معركة النصر الحاسم وأوقف زحف المغول لأول مرة، ثم جعلهم يرتدون على أعقابهم حتى حرر جميع بلاد الشام منهم ..

وقد تحدثنا مطولاً عن معركة التحرير في عين جالوت في هذا الكتاب، من التحضيرات إلى وقائع المعارك، إلى النتائج العظيمة لهذه المعركة ..

وبهذا كان الملك المظفر قطز أول قائد من قادة المقاومة والصحوة والنصر، الذين دافعوا عن الرسالة والرسول ﷺ والمسلمين في وجه العدوان المغولي.. ثم تبعه مجموعة من القادة، الذين تابعوا الصراع مع العدو المغولي حتى هزموه نهائياً .

٢-الملك الظاهر بيبرس.

* وقف الملك الظاهر بيبرس بقوة في وجه أطماع المغول لمدة ثمانية عشر عاماً، أي من (٦٥٨هـ) إلى (٦٧٦هـ)، وقد حقق إنجازات عدة أهمها:

١- استطاع أن يحافظ على وحدة مصر وبلاد الشام.

٢- استطاع أن يحمي أراضي الدولة من هجمات المغول، وأن يمنعهم من العودة لاحتلال أي جزء من بلاد الشام.

٣- كما استطاع أن يقيم تحالفاً قوياً مع ملك مغول القبجاق "بركة خان" وحثَّه على مقاومة "هولاكو" ملك مغول فارس، مما أشغل "هولاكو" عن مصر وبلاد الشام، والتفرغ للصراعات المغولية الداخلية.

٤- استطاع أن يوسع جبهة المقاومة حتى وصلت إلى ليبيا شرقاً وإلى اليمن جنوباً.

٥- وإذا كان الملك المظفر "قطز" قد أوقف زحف المغول في معركة عين جالوت، وهزمهم هزيمة عظيمة، فإن الملك الظاهر "بيبرس" قد هزمهم هزيمة منكرة في "إبستلين"[(١)] وهي المعركة الأكبر التي يُهزم فيها المغول بعد عين جالوت..

* كان الملك الظاهر بيبرس زاهداً في المال، محباً للجهاد في سبيل الله تعالى، وكان يُخاطب أمراءه قائلاً: (ومن احتاج إلى شيء من العسكر أعطيته، وما أنا إلا كأحدكم يكفيني فرس واحد، وجميع ما عندي من خيل

(١) إبستلين تقع في وسط تركيا.

وجمال ومال كله لكم، ولمن يجاهد في سبيل الله)[1].

* كان قدوة، يجاهد أمام الجيش، ويعمل مع الجنود كما يعملون، وينقل الحجارة بنفسه..

■ فقد كتب للأمراء وصاحب حماة بالإقامة على تحصين البيرة عام (٦٦٣هـ) (حتى ينظف الخندق من الحجارة التي ردمها العدو فيه، فكانت الأمراء تنقل الحجارة على أكتافها مدة. وبعثوا بخبر ذلك إلى السلطان وهو واقف على سور قيسارية ليهدمه بنفسه وفي يده القطاعة وقد تجرَّحت يده. فكتب جوابهم: "إنا بحمد الله ما تخصصنا عنكم براحة ولا دعة، ولا أنتم في ضيق ونحن في سعة. ما هنا إلا ما هو مباشر الحروب الليل والنهار، وناقل الأحجار، ومرابط الكفار، وقد تساوينا في هذه الأمور، وما ثمَّ ما تضيق به الصدور")[2].

■ وعندما وجَّه الناس للحفر في بحر أشموم (قريباً من دمياط) عام (٦٦٣هـ) قسَّم العمل على الأمراء، كما عمل بنفسه وحمل القفَّة مملوءة بالتراب على كتفه، والناس تشاهده فوقع الاجتهاد في الحفر (أي تحمَّس الناس) واستمر السلطان على العمل بنفسه.في كل يوم ... فتنجز العمل في ثمانية أيام.[3]

---

(١) انظر: السلوك، للمقريزي، (١٠/٢).

(٢) المصدر السابق، (١٨/٢).

(٣) المصدر السابق، (٢٦/٢).

■ وفي عـام (٦٦٤هـ-١٢٦٦م)عنـدما حاصـر صـفد في رمضـان، (وقدِمت المجانيق من دمشق إلى يعقوب ... وصار السلطان يلازم الوقوف عندها وهي ترمي)[١] وبعد النصر وفتح قلعة صفد، صعد الملك الظاهر بيبرس إلى القلعة، ونقل إليها السلاح والعتاد، وحمل بنفسه أمام الناس ينقل السلاح والعتاد على كتفه، فاقتدى به الناس فنقلوها في ساعة واحدة..[٢]

■ ويتحدث "سيديو" في كتابه "تاريخ العرب العام" عن الملك "الظاهر بيبرس"، فيقول: (وجد المغول حينما أغاروا على سورية في النصف الأخير من القرن الثالث عشر في مقاومة المماليك وشجاعتهم حاجزاً يتعذر اقتحامه، وانضمت عدة قبائل عربية إلى الجيوش المصرية، فساعدتها على نيل النصر. ولم يتردد بيبرس الذي هو أشهر ملوك المماليك البحرية في الظهور بمظهر المدافع عن الإسلام، على حين لم يفكر أمير بآسيا في النهوض بهذا العبء. وكان الظاهر سياسياً محنكاً، كما كان قائداً ممتازاً)[٣].

■ كان الملك الظاهر بيبرس يخرج في الليل متخفياً ليتفقد أحوال الناس والدولة، ويصلح الخلل كلما ظهر له[٤]..

ومن خلال هذه الصفات المجيدة، استحق الملك "الظاهر بيبرس" أن يكون من أهم قادة الصحوة والمقاومة والنصر، على جبهة الصراع مع المغول.. ولكن

---

(١) المصدر السابق، (٢/٣٤).

(٢) المصدر السابق، (٢/٣٥).

(٣) انظر: تاريخ العرب العام، سيديو، (ص/٤٩٧).

(٤) انظر: السلوك، للمقريزي، (2/ 50)، والنجوم الزاهرة، لابن تغري، (7/131).

أكبر إنجازاته وأعظمها كانت على جبهة الصراع مع الصليبيين.

وقد تحدثنا عن صفاته وميزاته وإنجازاته في هذا الكتاب، في مواضع عدة..

٣- الملك المنصور سيف الدين قلاوون:

* قاد جبهة المقاومة الإسلامية على الجبهة الغربية ضد الصليبيين، وعلى الجبهة الشرقية ضد المغول.. وحقق إنجازات عدة، أهمها:

١- في عام (٦٨٠هـ-١٢٨١م) ألحق بالمغول وحلفائهم من الروم والأرمن وغيرهم هزيمة عظيمة قرب حمص، وكان عدد الجيش المغولي ضعف جيش الملك المنصور، فانتصر المسلمون بإيمانهم وصبرهم وثباتهم، وسحق جيش المغول بين قتيل وأسير، ولم ينجُ منهم إلا القليل.. وتُعد هذه المعركة ثالث أهم المعارك مع المغول بعد "عين جالوت" و"أبستلين" ..

٢- استخدم المقاومة بحديها السياسي والعسكري على نحو متوازن، فمتَّن العلاقة الاستراتيجية مع مغول القبجاق المسلمين ضد هولاكو زعيم مغول فارس وابنه "أبغا خان" من بعده..

٣- حرر أهم القلاع والمدن الساحلية من الصليبيين، وأعد العدة لإخراجهم نهائياً من بلاد الشام ومن آخر معاقلهم في عكا، ولكن المنية وافته قبل أن يبدأ زحفه عليها، وقد كانت إنجازاته على الجبهة الصليبية أكبر من إنجازاته على الجبهة المغولية..

قادة

هؤلاء هم أهم قادة الصحوة والمقاومة والنصر من الحكام المجاهدين ضد المغول.. الذين توافرت فيهم صفات القيادة الناجحة، من الإخلاص، والإرادة الفولاذية، والخبرات الواسعة، والزهد بالمناصب والمكاسب، وحسن التخطيط، والعمل بالشورى، وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، وبناء الدولة الموحدة القوية، وتنفيذ البرامج الإصلاحية.

ومما لاشك فيه أنهم لم يكونوا على درجة واحدة من هذه المواهب والقدرات.

علماء

توحدت جهود هؤلاء القادة مع جهود علماء الصحوة الناصحين المجاهدين، الذين توافرت فيهم صفات العلماء القادة المهتمين بشؤون الأمة الكبرى، والذين أقاموا تحالفاً مع الحكام المجاهدين، وقادوا عمليات التعبئة الفكرية والدينية لإحياء روح الجهاد في الأمة، وشاركوا في الحملات الجهادية، وكانوا إلى جانب القادة والجنود في معارك القتال، وحرضوا الحكام على تحمّل مسؤولياتهم كاملة في الجهاد والتحرير والدفاع عن البلاد والعباد، ونصحوا الحكام وحثُّوهم على إقامة العدل لأنه من أهم شروط النصر، كما دعوهم إلى الالتزام بتعاليم الإسلام، وتنفيذ برامج إصلاحية في المجالات التعليمية والتربوية والعسكرية..

كما ساهم هؤلاء العلماء في نشر الإسلام بين المغول حتى تحوَّل أغلبهم من محاربين للإسلام إلى مناصرين له..

وباجتماع جهود علماء الصحوة المجاهدين مع جهود حكام الصحوة المقاومين، تحقق النصر على المغول الوثنيين، بل أسلم أغلب المغول وانضموا إلى الجبهة الإسلامية...

المطلب الثالث: أهم أسباب انحسار العدوان المغولي على العالم الإسلامي.

١- لم يكن وراء هذا العدوان أهداف عقائدية أو حضارية، بل كان توسُّعاً همجياً يهدف إلى توسيع دائرة السيطرة المغولية، بقصد إخضاع الشعوب ونهب خيراتها وثرواتها.

٢- الاتساع الكبير في غزو الممالك البعيدة عن مركز الدولة في "قره قورم" ثم "سمرقند" أضعف قدرة المغول على الاحتفاظ بهذه الممالك، وأدى للانحسار التدريجي نحو المركز.

٣- خُبُوُّ القوة العسكرية، والحماسة العارمة التي رافقت الاندفاعة الأولى للغزو.

٤- فقدان القيادة الملهمة المسيطرة، وظهور صراعات بين الأمراء للسيطرة على الحكم، وتفتُّت الإمبراطورية إلى ممالك متشرذمة..

٥- ظهور رجال الصحوة الإسلامية من الحكام المجاهدين، أصحاب الكفاءة العالية، المدعومين من شعوبهم، والذين قادوا حركة المقاومة ضد المغول، وحققوا الانتصارات الباهرة.

رؤية

إن اتحاد مصر وبلاد الشام في جبهة مقاومة واحدة، شكلت نواة صلبة لدحر العدوان، وقد أثبتت وقائع التاريخ أنه كلما اتحدت بلاد الشام ومصر كان النصر

٦- ظهور رجال الصحوة من العلماء الربانيين، الذين دعموا قيادات المقاومة، ونشروا ثقافة الجهاد، وشكَّلوا رأياً عاماً قوياً وداعماً لمقاومة العدوان.

٧- وعندما انهزم الحكام المفرِّطون وجيوشهم أمام المغول، هبَّ جيش الدعاة

الربانيين، فأدخلوا ملوك المغول في الإسلام، ومن ورائهم رعاياهم، وحولوهم من جيوش عدوان على الإسلام، إلى جيوش مناصرة للإسلام والمسلمين.

يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧ ﴾ [سورة محمد]، ويقول جل وعز: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١ ﴾ [سورة المجادلة].

❖ **اللهم اجعل لنا في قراءة التاريخ عبرة وعظة ننتفع بها في حاضرنا ومستقبلنا..**

إضاءة

السعيد من وعظ بغيره، والشقي من لم يتعظ إلا بنفسه.

فالشقي لايستفيد من التجارب والخبرات التي جرت على غيره، ليتجنب السقوط في المهالك التي وقعوا بها، ولايتعظ إلا إذا وقع بالمهالك بنفسه!!..

❖ **اللهم اجعلنا من قادة الصحوة والنصر، ومن المدافعين عن الرسالة والرسول ﷺ والمسلمين..**

ولا تجعلنا من الخائنين أو المتخاذلين اللاهثين وراء مصالحهم والذين أعمتهم شهواتهم الخسيسة فخانوا الأمة وأسلموها لأعدائها..

❖ **اللهم لا تجعلنا من الطواغيت الجبارين على المسلمين، الجبناء المهزومين المستسلمين أمام أعداء الأمة..**

❖ **اللهم هيىء لهذه الأمة أمر رشد تُعز به المسلمين وتنصرهم على أعدائهم..اللهم آمين.. والحمد لله رب العالمين.**

تمَّ بعون الله تعالى إنجاز هذا الكتاب بعنوان

العدوان الإفرنجي والمغولي

على الرسالة والرسول ﷺ والمسلمين

من سلسلة

(دراســـات وأبحـــاث)

نسأل الله تعالى المعونة والسداد لإخراج بقية أجزائها...

وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم...

وأن ينفعنا وينفع بها المسلمين...

وأن يجعل فيها بركاته، وأنظار سيد المرسلين...

والحمد لله رب العالمين...

الفهارس

فهرس أهم الأحداث حسب التسلسل الزمني.

فهرس الخرائط.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس المحتويات.

فهرس أهم الأحداث حسب التسلسل الزمني

التاريخ	الحدث
٩٢هـ-٧١١م	دخول الإسلام إلى الأندلس على يد "طارق بن زياد".
٩٥هـ-٧١٤م	تشكيل أول تجمع صليبيي شمالي الأندلس من بقايا الصليبيين الذين فروا إلى جبالها.
١٣٨هـ-٧٥٦م	انفصال الأندلس عن الخلافة العباسية، وتأسيس الدولة الأموية فيها بقيادة "عبد الرحمن الداخل".
١٥٠هـ-٧٦٧م	بدء الحروب الصليبية في الأندلس،حيث قام "فرويلة" بالاستيلاء على المناطق المجاورة لمدينة "ليون" شمالي غرب الأندلس بسبب الثورات الداخلية.
١٦١هـ-٧٧٨م	بدء الحملات الصليبية التمهيدية بقيادة "شارلمان" على الأندلس بمباركة البابا "بارك".
٢١٢هـ-٨٢٧م	فتح صقلية بقيادة "أسد بن الفرات" في عهد الخليفة العباسي المأمون.
٢٥٥هـ-٨٦٩م	فتح جزيرة مالطة بقيادة سلطان الأغالبة في تونس محمد بن الأغلب.
٣٠١هـ-٩١٣م	حرر الخليفة الأموي في الأندلس "عبد الرحمن الداخل" إشبيلية وسرقسطة وبربشتر من الصليبيين، ووحد الأندلس، وجعل عاصمته قرطبة عاصمة الحضارة في عصره.
٣٢١هـ-٩٣٣م	بدء الحروب الصليبية البيزنطية شمالي بلاد الشام.
٣٥٨هـ-٩٦٩م	تأسيس الدولة الفاطمية في مصر بقيادة الخليفة الفاطمي"المعز" في عهد الخليفة العباسي "المطيع".
٣٧٣هـ-٩٨٣م	قاد حاكم الأندلس الحاجب المنصور معركة تحرير "ليون" عاصمة مملكة ليون الصليبية لأول مرة بعد بدء الفتح الإسلامي للأندلس ب/٢٠٠/ سنة.
٣٧٤هـ-٩٨٤م	حرر الحاجب المنصور عاصمة شرقي الأندلس "برشلونة".
٤٠٠هـ-١٠١٠م	بداية تقسيم الأندلس إلى دويلات الطوائف، واستغل الصليبيون الصراعات النامية بين ملوك الطوائف، فسيطروا على الثلث الشمالي من الأندلس.
٤٢٩هـ-١٠٣٧م	تأسيس الدولة السلجوقية في آسيا الوسطى بقيادة "طغرل بك" في عهد الخليفة العباسي "القائم".

٤٤٤هـ-١٠٥٢م	بدء الحملة الصليبية على صقلية بمباركة البابا.
٤٤٨هـ-١٠٥٦م	تأسيس دولة المرابطين في المغرب الأقصى والأندلس بقيادة "أبو بكر بن إبراهيم اللمتوني" من قبائل البربر ومن بعده "يوسف بن تاشفين"، في عهد الخليفة العباسي "القائم".
٤٦٣هـ-١٠٧١م	معركة "ملاذكرد" التي انتصر فيها السلطان السلجوقي "ألب أرسلان" على الإمبراطور "رومانوس" وقام بأسره.
٤٧٠هـ-١٠٧٧م	تأسيس الدولة الخوارزمية بقيادة "خوارزم شاه" في عهد الخليفة العباسي "المقتدي" والتي امتدت من حدود الصين والهند إلى العراق .
٤٧٨هـ-١٠٨٥م	سقوط مدينة "طليطلة" في الأندلس بيد الصليبيين بعد بقائها /٤٠٠/سنة تحت السيادة الإسلامية.
٤٧٩هـ-١٠٨٦م	معركة الزلاقة أشهر معارك الأندلس بقيادة أمير المرابطين "يوسف بن تاشفين" في مواجهة الجيش الصليبي الذي تجمَّع بدعوة من البابا "أوربان الثاني" تحت راية الحرب الصليبية المقدسة.
٤٨٠هـ-١٠٨٧م	بدء الحملات الصليبية التمهيدية على شمالي أفريقيا .
٤٨٢هـ-١٠٨٩م	دعا البابا "أوربان الثاني" إلى حرب صليبية لمساندة مسيحيي "أسبانيا".
٤٨٤هـ-١٠٩١م	سقوط صقلية نهائياً بيد الصليبيين بعد أن بقيت تحت السيادة الإسلامية أكثر من قرنين ونصف ثم سقطت جزيرة "مالطا" بيدهم بعد أن بقيت تحت السيادة الإسلامية أكثر من /٢٢٠/ سنة.
٤٨٨هـ-١٠٩٥م	دعوة البابا "أوربان الثاني" لبدء الحملات الصليبية المشهورة على بلاد الشام
٤٨٩هـ-١٠٩٦م	قضاء "قلج أرسلان" السلطان السلجوقي على طلائع الحملات الصليبية بقيادة "بطرس الناسك".
٤٩١هـ-١٠٩٨م	استيلاء الصليبيين على "الرها" التابعة لإمارة الجزيرة وإقامة أول إمارة صليبية فيها، ثم الاستيلاء على "أنطاكية" وتأسيس ثاني إمارة صليبية فيها.
٤٩١هـ-١٠٩٨م	استيلاء الفاطميين على بيت المقدس من السلاجقة.
٤٩٢هـ-١٠٩٩م	استيلاء الصليبيين على بيت المقدس وإقامة إمارتهم الصليبية الثالثة.
٤٩٧هـ-١١٠٤م	ظهور بدايات المقاومة الإسلامية ضد الاحتلال الصليبي، بقيادة تحالف من "شمس الدولة جرمكش" حاكم الموصل، و"سقمان الأرتقي" حاكم ماردين، فهزما تحالفاً من أمير الرها وأمير أنطاكية وأمير تل باشر وأسرا الأمراء الصليبيين الثلاثة.

٥٠٠هـ-١١٠٧م	وفاة المجاهد "يوسف بن تاشفين" عن عمر يناهز مئة سنة، وتولي المجاهد "علي بن يوسف بن تاشفين" قيادة الدولة المرابطية في المغرب والأندلس.
٥٠١هـ-١١٠٨م	قاد المجاهد "علي بن يوسف بن تاشفين" معركة "أليش" في الأندلس، وسحق جيش "ألفونسو السادس" وقتل قوّاده السبعة.
٥٠٢هـ-١١٠٩م	استيلاء الصليبيين على طرابلس الشام، وإقامة إمارة صليبية رابعة فيها.
٥٠٣هـ-١١١٠م	جرت معركة "القضاة" في الأندلس وانهزم الصليبيون أمام جيش المجاهد "علي بن يوسف بن تاشفين"، ونُسبت للقضاة لكثرة الشيوخ القضاة الذين شاركوا فيها .
٥١٢هـ-١١١٨م	سقوط مدينة "سرقسطة" في الأندلس بيد "ألفونسو المحارب" بعد أن بقيت تحت السيادة الإسلامية أكثر من /٤٠٠/سنة.
٥١٧هـ-١١٢٣م	بداية الحروب الصليبية المنطلقة من صقلية نحو تونس وشمالي أفريقيا.
٥٢١هـ-١١٢٧م	تولى "عماد الدين زنكي" إمارة الموصل، وبدأ بتوحيد جبهة المقاومة الإسلامية ضد الصليبيين في بلاد الشام.
٥٢٤هـ-١١٣٠م	تأسيس دولة الموحدين في المغرب الأقصى على أنقاض دولة المرابطين بقيادة "عبد المؤمن بن علي" في عهد الخليفة العباسي "المسترشد".
٥٣٩هـ-١١٤٤م	حرر "عماد الدين زنكي" إمارة "الرها" من الصليبيين بعد أن دام احتلالهم لها /٤٨/سنة.
٥٤٠هـ-١١٤٥م	دعا البابا "أوجان الثالث" إلى الحملة الصليبية الثانية بعد /٥٠/ سنة على بدء الحملة الأولى.
٥٤١هـ-١١٤٦م	اغتيال الملك الشهيد "عماد الدين زنكي" وتولي ابنه الملك العادل "نور الدين زنكي" قيادة المقاومة الإسلامية، الذي حرر "الرها" بعد احتلالها مرة ثانية.
٥٤٢هـ-١١٤٧م	قاد ملك فرنسا "لويس السابع" وإمبراطور ألمانيا "كونراد الثالث" الحملة الصليبية الثانية على بلاد الشام.
٥٤٣هـ-١١٤٨م	حاصرت الحملة الصليبية الثانية دمشق، فدافع أهلها عنها وفشلت الحملة، وعاد الصليبيون إلى ديارهم مخذولين.
٥٤٣هـ-١١٤٨م	احتل صليبيو صقلية المهدية في تونس ثم طرابلس الغرب.
٥٤٤هـ-١١٤٩م	أتمَّ الصليبيون احتلال ثلثي الأندلس شمالاً.
٥٥١هـ-١١٥٦م	ثار المسلمون في شمالي أفريقيا على الصليبيين وحرروا صفاقس وطرابلس الغرب وعنابة.

٥٥٤هـ-١١٥٩م	حرر الموحدون بقيادة السلطان "عبد المؤمن" زويلة والمهدية بعد /١٢/ سنة من احتلالها.
٥٦٧هـ١١٧١م	استلم "صلاح الدين الأيوبي" وزارة الخليفة الفاطمي "العاضد" وأسقط الخلافة الفاطمية في مصر التي حكمتها /٢٠٩/ سنة هجرية.
٥٦٩هـ-١١٧٤م	وفاة الملك العادل "نور الدين زنكي" وتولي الملك الناصر "صلاح الدين الأيوبي" قيادة جبهة المقاومة الإسلامية.
٥٧٠هـ-١١٧٥م	توحيد "صلاح الدين الأيوبي" مصر مع بلاد الشام في جبهة واحدة.
٥٨٣هـ-١١٨٧م	قاد "صلاح الدين" الموجة الأولى من حروب التحرير وحقق انتصارا ساحقا على الصليبيين في معركة "حطين" ثم حرر بيت المقدس .
٥٨٥هـ-١١٨٩م	بدء زحف الحملة الصليبية الثالثة على بلاد الشام بقيادة إمبراطور ألمانيا "فريدريك بربروسا" وملك فرنسا "فيليب أوغسطس" وملك إنكلترا "ريتشارد قلب الأسد"..
٥٨٧هـ-١١٩١م	سقوط مدينة عكا بيد الحملة الصليبية الثالثة..
٥٨٨هـ-١١٩٢م	انتهاء الحملة الصليبية الثالثة بعقد هدنة مع صلاح الدين..
٥٨٩هـ-١١٩٣م	وفاة الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي وبدء الصراع على الحكم بين الأيوبيين..
٥٩١هـ-١١٩٥م	جهز "ألفونسو الثامن" ملك قشتالة في الأندلس حملة صليبية اجتمع لها حشد كبير من صليبيي أوروبا، بدعم من البابا ووعده بالغفران ودخول الجنة لمن يُشارك فيها، فانتصر المسلمون عليهم في معركة "الأرك" انتصاراً ساحقاً بقيادة يعقوب المنصور بن يوسف الموحدي..
٥٩٥هـ-١١٩٨م	دعا البابا "أنوسنت الثالث" إلى حملة صليبية رابعة، بهدف احتلال بيت المقدس، ولكنها فشلت في ذلك..
٥٩٦هـ-١٢٠٠م	تفجَّر الصراع بين الدولتين الخوارزمية والغورية القريبتين من دولة المغول، واستعان الخليفة العباسي الناصر لدين الله بالمغول للقضاء على الدولة الخوارزمية..
٦٠٧هـ-١٢١٠م	دعا البابا "أنوسنت الثالث" إلى حملة صليبية جديدة في الأندلس تحت شعار "كلنا صليبيون". .
٦٠٩هـ-١٢١٢م	جرت معركة "العقاب" في الأندلس، وجرى احتلال "أبدة" وقتل وأسر أهلها..
٦١٠هـ-١٢١٣م	دعا البابا "أنوسنت الثالث" إلى حملة صليبية خامسة على بلاد الشام..
٦١٥هـ-١٢١٨م	قاد "حنا دي برين" ملك مملكة بيت المقدس الصليبية الحملة الخامسة على مصر تؤازره قوات من قبرص وأوروبا بناء على دعوة البابا، كما وصلت إمدادات من فرنسا وإنكلترة..

٦١٦هـ-١٢١٩م	سقوط دمياط بيد الحملة الصليبية الخامسة..
٦١٦هـ-١٢١٩م	بدء الزحف المغولي على الجبهة الشرقية، واكتساح الدولة الخوارزمية، وتدمير "بُخارى"..
٦١٧هـ-١٢٢٠م	انهزام سلطان الدولة الخوارزمية "خوارزم شاه" وموته في جزيرة في بحر قزوين، ودمر المغول "سمرقند" و "أورجندة" العاصمة الخوارزمية، واستولوا على أقاليم خراسان وأذربيجان وأرمينيا وجورجيا..
٦١٨هـ-١٢٢١م	انهزام الحملة الصليبية الخامسة وتسليم دمياط للمسلمين، ورجوعها إلى بلادها خائبة بعد ثلاث سنوات..
٦١٨هـ-١٢٢١م	استيلاء المغول على داغستان والشيشان وإيران..
٦١٩هـ-١٢٢٢م	أحكم "جنكيز خان" الاستيلاء على المناطق المعروفة في عصرنا بدول كزاخستان وقرغيرستان وطاجيكستان وأوزباكستان وأفغانستان وتركمانستان وأذربيجان وأرمينيا وجورجيا ومعظم باكستان ومعظم إيران وأجزاء من شمالي الهند. .
٦٢٤هـ-١٢٢٧م	دعا البابا "هنريوس الثالث" إلى حملة صليبية سادسة لاحتلال بيت المقدس..
٦٢٤هـ-١٢٢٧م	وفاة "جنكيز خان" الخاقان الأكبر للمغول..
٦٢٥هـ-١٢٢٧م	وصل إمبراطور ألمانيا "فريدريك" إلى عكا على رأس الحملة السادسة، وكان الملك الكامل الأيوبي في مصر قد وعده بتسليمه بيت المقدس إذا قدم إلى عكا ودعمه في صراعه مع ابن عمه الملك المعظم الأيوبي!!..
٦٢٦هـ-١٢٢٩م	سلَّم الملك الكامل الخائن بيت المقدس للإمبراطور "فريدريك" بلا مقابل..
٦٢٦هـ-١٢٢٩م	انتخاب "أجتاي" خاقاناً جديداً للمغول..
٦٢٧هـ-١٢٣٠م	قاد "خايمي" ملك أراغون حملة صليبية شارك فيها الفرنسيون والإيطاليون على جزر البليار التابعة للأندلس، واحتلوا "ميورقة" عاصمة الجزيرة الكبرى وقتلوا أهلها وأسروا منهم.
٦٢٨هـ-١٢٣١م	استولى المغول مرة ثانية على الدولة الخوارزمية، ومقتل السلطان"جلال الدين منكبرتي" وزحفوا حتى وصلوا إلى ديار بكر على حدود العراق..
٦٣٣هـ-١٢٣٥م	سقوط "قرطبة" عاصمة الخلافة في الأندلس بيد الصليبيين بعد بقائها /٥٠٠/ سنة تحت السيادة الإسلامية..
٦٣٤هـ-١٢٣٧م	استيلاء المغول على أربل شمالي العراق، وعلى مدينة سامراء..
٦٣٦هـ-١٢٣٩م	سقوط "بلنسية" الأندلسية بيد الصليبيين بعد بقائها /٥٠٠/ سنة تحت السيادة الإسلامية، وبدأ ما تبقى من الأندلس ينهار بسرعة أمام الصليبيين..

٦٤٢هـ-١٢٤٤م	قام الملك الصالح نجم الدين أيوب بتحرير بيت المقدس من الصليبيين مرة ثانية..
٦٤٣هـ-١٢٤٥م	أعلن البابا في مجمع كنسي في "ليون" عن حملة صليبية سابعة لاحتلال بيت المقدس.
٦٤٥هـ-١٢٤٧م	سقوط "إشبيلية" بيد الصليبيين بعد بقائها /٥٠٠/ سنة تحت السيادة الإسلامية..
٦٤٧هـ-١٢٤٩م	وصل الملك "لويس التاسع" ملك فرنسا إلى دمياط على رأس الحملة الصليبية السابعة، واستولى عليها..
٦٤٧هـ-١٢٥٠م	توفي الملك الصالح نجم الدين أيوب أثناء مواجهته للحملة الصليبية السابعة، وتولى بعده ابنه الملك المعظم "توران شاه"..
٦٤٨هـ-١٢٥٠م	انهزم الصليبيون في دمياط، وأُسر "لويس التاسع" ملك فرنسا..
٦٤٨هـ-١٢٥٠م	اغتيال "توران شاه" وسقوط الدولة الأيوبية، وبروز دولة المماليك..
٦٥٠هـ-١٢٥٢م	دخول السلطان "بركة خان" خان مغول القبيلة الذهبية وكثير من قومه في الإسلام، فكان حدثاً ساعد على هزيمة "هولاكو" ومغول فارس..
٦٥٦هـ-١٢٥٨م	اجتياح "هولاكو" للعراق ومقتل الخليفة العباسي المستعصم، وسقوط الخلافة في بغداد، ومقتل مليوني مسلم حسب ((المقريزي في السلوك))..
٦٥٧هـ-١٢٥٩م	تولى الملك المظفر "قُطز" حكم مصر وقيادة جبهة المقاومة الإسلامية في مصر وبلاد الشام. .
٦٥٨هـ-١٢٦٠م	حصار "هولاكو" لمدينة حلب ثم احتلالها واستباحتها، واستسلام حماة وحمص وسقوط "ميافارقين" بعد حصار سنة ونصف، ثم سقوط دمشق والتنكيل بها..
٦٥٨هـ-١٢٦٠م	سحق الملك المظفر "قطز" جيوش المغول في معركة عين جالوت وحرر دمشق وبلاد الشام منهم..
٦٥٨هـ-١٢٦٠م	مقتل الملك المظفر "قطز" وتولي الملك الظاهر "بيبرس" قيادة جبهة المقاومة الإسلامية في مصر وبلاد الشام..
٦٦١هـ-١٢٦٣م	انتصار "بركة خان" على جيش "هولاكو" عند نهر "ترك".
٦٦٣هـ١٢٦٥م	وفاة "هولاكو" واستلام ابنه "أبغا خان".الملك من بعده .
٦٦٤هـ-١٢٦٥م	دعا البابا "كليمنت الرابع" إلى حملة صليبية ثامنة..
٦٦٥هـ-١٢٦٧م	وفاة "بركة خان" سلطان المسلمين المغول وتولي ابنه "منكوتمر" الملك من بعده..
٦٦٦هـ-١٢٦٨م	حرر الملك الظاهر بيبرس"أنطاكية" من الصليبيين بعد /١٧٥/ سنة من احتلالها، وهي ثاني مملكة صليبية يتم تحريرها بعد "الرها"..
٦٦٨هـ-١٢٧٠م	وصلت الحملة الصليبية الثامنة بقيادة ملك فرنسا "لويس التاسع" إلى تونس.

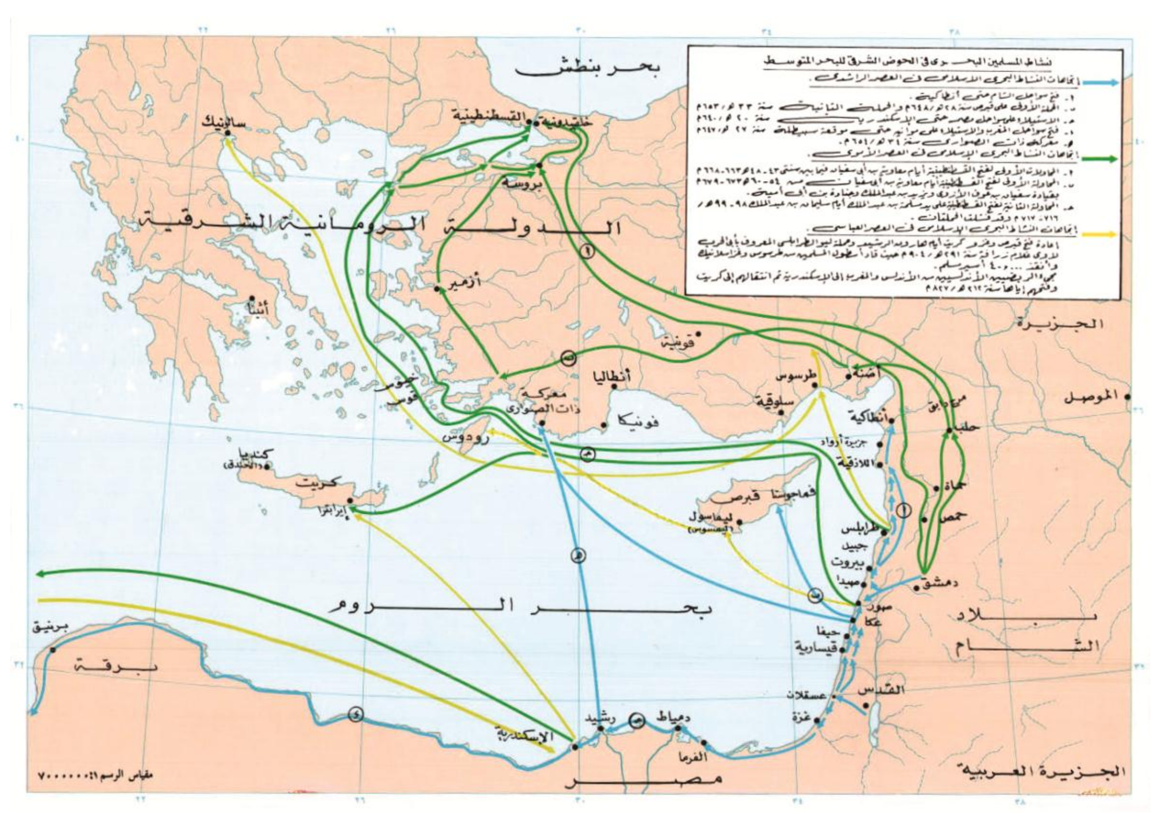
٦٦٩هـ-١٢٧٠م	عقد هدنة بين الصليبيين والمسلمين في قرطاجة، وانسحاب الصليبيين إلى صقلية.
٦٦٩هـ-١٢٧١م	هزم "منكوتمر" قائد المغول المسلمين "أبغا بن هولاكو" قائد مغول فارس هزيمة منكرة.
٦٧٤هـ-١٢٧٥م	قاد "ألفونسو العاشر" هجوماً كبيراً على غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس، فتصدى له المسلمون في الأندلس، وألحقوا به هزيمة نكراء..
٦٧٥هـ-١٢٧٧م	هاجم الملك الظاهر "بيبرس" جيوش سلطان مغول فارس "أبغا خان" في منطقة "أَبُلُسْتَيْن" وسط تركيا فسحقها وحقق نصراً عظيماً، وتُعد معركة "أبلستين" الأهم بعد عين جالوت..
٦٧٦هـ-١٢٧٧م	وفاة الملك الظاهر "بيبرس"..
٦٧٨هـ-١٢٧٩م	تولى الملك المنصور سيف الدين قلاوون قيادة جبهة المقاومة الإسلامية في مصر وبلاد الشام..
٦٨٠هـ-١٢٨١م	وقعت المعركة الأهم بعد عين جالوت وأبلستين مع المغول قرب حمص، واستطاع الملك المنصور سيف الدين قلاوون من سحق تحالف قوامه المغول والكرج (الجورجييون) والروم والأرمن وهزمهم هزيمة منكرة، وتوفي سلطان مغول فارس "أبغا" في العام نفسه..
٦٨٦هـ-١٢٨٧م	تحرير اللاذقية من الصليبيين، بقيادة الملك المنصور سيف الدين قلاوون..
٦٨٨هـ-١٢٨٩م	تحرير طرابلس الشام من الصليبيين وإسقاط إمارتهم فيها بعد أن دامت /١٩٧/ سنة.
٦٨٩هـ-١٢٩٠م	وفاة الملك المنصور سيف الدين قلاوون، وتولي الملك الأشرف خليل قلاوون قيادة جبهة المقاومة الإسلامية في مصر وبلاد الشام. .
٦٩٠هـ-١٢٩١م	تحرير عكا من الصليبيين وإسقاط آخر ممالكهم في بلاد الشام بعد احتلال دام /١٩٩/ سنة، ثم تحرير صور وصيدا وبيروت وطرطوس وحيفا في العام نفسه..
٦٩٩هـ-١٢٩٩م	وقعت معركة في وادي الخزندار قرب حمص بين مغول فارس بقيادة سلطانهم "قازان" وبين جيش بلاد الشام ومصر، بقيادة الملك الناصر محمد بن قلاوون، فانتصر "قازان" انتصاراً ساحقاً وهرب السلطان إلى مصر، ثم توجه "قازان" إلى دمشق فاستولى عليها..
٧٠٢هـ-١٣٠٣م	جرت معركة "شقحب" بين جيش "قازان" سلطان مغول فارس وجيش الشام ومصر بقيادة الملك الناصر محمد بن قلاوون فانتصر المسلمون انتصاراً كبيراً..

٧٠٢هـ-١٣٠٣م	تحرير آخر جيب صليبي في جزيرة أرواد التي دام احتلالها /٢١١/ سنة، وطي صفحة الحروب الصليبية في بلاد الشام نهائياً..
٧٠٣هـ-١٣٠٤م	وفاة "قازان" ملك مغول فارس..
٧٠٨هـ-١٣٠٨م	حاصر الصليبيون آخر ثغر أندلسي بحري على المتوسط وهو مدينة "المرية" وكذلك مدينة جبل طارق واحتلوهما..
٧٤١هـ-١٣٤٠م	بدعوة من البابا احتشدت ثلاثة جيوش صليبية من إنكلترة والبرتغال وقشتالة وأرغون ودارت معركة بينهم وبين مملكة غرناطة فانهزم جيش غرناطة..
٧٤٣هـ١٣٤٢م	استسلام مدن الجزيرة الخضراء الأندلسية للصليبيين، وتشتت سكانها المسلمين..
٧٥٥هـ-١٣٥٤م	قامت مملكة جنوة الإيطالية بحملة صليبية على طرابلس الغرب..
٧٦٧هـ-١٣٦٦م	قام ملك قبرص بحملة صليبية على الإسكندرية بتشجيع من البابا الذي لقبه بـ "الأسد الشجاع"..
٧٧١هـ-١٣٧٠م	بدء ظهور الملك "تيمور لنك" في عاصمة ملكه "سمرقند" .
٧٨١هـ-١٣٧٩م	استيلاء "تيمورلنك" على خوارزم..
٧٨٤هـ-١٣٨٢م	استيلاء "تيمور لنك" على خراسان..
٧٩٠هـ-١٣٨٨م	اشتركت ممالك صقلية وبيزا وجنوا بحملة صليبية على تونس، واحتلوا جزيرة "جربة".
٧٩٢-١٣٩٠م	قامت حملة صليبية كبيرة بقيادة "لويس دي بورون" على مدينة "المهدية" في تونس..
٧٩٥هـ-١٣٩٣م	دانت جميع الممالك من الصين إلى حدود العراق لـ "تيمورلنك"، فتوجه نحو العراق، وحاصر بغداد، واستولى عليها، ونكَّل بها..
٧٩٨هـ-١٣٩٦م	قامت حملة صليبية ضخمة من الفرنسيين والألمان والإنكليز والهنغاريين بدعوة من البابا لمحاربة جيش العثمانيين، فدارت رحى معركة كبيرة عند مدينة "نيقوبوليس"، واستطاع السلطان "بايازيد" إلحاق هزيمة نكراء بالصليبيين. .
٨٠٣هـ-١٤٠٠م	استولى "تيمورلنك" على حلب واستباحها، ثم توجه نحو حماة وحمص ودمشق فاستولى عليها، واستباح دمشق وقتل أطفالها ونهب أموالها وقتل مئات الآلاف من سكانها، ثم عاد إلى بغداد فاحتلها واستباحها مرة أخرى..
٨٠٤هـ-١٤٠٢م	هاجم "تيمورلنك" مملكة السلطان بيازيد العثماني ودارت معركة طاحنة قرب أنقرة انتهت بأسر بيازيد وهزيمة جيشه..

٨٠٧هـ-١٤٠٥م	وفاة الطاغية "تيمورلنك"..
٨٤٨هـ-١٤٤٤م	دعا البابا "أيو جينوس الرابع" إلى حملة صليبية اشتركت فيها صربيا ولاشيا والبوسنة وهنغاريا، ضد جيش السلطان العثماني "مراد الثاني" فدارت بينهما معركة كبيرة عند "فارنا" وانتصر عليهم العثمانيون..
٨٩٣هـ-١٤٨٨م	سقوط مدينة "مالقة" الأندلسية..
٨٩٤هـ-١٤٨٩م	سقطت "المرية" آخر مدينة أندلسية على المتوسط، ولم يبق من الإندلس سوى غرناطة..
٨٩٧هـ-١٤٩٢م	سقوط مدينة غرناطة ودخول الملك "فرديناند الخامس" وزوجته الملكة "إيزابيلا" قصر الحمراء، إشارة إلى انتهاء الحكم الإسلامي في الأندلس الذي دام ما يقارب ثمانية قرون..
٩٣٠هـ-١٥٢٤م	أصدر البابا مرسوماً بإجبار المسلمين الباقين في الأندلس على اعتناق المسيحية الكاثوليكية، والاستيلاء على جميع الجوامع وتحويلها إلى كنائس، وكان هذا بداية استئصال المسلمين دينياً وثقافياً ووجودياً من أسبانيا..
١٠١٨هـ-١٦٠٩م	تقرر طرد جميع المسلمين المتنصرين، لأن تنصرهم مشكوك فيه..

فهرس الخرائط

الخريطة رقم /١/ الحروب الصليبية التمهيدية على بعض جزر المتوسط

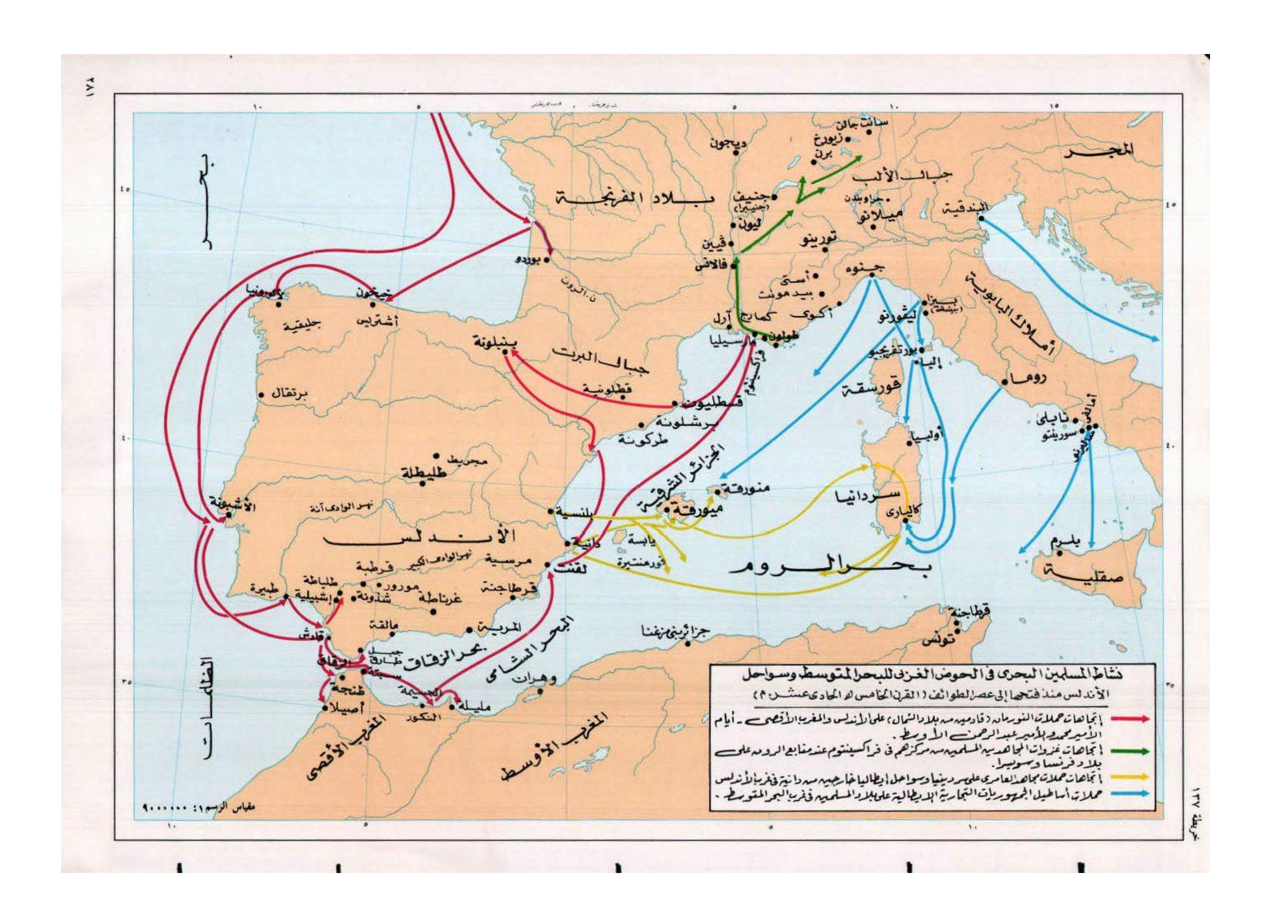


انظر: أطلس تاريخ الإسلام، د.حسين مؤنس، (ص/٢٧٧).

الخريطة رقم /٢/ الحروب الصليبية التمهيدية على بعض جزر المتوسط وشمالي أفريقيا

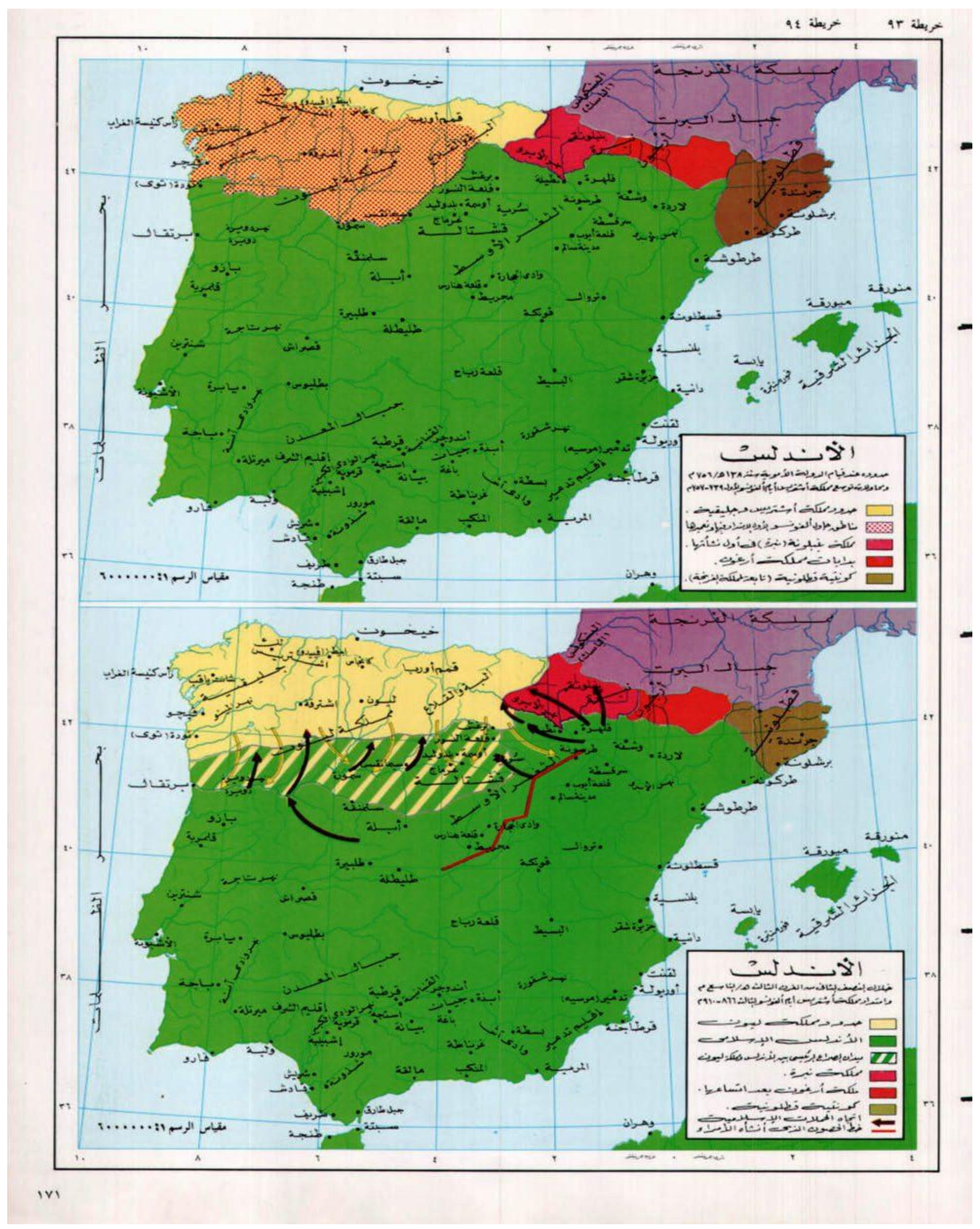
انظر: المصدر السابق، (ص/٢٨٠).

الخريطة رقم /٣/ الحروب الصليبية التمهيدية على بعض جزر المتوسط



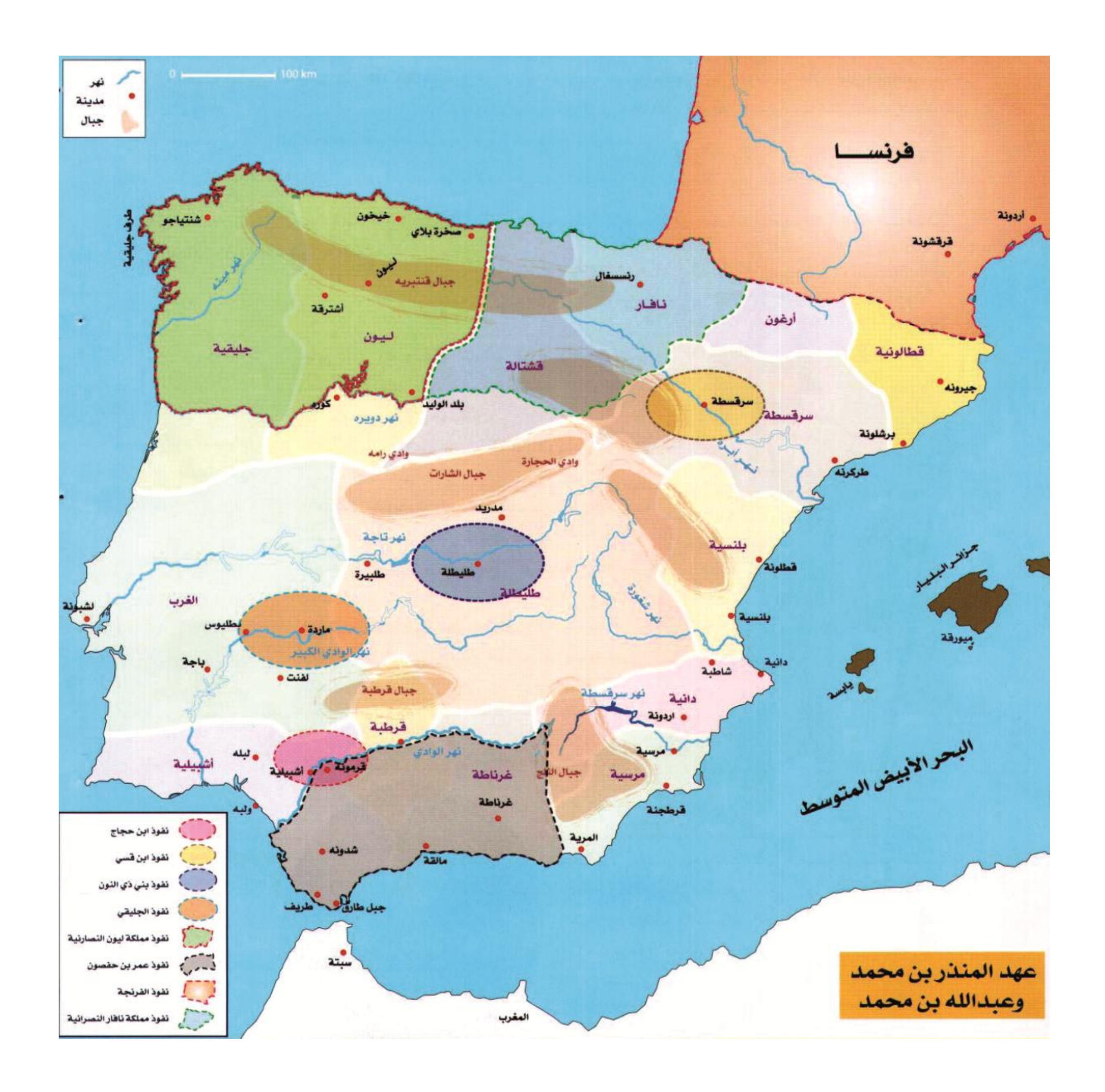
انظر: المصدر السابق، (ص/٢٨١).

الخريطة رقم /٤/ و/٥/ الحروب الصليبية التمهيدية على جهة الأندلس



انظر: المصدر السابق، (ص/١٧١).

الخريطة رقم /٦/ الأندلس بين / ٢٧٣ ـ ٣٠٠ هـ /



انظر: الأندلس التاريخ المصور، د. طارق محمد السويدان، (ص/١٥٠).

الخريطة رقم /٧/ دول الطوائف في الأندلس



انظر: المصدر السابق، (ص/٢٥٦).

الخريطة رقم /٨/ الأندلس في عصر المرابطين



انظر: أطلس تاريخ الإسلام، د.حسين مؤنس، (ص/١٧٤).

الخريطة رقم /٩/ الأندلس في عصر الموحدين



انظر: المصدر السابق، (ص/١٧٥).

الخريطة رقم /١٠/ أهم معارك وأحداث الأندلس



انظر: الأندلس التاريخ المصور، د. طارق السويدان، (ص/٨٢و٣٨٤)، بتصرف.

الخريطة رقم /١١/ الحملة الصليبية الأولى والثانية على بلاد الشام .



انظر: أطلس تاريخ الإسلام ، حسين مؤنس ، (ص/٢٦٢).

الخريطة رقم /١٢/ الإمارات الصليبية في بلاد الشام.



انظر: المصدر السابق، (ص/٢٦٣).

الخريطة رقم /١٣/ الحروب الصليبية على جبهة شمالي أفريقيا المرافقة لحروب بلاد الشام.



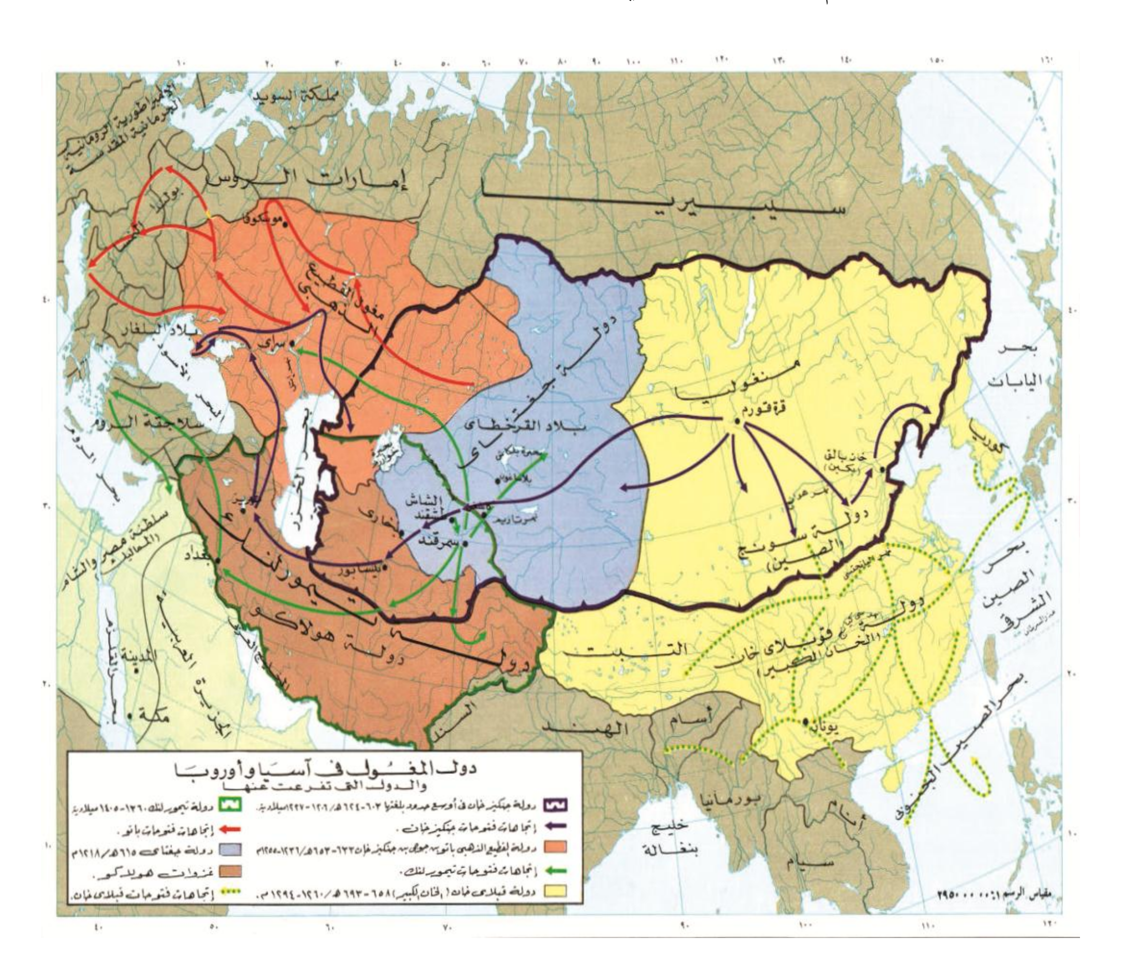
انظر: المصدر السابق، (ص/٢٦٥).

الخريطة رقم /١٤/ الدولة الخوارزمية قبل اجتياح المغول لها.



انظر: المصدر السابق، (ص/٢٢١).

الخريطة رقم /١٥/ دول المغول في آسيا وأوروبا



انظر: المصدر السابق، (ص/٢٢٨).

الخريطة رقم /١٦/ دولة تيمورلنك



انظر: المصدر السابق، (ص/٢٢٩).



فهرس المصادر والمراجع

(١) **القرآن الكريم**.

(٢) **ابن عساكر ودوره في الجهاد ضد الصليبيين**. د.أحمد حلواني، دار الفداء-دمشق.

(٣) **اتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلفا**. تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: د. جمال الدين الشيال، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- القاهرة، الطبعة الثانية [١٩٩٦م].

(٤) **آثار البلاد وأخبار العباد**. زكريا بن محمد بن محمود القزويني، (ت:٦٨٢هـ)، دار صادر – بيروت، [١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م].

(٥) **إحياء علوم الدين**. للإمام محمد أبي حامد الغزالي، دار الخير – دمشق – بيروت، الطبعة الرابعة، [١٤١٧هـ - ١٩٩٧م].

(٦) **الأخبار السنية في الحروب الصليبية**. سيد علي الحريري، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الثالثة، [١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م]، أصله مخطوط صدر في القاهرة عام [١٣١٧هـ - ١٨٩٩م]في عهد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني.

(٧) **استرداد بيت المقدس في عصر صلاح الدين**. عبد الله سعيد الغامدي، بحث مقدم لنيل الماجستير – جامعة أم القرى، [١٤٠١ – ١٤٠٢هـ].

(٨) **الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى**. أحمد بن خالد السلاوي، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ابتداءً من [١٩٤٢م].

(٩) **أضواء جديدة على الحروب الصليبية**. د.سعيد عبد الفتاح عاشور، الدار المصرية – القاهرة، [١٩٦٤م].

(١٠) **أطلس تاريخ الإسلام**. د.حسين مؤنس، الزهراء للإعلام العربي – القاهرة، الطبعة الأولى [١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م].

(١١)**الأغالبة والأدارسة في بلاد المغرب وعلاقتهم بالقوى السياسية المعاصرة لهم**. د.عبد الرحمن محمد بدر، مكتبة الأنجلو مصرية – القاهرة، الطبعة الأولى [١٤٠٦هـ].

(١٢) **إفحام النصارى**. إعداد سليمان بن صالح الخراشي،دار القاسم- الرياض، الطبعة الأولى [١٤١٩هـ].

(١٣) **الألطاف الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الملكية الأشرفية**. محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر، القاهرة [١٩٢٠م].

(١٤) **الأندلس.. التاريخ المصور**. د.طارق السويدان، شركة الإبداع الفكري-الكويت، الطبعة الأولى [١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م].

(١٥)**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**. علي بن أبي زرع الفاسي، دار المنصور - الرباط، [١٩٧٢م].

(١٦) **أوراق ذابلة من حضارتنا "دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية"**. عبد الحليم عويس، دار الصحوة-القاهرة، الطبعة الثانية [١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م].

(١٧) **بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس في العصر الإسلامي**. د.كمال السيد أبو مصطفى، مركز الإسكندرية للكتاب، [١٩٩٧م].

(١٨) **البداية والنهاية**. للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الأولى [١٤٠٨هـ-١٩٨٨م].

(١٩) **بدائع الزهور في وقائع الدهور**. محمد بن أحمد بن إياس الحنفي المصري، كتاب الشعب – القاهرة [١٩٦٠م].

(٢٠) **بغداد مدينة السلام وغزو المغول**. سليمان التكريتي، مكتبة الشرق الجديد- بغداد [١٣٨٨هـ].

(٢١) **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**. لابن عِذَارِى المراكشي، دار الثقافة – بيروت، الطبعة الثالثة، [١٩٨٣م].

(٢٢) **تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبرفي أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**. عبد الرحمن بن خلدون، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الرابعة.

(٢٣) **تاريخ آل سلجوق**. عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني، شركة طبع الكتب العربية – القاهرة، [١٣١٨هـ- ١٩٠٠م].

(٢٤) **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**. د.حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، الطبعة الأولى [١٩٦٧م]

(٢٥) **تاريخ الإسلام**. للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت:٧٤٨هـ)، تحقيق: د.عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى [١٤١٤هـ - ١٩٩٤م].

(٢٦) **تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة**، محمد سهيل طقوش، دار النفائس، الطبعة الأولى [١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م].

(٢٧)**التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية**. علي بن أبي الكرم محمد المعروف بابن الأثير الجزري (٥٥٥-٦٣٠هـ)، تحقيق: عبد القادر طليمات، دار الكتب الحديثة – القاهرة، [١٩٦٣م].

(٢٨) **تاريخ التشريع**. د.محمد فاروق العكام، مطبعة جامعة دمشق، الطبعة الثالثة.

(٢٩) **تاريخ الحروب الصليبية**. محمود سعيد عمران، دار النهضة، الطبعة الثانية [١٩٩٩م].

(٣٠) **تاريخ الحروب الصليبية**. ستيفن رنسيمان، ترجمة: السيد الباز العريني، دار الثقافة – بيروت، [١٩٦٩م].

(٣١)**تاريخ الحضارة الإسلامية في صقلية وأثرها على أوروبا**. حامد زيان غانم زيان، دار الثقافة – القاهرة، [١٩٧٧م].

(٣٢) **تاريخ الدولة البويهية**. د.حسن منيمنة، الدار الجامعية – بيروت، [١٤٠٧هـ-١٩٨٧م].

(٣٣) **تاريخ الدولة العباسية**. الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن علي الخطيب البغدادي، القاهرة [١٩١٦م].

(٣٤)**تاريخ الدولة الفاطمية**. د. محمد جمال الدين سرور، دار الفكر العربي – القاهرة، [١٩٩٥م].

(٣٥)**تاريخ الدولة الفاطمية**. د.حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة، الطبعة السابعة [١٩٨١م].

(٣٦) **تاريخ الطبري–تاريخ الرسل والملوك**. لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤هـ – ٣١٠هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف – مصر، ابتداءً من [١٩٦٠م].

(٣٧) **تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر**، د.اسماعيل أحمد ياغي ومحمود شاكر، دار المريخ- الرياض، طبعة [١٤١٥هـ- ١٩٩٥م].

(٣٨) **تاريخ العرب العام**. سيديو، ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة [١٩٤٨م].

(٣٩) **تاريخ الفقه الإسلامي**. د.عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح - الكويت

(٤٠) **تاريخ المشرق الإسلامي من القرن الخامس حتى القرن السابع الهجري**، جميل بيضون وآخرون، دار الأمل –عمان، الطبعة الأولى [١٩٨٩م].

(٤١) **تاريخ المشرق العربي الإسلامي منذ دخول السلاجقة حتى دخول العثمانيين**. عصام شبارو، دار الفكر اللبناني – بيروت، د.ط.ت.

(٤٢)**تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المَرِيني** (٦١٠هـ-١٢١٣م)-(٨٦٩هـ - ١٤٦٥م). محمد عيسى الحريري، دار القلم - الكويت، الطبعة الثانية، [١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م].

(٤٣) **تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية**، عباس إقبال، ترجمة عبد الوهاب عاشور، المجمع الثقافي أبو طيب [١٤٢٠هـ].

(٤٤) **تاريخ المغول والمماليك**. د.أحمد عودات وجميل بيضون وشحادة الناطور، دار الكندي – الأردن [١٩٩٠م].

(٤٥) **تاريخ الملك الظاهر**. عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم بن شداد (٦١٣هـ - ٦٨٤هـ)، تحقيق: أحمد حطيط، دار فرانسز شتاينر فيسبادن، الطبعة الأولى [١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م].

(٤٦) **تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن**. تاج الدين بن عبد المجيد اليماني، تحقيق: مصطفى حجازي، دار الكلمة – صنعاء، الطبعة الثانية، [١٩٨٥م].

(٤٧) **تاريخ صقلية الإسلامية**. د.عزيز أحمد، ترجمة: د.أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، [١٣٨٩هـ - ١٩٨٠م].

(٤٨) **تاريخ علماء الأندلس**. أبو الوليد عبد الله بن محمد الأزدي (ت:٤٠٣هـ)، الدار المصرية – القاهرة، [١٩٦٦م].

(٤٩) **تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط**. الأمير شكيب أرسلان، دار الكتب العلمية – بيروت، [١٣٥٢هـ – ١٩٣٣م].

(٥٠) **تاريخ مختصر الدول**. غريغوريوس المعروف بابن العبري، دار الرائد اللبناني، الطبعة الثانية[١٤١٥هـ - ١٩٩٤م].

(٥١) **تاريخ مسلمي أسبانيا**، "دوزي"، ترجمة: د.حسن حبشي، مراجعة: د. جمال محرز، مختار العبادي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي – مصر.

(٥٢) **تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بني أيوب**، د.أحمد فؤاد سيد، مكتبة مدبولي – القاهرة، [٢٠٠٢م].

(٥٣) **تاريخ مملكة الأغالبة**. ابن وردان، تحقيق: محمد زينهم محمد، مكتبة مدبولي – القاهرة، الطبعة الأولى، [١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م].

(٥٤) تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، محي الدين عبد الله بن رشيد الدين السعدي بن عبد الظاهر (ت:٦٩٢هـ)، تحقيق: مراد كامل، طبعة القاهرة [١٩٦١م].

(٥٥) **التكملة لكتاب الصلة**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي ابن الآبار، عناية عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي – القاهرة، [١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م].

(٥٦) **تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قازان وبلغار وملوك التتار**. وضع فهارسه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى [١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م].

(٥٧) التوجه الأوروبي إلى العرب والإسلام–حقيقة قادمة وقدر محتوم، "زيغريد هونكة"، ترجمة د. هاني صالح، دار الرشيد ومؤسسة الإيمان–دمشق، الطبعة الأولى، [١٤١٩هـ–١٩٩٨م].

(٥٨) **التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الفرنجية والقبطية**. اللواء محمد مختار باشا، تحقيق وتكملة: د.محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – القاهرة، الطبعة الأولى، [١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م].

(٥٩) **جامع التواريخ– تاريخ المغول– تاريخ هولاكو**. رشيد الدين فضل الله بن عماد الدولة أبو الخير بن موفق الدولة الهمذاني، (ت:٧١٨هـ)، ترجمة: محمد صادق نشأت، محمد موسى هنداوي، فؤاد عبد المعطي الصياد–القاهرة [١٩٦٠م].

(٦٠) **الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية**. د.حامد غنيم أبو سعيد، دار الثقافة – القاهرة، الطبعة الثانية، [١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م].

(٦١) **الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين والمغول في عهد العصر المملوكي**. د.فاد حمَّا، محمد عاشور، دار جروس برس – طرابلس – لبنان، الطبعة الأولى [١٤١٥هـ – ١٩٩٥م].

(٦٢) **جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين**. د.عبد الله سعيد محمد الغامدي، رسالة دكتوراة، جامعة أم القرى– السعودية، [١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م].

(٦٣) **جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين والموحدين**. د.محمد بن إبراهيم أبا الخيل، دار أصداء المجتمع – السعودية، الطبعة الأولى، [١٤١٩هـ – ١٩٩٨م].

(٦٤) **الحركة الصليبية**، د.سعيد عبد الفتاح عاشور، مكتبة الأنجلو مصرية– القاهرة، الطبعة الأولى، [١٩٦٣م].

(٦٥) **الحروب الصليبية بين الشرق والغرب**. د.محمد مؤنس عوض، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى [٢٠٠٠م].

(٦٦) **الحروب الصليبية في المشرق والمغرب**. د.محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي – تونس، [١٩٨٢م].

(٦٧) **الحروب الصليبية في شمال أفريقية وأثرها الحضاري**. د.ممدوح حسين، دار عمار، عمَّان – الأردن، الطبعة الأولى [١٤١٩هـ – ١٩٩٨م].

(٦٨) **الحروب الصليبية**، "آرنست باركر"، ترجمة: د.سيد الباز العريني، دار النهضة العربية – بيروت.

(٦٩) **حروب المغول**، د.أحمد حطيط، دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى [١٩٩٤م].

(٧٠) **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**. الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت:٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة القاهرة [١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م].

(٧١) **حضارة العرب**. للدكتور غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، [١٩٩٧م].

(٧٢) **حملات الغزو المغولي للشرق**. ابن أبي الحديد المدائني، ترجمة:د.مختار جبلي، دار لارماتون – باريس [١٩٩٥م].

(٧٣) **الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة**. كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد الشيباني البغدادي، المعروف بابن الفوطي (ت:٧٢٣هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى [١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م].

(٧٤) **خلاصة التشريع الإسلامي**. عبد الوهاب خلاف، دار القلم- الكويت

(٧٥) **الخلافة العباسية السقوط والانهيار**. فاروق عمر فوزي، دار الشروق-القاهرة، الطبعة الأولى [١٩٩٨م].

(٧٦) **الخلافة العباسية في عهد البويهيين**. د.وفاء محمد علي، المكتب الجامعي الحديث- الإسكندرية.

(٧٧) **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**. لابن حجر العسقلاني القاضي شهاب الدين أحمد بن حجر، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، القاهرة، [١٩٦٦م].

(٧٨) **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية**، حسنين محمد ربيع، دار النهضة العربية- القاهرة، [١٩٨٣م].

(٧٩) **دفاع عن الإسلام**. الدكتورة "لورا فيشيا فاغليري"، ترجمة: منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الأولى [١٩٦٠م].

(٨٠) **دور العلماء المسلمين في حركة الجهاد الإسلامي ضد المغول.** (٦١٦هـ - ٧٢٠م) عبد الله فراج الشهري، رسالة ماجستير – جامعة أم القرى [١٤١٧هـ - ١٩٩٧م].

(٨١) **دور الفقهاء والعلماء المسلمين في الشرق الأدنى في الجهاد ضد الصليبيين خلال الحركة الصليبية.** د.آسيا سليمان نقلي، مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة الأولى [١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م].

(٨٢) **دور نور الدين محمود في نهضة الأمة ومقاومة غزو الفرنجة.** عبد القادر أحمد أبو صيني، رسالة دكتوراة، معهد التاريخ العربي للتراث العلمي.

(٨٣) **دولة الإسلام في الأندلس – عصر سيادة قرطبة.** محمد عبد الله عنان، مؤسسة الخانجي – القاهرة، الطبعة الثالثة، [١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م].

(٨٤) **الدولة الأغلبية،** محمد الطالبي، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية [١٤١٥هـ - ١٩٩٥م].

(٨٥) **الدولة الأيوبية تاريخها السياسي والحضاري.** د.عرب دعكور، دار المواسم – بيروت، الطبعة [٢٠٠٦م].

(٨٦) **الدولة الخوارزمية والمغول.** حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي – القاهرة،[١٩٤٩م].

(٨٧) **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي،** (١٦٠-٢٩٦هـ) ، د.محمد عيسى الحريري، دار القلم- الكويت، الطبعة الثالثة، [١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م].

(٨٨) **دولة المغول والتتار بين الانتشار والانكسار.** د.محمد علي الصلابي، دار المعرفة – بيروت، الطبعة الأولى [١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م].

(٨٩) **دولة بني حماد.. صفحة رائعة من التاريخ الجزائري،** د. عبد الحليم عويس، دار الصحوة - القاهرة، الطبعة الثانية [١٤١١هـ - ١٩٩١م].

(٩٠) **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية.** علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي (ت:٧٤١هـ)، دار المنصور للطباعة – الرباط، الطبعة الثانية، [١٩٧٢م].

(٩١) **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**. أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (٥٤٢هـ)، تحقيق:د.إحسان عباس، دار الثقافة – بيروت، [١٤١٧هـ – ١٩٩٧م].

(٩٢) **ذيل تاريخ دمشق**. حمزة بن القلانسي، مكتبة المتنبي – القاهرة.

(٩٣) **الذيل على الروضتين**. تراجم رجال القرنين السادس والسابع، الحافظ شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة (ت:٦٥٥هـ)، نشر ومراجعة: عزت العطار الحسيني، دار الجيل، الطبعة الثانية–بيروت، [١٩٧٤م].

(٩٤) **ذيل مرآة الزمان**. قطب الدين أبو الفتح موسى بن أحمد اليونيني، مجلد (١–٢): طبعة حيدر أباد [١٣٧٥هـ – ١٩٥٤م]، ومجلد (٣–٤) طبعة حيدر أباد [١٣٨٠هـ – ١٩٥٩م].

(٩٥) **الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة**. أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري المراكشي (ت:٧٠٣هـ)، تحقيق: محمد بن شريفة وإحسان عباس، دار الثقافة — بيروت.

(٩٦) **رجال الفكر والدعوة في الإسلام**. السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي، دار القلم — دمشق، الطبعة الأولى [١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م].

(٩٧) **الروض الزاهر في سيرة السلطان الظاهر**. محي الدين عبد الله بن رشيد الدين السعدي بن عبد الظاهر (ت:٦٩٢هـ)، تحقيق: عبد العزيز الخويطر، طبعة الرياض [١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م].

(٩٨) **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**. لشهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم أبو شامة المقدسي الدمشقي(٥٩٩هـ –٦٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة — بيروت، الطبعة الأولى [١٤١٨هـ–١٩٩٧م].

(٩٩) **زبد الحلب من تاريخ حلب**، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة ابن العديم (ت:٦٦٠هـ)، تحقيق: د.سهيل زكار، دار الكتاب العربي — دمشق، الطبعة الأولى [١٤١٨هـ – ١٩٨٧م].

(١٠٠) **سقوط الدولة العباسية**. د.سعد الغامدي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى [١٤٠١هـ – ١٩٨١م].

(١٠١) **السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري**، د.محمد عبد العظيم يوسف أبو النصر، عين للدراسات والبحوث – القاهرة، الطبعة الأولى، [٢٠٠١م].

(١٠٢) **السلاجقة في التاريخ والحضارة**. أحمد حلمي، دار السلاسل – الكويت، الطبعة [١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م].

(١٠٣) **السلاطين في المشرق العربي – معالم دورهم السياسي والحضاري**. د. عصام محمد شبارو، دار النهضةالعربية، طبعة [١٩٩٤م].

(١٠٤) **السلطان المظفر سيف الدين قُطُز**. قاسم عبده، دار القلم – دمشق، الطبعة الأولى [١٤١٩هـ - ١٩٩٨م].

(١٠٥) **السلطة والمجتمع في سلطنة المماليك**، أ.د.حياة ناصر الحجي، جامعة الكويت، [١٩٩٧م].

(١٠٦) **السلطنة الحفصية**، محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي – بيروت، [١٤٠٦هـ -١٩٨٦م].

(١٠٧) **السلوك لمعرفة دول الملوك**. تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقريزي (ت: ٨٤٥هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، [١٤١٨هـ - ١٩٩٧م].

(١٠٨) **سياسة الفاطميين الخارجية**. د.محمد جمال الدين سرور، دار الفكر العربي، [١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م].

(١٠٩) **سير أعلام النبلاء**. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، المحقق : مجموعة محققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة.

(١١٠) **سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي**. شهاب الدين محمد بن أحمد النسوي، تحقيق: حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي – القاهرة [١٩٥٣م].

(١١١) **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. لابن عماد الحنبلي عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الدمشقي، (ت:١٠٨٩هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط و محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير – دمشق، الطبعة الأولى [١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م].

(١١٢) **صبح الأعشى**. أبو العباس أحمد القلقشندي، دار الكتب الخديوية – القاهرة، [١٣٣٢هـ-١٩١٤م].

(١١٣) **الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية**. د.حامد زيان، دار الثقافة – القاهرة، [١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م].

(١١٤) **صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر**. غسان علي محمد الرمال، طبعة جدة [١٤٠٦هـ- ١٩٨٥م].

(١١٥) **الصراع بين العرب وأوروبة**، من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية، د. عبد العظيم رمضان، دار المعارف –القاهرة، [١٩٨٣م]

(١١٦) **الصفحات المطوية من حياة سلطان العلماء العز بن عبد السلام**. سليم عيد الهلالي، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى [١٤١٠هـ - ١٩٩٠م].

(١١٧) **صقلية وعلاقتها بدول البحر المتوسط**. تقي عارف الدوري، دار الرشيد – العراق، [١٩٨٠م].

(١١٨) **صلاح الدين قاهر العدوان الصليبي**. د. محمد رجب البيومي، دار القلم- دمشق، الطبعة الأولى، [١٤١٨هـ -١٩٩٨م].

(١١٩) **صورة الأرض**. أبو القاسم محمد بن حوقل، دار الحياة – بيروت، [١٩٧٩م].

(١٢٠) **الطريق إلى بيت المقدس**، د.جمال محمد، د.وفاء رفعت، دار التوزيع والنشر الإسلامية – القاهرة، الطبعة الثانية [١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م].

(١٢١) **ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر**. د. عبد المنعم ماجد، دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة الرابعة، [١٤١٤هـ - ١٩٩٤م].

(١٢٢) **العالم الإسلامي في العصر المغولي**. "برتولد شبولر"، ترجمة: خالد أسعد عيسى، مراجعة: د.سهيل زكار، دار الإحسان – دمشق، الطبعة الأولى [١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م].

(١٢٣) **العالم الإسلامي والغزو المغولي**. إسماعيل الخالدي، مكتبة صلاح الدين- مكتبة الفلاح-الكويت، الطبعة الأولى [١٤٠٤هـ -١٩٨٤م].

(١٢٤) **العبر في خبر من غبر**، الحافظ الذهبي (٧٤٨هـ -١٣٤٧م)، تحقيق/ محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت.

(١٢٥) **عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية**. د.حسن إبراهيم حسن و د.طه أحمد شرف، القاهرة [١٩٤٧م].

(١٢٦) **عجائب المقدور في نوائب تيمور**. لابن "عَرَبْ شاه" أبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد الدمشقي، تحقيق: محمد فايز الحمصي، مؤسسة الرسالة – دمشق، [١٩٨٥م].

(١٢٧) **العدوان الصليبي على بلاد الشام**، د.جوزيف نسيم، دار النهضة – بيروت، الطبعة [١٩٨١م].

(١٢٨) **العرب في صقلية**. د. إحسان عباس، دار الثقافة – بيروت، الطبعة الثانية، [١٩٧٥م].

(١٢٩) **العرب والتتار**. إبراهيم أحمد العدوي، المكتبة الثقافية – القاهرة [١٩٩٣م].

(١٣٠) **العز بن عبد السلام**. د.محمد الزحيلي، دار القلم – دمشق، الطبعة الأولى، [١٤١٢هـ - ١٩٩٢م].

(١٣١) **العصر المماليكي في مصر والشام**. د.سعيد عبد الفتاح عاشور، دار النهضة العربية – القاهرة، الطبعة الثانية [١٩٧٦م].

(١٣٢) **العصر المملوكي**. نادية محمود مصطفى، المعهد العالمي للفكر الإسلامي-القاهرة، [١٤١٧هـ - ١٩٩٦م].

(١٣٣) **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، بدر الدين محمود العيني (ت:٨٥٥هـ)، تحقيق: محمد محمد الأمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة[١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م].

(١٣٤) **العلاقات العربية السياسية في عهد البويهيين**. حامد غنيم أبو سعيد، القاهرة [١٩٧١م].

(١٣٥) **العلاقات بين المغول وأوروبة وأثرها على العالم الإسلامي**. د.عادل إسماعيل محمد هلال، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية – القاهرة، الطبعة الأولى [١٩٩٧م].

(١٣٦) **الغزو التيموري لبلاد الشام وآثاره**. د.محمد أحمد محمد، دار الهداية – مصر.

(١٣٧) **الغزو المغولي لديار الإسلام**. الفريق د.محمد فتحي أمين، بيروت، الطبعة الأولى [١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م].

(١٣٨) **الفتح القُسِّي في الفتح القدسي**. عماد الدين الكاتب الأصفهاني (ت:٥٩٧هـ)، دار المنار، مطبوع تحت عنوان: حروب صلاح الدين، الطبعة الأولى [٢٠٠٤م]

(١٣٩) **فتوح البلدان**. أبو العباس أحمد بن جابر البلاذري (ت٢٩٧هـ)، تحقيق: عبد الله الطباع وعمر الطباع، مؤسسة المعارف – بيروت، [١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م].

(١٤٠) **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**. محمد الحجوي الثعالبي المدرس بالقرويين، أصدره عام [١٣٣٦هـ –١٩١٨م]

(١٤١) **في تاريخ الأيوبيين والمماليك**. قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، طبعة [٢٠٠٧م].

(١٤٢) **قصة الحضارة**." وِل وايريل ديورانت"، ترجمة محمد بدران، دار الجيل– بيروت، د.ت.

(١٤٣) **قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام**. أحمد مختار العبادي، دار النهضة العربية – بيروت.

(١٤٤) **الكامل في التاريخ**. عز الدين أبو الحسن علي– المعروف بابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، [١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م].

(١٤٥) **كتاب العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية (في اليمن)**. الشيخ علي بن الحسن الخزرجي، تحقيق الشيخ : محمد بسيوني عسل، مطبعة الهلال – مصر، [١٣٢٩هـ - ١٩١١م].

(١٤٦) **لبنان في التاريخ**. فيليب حتي، ترجمة: أنيس فريحة، مراجعة: نقولا زيادة، دار الثقافة – بيروت، [١٩٥٩م] نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين.

(١٤٧) **ماهيَّة الحروب الصليبية**. د.قاسم عبدة قاسم، دار ذات السلاسل – الكويت، الطبعة الثانية [١٩٩٣م].

(١٤٨) **المجمل في تاريخ الأندلس**. عبد الحميد العبادي، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة.

(١٤٩) **محاكم التفتيش في أسبانيا والبرتغال**. د.علي مظهر، المكتبة العلمية، الطبعة الأولى، [١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م].

(١٥٠) **مختار الأخبار- تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢هـ** . بيبرس المنصوري (ت:٧٢٥هـ)، تحقيق:د.عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية – القاهرة، الطبعة الأولى [١٤١٣هـ - ١٩٩٣م].

(١٥١) **المختار من بدائع الزهور في وقائع الدهور**. محمد بن أحمد بن إياس المصري، مطابع الشعب – القاهرة [١٩٦٠م].

(١٥٢) **المختصر في أخبار البشر**. الملك المؤيد إسماعيل بن الأفضل أبو الفدا (ت: ٧٣٢هـ)، دار المعرفة – بيروت.

(١٥٣) **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**. الإمام أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي اليمني المكي (ت:٧٦٨هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى [١٤١٧هـ - ١٩٩٧م].

(١٥٤) **المسلمون في أوروبا في العصور الوسطى**. إبراهيم علي طرخان، مؤسسة سجل العرب – القاهرة، [١٩٦٦م].

(١٥٥) **المسلمون في صقلية وجنوب إيطاليا**. د. أحمد توفيق المدني، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر، الطبعة الثانية، [١٩٨٥م].

(١٥٦) **مصر والشام في عصر الأيوبيين**. د. سعيد عبد الفتاح عاشور، دار النهضة العربية – بيروت.

(١٥٧) **المظفر قطز ومعركة عين جالوت**. بسام العسلي، دار النفائس – دمشق، الطبعة السادسة، [١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م].

(١٥٨) **معالم تاريخ المغرب والأندلس**. د.حسين مؤنس، مكتبة الأسرة - القاهرة، [٢٠٠٤م].

(١٥٩) **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**. عبد الواحد المراكشي، تحقيق: د. محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني – القاهرة، [١٤١٤هـ - ١٩٩٤م].

(١٦٠) **المعجم الوسيط** ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة [١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م]

(١٦١) **معجم البلدان،** للإمام شهاب الدين أبي عبد الله (ياقوت) الحموي الرومي البغدادي، دار صادر-بيروت، [١٣٩٧هـ-١٩٧٧م].

(١٦٢) **معركة عين جالوت - دراسة في الجيش المملوكي والمغولي**. محمد ضاهر وتر، الطبعة الأولى، [١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م].

(١٦٣) **المغول في التاريخ**. فؤاد عبد المعطي الصياد، دار النهضة العربية – بيروت، [١٩٧٠م].

(١٦٤) **المغول والأوربيون والصليبيون**. محمد عمران، دار المعرفة الجامعية، قناة السويس – مصر [٢٠٠٥م].

(١٦٥) **المغول**. السيد الباز العريني، دار النهضة العربية – بيروت، [١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م].

(١٦٦) **الملك المظفر قُطُز بن عبد الله المعزي**، رحاب عكاوي، دار الفكر العربي – بيروت، الطبعة الأولى.

(١٦٧) **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**. لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى [١٤١٢هـ - ١٩٩٢م].

(١٦٨) **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**. تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: محمد زينهم عزب ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي – القاهرة، الطبعة الأولى [١٩٩٧م].

(١٦٩) **موت الغرب**. للسياسي والمفكر الأمريكي "باتريك. ج. بوكانن"، المرشح للرئاسة الأمريكية مرتين عامي (١٩٩٢-١٩٩٦) ترجمة: محمد محمود التوبة، مكتبة العبيكان- الرياض، الطبعة الأولى [١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م]، صدر بالإنكليزية عام [٢٠٠٢].

(١٧٠) **الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية**. د.سهيل زكار، دار الفكر- دمشق، [١٩٩٥-٢٠٠٠م].

(١٧١) **الناصر محمد بن قلاوون**. أسامة حسن، دار الأمل- القاهرة، الطبعة الأولى، [١٤١٨هـ - ١٩٩٧م].

(١٧٢) **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، جمال الدين يوسف بن تَغْري بَرْدي (٨١٣هـ-٨٧٤هـ)، تعليق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، [١٤١٣هـ-١٩٩٢م].

(١٧٣) **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**. أبو عبد الله محمد بن محمد الحمودي الإدريسي (ت:٦٣٠هـ)، عالم الكتب- بيروت، الطبعة الأولى [١٤٠٩هـ-١٩٨٩م].

(١٧٤) **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**. الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: د.إحسان عباس، دار صادر – بيروت، [١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م].

(١٧٥) **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية. سيرة صلاح الدين**. بهاء الدين بن شداد، تحقيق: د.جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي – القاهرة، الطبعة الأولى، [١٣٨٤هـ-١٩٩٤م]

(١٧٦) **هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس**. د.ماجد عرسان الكيلاني، دار القلم-دبي، الطبعة الثانية، [١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م]

(١٧٧) الواسطة في معرفة أحوال مالطة. أحمد فارس الشدياق، مطبعة الجوائب – قسطنطينية، الطبعة الثانية، [١٢٩٩هـ - ١٨٨٢م].

(١٧٨) وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي، محمد ماهر حمادة، بيروت، [١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م].

(١٧٩) الوعي بالتاريخ وصناعة التاريخ، محمد عمارة، دار الرشيد – القاهرة، الطبعة الثانية [١٤١٧هـ – ١٩٩٧م].

(١٨٠) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. لأبي العباس شمس الدين أحمد بن خلكان (٦٠٨-٦٨١هـ)، تحقيق: د.إحسان عباس، دار صادر – بيروت، [١٤١٤هـ - ١٩٩٤م].

(١٨١) اليهود والحركات السرية في الحروب الصليبية. د.بهاء الأمير، مكتبة مدبولي – القاهرة، الطبعة الأولى، [٢٠١٣م].



فهرس المحتويات

تعريف مختصر بالمؤلف*



محمد غسَّان بن خليل الجبَّان الجنيدي الحسيني

-الجبّان شهرةً، الجنيدي لقباً، الحسيني نسباً.

-ولد بدمشق في جوار جامع بني أمية الكبير عام ١٩٤٧م، وهو من ذرية الشيخ سليمان الجنيدي، ومن أسرة يتصل نسبها إلى الإمام الحسين رضي الله عنه.

-التحق بمدرسة علم الدعوة والتزكية والحكمة عام ١٩٦١م، التي أسّسها الشيخ أحمد كفتارو رحمه الله تعالى ... ودَرَس هذه العلوم على يديه.. كما دَرَس العلوم الشرعية على يد عدد من علماء دمشق...

-حصل على إجازة في التدريس الديني والوعظ والإرشاد من سماحة الشيخ أحمد كفتارو عام ١٩٧٦م..

-عمل في حقل الدعوة الإسلامية والتدريس الديني، أكثر من خمسةٍ وأربعين عاماً، وتربّى على يديه مئاتٌ من الدعاة، وأعدادٌ كبيرة من شباب الدعوة الإسلامية ...

- حائز على درجة البكالوريوس في العلوم الفيزيائية والكيميائية من جامعة دمشق عام ١٩٧٢م..

-عمل في التعليم الرسمي.

-أسس وأدار عدداً من مشاريع العمل الخيري.

- أسس وأدار عدداً من مؤسسات التعليم الشرعي للمرحلتين: الجامعية والدراسات العليا ..

-عضو مجلس أمناء جامعة بلاد الشام للعلوم الشرعية واللغة العربية والدراسات والبحوث الإسلامية.

-باحث ومؤلف.

* انظر: موسوعة الأُسر الدمشقية ، للدكتور: محمد شريف الصواف،(١/٣٤٥وما بعدها).

كتب للمؤلف

●سلسة السِير والتراجم:

١- العلامة الشيخ أحمد كفتارو –أفكار وأساليب لنهضة الأمة الإسلامية– [الطبعة الأولى].

٢- العالِم الرباني الشيخ محمد بشير الباني– قبسٌ من حياته وأفكاره– (بالاشتراك). [الطبعة الأولى].

●سلسلة مجالس التقرب إلى الله تعالى:

١- ذكر الله تعالى – طريقك إلى السعادة والنجاح والتفوق– [الطبعة الثامنة].

٢- أيها المسوفون الوقت ضيق. [الطبعة التاسعة].

● موسوعة فقه الدعوة والحياة « في شمائل وسيرة وحقوق سيدنا محمد رسول الله ﷺ ».

١- الأصول في معرفة حقوق الرسول ﷺ [الطبعة الأولى].

٢- كمال رحمته ﷺ .[الطبعة الثانية].

٣- كمال حكمته ﷺ .[مرحلة الإعداد].

٤- أجزاء أخرى. [مرحلة الإعداد].

● سلسلة دراسات وأبحاث:

١- مبادئ في الفكر التربوي الإسلامي. [الطبعة الثانية].

٢- مبادئ في الفكر الاقتصادي الإسلامي [الطبعة الثانية].

٣- مبادئ في فكر الدعوة الإسلامية [الطبعة الثانية].

٤- مراجعات في الفكر والعمل الإسلامي الدعوي [الطبعة الأولى].

٥- الوصايا (للدعاة) [الطبعة الأولى].

٦- خصائص الرسالة الإسلامية [الطبعة الأولى].

٧- نفاق الحكومات الغربية الاستعمارية في قضية حقوق الإنسان [الطبعة الأولى].

٨- دراسات في العدوان الإفرنجي والمغولي على الأمة الإسلامية (رؤية معاصرة) [الطبعة الأولى].

٩- دراسات في العدوان الاستشراقي والتبشيري على الأمة الإسلامية (رؤية معاصرة) [مرحلة الإعداد].

١٠- دراسات في العدوان الاستعماري على الأمة الإسلامية (رؤية معاصرة) [مرحلة الإعداد].

١١- دراسات في العدوان المعاصر على الأمة الإسلامية [مرحلة الإعداد].

هذا الكتاب

- **يتحدث هذا الكتاب عن:** الأحداث التاريخية بنظرة شمولية تتجاوز الحدث الجزئي إلى الحدث الكلي.. فهو ينظر إلى العالم الإسلامي على أنه ساحة صراع واحدة، ويتناول الأحداث في زمن محدد من مشرق العالم الإسلامي إلى مغربه..، ويُطلع القارئ على جميع الأحداث الجارية في كل أنحاء العالم الإسلامي في زمن محدد، فيربط بينها، ويبين أسباب انتصار جبهة المقاومة الإسلامية أو هزيمتها في موقع ما استناداً لما يجري في هذا الموقع والمواقع الأخرى على امتداد العالم الإسلامي..

- **وهذا الكتاب:** يصحح المفاهيم الخاطئة التي حصرت الحروب والحملات الإفرنجية زمانياً ومكانياً في ما جرى في بلاد الشام ومصر منذ عام /٤٨٩هـ -١٠٩٦م/ وحتى عام /٦٩٠هـ -١٢٩١م/ ويبين أن هذه الحروب والحملات الصليبية بدأت قبل هذا التاريخ بنحو /٣٢٨/ عاماً هجرياً، وامتدت بعده نحو /٢٠٧/ عاماً هجرياً.

- بل إن هذا الكتاب يبين أن الحركة الصليبية مازالت موجودة تنمو وتتطور وتنتهج من الأساليب الجديدة ما تراه مناسباً لتحقيق أهدافها، وخاصة بعد أن اندمجت مع الحروب الإفرنجية الاستعمارية إلى يومنا هذا..

الناشر

دراساتٌ في



هذا الكتاب

- **يتحدث هذا الكتاب عن:** الأحداث التاريخية بنظرة شمولية تتجاوز الحدث الجزئي إلى الحدث الكلي.. فهو ينظر إلى العالم الإسلامي على أنه ساحة صراع واحدة، ويتناول الأحداث في زمن محدد من مشرق العالم الإسلامي إلى مغربه... ويُطلع القارئ على جميع الأحداث الجارية في كل أنحاء العالم الإسلامي في زمن محدد، فيربط بينها، ويبين أسباب انتصار جبهة المقاومة الإسلامية او هزيمتها في موقع ما استناداً لما يجري في هذا الموقع والمواقع الأخرى على امتداد العالم الإسلامي..

- **وهذا الكتاب:** يصحح المفاهيم الخاطئة التي حصرت الحروب والحملات الإفرنجية زمانياً ومكانياً في ما جرى في بلاد الشام ومصر منذ عام /٤٨٩هـ - ١٠٩٦م/ وحتى عام /٦٩٠هـ - ١٢٩١م/ ويبين أن هذه الحروب والحملات الصليبية بدأت قبل هذا التاريخ بنحو /٣٢٨/ عاماً هجرياً، وامتدت بعده نحو /٢٠٧/ عاماً هجرياً.

- بل إن هذا الكتاب يبين أن الحركة الصليبية مازالت موجودة تنمو وتتطور وتنتهج من الأساليب الجديدة ما تراه مناسباً لتحقيق أهدافها، وخاصة بعد أن اندمجت مع الحروب الإفرنجية الاستعمارية إلى يومنا هذا..

الناشر